

الجامع

لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨)

(خلال سبعة قرون)

جمعه ووضعه قرائه

محمد عزيز شمس و علي بن محمد الهران

تقديم
فضيلة الشيخ العلامة
بكر بن عبد الله أبو زيد

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع

المقدمة

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بكرة وأصيلاً.

أما بعد؛ فلا يخفى على من سبر سيرة العلماء وتأملها وفحصها، ثم أراد أن يستخرج من جمع منهم بين العلم حتى صار من المجتهدين المحققين، وبين العمل حتى صار قدوة للعاملين العابدين؛ فإنه لا يخرج إلا ببرّض من عدّ، وقُلّ من كُثِر؛ ولا غرّو؛ فإن أولئك الذين جمعوا أطراف الفضائل وخصال الكمال ينذر وجودهم، فيكون منهم في الزمان البعيد واحد تلو آخر.

ولا يشك كلُّ مُطلع أن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية التّميري الحراني ثم الدمشقي أحد أولئك العلماء المتحقّقين^(١)

(١) أنفع طرق العلم الموصلة إلى التحقّق فيه: أخذه عن العلماء المتحقّقين به على الكمال والتمام، ويكون العالم مُتحقّقاً إذا تحلّى بأماراتٍ وعلامات، وهي ثلاث:
١ - العمل بما عِلِم، حتى يكون قوله مطابقاً لفعله، فإن كان مخالفاً له؛ فليس بأهل لأن يؤخّذ عنه.
٢ - أن يكون ممن ربّاه الشيوخ في ذلك العلم، فهو الجدير إذن أن يتّصف بما اتصفوا به، وهذه طريقة السلف.
٣ - الاقتداء بمن أخذه عنه، والتأدّب بأدبه، كما اقتدى الصحابة بالنبي ﷺ والتابعون بالصحابة، وهكذا.

المصلحين، والرواد المجتدين، الذين أفنوا أعمارهم في العلم والتعليم، والجهد والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يُعرف في زمنه بل ولا قبله بقرون - كما صرح به غير واحد - أكثر منه علمًا وعملاً وجهادًا، وشجاعةً وكرمًا، وسيرًا على قانون السلف، وقمعًا لأهل البدع، وكثرة تأليف.

حازَ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلٍ وَقَلَمًا يَتَأَتَّى الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ

نقول: فخلقُ بمن هذه حاله؛ في كثرة محاسنه، وحسن مكارمه، وعظيم مفاخره، واتصال محامده، وعلو مبانيه = أن يُفحصَ عن خبره، ويُبحثَ عن أثره، ويُتقَرَّ عن أمره وحاله وسيرته، لتكون نبراسًا للاقتداء، وعلمًا للاقتداء.

«فإن المتأخر متى وقف على خبر من تقدّمه من الفضلاء، أو سمع كيف تسميرهم وإقبالهم على العلم وطلبه؛ تآقت نفسه إلى الاقتداء بهم، والانسلاک في سلوكهم، والتحقيق لفضلهم وتجميلهم... فقد يبحث... الجبان إلى المعركة فرسان الطعان، ويُهَيِّج الحادي أشواق القوافل، وإن كان عن معنى ما يأتي به غافل»^(١) اهـ.

فلما أردنا سلوك هذا السبيل، والولوج في هذا المهيّج، لاحت لنا طرائق شتى في جمع مادة الترجمة والإحاطة بمتفرقاتها، ولم شعثها، إلا أن طريقة عصريّة قد بدت لنا لتنهض بهذه المهمة، وهي: جمع تراجمه المتفرقة في كتب التواريخ والسير والطبقات ونحوها، واستقصاء

= انظر: «الموافقات»: (١/١٣٩ - ١٤٥)، (٥/٢٦٢) للإمام الشاطبي.

(١) قاله الجندبي السكسكي (٧٣٢) في «السلوك»: (١/٦٥ - ٦٦).

ذلك ما أمكن، ثم سياقتها على الترتيب الزمني لمؤلفيها، بداية من عصره، وانتهاءً بنهاية القرن الثالث عشر الهجري (١٣٠٠).

وهذه الطريقة لم تكن أول من اخترعها، ولا أول من سلكها، بل سبق إليها عددٌ من المعاصرين في دراساتهم عن بعض الشخصيات منها:

— ابن الراوندي (٢٩٨)، كتب عنه عبدالأمير الأعمش: «تاريخ ابن الراوندي الملحد» (ط. بيروت ١٩٧٥م).

— دراسة عن الحلاج (٣٠٩)، كتبها المستشرق ماسينون (باريس ١٩١٤م).

— المتنبي (٣٥٤)، كتب عنه عبدالله الجبوري: «المتنبي في آثار الدارسين» (ط. بغداد ١٩٧٨م).

— أبو العلاء المعري (٤٤٩)، كتب عنه مجموعة من الباحثين: «تعريف القدماء بأبي العلاء» (ط. القاهرة ١٩٤٤م).

— ابن حزم الأندلسي (٤٥٦)، كتب عنه أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري: «ابن حزم خلال ألف عام» أربعة أجزاء (ط. دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١).

— الغزالي (٥٠٥)، كتب عنه عبدالكريم العثمان: «سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه» (ط. دمشق ١٩٦١م).

— ابن رشد (٥٩٥)، جمع أهم تراجمه جورج قنواطي في «مؤلفات ابن رشد» (ط. القاهرة ١٩٧٨م).

— ابن خلدون (٨٠٨)، جمع أهم تراجمه عبدالرحمن بدوي في

«مؤلفات ابن خلدون» (ط. القاهرة ١٩٦١م).

كما اهتم بعض الدارسين ببعض الأعلام فصنعوا ببلوغرافيا، تشير إلى البحوث والدراسات التي كُتبت عنها في العصر الحديث؛ كما هو الحال في: (الفارابي، وابن سينا، وأبي بكر ابن العربي، والقاضي عياض)، كما أفردت كتبٌ لإحصاء مؤلفات علم ما - ويكون من المكثرين غالبًا - وبيان ما طُبِع منها ومالم يزل مخطوطًا، مثل: (الغزالي، وابن الجوزي، وابن خلدون، والسخاوي، والسيوطي - مرّات -).

ولا يخفى ما لهذه الأعمال المتقدمة من أثر محمود في الدراسات التي ظهرت بعد ذلك عن هذه الشخصيات.

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أولى من خُدم بمثل هذه الدراسات والترجمات والإحصائيات؛ فهو العالم حقًا، والإمام صدقًا.

من النَّاسِ مَنْ يُدْعَى الإمامَ حقيقةً ويُدْعَى كثيرٌ بالإمام مجازًا
ولكنْ متى يخفى الصباح إذا بدا وحلَّ عن الليل البهيم طرَازًا

ومع كثرة ما كُتِبَ عنه من البحوث والدراسات والتحقيقات = إلا أننا - مع الأسف - نفقد تلك الدراسة الموعبة الشاملة التي ألمحنا إليها، فلم يتقدّم أحدٌ - حتى الآن - بجمع ماتفرّق في المصادر القديمة في ترجمة شيخ الإسلام، فكان لنا شرف القيام بهذه المهمة؛ فالحمد لله على توفيقه.

ولا يفوتنا هنا أن نُلَمِّح إلى ما قام به الدكتور صلاح الدين المنجد؛ فقد نُشِرَ كتابًا بعنوان: «شيخ الإسلام ابن تيمية: سيرته وأخباره عند المؤرّخين» (ط. بيروت ١٩٧٦م) جمع فيه سبع عشرة ترجمة ورتبها ترتيبًا

زمنياً^(١).

ومع اقتصاره على هذا العدد من التراجم، فقد وقع في عدد غير قليل من الأخطاء، وهي:

١ - أنه أقحم في نصوص هذه التراجم ما ليس منها؛ ففي «الذيل على طبقات الحنابلة»، لابن رجب (٧٩٥) ادّعى وجود سقط في آخر الترجمة عند تعداد ما استُغْرِبَ للشيخ من أقوالٍ فقهية، وذلك بالاعتماد على زيادةٍ وردت في «شذرات الذهب» لابن العماد (١٠٨٩) وهو ينقل من «ذيل ابن رجب»!!.

وعند الرجوع إلى نسخ الكتاب (نَعْنِي: الذيل) الموثقة^(٢)؛ لم نجد تلك الزيادة التي أقحمها المنجّد اعتماداً منه على مجرد الظن!

٢ - أنه أسقط من بعض المصادر نصوصاً مهمة، ويتضح ذلك في كتابين:

الأول: كتاب «أعيان العصر وأعوان النصر» (مخطوط)^(٣) للصفدي (٧٦٤). حيث حذف منه ما يُعادل نصف الترجمة بحجة أنه تكرر لما في «الوافي بالوفيات»، والواقع خلاف ذلك ففي «الأعيان» زيادات كثيرة، خلا عنها «الوافي»، منها قصيدة ضادية للمؤلف في رثاء شيخ

(١) ثلاثٌ منها لا تُعَدُّ من التراجم، وهي: النصيحة الذهبية (وفي ثبوتها نظر كبير)، وزغل العلم، والإعلان بالتوبيخ؛ لذا لم ندخلها في هذا «الجامع».

(٢) وهذه النسخ الموثقة عند الأستاذ الدكتور عبدالرحمن العثيمين - وفقه الله - وقد راجعها بنفسه، وأفاد عدم وجود تلك الزيادات. وهو يعمل الآن على تحقيق الكتاب على أفضل نسخه الخطية يَسَّرُ الله له ذلك.

(٣) طبع حال نشر هذا «الجامع» في دار الفكر بدمشق.

الإسلام، لا توجد في المصادر الأخرى، وانفرد بها هذا الكتاب.

الثاني: كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير، فقد حذف منه نصوصاً مهمة، ولعله غفل عنها، منها قصة عسّاف النصراني، وهي التي في إثرها أُلّفَ شيخُ الإسلام كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول».

٣ - التصحيح والتحريف الواقع في الترجمات، وهو كثير!! ويكفي أن يُقارن القارئ بين ما أثبتناه من «أعيان العصر» للصفدي، وبين ما نشره منه. وهذا مثال واحد، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وبعد؛ فكتابه لا يحتوي إلا على سبع عشرة ترجمة - كما سلف - ففاته الكثير مما كتبه تلاميذ شيخ الإسلام، والمعاصرون له، ومن بعدهم، مما له أهمية كبيرة في الكشف عن المزيد مما يتعلق بترجمة شيخ الإسلام وآثاره. كما ستراه مجموعاً في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى؛ فكان مجمل ما لم يذكره في كتابه وهو في مجموعتنا هذه نحو خمسة وخمسين كتاباً.

● أهمية هذا الجامع :

يتلخص عملنا في هذا الكتاب في جمع كل ما يتعلق بترجمة شيخ الإسلام في المصادر القديمة؛ من القرن الثامن إلى نهاية القرن الثالث عشر، سواء أكانت ترجمة ضمن كتاب، أو رسالة في مدح الشيخ والثناء عليه والوصاية به والتشوق إلى لقائه، أو مذكرات عن حياته، أو فهرساً لمؤلفاته.

وكان اعتمادنا في هذا الجمع على الاستقراء والتتبع لكتب التواريخ والتراجم، وفهارس المخطوطات، وتقليب أجلاّد وأجلاّد من الكتب المطبوعة والمخطوطة بُغية الحصول على ما تقدّم مما له علاقة بترجمته، وبذلنا في هذا السبيل غاية الوسع رجاء اكتمال مادته، وحصول ما رُمناه

من فوائد وعوائد، وهي كثيرة أهمّها:

* أنه يقدّم للباحث ثبّتاً كاملاً بكل الترجمات المتفرقة في المصادر لهذا الإمام، مما يُغْنِيه عن الرجوع إلى عشرات الكتب المطبوعة والمخطوطة، فيوفر عليه الجهد والوقت.

* نشر عددٍ من الترجمات المخطوطة، وهي تُعَدُّ من المصادر المهمة في ترجمته، وقد بلغ عددها: اثنتي عشرة ترجمة.

* أنه بضمّ هذا الكتاب إلى التراجم المفردة للشيخ - وأهمّها كتاب ابن عبد الهادي (٧٤٤) «العقود الدرية» - يُمثّل ترجمةً شاملة متكاملة لشيخ الإسلام ابن تيمية يُسْتَعْنَى بها، ولا يحتاج معها إلى غيرها.

* أن هذا الجمع يُظهر لنا الكتب الأصلية التي قدمت لنا معلومات موثقة ومستوعبة، ويُظهر التراجم الأخرى التي لا تعدو أن تكون اختصاراً أو انتقاءً أو تكراراً أو تحريفاً لما في المصادر الأصلية.

* أن هذا الجمع يُعطي الباحث الفرصة السانحة والمجال الأرحب للمقارنة بين هذه المصادر، والكشف عن مقدار اقتباس المتأخّر من المتقدم، ومن ثمَّ يَتَبَنَّى إلى عدم الاعتماد على المصادر المتأخرة في بحوثه وتحقيقاته ما أمكنه ذلك.

* أنه يعطي الباحث - أيضاً - فرصة اعتبار المعلومات في هذه التراجم فيعرف الموثّق منها والمزيف، وما تفرّدت به بعض المصادر، وما حُكي في البعض الآخر على الاحتمال وجُزِم به في مكان آخر، وما رُوي مُجملاً في مصدر، وفُصِّل في مصدر آخر، وهكذا.

* أنه يُعطي الباحث فرصة لتكوين صورة صادقة متكاملة عن المترجم

له، وكيف كان أولئك المؤرخون والعلماء ينظرون إليه وإلى آرائه؛ على اختلاف مذاهبهم، ومشاربهم، وعصورهم، وثقافتهم، ولماذا كان الاهتمام به وبأفكاره وبكتبه قويًا أو ضعيفًا في حقبة ما أو مكان ما؟.

* أن هذا المجموع يمكننا من دراسة كتبه وآثاره^(١)، وتوثيق نسبتها إليه، وحصرها بدقة.

* أنه يُصحَّح كثيرًا من الأخطاء والتصحيحات الواقعة في كثير من الكتب لتكرر المعلومات وتشابهها.

كما أن هذا «الجامع» يُصوّبُ خطأً قديمًا تتابع الباحثون عليه، وهو أنه منذ أن نشر الدكتور صلاح الدين المنجد «أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية» المنسوب لابن قيم الجوزية (٧٥١) - رحمه الله - في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق (٢٨ / ١٩٥٣ / ٣٧١ - ٣٩٥)^(٢) = لم يشك أحدٌ من الباحثين في صحّة هذه التّسبة إلى ابن القيم، بل اعتمدوه في دراساتهم عن شيخ الإسلام، أو عن تلميذه ابن القيم، وذلك على مدار نحو نصف قرنٍ من الزّمان!!.

وقد اعتمد المنجد في نشرته تلك على نسخةٍ خطيّةٍ موجودة في دار الكتب الظاهرية برقم (٤٦٧٥ - عام)، وهي بخط الشيخ جميل العظم^(٣) صاحب كتاب: «عقود الجواهر في تراجم من له خمسون مصنّفًا فمئة فأكثر»، نسخها سنة (١٣١٥).

(١) انظر «فهرس الكتب»: (ص/٦٦٤ - ٦٩٤).

(٢) ثم أفرد في رسالة.

(٣) وقد جرّم العظمُ بنسبتها إلى ابن القيم، وعليه اعتمد المنجد!

وهذه النسخة لا تعدو أن تكون تهذيباً وترتيباً للكتاب الأصل في «مؤلفات شيخ الإسلام»، ويدرّج لنا أن الشيخ جميل العظم قد هذبها لتكون مادة يقتبس منها في كتابه السالف الذكر.

وتحققنا أنها تهذيب بعد وقوفنا على نسخة أخرى من الكتاب، في دار الكتب الظاهرية - أيضاً - برقم (١١٤٧٩)، وهي عبارة عن «دفتر منوعات» بخط الشيخ العلامة طاهر الجزائري - رحمه الله - كتبه سنة (١٣١٨)، أوله: «أسماء مؤلفات شيخ الإسلام» (ق/١ - ٨)، وكتب الشيخ طاهر بعد البسملة: «الظاهر أن هذه الرسالة لتلميذه ابن القيم»^(١).

فقمنا بالمقابلة بين هذه النسخة، وبين نسخة العظم - التي اعتمدها المنجد - فوجدنا في نسخة الجزائري زيادات كثيرة، في المقدمة، وفي ذكر بعض الكتب، وفي معلومات عن كثير من الكتب، فعلمنا أن نسخة العظم ماهي إلا تهذيب للكتاب الأصل^(٢).

هذا أمرٌ.

والأمر الثاني: أنا وجدنا الإمام ابن عبد الهادي (٧٤٤) في كتابه «العقود الدرية»^(٣) قد اقتبس نصوصاً من هذه الرسالة، ونسبها إلى أبي

(١) تحرّفت «ابن القيم» إلى «إبراهيم» في فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم التاريخ): (٥٢٤/٢ - ٥٢٦)، وهكذا نسب الم فهرس هذه الرسالة إلى شخصية وهمية لا وجود لها!!.

(٢) انظر نموذجاً من الفروق بين النسختين في مقدمة «قاعدة في الاستحسان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص/١٠ - ١١) (ط. دار عالم الفوائد ١٤١٩) تحقيق: محمد عَزِير شمس.

(٣) (ص/٢٧ - ٢٨) (ط. مكتبة المعارف) وما بين الأقواس منه.

عبدالله بن رُشَيْق، فقال: «قال الشيخ أبو عبدالله بن رُشَيْق - وكان من أخص أصحاب شيخنا وأكثرهم كتابةً لكلامه وحرصاً على جمعه -: كتب الشيخ - رحمه الله - نقول السلف مجردة عن الاستدلال على جميع القرآن، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال. ورأيتُ له سوراً وآيات يُفسرها، ويقول في بعضها: كتبه للتذكُّر، ونحو ذلك.

ثم لما حُبِس في آخر عمره؛ كتبتُ له أن يكتب على جميع القرآن [مرتباً] على السور، فكتب يقول: إن القرآن فيه ماهو بيّن بنفسه، وفيه ماقد بيّنه المفسرون في غير كتاب؛ ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنّف الواحد في الآية تفسيراً، ويُفسّر [نظيرها بغيره]، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل؛ لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها.

وقال: قد فتح الله عَلَيَّ في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، أو نحو هذا، وأرسل إلينا شيئاً [كثيراً] مما كتبه في هذا الحبس، وبقي شيءٌ كثير في [سلة] الحكم عند الحكام لما أخرجوا كتبه من عنده، وتوفي وهي عندهم إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة.

ثم ذكر الشيخ أبو عبدالله مارآه ووقف عليه من تفسير الشيخ «اهـ.

نقول: هذا النصُّ برمّته في «مؤلفات ابن تيمية» المنسوب لابن القيم! فتبيّن من هذا أنه لابن رُشَيْق لا لابن القيم.

وابنُ رُشَيْقٍ هذا هو: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد سِبْطِ ابن رُشَيْقٍ المالكي^(١)، المتوفى سنة (٧٤٩).

وكان ابن رُشَيْقٍ - كما يقول ابن كثير^(٢) -: «أبصر بخط شيخ الإسلام منه، إذا عَزَبَ شيءٌ منه على الشيخ استخرجه أبو عبدالله هذا، وكان سريعَ الكتابة، لا بأس به، دِيْنًا عابِدًا كثير التلاوة حسن الصلاة، له عيال وعليه ديون، رحمه الله وغفر له آمين» اهـ.

ولا تسعفنا المصادر التي ذكرت ابن رشيق^(٣) بمعلومات كافية عنه، أكثر مما لخصه ابن كثير، إلا أن المصادر تُجمع على أن ابن رُشَيْقٍ هذا كان ملازمًا لشيخ الإسلام، عارفًا بخطه، بل أعرف من الشيخ نفسه، أكثرًا من كتابة كلامه، لا يختلف عليه أصحاب الشيخ أنفسهم في هذه الأمور، وقد تقدم كلام ابن عبدالهادي وابن كثير، ثم وجدنا كلامًا غايةً في

(١) واسمه هذا منقول من خطه في آخر رسالة «الاجتماع والافتراق» لشيخ الإسلام. انظر: «الأعلام»: (١٤٤/١) للزركلي، وكذا في آخر «رسالة في العقل والروح» بخطه كما في مجموعة الرسائل المنيرية: (٤٩/٢)، (وقد تحرّف فيها «ابن رُشَيْقٍ» إلى «مرشق»).

(٢) «البداية والنهاية»: (٢٤١/١٤) ط. الريان، ووقع فيه: «عبدالله بن رُشَيْقٍ» وهو خطأ مطبعي لاريب، والصواب: أبو عبدالله، كما جاء في السطر الذي يليه، وعلى هذا الوهم ترجم له الزركلي في «الأعلام»: (٨٦/٤) في من اسمه: عبدالله، وحتى يستقيم له هذا حَذَفَ: «أبو» التي جاءت على الصواب في السطر الثاني من كلام ابن كثير!!.

(٣) انظر لترجمته: «العقود الدرية»: (ص/٢٧)، و«المشبه»: (ص/٣١٧) للذهبي ونعته بـ: «صاحبنا الفقيه»، و«البداية والنهاية»: (٢٤١/١٤)، و«ذيل مشبه النسبة»: (ص/٢٧) لابن رافع، و«توضيح المشبه»: (١٩٥/٤)، لابن ناصر الدين، وحاشيته، و«تبصير المنتبه»: (٢/٦٠٥ - ٦٠٦) لابن حجر، و«تاريخ ابن قاضي شُهْبَة»: (٢/١: ٦٥٥ - ٦٥٦)، و«رسالة ابن مُرِّي إلى تلاميذ شيخ الإسلام»: (ص/٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١) في مجموعتنا هذه.

الأهمية للشيخ شهاب الدين ابن مُرِّي الحنبلي في رسالته التي وجَّهها إلى تلاميذ الشيخ - بعد وفاته - وفيها حثهم على الاهتمام بكتب الشيخ والاعتناء بها ونسخها، والاستعانة بالشيخ أبي عبدالله^(١) ابن رُشَيْق فإنه أعلم الجماعة بهذا الأمر على الإطلاق، قال: «فاحتفظوا بالشيخ أبي عبدالله - أيده الله - وبما عنده من الذخائر والنفائس، وأقيموا لهذا المهم الجليل بأكثر ما تقدرون عليه، ولو تألمتم أحيانًا من مطالبته؛ لأنه قد بقي في فنّه فريدًا، ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الإطلاق».

وقال: «وإذا جُمِعت هذه المؤلفات العزيزة الكثيرة، ونقل من المسوّدات ما لم يُنْقَل، وقُبِل رأيُ أبي عبدالله في ذلك كله؛ لأنه على بصيرة من أمره، وهو أخبر الجماعة بمطابنّ المصالح المفردة التي قد انقطعت مادتها».

وقال: «والشيخ أبو عبدالله - سلّمه الله - فهو بلا تردد واسطة نظام هذا الأمر العظيم، فأعدوه وأزيلوا ضرورته...» إلى آخر ما قال وكله

(١) ذكره ابن مري في رسالته أكثر من مرة بالكنية، ولم يصرّح باسمه، فظن الباحثون أن المقصود به: ابن القيم، وهو خطأ، والمقصود به: ابن رُشَيْق بدلائل كثيرة في النص، أهمها:

١ - أنه وصفه بالمعرفة التامة بخط الشيخ، وأنه أبرز الجماعة في الاضطلاع بهذه المهمة الشاقة، وهذا أمر تفرّد به ابن رُشَيْق باتفاق أصحاب الشيخ - كما سبق -.

٢ - أنه ذكر أن أبا عبدالله هذا قليل ذات اليد، يجب مساعدته من الجماعة ليتفرغ للقيام بهذه المهمة، وهذا موافق لما ذكره ابن كثير من كثرة عياله وأنه مات مَدِينًا.

٣ - أنه قد ذكر في رسالته هذه ابن القيم بقوله: «ورُؤِج الشيخان الصالحان، الفضلان المحققان: شرف الدين، وشمس الدين بن أبي بكر؛ فإنهما أحذق الجماعة على الإطلاق في المناهج العقلية وغيرها، وأذكرهم للمباحث الأصولية» اهـ - وأبعد الثُّجعة المعلّقة على رسالة ابن مُرِّي في المراد بشمس الدين بن أبي بكر -!! -.

فهذه دلائل واضحة، وبالله التوفيق والاستعانة.

شاهد لما ذكرنا.

فثبت بما تقدّم جميعه أن «مؤلفات ابن تيمية» لأبي عبدالله بن رُشَيْق لا لابن القيم، فيجب على الباحثين تصويب هذا الخطأ، ونسبة الكتاب في بحوثهم وتحقيقاتهم إلى مؤلفه الحقيقي.

لكن مما يؤسف له: أن النسخة الثانية من هذا الكتاب وهي التي بخط الشيخ طاهر الجزائري، لا تُمثّل إلا النصف الأوّل من هذه الرسالة المهمة، وليس فيه سوى ما يتعلق بالقرآن فقط، وقد كتب الشيخ طاهر الجزائري في آخر هذه النسخة: «انتهى ما يتعلق بالكتاب العزيز، وهذا الذي أردنا نقله الآن لغرض. حُرّر في ليلة ٢٦ رمضان سنة ١٣١٨».

وليتّه لم يقتصر على هذا القدر، ونرجو أنه لم يضع الأصل المنسوخ منه، الذي كان ضمن مجموع ذكره الشيخ طاهر الجزائري نفسه في هذا «الدفتري»، وقال عنه (ق ٣٠ ب): «في المجاميع عند بعض إخواننا». ثم ذكر محتويات بعض المجاميع، منها: «المجموع الثالث»، وسرد محتوياته، وهي كما يلي (٣١ أ - ب):

١ - المناقلة بالأوقاف، لأحمد بن قدامة الحنبلي (كراس ٢).

٢ - رسالة في الوقف، للتقي [ابن تيمية]، أولها: «فصل في إبدال الوقف حتى المساجد بمثلها أو خير منها». آخرها: «وقد قرّب ابنا آدم قرباناً». كتبت سنة ٨٦٦ بخط أبي بكر بن زيد الجراعي.

٣ - رسالة الاحتجاج في بيان الوقف للتقي [ابن تيمية] أيضاً، أولها: «مسألة: واقف وقف وقفاً على أولاده ثم على ...» (كراس ٢).

٤ - سئل عن قوله عليه السلام: «إن [الله] ينادي يوم القيامة بصوتٍ

يسمعه مَنْ بَعْدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ؛ أنا الملك، أنا الديان» ونحو ذلك من الأحاديث، فإن بعض الناس قال: لا يثبت لله صفة بحديث واحد». أجاب بعد الحمد: «الأصل في هذا الباب أن لا يتكلم الإنسان إلّا بعلم...» (ورقة ١٢).

٥ - رسالة في أسماء كتبه. وكنا نقلناها، كراس ناقص قليلاً.

٦ - العقيدة الواسطية.

٧ - عقيدة الشيخ موفق الدين [ابن قدامة]. (ورقة ٧).

٨ - الرسالة القبرصية، أرسلها في تاريخ سنة تسع عشرة وسبع مئة، وكتبت سنة ٧٨٨.

٩ - رسالة في زيارة بيت المقدس. (ورقة ٦).

١٠ - مسألة: روى البخاري عن أبي هريرة... «ما ترددتُ عن شيء أنا فاعلهُ تردّدني...». وبعده حديث الدجال. (ورقة ٦).

١١ - في إشهار الحجاج السلاح عند مجيئهم إلى تبوك وغير ذلك. (ورقة ٤).

١٢ - فصل في تقبيل الجامدات واستلامها. (ورقة ٢).

١٣ - كتاب فيه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على حديث عمران بن حصين، وهي الرسالة العرشية.

١٤ - رسالة في العمل بالخطوط، لعلاء الدين ابن مفلح.

١٥ - كتاب أحكام أطفال المشركين، لمحمد المنبجي بخطه.

١٦ - كتاب صفة المفتي والمستفتي، لنجم الدين ابن حمدان الحراني الحنبلي.

وقد بحثنا كثيراً عن هذه المجموعة النفيسة في فهارس المخطوطات، فلم نجد لها ذكراً، ولعلّ الله يوفق أحد الباحثين للعثور عليها، وأحببنا أن نذكر جميع محتوياتها هنا؛ لِيُسْتَعَانَ بها في البحث والتنقيب.

وحتى يظهر هذا الأصل - الذي نسخ عنه كلُّ من الشيخ طاهر الجزائري والشيخ جميل العظم - اعتمدنا في نشرتنا على نسخة الشيخ طاهر حتى تنتهي، ثم كان الاعتماد في الباقي على نسخة الشيخ جميل العظم. ولم نقم بإثبات الفروق بين النسختين في الجزء المشترك بينهما، فإن الشيخ جميل العظم تصرّف في إثبات العناوين تصرّفاً عجيباً، حيث اختصر وهذّب، ورتّب، وحذف - كما تقدم -.

أما نشرة الدكتور صلاح الدين المنجد فقد سقطت منها عناوين خمسة كتب، وأسطر عديدة من مواضع مختلفة في وصف الكتب والرسائل. وفيها تحريفات كثيرة لا مجال لذكرها هنا، ومن أراد ذلك فليقابل بينها وبين أصلها الذي بخط الشيخ جميل العظم أو نشرتنا الجديدة لهذه الرسالة ضمن هذا المجموع.

● مصادر ترجمة شيخ الإسلام:

تتنوع وتكثر مصادر ترجمة علّم ما باعتبارات كثيرة؛ علمية واجتماعية وبلدانية ومذهبية.

فيُترجم تراجم مستقلة؛ باعتبار كثرة التلاميذ الملازمين حضراً وسفراً، وكثرة مواد الترجمة.

ويُترجم في التواريخ العامة باعتبار أثره في سير الأحداث، ونشاطه العلمي، وكثرة تأليفه.

ويُترجم في طبقات الفقهاء، لاتصافه بالفقه، أو التزامه بمذهبٍ معيّن، وتعدد ترجمته في الكتب المقصورة على علماء فنٍّ ما باعتبار اتصافه بتلك الفنون.

ولقد حظي شيخ الإسلام - رحمه الله - بالترجمة في كتب كثيرة على اختلاف أنواعها المتقدمة، من قبل وفاته بمدة، وحتى كتابة هذه الأسطر، على اختلاف مواد هذه التراجم من حيث الطول والقصّر، وأصالة المعلومات، والالتفات إلى أهم الأحداث.

فكان النّصيب الأوفى من الجودة في تلك التراجم لتلاميذ شيخ الإسلام ومعاصريه؛ كالبرزالي، وابن عبد الهادي، والذهبي، وابن فضل الله، والبرّار، وابن الوردي، والصفدي، وابن كثير.

وبعض تراجم معاصريه ما هي إلا نقلٌ من التراجم الأصيلّة السابقة؛ إذ ليس المقصود فيها أكثر من الوفاء بشرط الكتاب، كما هو الحال في تاريخ ابن شاكر، والفيومي، وعبد الباقي اليماني، والياضي.

إلا أن هذه الكتب تزودنا بحقائق عن هؤلاء المؤلفين، ومواقفهم من شيخ الإسلام؛ لأنهم من مذاهب وبلدانٍ شتى، ثم هي لا تخلو من فائدة جديدة يضيفها صاحب الترجمة، فقد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

أما التراجم المتأخرة عن عصر شيخ الإسلام؛ فأبرزها ترجمة الحافظ ابن رجب في «ذيله»، فقد أفاد فيها وأجاد، وكذلك ترجم له

ابن حجر في «الدرر» ترجمة طويلة، وكذا المقرئ في «المقفى»، والعلمي في «المنهج».

وهكذا تتابع التراجم على وتيرة واحدة من القرن الحادي عشر حتى نهاية الثالث عشر، إلا ما كان من الشوكاني (١٢٥٠)، والقنوجي (١٣٠٧) فإنهما لاحتفائهما بالشيخ، كان لترجمته في كتبهما حلاوة وعليها طلاوة.

وقد قمنا بتتبع مصادر ترجمة شيخ الإسلام، وسنذكر كل ما وقفنا عليه من ذلك، سواء أكان مخطوطاً أو مطبوعاً أو مفقوداً على سبيل الإحصاء، وهي على ثلاثة أقسام:

١- الأول: التراجم المفردة.

الثاني: التقارير والرسائل المفردة عن بعض أحواله ومؤلفاته.

الثالث: سيرته وأخباره في كتب التواريخ والسِّيَر ونحوها.

(تنبيه): ما كان داخلاً في مجموعتنا هذه وضعنا قبله علامة (*).

القسم الأول: التراجم المفردة

١ - العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية^(١).

للحافظ/ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي (٧٤٤).

(١) طبع بتحقيق محمد حامد الفقي (١٣٥٦). وسماه الألويسي في «غاية الأمانى»: (٣٨٧/١) بـ «الدرر البهية في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية» لأنه وجد على ظهر إحدى النسخ هذا الاسم، والاسم الصحيح ماتقدم. ثم تابعه على هذا الاسم بعض المعاصرين؛ فوهموا.

٢ - الدُّرَّة اليتيمِيَّة في سيرة ابن تيمية .

للمحافظ / محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨) .

هكذا ذكره البغدادي في «إيضاح المكنون»: (١/٤٦٢)، و«هدية العارفين»: (٢/١٥٤)، وذكره د/ بشار عواد في رسالته «الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام»: (ص/٢٠٧) غير أنه قال: «وهو في آل تيمية!» وأحال على الكتابين المتقدمين! وليس فيهما ما يُفيد ذلك، بل فيهما التصريح بأنه يريد شيخ الإسلام فقط .

٣ - الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية^(١) .

للمحافظ / عمر بن عليّ البزار (٧٤٩) .

٤ - ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية .

للمحافظ / إسماعيل بن كثير الدمشقي عماد الدين (٧٧٤) .

قال في «البداية والنهاية»: (١٤/١٤٦): «وممن توفي فيها - أي سنة ٧٢٨ - من الأعيان: شيخ الإسلام العلامة تقي الدين ابن تيمية - كما تقدم ذكره في الحوادث - وسُنِّفَ له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى» اهـ .

فهل أفردته؟

٥ - مناقب ابن تيمية^(٢) .

(١) طبع أكثر من مرّة .

(٢) ذكر بعض الباحثين أن منه نسخة في جامعة ييل الأمريكية برقم (٢٤٣) بخط المؤلف ولم نطلع عليه، وفي بعض الفهارس أنها نسخة من الكتاب الآتي ذكره برقم «١١» .

للعلامة/ الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (٧٧٩).

٦ - «الكلام على بناء ابن التدمري مدرسة الشيخ تقي الدين ابن تيمية بالقصّاعين»^(١).

للشيخ/ محمد بن أبي بكر التدمري الشافعي (٧٨٧).

٧ - القصيدة الثائية في إنكار تكفير العلّاء البخاري لابن تيمية.

للشيخ/ عمر بن موسى بن الحسن القرشي ابن الحِمصي (٨٦١) في مئة بيت^(٢).

٨ - الانتصار في ذكر أحوال قانع المبتدعين وآخر المجتهدين ابن تيمية^(٣).

للشيخ/ عبدالرحمن المقدسي الحنبلي.

٩ - الاختيارات المرضيّة في أخبار التقي ابن تيمية.

للعلامة/ محمد بن علي بن طولون الحنفي (٩٥٣).

ذكره في كتابه «الفلك المشحون»^(٤): ص/ ٧٤، وقال: «وهو في المسوّدّة».

(١) مخطوط في (٥٣ق) بخط المؤلف سنة (٧٨٦) في الظاهرية. انظر «فهرس التاريخ»:

(٢/٦٧٧)، وبعد الاطلاع على الكتاب - أخيراً - ظهر لنا أنه لا يحتوي على ترجمة

الشيخ، وإنما فيه الكلام على البناء الجديد للمدرسة، وما دار حوله من الخلاف.

(٢) ذكرها في «الضوء اللامع»: (٦/١٣٩ - ١٤٢)، و«الأعلام»: (٦٨/٥).

(٣) منه نسخة في معهد المخطوطات برقم (٩١٣) ميكروفلم في (٢٥٠ق)، انظر:

«فهرس المخطوطات»: ج٢ ق٣/ ٣٤.

(٤) طبعة دار ابن حزم (١٤١٦).

- ١٠ - الرد الوافر على من زعم أنَّ مَنْ سَمَّى ابن تيمية شيخَ الإسلام كافر .
 للحافظ/ ابن ناصر الدين الدمشقي (٨٤٢) ذكر السخاوي في «الجواهر والدرر» ٣/ ١٢٦٤ أنه ترجمة مفردة، و«الرد الوافر» مطبوع مُتَدَاوِل .
- ١١ - الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية^(١) .
 للشيخ/ مَرْعِي الكَرَمِي الحنبلي (١٠٣٣) .
- ١٢ - الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية^(٢) .
 للشيخ/ مرعي الكرمي الحنبلي (١٠٣٣) .
- ١٣ - ابن تيمية^(٣) .
 للشيخ/ محمد راغب باشا الحنفي (١١٧٦) .
- ١٤ - القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي^(٤) .
 للشيخ/ محمد بن محمد المغربي التافلاني الحنفي (١١٩١) .

(١) طبع بالمكتب الاسلامي .

(٢) طبع في مؤسسة الرسالة (١٤٠٥) تحقيق: نجم خلف، وهو بتمامه في «غاية الأمانى» : (١٥٣/٢ - ٢٤٣) للآلوسي . وهو لا يعدو أن يكون مختصراً من «العقود الدرية» لابن عبد الهادي، و«الأعلام العلية» للبرار، وترجمة الشيخ من «مسالك الأبصار» لابن فضل الله . (تنبيه) : وقد نُشِرَ مؤخراً فصلٌ من هذا الكتاب على أنه كتابٌ مستقلٌ بعنوان : «محنة شيخ الإسلام ابن تيمية» بذيّل «قاعدة في الوسيلة» لابن تيمية، ولم يعرف محققه : الشيخ علي الشبل، اسم المؤلف !! .

(٣) مقدمة «درء التعارض» : (٢٤/١ - ٢٦) .

(٤) مخطوط بقلم معتاد سنة (١١٨٦)، ضمن مجموع في مكتبة روضة خيرى بمصر، رقم (٣٥٣) في (١٤٣ق) . وترجمة التافلاني في «سلك الدرر» : (١٠٢/٤)، و«الأعلام» : (٧٩/٧) .

١٥ - القول الجلي في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلي^(١).

للشيخ/ صفى الدين الحنفى البخارى (١٢٠٠).

وهنا تنبيهات:

الأول: فى مكتبة الحرم المكي برقم (٢٧٨٤)، ورقة بعنوان: «ترجمة ابن تيمية»، وهى نقل عن الشيخ مرعى الحنبلى من كتاب له فى الموضوعات، ذكر فيه شيخ الإسلام وأثنى عليه.

الثانى: هناك «ترجمة لشيخ الإسلام» ملحقة بآخر فتاواه: «الجواهر المضىة». (مخطوطة: بوردور، رقم (٢/٨١٥)، كتبت سنة ٧٩٠هـ) انظر: «نوادر المخطوطات فى مكتبات تركيا»: ٤٧/١ لرمضان ششّن.

الثالث: «ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية» فى الظاهرية برقم (١١٤٧١) (ق ١ - ٣٤ب) بخط الشيخ طاهر الجزائرى ضمن دفتر منوعات، انظر: «فهرس التاريخ»: (٢٥٨).

القسم الثانى: التقاريط والرسائل المفردة عن بعض أحواله ومؤلفاته:

* ١ - التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار^(٢).

للشيخ/ أحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن الواسطى الحنبلى، المعروف بابن شيخ الحزامين^(٣) (٧١١).

(١) طبعه العلامة القنوجى على نفقته، ثم تتابعت طبعاته.

(٢) ساقه ابن عبدالهاده فى «العقود»: (ص/٢٩١ - ٣٢١). ونُشر مستقلاً مرات.

(٣) كذا ضبطه ابن ناصر الدين فى توضيح المشتبه ٣/١٦٥، وليس «الحزاميين» كما فى عامة الكتب.

* ٢ - رسالة ابن مُرِّي إلى تلاميذ شيخ الإسلام^(١).

للشيخ/ أحمد بن محمد بن مُرِّي شهاب الدين الحنبلي (بعد ٧٣٠).

* ٣ - رسالة من عبدالله بن حامد إلى ابن عبدالهادي في الثناء على شيخ الإسلام^(٢).

لعبدالله بن حامد (أحد علماء الشافعية).

* ٤ - أجوبة ابن سيد الناس اليعمري على سؤالات ابن أبيك الدمياطي.

للعلامة/ أبي الفتح ابن سيد الناس اليعمري الشافعي (٧٣٤).

٥ - مؤلفات ابن تيمية.

للحافظ/ محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي (٧٤٤).

قال في «العقود الدرية»: (ص/٦٤): «وسأجتهد إن شاء الله تعالى في ضبط ما يمكنني من ضبط مؤلفاته في موضع آخر غير هذا، وأبين ماصنّفه منها بمصر، وما ألفه منها بدمشق، وما جمعه وهو في السّجن، وأرتبه ترتيباً حسناً غير هذا الترتيب بعون الله تعالى وقوّته ومشيتّه» اهـ.

فهل ألفه أم اخترمته المنية قبل الوفاء بذلك؟.

٦ - القبّان في أصحاب التقي ابن تيمية^(٣).

(١) طبعها محمد حامد الفقي عام (١٣٧٢)، وأعاد نشرها محمد الشيباني في الكويت.

(٢) ساقها ابن عبدالهادي في «العقود»: (٥٠٢ - ٥٠٧). ووُجِدَت -أيضاً- على ظهر نسخة من العقود الدرية.

(٣) ذكرها السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ»: (ص/٢٩٠)، ووصفها بكونها (ورقة). والقبّان هو: الميزان.

للمحافظ / محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي الشافعي (٧٤٨).

* ٧ - فصلٌ فيما قام به ابن تيمية وتفرّد به^(١).

لخادم شيخ الإسلام إبراهيم بن أحمد الغياني . (بعد ٧٣٠).

* ٨ - مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).

للشيخ / أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد سبط ابن رُشَيْق المالكي (٧٤٩).

* ٩ - تقرّظ الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي للرد الوافر لابن ناصر الدين^(٣).

* ١٠ - تقرّظ العلامة محمود بدر الدين العيني الحنفي^(٤).

* ١١ - تقرّظ العلامة صالح البلقيني الشافعي^(٥).

وقد عدّدنا هذه التقارّيز بمنزلة الترجمة لما فيها من المعلومات عن حياة الشيخ والذب عنه . واستأنسنا بقول القنّوجي في «أبجد العلوم»: (١٣٨/٣):

(١) مخطوط ضمن «الكواكب الدراري (٤١/ق ١٢٥ - ١٣٠) لابن زكنون (٨٣٧) [نسخة

الظاهرية ٥٨٧]، منسوخة في القرن التاسع، وطبعه محب الدين الخطيب مرّات بعنوان «ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية».

(٢) نُشرت منسوبة إلى ابن قيم الجوزية قبل ٤٥ سنة، والصواب نسبتها إلى أبي عبدالله ابن رُشَيْق المالكي، وتقدّم شرح ذلك (ص/٨ - ١٥).

(٣) نشرت بذيل «الرد الوافر» لابن ناصر الدين.

(٤) نشرت بذيل «الرد الوافر» لابن ناصر الدين.

(٥) نشرت بذيل «الرد الوافر» لابن ناصر الدين، وهذه الثلاثة هي أهم التقارّيز، فلذا اكتفينا بها.

«وهذه التقارير المشار إليها، كلها بمنزلة ترجمة مفيدة، وهي تُفصِّحُ عن غُلُوِّ مكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في العلوم والمعلومات» اهـ.

القسم الثالث: سيرته وأخباره في كتب التواريخ والسِّيَر ونحوها:

* ١ - نهاية الأرب في فنون الأدب.

للعلامة/ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٧٣٣).

* ٢ - تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه.

لشمس الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزري (٧٣٩).

٣ - معجم شيوخ البرزالي^(١).

للحافظ/ القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي (٧٣٩).

* ٤ - المقتفي^(٢). (مخطوط)

(١) منه قطعة في الظاهرية بدمشق برقم (٣٧٩٨)، انظر «الفهرس»: (٦٨٧/٢) التاريخ وملحقاته، ولم يتمكن من الحصول عليه. وللبرزالي عدد من المعاجم، ومنها معجم مختصر فيه الشيوخ الذين اتفق هو وأخته على الرواية عنهم يقع في (٥) ق، ولدينا صورته.

(٢) منه نسخة خطية في مجلدين إلى سنة (٧٢١) إلا أنها مع نقصها عسرة القراءة، لإصابتها برطوبة أثرت على المداد فدخل بعضه في بعض، وقد أخذ ما اتضح من النسخة رسالة علمية بجامعة أم القرى واعتمدنا عليها في كتابنا هذا، وذكر الميمني - ومثله الدكتور شاكر مصطفى - أنه وقف على مجلد ضخيم في ٦١٤ ورقة في مكتبة كوبرولو زاده محمد باشا برقم ١٠٣٧، لعله من تاريخ البرزالي من سنة ٧٢٦ إلى ٧٣٨هـ. (انظر: بحوث وتحقيقات ١/ ١٨٨).

قلنا: ثم ظهر أخيراً أن هذه القطعة جزء من تاريخ ابن الجزري (٧٣٩) رفيق البرزالي، انظر تفصيل ذلك وتحقيقه في مقدمة د/ عمر عبدالسلام تدمري «لتاريخ =

له أيضًا.

وهو المعروف بتاريخ البرزالي، وهو ذيل على كتاب «الروضتين» لأبي شامة المقدسي (٦٦٥)، وقف فيه إلى سنة (٧٣٩) وهي سنة وفاته.

وفيه مادة وافرة فرَّغ كثيرًا منها ابنُ كثيرٍ في «تاريخه» وترك شيئًا آخر، وتصلح ترجمته في هذا الكتاب أن تفرد بكتاب.

* ٥ - كنز الدرر وجامع الغرر.

لأبي بكر بن عبدالله بن أبيك الدَّواداري (بعد ٧٣٠).

* ٦ - لقطة العجلان في مختصر وفيات الأعيان. (مخطوط)

للعلامة/ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني الشافعي (٧٤٣).

* ٧ - مختصر طبقات علماء الحديث^(١).

للحافظ/ محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (٧٤٤).

* ٨ - ذيل تاريخ الإسلام. (مخطوط)^(٢).

* ٩ - معجم شيوخ الذهبي.

= حوادث الزمان لابن الجزري.

(١) وقد دللنا على أن هذا هو الاسم الصحيح، لا ما أثبت على المطبوعة، في مكان

آخر، وانظر «العنوان الصحيح للكتاب»: (ص/٩٢) (ط. دار عالم الفوائد ١٤١٩)

لأخيِّنا الشيخ حاتم الشريف.

(٢) استلَّه بعضهم، كما ظهر ذلك بالمقارنة، ومنه نسخة في (الظاهرية، مجموع ٣١٢٨ -

عام) (ق ٧٠ - ٧٥)، انظر: «فهرس المجاميع»: (٢/٢١٥)، و«فهرس الطب»: ٤٦٨.

- * ١٠ - تذكرة الحفاظ .
- * ١١ - ذيل العبر في خبر من عَبَر^(١) .
- * ١٢ - دُول الإسلام .
- * ١٣ - الإعلام بوفيات الأعلام .
- * ١٤ - المعين في طبقات المحدثين .
- * ١٥ - ذكر من يُعتمد قَوْلُهُ في الجرح والتعديل^(٢) .
- * ١٦ - المعجم المختص بالمحدثين .
- * ١٧ - سير أعلام النبلاء^(٣) .
- جميعها للحافظ / محمد بن أحمد الذهبي الشافعي (٧٤٨) .

- (١) «عبر» - بالعين المهملة - هذا هو الصواب، وخلافه وهم، انظر: «الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام»: (ص/ ١٧٨) للدكتور بشار عواد.
- (٢) طبعت مفردة، وضمن أربع رسائل في علوم الحديث، تحقيق أبي غدة.
- (٣) القسم المطبوع (عن مؤسسة الرسالة) لا يمثل كامل الكتاب بل بقي فيه قطعة لم يُمكن من طبعها لسوء نسختها الخطية واضطرابها وهي تبدأ من حدود سنة (٦٦٠) إلى نحو سنة (٧٤٠) وهذا القسم طبع أخيراً في مكتبة الباز، تحقيق عبدالسلام علّوش، إلا أنه - مع الأسف - لم توجد فيه ترجمة للشيخ؛ لأن الأوراق من وفيات (٧٢٧ - ٧٣٠) ساقطة من النسخة ولعلها بفعل فاعل! .
- (تنبيهات):

الأوّل: وهم محقق «العواصم والقواصم» لابن الوزير فذكر في (٢٦٢/٥) أنه قد وقعت في بعض النسخ الخطية ترجمة شيخ الإسلام من «السير» ثم ساقها، والصحيح أن هذه الترجمة المسوقة هي من «ذيل تاريخ الإسلام» للذهبي وليست من «السير»، ويتضح ذلك بالمقارنة .

* ١٨ - برنامج الوادي آشي .

للشيخ/ محمد بن جابر الوادي آشي شمس الدين المالكي (٧٤٩).

* ١٩ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار^(١). (مخطوط).

للعلامة المنشيء/ أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري الشافعي (٧٤٩).

* ٢٠ - تتمّة المختصر في أخبار البشر .

للعلامة/ عمر بن الوردى الشافعي (٧٤٩).

* ٢١ - النونية .

للإمام/ شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الحنبلي (٧٥١).

* ٢٢ - الإيصال لكتاب ابن سليم وابن نقطة والإكمال . (مخطوط).

للعلامة/ علاء الدين مغلطاي الحنفي (٧٦٢).

= الثاني: وهم محقق الجزء الذي لم يطبع من «السير» فأثبت مكان الترجمة الساقطة، بعض القول الواردة في بعض المصادر التي صرحت بالنقل من الذهبي، فظن أن النقل من «السير»، وهو من ذيل تاريخ الإسلام، إذ لم يصرح أحدٌ بالنقل من «السير» في ترجمة الشيخ فيما نعلم. فلتحذف تلك الترجمة من الكتاب.

الثالث: نشر أحد الباحثين مقالاً في ملحق التراث بجريدة «البلاد» رقم ١٥٦٢٣ عام ١٤٢٠ يذكر فيه أن ما نشر باسم «ذيل تاريخ الاسلام» هو «ذيل سير أعلام النبلاء» وأن «تاريخ الاسلام» ليس له ذيل. وما ذكره ليس صواباً، وللتفصيل مقام آخر.

(١) استل بعضهم هذه الترجمة من هذا الكتاب، ومنها نسخة خطية بمكتبة الملك فهد بالرياض، ضمن مخطوطات المعارف.

* ٢٣ - الوافي بالوفيات^(١).

للعلامة/ خليل بن أبيك الصفدي صلاح الدين الشافعي (٧٦٤).

* ٢٤ - أعيان العصر وأعوان النصر. (مخطوط) له.

وفيه يترجم لمعاصريه من سنة (٦٩٦ - ٧٦٤) بعبارات مسجوعة من أول الكتاب إلى آخره، فأفقدته التزام ذلك كثيرًا من الفوائد، ولكنه في ترجمته لشيخ الإسلام أورد بعض المعلومات التي لا توجد في المصادر الأخرى، وانفرد بالقصيدة الضادية في رثاء الشيخ.

* ٢٥ - فوات الوفيات^(٢).

للشيخ/ محمد بن شاكر الكتبي الشافعي (٧٦٤).

* ٢٦ - عيون التواريخ. (مخطوط)^(٣) له.

* ٢٧ - مرآة الجنان.

للشيخ/ أبي محمد عبدالله اليافعي اليمني الشافعي (٧٦٨).

* ٢٨ - نثر الجمان في تراجم الأعيان. (مخطوط)^(٤).

للعلامة/ أحمد بن محمد الفيثومي المقرئ (٧٧١).

(١) ويسمى بالتاريخ الكبير.

(٢) واستل بعضهم هذه الترجمة، ومنها نسخة في مكتبة الحرم المكي برقم (١١١٤-عام) (١٢ق)

(١٧٣ب-١١٨٤أ) بتاريخ ١٢٩٢هـ. انظر: «فهرس المكتبة الصديقية»: (المجاميع/١٦).

(٣) طبع منه ثلاثة أجزاء متفرقة؛ لكن ترجمة شيخ الإسلام ليست في المطبوع منه.

(٤) قطعة من الكتاب تحتوي على السنوات (٧٠١ - ٧٤٥).

* ٢٩ - البداية والنهاية .

لِلْحَافِظِ / أَبِي الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ كَثِيرِ الدَّمَشْقِيِّ الشَّافِعِيِّ (٧٧٤) .

* ٣٠ - درّة الأسلاك في دولة الأتراك . (مخطوط) .

لِلشَّيْخِ / الْحَسَنِ بْنِ عَمَرَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَبِيبِ الشَّافِعِيِّ (٧٧٩) .

* ٣١ - تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه . له .

* ٣٢ - رحلة ابن بطوطة المسمّاه : تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .

لِلرَّحَّالَةِ / مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْجِيِّ (٧٧٩) .

* ٣٣ - الذيل على طبقات الحنابلة .

لِلْعَلَامَةِ / عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ الدَّمَشْقِيِّ الْمَعْرُوفِ
بِابْنِ رَجَبِ الْحَنْبَلِيِّ (٧٩٥) .

* ٣٤ - ذيل التقييد لرواة السنن والمسانيد .

لِلْعَلَامَةِ / تَقِيِّ الدِّينِ الْفَاسِيِّ الْمَالِكِيِّ (٨٣٢) .

* ٣٥ - التبيان لبديعة البيان . (مخطوط) .

لِلْحَافِظِ / مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ الدَّمَشْقِيِّ الشَّافِعِيِّ (٨٤٢) .

* ٣٦ - السلوك لمعرفة دول الملوك .

لِلْعَلَامَةِ / أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْمَقْرِيزِيِّ تَقِيِّ الدِّينِ الشَّافِعِيِّ (٨٤٥) .

- * ٣٧ - المقفّي الكبير . له .
- * ٣٨ - الاعتبار بذكر الخطّ والآثار ، له .
- * ٣٩ - مختصر طبقات الحنابلة لابن رجب (مخطوط) .
- للعلامة/ أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي (٨٤٦) .
- * ٤٠ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة^(١) .
- للحافظ/ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الشافعي (٨٥٢) .
- * ٤١ - عقد الجمان . (مخطوط) .
- للعلامة/ بدر الدين محمود العيني الحنفي (٨٥٥) .
- * ٤٢ - المنهل الصّافي والمستوفى بعد الوافي .
- للعلامة/ أبي المحاسن يوسف بن تغري برّدي الحنفي (٨٧٤) .
- * ٤٣ - الدليل الشافعي من المنهل الصافي ، له .
- وهو مختصر من الذي قبله .
- * ٤٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . له .
- * ٤٥ - المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد .

(١) وقد استل بعضهم هذه الترجمة، ومنها نسختان، إحداهما في دار الكتب، والأخرى في أوقاف بغداد، غير أن المستلّ قد زاد فيها مريّة ابن الوردي، وتصرّف في بعض العبارات، وطُبعت مؤخراً عن دار ابن حزم (١٤١٩) .
وانظر: «ابن حجر ودراسة مصنفاته»: (١/ ٥٥٤ - ٥٥٦) .

للعلامة/ برهان الدين إبراهيم بن مفلح الحنبلي (٨٨٤).

* ٤٦ - دستور الأعلام . (مخطوط).

للشيخ/ محمد بن عمر بن عزّم المكي المالكي (٨٩١).

* ٤٧ - طبقات الحفاظ .

للحافظ/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (٩١١).

* ٤٨ - تاريخ ابن سباط، المسمّى: صدق الأخبار.

لحمزة بن أحمد الغربي^(١) (٩٢٦).

* ٤٩ - الدّارس في تاريخ المدارس .

للعلامة/ عبدالقادر بن محمد الثّعيمي (٩٢٧).

* ٥٠ - المنهج الأحمد في ذكر أصحاب الإمام أحمد.

للعلامة/ مجير الدين عبدالرحمن العليمي الحنبلي (٩٢٨).

* ٥١ - الدّر المنضّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، له.

وهو مختصر من الذي قبله.

* ٥٢ - طبقات المفسرين .

للعلامة/ شمس الدين محمد بن علي الداوودي الشافعي (٩٤٥).

(١) انظر ترجمته في الأعلام: ٢/ ٢٧٦، واختلف فيه؛ فقليل: ابن أسباط، وقيل: ابن شباط.

* ٥٣ - الزيارات.

للشيخ/ محمد العدوي الزوكاوي الشافعي (١٠٣٢).

* ٥٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

للعلامة/ أبي الفلاح عبدالحى بن العِمَاد الحنبلي (١٠٨٩).

* ٥٥ - درّة الحِجَال في غرة^(١) أسماء الرجال.

للشيخ/ أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي المعروف بابن القاضي المالكي (١١٢٥).

* ٥٦ - ديوان الإسلام.

للعلامة/ محمد بن عبدالرحمن الغَزِّي الشافعي (١١٦٧).

* ٥٧ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.

للإمام المجتهد/ محمد بن علي الشوكاني اليماني (١٢٥٠).

* ٥٨ - التاج المكلل من جواهر مآثر الطُّراز الآخر والأوّل.

للعلامة/ صديق بن حسن بن علي القنّوجي (١٣٠٧).

٥٩ - تقصار جيود الأحرار من تذكّار جنود الأبرار، له بالفارسية.

٦٠ - إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين، له

بالفارسية - أيضاً -.

(١) سقطت «غرة» من اسم الكتاب في المطبوعة! والصواب إثباتها وانظر «العنوان الصحيح للكتاب»: (ص/٩٠).

* ٦١ - أبجد العلوم . له .

* ٦٢ - جلاء العينين في محاكمة الأحمدين .

للشيخ / السيد نعمان خير الدين بن محمود الألوسي الحنفي (١٣١٧) .

* * *

وبعد هذا العرض يبقى عندنا نوعان من الكتب والدراسات :

النوع الأول : كتب وردت فيها معلومات وشذرات تتعلق بحياة شيخ الإسلام ، فمنها ماهو في كتب الشيخ نفسه ، وقد تصدَّى لجمع ذلك أحد طلبة العلم ، على ما أخبرنا به الشيخ بكر أبو زيد .

ومنها ماهو منشور في كتب أصحابه وتلاميذه ومن بعدهم ، خاصة كتب العلامة ابن القيم ، وقد كنا تصدينا لجمع هذا الصنف فحصلنا على نقول وفيرة ونصوص عزيزة ، وقد أدرجناها هنا بادئ ذي بدء ، ثم عدلنا عن هذا ورأينا أن تفرّد ببحث مستقل .

النوع الثاني : البحوث والدراسات الحديثة عن شيخ الإسلام في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، لم نذكر شيئاً منها هنا ، وهي كثرة كاثرة تصلح أن تفرّد ببحث - أيضاً - .

● منهج العمل :

كانت فكرة حَضْر مصادر ترجمة شيخ الإسلام المفردة والمضمّنة كتب التواريخ ونحوها ، سواء المخطوط والمطبوع ، هي بداية هذا العمل ونواته وكان ذلك قبل خمس سنوات ، فلما اكتمل الجمعُ ، رأينا أن نضم شمل هذه الترجمات ، لتكون في سِفْرٍ واحد أمام نظر المطالع ،

ولا يخفى ما في ذلك من عظيم الفائدة وجليل الأثر - وقد تقدّم -.

ويتلخّص عملنا في إثبات هذه النصوص في النقاط الآتية:

١ - الفترة الزمنية لهذه الترجمات تبدأ من حياة شيخ الإسلام، حيث كانت أول ترجمة وقفنا عليها هي لابن شيخ الحزّامين (٧١١) - أي في حياة الشيخ - وتنتهي بنهاية القرن الثالث عشر الهجري سنة (١٣٠٠)، وكانت آخر التراجم لنعمان خير الدين الألوسي (١٣١٧) وذلك في كتابه «جلاء العينين»، وقد ألفه قبل نهاية القرن سنة ١٢٩٧.

٢ - لم نُدخل في مجموعتنا هذه التراجم المفردة؛ لأنها تعدّ قائمة بنفسها كـ «العقود الدرية» لابن عبد الهادي - وهو أوسعها - و«الكواكب الدرية» لمرعي الكرمي وغيرهما مما تقدّم إحصاؤه قريباً.

٣ - راعينا في إثبات هذه النصوص تواريخ وفيات مؤلفيها، ومن لم تتبيّن وفاته؛ اجتهدنا في إثباتها في مكانها الملائم.

٤ - أثبتنا هذه النصوص بتمامها دون حذف أو اختصار أو تصرف وأشرنا في الحاشية إلى مصدر هذه الترجمة سواء المطبوع أو المخطوط، مع ذكر مكان الطبع وتاريخه، ورقم المخطوط ومكان وجوده.

ونحن إذ نشيت هذه التراجم برمتها، بعُجْرها وبُجْرها، وحقها وباطلها، فإن ذلك لأمر:

الأول: للاطلاع عليها فيُعَرَفُ المنصف من المجحف، فيؤخذ الحق ويبقى، وأما الباطل فيذهب جُفَاءً.

الثاني: للنظر فيما يتعرض له أولياء الله، وعلماء الإسلام المجاهدون من صنوف الأذى؛ من تعذيب وحبس وطعن، وغيرها من أنواع الابتلاءات، ثم ما واجهوا به ذلك كله من الصبر والرضا، شأنهم شأن رسل الله الكرام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنْتَهُمْ نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام/ ٣٤].

وقال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأهل».

وأن ما يقع من الكلام عليهم بالباطل والهوى والتقليد؛ ماهو إلا زيادة في حسناتهم ورفعة في درجاتهم - إن شاء الله تعالى - وأن ذلك لا يضرهم عند الله ولا عند الناس.

ومن كان منهم - أي الدَّامِن - مقلِّداً في الذم والطعن لمن سبقه؛ فقد تبينت الآن حقائق الأمور، ورجع المنصف عن قدحه، وأن من بقي من الخلف ذامناً شائئاً؛ فما هو إلا مبتدعٌ صاحب هوى في الغالب، أو غير مطلع على جليَّات الأمور وحقائقها، فحقُّ للشيخ أن يتمثل بقول الشاعر:

أثريتُ مجداً فلم أعْبأ بما سَلَبَتْ أيدي الحَوَادِثِ مِنِّي فهو مُكْتَسَبُ
وبقوله:

فَمَاذَا عَلَى الْأَعْدَاءِ أَنْ يَقُولُوا عَلَيَّ وَعِرْضِي نَاصِحِ الْجَيْبِ وَافِرُ
وبقوله:

رَاجَعْتُ فِهْرِسَ آثَارِي فَمَا لَمَحْتُ بصيرتي فيه ما يُزْري بأَعْمَالِي

الثالث: فوائد أخرى ذكرناها عند الحديث عن فوائد هذا العمل (ص/٦ - ٧).

٥ - صححنا هذه الترجمات جميعاً، وقمنا بمقابلة بعضها على بعض عند وقوع تحريف أو تصحيف، وذلك رجاء الوصول إلى نصٍّ أقرب إلى السلامة، ورجعنا في أثناء ذلك إلى عدة طبعات للكتاب، وكتب أخرى مساعدة.

ولم نُشر إلى تلكم الأخطاء لكثرتها وشيوعها، إلا في النادر لقصد، حتى الطبعات المحققة لم تخلُ من كثير من التصحيفات!! .
أما ما كان له وجهٌ في العربية أو المعنى؛ فلم نتصرّف فيه، بل أبقيناه كما هو، مع الإشارة إلى ذلك.

٦ - بذلنا غاية الوسع في التصحيح إلا أنه قد بقي في النصوص بعض العبارات التي لا تخلو من إشكال، ولم نهتدِ إلى صوابها، أو إلى تحرير معناها.

٧ - كان الوُكْد منصّباً على ما سبق من النقاط، فلم نلتفت إلى التعليق على النصوص، إلا عند الحاجة المُلِحّة، وكان ذلك بعبارة وجيزة تكفي المنصف.

٨ - ألحقنا بالكتاب ثلاثة فهارس:

أ - فهرس موضوعي تفصيلي دقيق، مُقسّم بعناية إلى فقرات، منذ ولادة شيخ الإسلام وحتى وفاته، ونذكر تحت كلّ فقرة منها أماكن وجودها وتكررها في جميع كتب هذا «الجامع»، فيمكن القارئ أو الباحث أن يصنع ترجمةً للشيخ من خلال هذا الفهرس،

تحتوي على أدق التفاصيل في حياته .

ب - فهرس لكتب شيخ الإسلام الواردة في نصوص هذا «الجامع» مرتباً على حروف الهجاء .

ج - فهرس الكتب المضمّنة هذا «الجامع» .

وختاماً نحمد الله على توفيقنا لإنجاز هذا العمل ، الذي نرجو أن يكون رائداً في بابهِ ، يستعينُ به كلُّ دارسٍ عن شيخ الإسلام ، أو باحث في تراجم المجددين العظام .

ولا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر والدعاء لكل من أسهم في إنجاح هذا الكتاب وهم كثير ، ونخص بالذكر هنا فضيلة العلامة/ بكر بن عبدالله أبو زيد - وفقه الله لمراضيه - فقد كان متابعاً للعمل من بواكيره وحتى تمّ على سوقه . وكذلك الشيخ الدكتور/ صالح بن حامد الرفاعي الذي أتحفنا ببعض الترجمات ، جزى الله الجميع خيراً ، وكتب ذلك في موازين حسناتهم ، إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه . وندعو القراء والباحثين إلى إفادتنا باقتراحاتهم وآرائهم ، أو بما فاتنا من ترجمات الشيخ ، فالعلم رحمٌ بين أهله ، والمؤمن مرآة أخيه ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد .

وكتب

محمد عَزِيز شَمْس و عليّ بن مُحَمَّد العِمْرَان

١٤١٩/٩/١٠

في مكة المكرمة - حرسها الله تعالى -

ص . ب (٢٩٢٨)

نماذج من المصادر المخطوطة

مِنْهُ وَطَلَبَهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قُتُوبُ بْنُ مَكِّ بْنِ رَمَانَهُ لَوْلَاهُ
 قَضَا الشَّامَ فَأَذْرَكَهُ الْمَنِيَّةُ بِمَدِينَةِ بَلْبَاسٍ وَنُقِلَ إِلَى جَوَارِ أَمَامَةِ الشَّامِيِّ
 وَدُرُفُ هُنَاكَ سَنَةً سَبْعَ وَعِشْرِينَ وَبَعِثَ بِهِ وَمَوْلَاهُ سَنَةً سَبْعَ وَثَلَاثِينَ
 الْحَافِظُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ أَبُو الْعَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيمِ وَابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنُ تَيْمِيَّةٍ الْحَرَّانِيُّ الدَّرَشَنِيُّ شَيْخُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَاسَاسُ التَّوَالِدِ الدَّرَشَنِيَّةِ
 وَأَبْنُ بَحْثِ الْأَحَادِثِ النَّبَوِيَّةِ جَمْعُ مِنَ الْعُقُولِ وَالْقُتُولِ وَرَدَّ عَلَى الْفَلَسَفَةِ كَمَا
 فِي تَقْلِيدِ الْعُقُولِ إِذَا كَلِمَةً يَتَنَبَّهُ تَحَدَّثَ عَنْ الْبَحْرِ وَلَا جَرَجَ وَإِذَا اسْتَمَرَ
 فِي مَعْنَى مِنَ الْعَالِي لَا يَكَادُ سَامِعُهُ يَقُولُ عَنْهُ خَرَجَ مَعَ صَاحِبِهِ لِسَانِ
 وَبَلَاغِهِ مَلَكْتَ أَرْتَمَ الْقِيَامَ وَأَمَّا الرَّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَرَفِضُ خُرْفَةٍ قَالِيهِ
 الْعَالِيَةِ وَعِنْدَهُ يُوجَدُ فِي هَذَا الشَّانِ النَّهَايَةِ أَجْمَعُ مِنْ شَاهِدٍ مَعَارِفِهِ وَمَحْضٍ
 عَوَارِفِهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَدٍّ وَفَرْدٍ وَقَدْ فِي عِلْمِهِ وَبِحَدِّهِ كَانَ لَهُ الْخَلَاةُ
 عَلَى أَلْسَانِ الْإِسْلَامِ وَأَتَمَّ لِسَانُكَ الْإِسْلَامَ وَالْحَرَامَ وَدَرَاهِمَ الْبُورِيَّةِ
 وَالْإِحْلَافِ وَعَلَى الْبَحْلَةِ لَمْ يَسْمَعْ الرِّفْقَ لَمْ يَسْلُفْ يَقْصُرُ الْعَارَ عَنْ كَرَمِ
 صِفَاتِهِ عَلَى الْبِفَصْلِ فَلِذَلِكَ حَالُ لِسَانِ الْعِلْمِ يَحْأَسِرُونَ عَلَى طَرِيقِ الْأَحْجَالِ
 وَلَوْ شِئْتَ فِي مَفَاصِلِهَا لَوْ قَرِئَتْهَا الْأَحْجَالُ فَالْأَحْجَالُ
 مَا زَالَ يَسْتَوْحِي حَتَّى قَالَتْ سَدُّهُ لَهُ طَرِيقُ الْعِلْمِ الْمُخْتَصِرِ
 فَخَصَّهُ لِنَفْسِهِ هَذِهِ الْمَرَايَا كَرَّمَ لَسْتَقِلَّ الدُّنْيَا لَوَاقِدُهَا وَسَيَّرَ الْكُرْبَتِ
 الْأَحْمَرِ لَهَا صَدْرُهَا مَعَ أَمْرِ الْمَعْرُوفِ وَأَغَاثَةِ الْمَلْمُوفِ وَأَنَاعَ لِسَانِ
 الصَّحَابَةِ وَافْتَقَارَ لَهَا نَارَ أَوَّلِي الْأَنَابَةِ مَا وَرَثَ الْعِلْمُ عَنْ كَلَالِهِ بِلَمَنِيَّةِ

ابن تيمية الشيخ الامام العالم المفيد الفقيه المجتهد
 الحافظ المحدث شيخ الاسلام نادره العصور والمصنف الباهر
 والذلي، المفرد في ابدن لواء العباسية احمد بن العالم المحقق
 من باب الدين عبد الحليم بن الامام شيخ الاسلام وغيره الذين
 الى الفركت عبد السلام مولف الاحكام ابن عبد الله بن
 الى النعمان الحارثي ابن تيمية وهو لفت بحمد الله على مولد
 في عام رابع الاول من سنة احدى مئتين وثمانين وبعث
 به ابواه واقاربهم الى دمشق في سنة سبع وستين عند
 خوز النصار من هه من في الليل بجزيرة الدرية والكيف
 على محلة فان العدو ما تركوا في البلد واداب سول يفت
 الحديث وكلف البند من ثقل الحيلة ووقف العجز
 وخافوا من ان يلازم العدو ويحا والى له ففتارت
 البقرة بالحيلة ولطف له حتى اغاروا الى حد الاسلام
 مسمع من ابن عبد الدائم وابن الى العبد والى النصار
 عبد وابن الى الحند وابن الصيرمي وابن محمد ابن بن العالم
 الاربلين ابنه علان وخلف كندر واكثر بالغ وقرا نفسه على
 جماعة والتحق وشيخ عدة احزاء وسنة الى داود ونظر في
 ارجان والعلل وصار من اعدا القدر وسب علماء الان مع
 الله بن دويق والذكر والبيان ثم اقبل على الفقه
 ودنايته وفواعد و تحدد والاحماج والاخلاف حتى
 كان يفتي منه العباد اذ اذكر مسلة من مسائل اخلاف ثم يستدل
 ويرجى وجهه وحق له ذلك فان شروط الاجتهاد كانت قد
 لم ينفقت منه بانني ما رايت احدا مديح انزاها الامانات الدالة
 على المحلة التي يوردها منه ولا استدارا المتقون الاحاديث
 من عذوها الى الفصح او الى الحذر والى السيف منه كانه الكتاب

ابن تيمية الشيخ الامام العالم المصنف الفقيه المجتهد المحتاط المحدث شيخ
 الاسلام ثابته العاصم ذو التصانيف الباهرة والذكر المفيد تقي الدين
 ابو العباس احمد العالم المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الامام شيخ
 الاسلام محمد الدين ابي البركات عبد السلام بن ابي الاحكام محمد
 الدين ابن القاسم اكرام الله بن تيمية وهو لقب بكه لا على مولده في عاشر
 ربيع الاول سنة احدى وستين وسبعمائة وخمسة وثمانين واثار به
 الى دمشق في سنة سبع وستين بعد جوار التتار منه من في الليالي بجزيرة
 الزبير والكتب على عجله فان العبد وماتت كية الى البلد وادب سورة فتركت
 وكنت البقية من ثقل العجلة ووقف الفدان وخافوا من اريد ركبهم العبد
 وكجا والى الله تعالى فسارت البقية بالعجلة والحلف الله تعالى حتى انجازوا
 الى جده الاسلام فسمع من ابن محمد الداريم واسم السيد والكمال بن محمد
 واسم ابن اخيه واسم الصبي في الشيخ شمس الدين القاسم الاربلي واسم علان
 وخلق كثير والكثير وبالغ وقد انفسه على الجماعة والتجرب ومنه عدة اجزاء ومن
 ابي دارود ونظير في الرجال والعلل وقصار من ائمة النقاد من علم الاثر مع
 التذرين والنبالة مع الذكر والحيانة ثم اقبل على الفقه ودقايقه وقواعده
 ومجبه والاجماع والاختلاف حتى كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة
 من مسائل الاختلاف ثم يستدل برجح ومجتهد وحوله ذلك فان شروك
 الاجتهاد كانت قد اجتمعت فيه فانشى ما رأت احد السبع انتزاعا للملايات
 الله على المسئلة التي يوردها منه ولا اشد استخصار المتوزل الاحداث
 وعزوها الى الصحيح او الى السند او الى السنة فنه كان الكتاب والسنة
 نصب عينيده وعلى طرف لسانه بعبارة رشقة وعين مفتوحة وانحاشام
 للخالف وكان ائمة من ايات الله تعالى في النفس والتوسع فيه لعل ينفي
 في نفسه الاية المحسنة والمحسنة واما اصول الديانة ومعرفة ما يعرف

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

من ذلك ما ألفه من تفسير القرآن العزيز غير ما
جمع من أقوال معصري السلف الذين يذكرون الأسانيد

فأنتب على جميع القرآن ما أمله من القول عن السلف وذلك

وَقَالَ يَا مَرْقُوقُ قَدْ نَجَوْتَ عَنْ نَحْوِ ثَلَاثِينَ وَعَشْرَ نَفْسٍ مُسَدَّدَةٍ
وَقَالَ إِنِّي مَرَقُوقٌ بِمَا ضَاعَتْ عَنِّي الْآيَةُ الْوَاحِدَةُ نَحْوُ مِائَةِ نَفْسٍ
ثُمَّ قَالَ اللَّهُ الْغُفَامُ وَأَقْرَبُ يَعْلَمُ الْإِبْرَاهِيمُ وَيَذْكُرُ قِصَّةَ مُعَاذِي

أسماء مؤلفات شيخ الإسلام لأبي رشيق

وَمِنْهُمْ الْجَمْدُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
 الْقَاسِمِ الْخِزْبَانِيِّ الْعَلَّامِ الْحَافِظِ لِلْحَقِّ الْمَجْدُ الْمُفَرِّغُ الْإِسْلَامِ نَادِيهِ الْعَصْرُ عَلَّمَ
 الزَّهَادَ نَقِيَّ الدِّينِ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ نَبِيهِ هُوَ الْمَجْدُ بْنُ أَبِي التَّوَّاحِي جَيْتَهُ
 وَالْمَدْرَسُ بْنُ أَبِي الصَّوَّاحِي أَيْتَهُ حَبِزَتْ أُمُّهُ لَهَا وَمَنْعَ بِهِ وَالْوَقْفُ
 عَنْهُ طَلِبَتُهَا مِنْ جِاسٍ تَعْبَهُ طَلِبَتُهَا لِإَرْضِي لِقَائِهِ وَالْبَقِيَّةُ لَهُ بِهَيْبَةٍ رُضِعَ
 تَدْرِكُ الْعِلْمَ سُدَّ قُطْمٌ وَطُلِعَ وَجْهُهُ الصَّلَاحُ لِحَاجَتِهِ فَطْلَمَ وَفُطِعَ الْبَلَدُ
 وَالنَّهَارُ ذَابَ وَلِغَدِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ صَاحِبِينَ إِلَى أَنْ تَنْتَبِهُ السَّلَفُ بِهَذَا
 وَأَنَا فِي الْخَلْفِ عَنْ لُبُوحِ مَدَاهِ

بُصْفِي

وَتَقَفَ اللَّهُ أَسْرَابَ يَكْوُوهَ حُسَامَاهُ فِيهِ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ
 بَنَاهُ فِي الشَّرِيَا أَرَاخَصَهَا وَعَزَمَهُ لَيْسَ مِنْ عَادَاتِهَا السَّامُ
 عَلَى أَنَّهُ مِنْ نَبْتِ نَشَاتٍ مِنْهُ عُلَمَاءُ سَالَتْ الدُّهُورُ وَنَشَاتٍ مِنْهُ عُلَمَاءُ
 عَلَى الْمَشَاهِيرِ الشُّهُورُ فَاحْيَا عَالَمُ يَتَبَّهِ الْقَدِيرُ أَدْرَسَ وَجِي مَرْتَبَهُ
 الرُّطْبُ بْنُ مَازَنْزِ وَأَضْعَى فِي فَضْلِهِ إِيَّاهُ لِأَنَّهُ إِيَّاهُ الْحَيْرُ عَرَضَتْ لَهُ اللَّذَّةُ
 فَزَجَرَتْهَا وَعَارَضَتْهُ الْبَحَارُ فَصَحَّحَتْهَا ثُمَّ كَانَ أَمَتُهُ وَهْدَهُ وَفَزْدَا
 جِي نَزَلَ لِحَدِّهِ أَخْلَسَ لِفَنَاءِ كُلِّ عَظِيمٍ وَأَخْدَمَ أَهْلَ الْعَنَاءِ كُلِّ
 قَدِيمٍ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ خَلَعَهُ أَجْفَالُ الظُّلُمِ وَبَيَضَانُ لَدَيْهِ تَضَالَّ
 الْعَزِيمُ ۝ مَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَّا سَلَامًا بَعْضُ أَجْبَا الْبَاقِيَةِ أَجْمَعِ
 جَاءَ فِي عَصْرِ مَا هَوَلَ بِالْعُلَمَاءِ سَجَّحُونَ بِحُجُومِ السَّمَاءِ تَمُوجُ فِي جَانِبَيْهِ
 بِحُجُومِ خُصَارِفِ وَتَطِيرُ مِنْ خَافَتِيهِ نُمُورُ قَسَاعِمِ وَتَشْرِقُ فِي أُنْدِيهِ

• وينقطع الارض سعيًا • من غير ما قد مضى •
 قلستُ نظري في • ولغظ لجل الذائق • ولكن ليست مقاصده في هذا الفن مليحة • ولا
 معانيه صحيحة • أولس منه في محمد بن شرف الدين راني •
 • وما بالغ في تومعه الف لثمة • ولقته اضعا واضعا وورنه •
 • اذ املا الماكول جنبه لم يُعير • سوى لحظة والحظير سبطه •
 أحمد بن عبد الحميد بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القسم الشيخ الأمازيغ العالم للفتى
 المحدث الجليل الحافظ شيخ الاسلام زائدة العصر في يد الدهر شيخ الدين ابو العباس بن الشيخ
 شهاب الدين بن الامام محمد الدين ابي البركات بن تيمية سمع من ابن عبد السلام وابي الف
 البسر والكاظم بن عبد وان ابي الخير وابن الصيرفي والشيخ سمس الدين والقسم الذي كان
 علان وخلق كثير وباع واكثر وفرا بنفسه على جماعة وانجحت ونسخ عدة اجزاء من افانج
 ونظير الرجال والعلل وصار من ائمة النقاد ومن علماء الاشرف الدين ولتاله لها قبل
 على الفتنة ودقايقه وعام على مباحثه تحوله به ابوه من خراف الى مشق سنة سبعين
 وسمايه • وينتهي لفتنه الا على تذهب للامام احمد ابن حنبل • فلم يكن احدى في مذهبه
 انبه ولا انجل • ويحاول ويجادل شيعان اقرانه • وحذل خصومه في وسط مئة انه •
 وفترج مضائق الحق بادلته قاطعه • ولصرا قوله في ظلال الشوك بالبراهين الساطعة •
 كان السنة على الحرس لسانه • وعلومه الاثمة مسافة في حواصل جفانه • واقتال العلماء على
 نصب هيانه • لم ازل انا ولا غيري مثل استحضاره • ولا مثل سبعة الى الشاهد وسرعه
 احضاره • ولا مثل عدوه القديس الى اصله الذي فيه نقطة مذرك • ولما علم الاملين فترها
 وكلاما • وفيها واعلاما • فكان محبا لمن يبعه • ومحببا لمن يقد ما ياتي به • ومحبته •
 ينزل النزاع منارها من اصولها • ويرد القضايا الى ما خذها من محمولها • وكما
 الملل والخل • ومقالات ارباب البدع الاولى • ومعرفة ارباب اللزاهب • وما خفوا به من
 الدعوات والمواهب • فكان في ذلك عجايب • وشما ينفذ على السوال لا يتعرج • ولما
 الذاهب للربعة فاليه في اكل الاشارة • وعلى ما ينقله الاخاطة والادارة • وما نقل مناهب
 السلف • وما حدث بعدهم من الغلف • فذاك فته • وهوي في وقت اللوب مجته • فلان قطع
 خصمه الذي يصدى له • وانصب • اوخلص منه منال • الا وهو يشكو من الاين والنصب
 واما البشير فيده فيه طولي • وسره فيه يعزل العيرين اليه حوله • للتعليق في بمشاييل
 عربيه • ورجع فيها اقل الاهبة عند الجهور ومعييه • كان منها يقع في هوى • ويسلم
 منها لما عنده من البينة المبرقة • والله يعلم قصده • وما يرجع من الالهة عنده • وملا تر عليه
 شي كسلة الزيار • ولا عن عليه مثلها اعارة • دخل منها الى القلعة معتقلا • وجفاه حياه
 وقلا • وما خرج منها الا على الالة للديانة • ولا يرجع منها الا الى البقعة الجديا • والحق بالهيف
 الخير • وفي الشاعليه كسر العير • وكان في اقله سابق البرق اذ المغ • والود والجمع
 يملئ على المسئلة الواحدة • ما شام من رأس القلم • ويكتب الكرايين واللائحة في قعدة وحده
 ذهنه ما يكل ولا انظر • قد دخل في الحلي • ونولي من تقليده ما تولى • فلو شأ امره عن ظهر
 قلب • وان يجملة ما فيه من الشناع والثلب وضيق الزمان في رده على النصارى والافاضة
 ومن حانه الدين افاضته • ولو نمدى لشج البخاري وتفسير القرآن العظيم • لقلنا عان
 اهل العلوم بذكر كلامه النظم • وكان من صغره حريصا على الطلب • محمدا على التمسك والدائب
 لا يورث على الاشتغال له • ولا يرى ان تبسج لحظة منه في البطالة فده • يذهل عن نفسه •

أعيان العصر، للصفدي

أن الدهر ضرب ضرباً به وحالت الأيام واليالي بطهر في بلاد الشام
 وشعبه ادعى أنه ثمرداش وقيل **لأنه** عاش عند بكرم الشامي بكرم الشامي
 جعفر بن جفيه إلى بلاد الجوزة قتل جبري واحد يسمونه جهر رأسه أبو جعفر
 وصديق على ذلك وأقبل عليه أولاده ونشأوه والنفت عليه جماعة كثيرين
 وحشد عظيم وعزم على الدخول إلى الشام ولم ينزل من هوى حتى إن السلطان
 كان بنفسه وحشده وقابل رهباناً لا من حجة وقد يكونوا أئمة البكر
 خانو في ابنه فكفاه الله تعالى شره ومات على هذا الدعوى وخلف ثمرداش
 من الأولاد الشيخ حسن ومصر ملك وحمدقان وندر حسن وتودان
 وسدون وأما جوبان فظهر لما وصلوا بآبائه إلى المدينة فمكثوا به
 في تربته فدفن بالبقيع رحمه الله تعالى وفيها في ليلة الثاني والعشرين
 من ذي القعدة توفي الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخالص
 المحقق شيخ الإسلام فقي الدين محمد بن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم
 ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام ابن عبد الله ابن تميمه الخزاعي
 الدمشقي قلعة دمشق في الخامسة التي كان محبوباً لها وغسله وكفنه في الحرم
 من القلعة وصلوا عليه بباب القلعة الشيخ محمد بن تلم لم اتوبه إلى جامع بني أمية
 وعلقت جميع أسواق دمشق وأمتلأ الجامع كثر من يوم الجمعة وخبروا
 الأمراء والحكام وصلوا عليه صلاة الظهر ومثل الناس على رؤوسهم وخبروا
 به من باب الفرج وبعض الناس من باب الفردوس وباب النصر وباب الحامة
 وأمتد الناس إلى سوق الخيل إلى مقبرة الصوفية ودفن في الحائط قبر الشيخ
 عبد الله وأنصرف الناس ما سفيح عليه ونحتموا على من الحفريات وباتوا على
 قبر ليال كثيرين وزويت له من أمانات صالحة ومولاه على يد شيخ الإسلام

نثر الجمان ، للفيومى

لم تحول إلى طسما ما بالعام استوطن هذا المقدس بعد لاقر العوارا العرس
وشرح الماطية سرحا كبيرا والراية سرحا جنة الزيم وسرح العصارين عظم
وصف بعضا واسماء العرابة واسماءهم من هذا المقدس كان صاكا عفا
منعطا بعد ١٤ الاخبار بوعا المقدس من هذا الاحد رابع رحمة من مان عرس سرحا
أحج حنا احل من عند السلام ان عند الله ان له العلم ان يحضر من نحن من الحرائر
الوسقى الاسلام العفة المحدث اكا فاطم المقدس الاموال الراعي في الراس العصار
سبح الاسلام وعلم الاعلام وسهره معنى عن الاطباء في دنن والاسماء في امره فله يوم الاثنين
عاشر ربيع الاول سنة احدى وسين وسما بهجوان وقدمه والده ودا حواء الذي منسى
عند سلا الترة على الميلاد سنة سبع وسين منع النبع بنا من ابن عبد الدام وان له
المسروان بعدوا المحدث عا بروحي راحة العفة واهو من اى احسن اكراد
والعلم الاول في النسخ من الرزاق عا والمستمى علان وابراهيم من ربحى على كبر
وعنى ما كذبت وسبع المسدقات والكم المسد ومما الطبراني البكر وما لا يحصى
الاف في الاحزاب وراعتة وكسحط جمل من الاخر او امل من العلوم في مصر فاجد
العفة والاصول عن والده عن الشرح من الرزاق عا وعرف النسخ من الرزاق عا والمخا وسرع
في ذلك وتاخره في العصور اما ما على ان عفا ليعوى عم اجد ما يوسنوم ما له
صهه وابل على بعض العوان العظيم في رفته واحكم اصول العفة والفرا من اى احسن
والعالم عرسه للام في العلوم ونظم في علم الكلام والفلسفة وسوى ذلك على العلم ورد
على رؤسهم وكما بنهم فيهم من بين الفضائل فاعقل القوي فالتدريس في دول العرس
منه واما من قبل العرس ايضا ولله بكثرة الكد في سرعة اكنظ فوه الا ابدان العلم
ونظى السنان في العرس فاعلم انهم لم يكن يحفظ شمسا فمساهم بوني والده النسخ من الرزاق عا
المقدم بكنه وكان احسن احدى وعشرين سنة فقام بوطان فمضى عليه ودرس في بلاد
السيرة في اول طرقات ومانز وحضر عند فامى القضاء بها العرس من الرزاق عا والنسخ
القرار اى من الرزاق عا والنسخ من الرزاق عا والمخا وذكروا عفا في السيرة
سهر من الناس عسطة الجملة كما حاورون فاسوا علة تاذر اما الاله في طرقات النسخ من الرزاق عا
العرا لى ما لقي في عظم النسخ من الرزاق عا على عسطة دونه بالنسخ من طرقات عسطة لك ما كان
والله ما جامع على من الرزاق عا والنسخ من الرزاق عا وسرع فاول العرس فامان بورد في خط
في المجلس ولا من لولاس في فستوى منون روح على سنن امهم وفي سنة من سنن

التَّذْكِرَةُ وَالْإِعْتِبَارُ وَالْإِنْتِصَارُ لِلْأَنْبَرَارِ^(١)

للعلامة/ أحمد بن إبراهيم الواسطي المعروف بابن شيخ
الحزّامين (٧١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله وسبحان الله وبحمده، تقدّس في علوّه وجلاله، وتعالى في صفات كماله، وتعاضم في سُبحات فردانيّته وجماله، وتكرّم في إفضاله وجمال نواله، جَلَّ أَنْ يُمَثَّلَ بشيء من مخلوقاته، أو يُحاط به، بل هو المحيطُ بمبتدعاته، لا تَصَوَّرُهُ الأوهام، ولا تُقَلِّله الأجرامُ، ولا يَعْقِلُ كُنْهَ ذاته البصائر ولا الأفهام.

الحمدُ لله مؤيِّد الحقِّ وناصره، ودافع الباطل وكاسره، ومُعزُّ الطائع وجابره، ومُذِلُّ الباغي ودائره، الذي سَعِدَ بِحَظْوَةِ الاقتراب من قُدُّسه مَنْ قام بأعباء الاتباع في بُنيانه وأُسَّه، وفاز بمحبوبيّته في ميادين أنسه مَنْ بذل ما يهواه في طلبه من قلبه وحسّه، وتثبت في مَهَامِهِ الشكوك منتظرًا زوال لَبْسِهِ، سبّحانه وبحمده له المَثَلُ الأعلى، والنورُ الأتمُّ الأجلَى، والبرهان الظاهر في الشريعة المُثَلَى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي شهدت لوحْدانيته

(١) ساقه ابن عبد الهادي بتمامه في «العقود الثرية»: (ص/٢٩١ - ٣٢١) وطبع مستقلاً مرّات.

الفِطْرُ، وأسلم لربوبيته ذوو العقل والنظر، وظهرت أحكامه في الآي والسور، وتمّ اقتداره في تنزّل القَدَر.

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، الذي شهدت بنوته الهواتف والأخبار، فكان قبل ظهوره يُنتظر، وتلاحقت عند مبعثه معجزاته من حنين الجذع وانقياد الشجر، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الخشية والحذر، والعلم المُنَوَّر، فهم قدوة التابع للأثر.

وبعد:

فهذه رسالة سَطَرها العبد الضعيف الراجي رحمة ربه وغفرانه، وكرمه وامتنانه: أحمدُ بن إبراهيم الواسطي، عامله الله بما هو أهله، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة. إلى إخوانه في الله السادة العلماء، والأئمة الأتقياء، ذوي العلم النافع، والقلب الخاشع، والنور الساطع، الذين كساهم الله كسوة الاتباع، وأرجو من كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع:

السيد الأجلّ العالم، الفاضل فخر المُحدّثين، ومصباح المتعبدین، المتوجه إلى رب العالمين، تقي الدين أبي حفص عمر بن عبدالله بن عبدالأحد بن شُقَيْر.

والشيخ الأجلّ، العالم الفاضل السالك الناسك ذي العلم والعمل، المُكتسبي من الصفات الحميدة أجمل الحُلل، الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالأحد الأمِدي.

والسيد الأخ، العالم الفاضل، السالك الناسك، التقيّ الصالح، الذي سيما نور قلبه لائح على صفحات وجهه، شرف الدين محمد ابن المُنَجّي.

والسَّيد الأَخ، الفقيه العالم النبيل، الفاضل فخر المُحَصِّلِينَ، زين الدين، عبدالرحمن بن محمود بن عُبيدَان البَغْلَبَكِّي.

والسيد الأخ العالم الفاضل، السالك الناسك، ذي اللَّبِّ الراجح والعمل الصالح، والسكينة الوافرة، والفضيلة الغامرة، نور الدين محمد ابن محمد بن محمد بن الصَّائِغ.

وأخيه السيد الأخ، العالم التقي الصالح، الخَيْر الدِّين، العالم الثقة، الأمين الراجح، ذي السَّمْت الحسن، والدين المتين في اتباع السُّنَنِ، فخر الدين محمد.

والأخ العزيز الصالح، الطالب لطريق ربه، والراغب في مرضاته وُحْبِهِ، العالم الفاضل، الولد شرف الدين محمد بن سعد الدين سعد الله بن بُخَيْخ^(١).

وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام، الأُمَّة الهُمام، مُحيي السنة، وقامع البدعة، ناصر الحديث، مُفتي الفرق، الفائق عن الحقائق، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يَقْضِي بالحق ظاهراً، وقلْبُهُ في العلى قاطن، أُنموذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين غابت عن القلوب سيرُهم، ونسيت الأُمَّة حَذْوَهُمْ وَسُبُلَهُمْ، فذكرهم بها الشيخ؛ فكان في دارس نهجهم سالكاً، ولموات حذوهم مُحييًّا، ولأَعِنَّة قواعدهم مالِكًا: الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام

(١) بموَحْدَة، ثم خاء معجمة، ثم ياء مثناة من تحت، آخره خاء معجمة. ضبطه ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» (١/٣٦٩).

ابن تَيْمِيَّةَ، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العُلَى درجته، وأدام توفيق السَّادة المبدوء بذكرهم وتسديدهم، وأَجَزَ لهم حظَّهم، ومزِيدهم.

السلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته، جَعَلَنَا الله وإياكم ممن ثبت على قَرْعِ نَوَائِبِ الْحَقِّ جَأْشُهُ، واحتسب لله ما بذله من نفسه في إقامة دينه، وما احتَوَشَتْهُ من ذلك وحاشه، واحتذى حذو السُّبْقِ الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين لم تأخذهم في الله لومةً لائم، فما ضَرَّهم مَنْ خَذَلهم ولا مَنْ خالفهم، مَعَ قِلَّةِ عددهم في أوَّلِ الأمر، فكانوا - مع ذلك - كُلُّ منهم مجاهد بدين الله قائم، ونرجو من كرم الله تعالى أَنْ يُوقِّعَنَا لأَعْمَالِهِمْ، ويرزق قلوبنا قِسْطًا من أحوالهم، وَيُنْظِمَنَا في سِلْكِهِمْ، تحت سَجْفِهِمْ ولوائهم، مع قائدهم وإمامهم سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمدٍ صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أَجْمَعِينَ.

أَذْكُرْكُمْ - رَحِمَكُمُ اللهُ - بما أنتم به عالمون، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وَأَبْدَأُ مِنْ ذَلِكَ بِأَنْ أُوصِي نَفْسِي وإياكم بتقوى الله، وهي وصية الله تعالى إلينا وإلى الأممِ مِنْ قَبْلُنَا، كما بَيَّنَّ سبحانه وتعالى قائلاً وموصياً: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وقد علمتم تفاصيل التقوى على الجوارح والقلوب، بحَسَبِ الأوقات والأحوال: من الأقوال، والأعمال، والإرادات، والنِّيَّاتِ.

وينبغي لنا جميعاً أن لا نقنع من الأعمال بصورها حتى نطالب قلوبنا بين يدي الله تعالى بحقائقها؛ ومع ذلك فلتكن لنا همة علوية، تترامى إلى أوطان القرب، ونفحات المحبوبة والحب، فالسعيد من حظي من ذلك بنصيب، وكان مولاه منه على سائر الأحوال قريباً بخصوص التقريب، فيكتسي العبد من ذلك ثمرة الخشية والتعظيم، للعزيز العظيم، فالحب والخشية ثابتان في الكتاب العزيز والسنة المأثورة، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وفي الحديث «أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحَبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحَبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ» وفي الحديث: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون إلى الله».

ومعلوم أن الناس يتفاوتون في مقامات الحب والخشية، في مقام أعلى من مقام، ونصيب أرفع من نصيب، فلتكن همة أحدنا من مقامات الحب والخشية أعلاه، ولا يقنع إلا بذروته وذراه، فالهمم القصيرة تقنع بأيسر نصيب، والهمم العلية تعلو مع الأنفاس إلى قريب الحبيب، لا يشغلنا عن ذلك ما هو دونه من الفضائل، والعاقل لا يقنع بأمر مفضول عن حال فاضل، ولتكن الهمة منقسمة على نيل المراتب الظاهرة، وتحصيل المقامات الباطنة، فليس من الإنصاف الانصباب إلى الظواهر والتشاغل عن المطالب العلوية ذوات الأنوار البواهر.

وليكن لنا جميعاً بين الليل والنهار ساعة، نخلو فيها برئنا جل اسمه وتعالى قدسه، نجتمع بين يديه في تلك الساعة همومنا، ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا، فنزه فيما سوى الله ساعة من نهار، فذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه، فمن كان له مع ربه حال، تحركت في تلك

الساعة عزائمهُ، وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائرهُ، وطارت إلى العلى زَفَرَاتُهُ وكوامِنُهُ، وتلك الساعة أنموذجٌ لحالة العبد في قبره، حين خُلُوهُ عن ماله وحِجَّتِهِ، فمن لم يُخَلِّ قلبه لله ساعةً من نهار، لما احتوشه من الهموم الدنيوية وذوات الآصار، فليعلم أنه ليس له ثَمٌّ رابطةٌ علوية، ولا نصيبٌ من المحبة ولا المحبوبة، فليبك على نفسه، ولا يرضى منها إلا بنصيب من قُرب ربه وأنسه.

فإذا حَصَلَتْ لله تلك الساعةُ، أمكن إيقاعُ الصلوات الخمس على نمطها من الحضور والخشوع، والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع.

فلا ينبغي لنا أن تَبَخُلَ على أنفسنا في اليوم واللييلة من أربع وعشرين ساعةً بساعةٍ واحدةٍ لله الواحد القهار، نعبده فيها حقَّ عبادته، ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته، وذلك طريقٌ لنا جميعاً إن شاء الله تعالى إلى النفوذ، فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حَصَلَ له الشَّطْرُ الظاهر، وفَاتَهُ الشَّطْرُ الباطن، لا تُصَافُ قلبه بالجمود، وبُعْدِهِ في العبادة والتلاوة عن لين القلوب والجلود، كما قال تعالى: ﴿نَفْسَعِرْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا، ويتميز به عنهم، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المُنَوَّرَة، والدُّوق الصحيح، والفراسة الصادقة، والمعرفة التامة، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمتها، وَمَنْ لم يَنْفُذْ لم تكن له هذه الخصوصية، وأَبْصَرَ بعضُ الأشياءِ وغاب عنه بعضها.

فيتعينُ علينا جميعاً طلبُ النفوذِ إلى حضرة قُربِ المعبود، ولقائه

بذوق الإيقان، لنعبده كأئنا نراه، كما جاء في الحديث.

وبعد ذلك: الحَظْوَةُ في هذه الدار بقاء رسول الله ﷺ غيبًا في غيب، وسِرًّا في سِرِّ، بالعُكُوف على معرفة أيامه وسننه وأتباعها، فتبقى البصيرة شاخصة إليه، تراه عيانًا في الغيب، كأنها معه ﷺ، وفي أيامه، فيجاهد على دينه، ويبذل ما استطاع من نفسه في نُصْرَتِهِ.

وكذلك مَنْ سَلَكَ في طريق النفوذ يُرْجَى له أَنْ يلقى رَبَّهُ بقلبه غيبًا في غيب، وسِرًّا في سِرِّ، فَيُزَوِّق القلبُ قسطًا من المحبة والخشية والتعظيم اليقيني، فيرى الحقائق بقلبه من وراء سترٍ رقيق، وذلك هو المُعَبَّرُ عنه بالنفوذ، ويصل إلى قلبه من وراء ذلك الستر ما يغمره من أنوار العظمة والجلال، والبهاء والكمال، فيتنور العلم الذي اكتسبه العبد، ويبقى له كيفية أخرى زائدة عَلَى الكيفية المعهودة من البهجة والأنس والقوة في الإعلان والإسرار.

فلا ينبغي لنا أَنْ نتشاغلَ عن نَيْلِ هذه الموهبة السَّيِّئَةِ، بشواغل الدنيا وهُمومها، فنَنْقَطِعَ بذلك - كما تقدم - بالشيء المفضول عن الأمر المهم الفاضل، فإذا سَلَكْنَا في ذلك برهة من الزمان، ورزقنا الله تعالى نفوذًا، وتمكَّنَّا في ذلك التَّفُوذِ فلا تعودُ هذه العوارضُ الجزئياتُ الكونياتُ تُؤَثِّرُ فينا إِنْ شاء الله تعالى، وليكن شأنُ أحدنا اليوم: التعديلُ بين المصالح الدنيوية والفضائل العلمية، والتوجُّهات القلبية، ولا يقنع أحدنا بأحد هذه الثلاثة عن الآخَرَيْنِ، فيفوته المطلوبُ، ومتى اجتهد في التعديل فإنه - إِنْ شاء الله تعالى - بِقَدَرٍ ما يحصل للعبد جزءٌ من أحدهم، حصَّلَ جزءًا من الآخر، ثم بالصبر عَلَى ذلك تجتمعُ الأجزاء المُحَصَّلَةُ، فتصير مرتبة عالية عند النهاية - إِنْ شاء الله تعالى -.

هذا، وإن كنتم - أيدكم الله تعالى - بذلك عالمين، لكنّ الذكرى تنفع المؤمنين.

فصل

واعلموا - أيدكم الله - أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود، لكنّ مَنْ لم يسافر إلى الأقطار، ولم يتعرف أحوال الناس، لا يدري قَدْرَ ما هو فيه من العافية، فأنتم - إن شاء الله تعالى - في حقّ هذه الأمة الأولى كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَنِقَبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

أصبحتم إخواني تحت سُنْجُق^(١) رسول الله ﷺ - إن شاء الله تعالى - مع شيخكم وإمامكم، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره رضي الله عنه، قد تميزتم عن جميع أهل الأرض: فقهاؤها وفقرائها، وصوفيتها، وعوامها، بالدين الصحيح.

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث، في الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فأنتم اليوم في مقابلة الجَهْمِيَّة من الفقهاء، نصرتهم الله ورسوله في حفظ ما أضاعوه من دين الله، تُصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله.

(١) أي: تحت رايته.

وأنتم أيضًا في مقابلة مَنْ لم يُنفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ، وجمد على مجرد تقليد الأئمة فإنكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة، واتخاذ أقوال الأئمة، تأسيا بهم لا تقليداً لهم.

وأنتم أيضًا في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية من إظهار شعار المكاء والتضدية ومؤاخاة النساء والصبيان، والإعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخطئها، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء، فأنتم بحمد الله تُجاهدون هذا الصنف أيضًا كما تجاهدون مَنْ سبق، حفظتم من دين الله ما أضاعوه، وعرفتم ما جهلوه، تقومون من الدين ما عوّجوه، وتصلحون منه ما أفسدوه، وأنتم أيضًا في مقابلة رَسْمِيَّة الصوفية والفقهاء، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية، والآصار الابتداعية، من التصنع باللباس، والإطراق والسجادة لنيل الرزق من المعلوم، ولُبْس البقيار، والأكمام الواسعة في حَضْرَةِ الدرس، وتنميق الكلام، والعُدُو بين يدي المدرس راكعين، حَفْظًا للمناصب، واستجلابًا للرزق والإضرار!!

فخلط هؤلاء في عبادة الله غيره، وتألهوا سواه، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون، يجتمعون لغير الله، بل للمعلوم^(١)، ويلبسون للمعلوم، وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم، فضيّعوا كثيرًا من دين الله وأماتوه، وحفظتم أنتم ما ضيّعوه، وقوّمتم ما عوّجوه.

(١) أي: لما يأخذونه من زهيد المال.

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد، وتأله المخلوقات. كاليونانية، والعربية، والصدرية، والسبعينية، والتلمسانية.

فكل هؤلاء بدّلوا دين الله تعالى وقلوبه، وأعرضوا عن شريعة رسول الله ﷺ.

فاليونانية: يتألهون شيخهم، ويجعلونه مظهرًا للحق، ويستهيئون بالعبادات، ويظهرون بالفرعنة والصولة، والسفاهة والمُحالات، لِمَا وَقَرَّ في بواطنهم من الخيالات الفاسدة، وقبَلَتْهُمْ الشيخُ يونس.

ورسولُ الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل، يؤمنون به بألستهم، ويكفرون به بأفعالهم.

وكذلك الاتحادية، يجعلون الوجودَ مظهرًا للحق، باعتبار أن لا مُتحرّك في الكون سواه، ولا ناطق في الأشخاص غيره، وفيهم مَنْ لا يفرق بين الظاهر والمظهر، فيجعلُ الأمرَ كموج البحر، فلا يُفرّق بين عين الموجة وبين عين البحر، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله، فينطق على لسانه، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية، فَمَنْ العابد وَمَنْ المعبود؟ صار الكلُّ واحدًا!! اجتمعنا بهذا الصنف في الرُبُط والزوايا!!.

فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضًا تنصرون الله ورسوله، وتذبّون عن دينه، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا وعلى تقويم ما عوّجوا فإن هؤلاء مَحَوْا رَسْمَ الدين، وقَلَعُوا أثره، فلا يُقال: أفسدوا ولا عوّجوا بل بالغوا في هدم الدين ومَحْوِ أثره، ولا قُرْبَةَ أَفْضَلُ عند الله

من القيام بجهاد هؤلاء بمهما أمكن، وتبيين مذاهبهم للخاص والعام، وكذلك جهاد كل من ألحد في دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته، كائنًا في ذلك ما كان من فتنة وقول، كما قيل:

إذا رَضِيَ الحبيبُ فلا أبالي أقام الحيُّ أم جدَّ الرَّحيل
وبالله المستعان

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله بما أمكن، وذلك لبعد العهد عن رسول الله ﷺ، لأن اليوم له سبع مئة سنة، فأنتم بحمد الله تجددون ما دثر من ذلك ودثر.

وكذلك أنتم بحمد [الله] قائمون في وجوه العامة، مما أحدثوا من تعظيم الميلاد، والقَلَنْدَس، وخميس البيض، والشَّعَانِين^(١)، وتقيل القبور والأحجار، والتوسل عندها.

ومعلوم أن ذلك كلُّه من شعائر النصارى والجاهلية، وإنما بُعث رسول الله ﷺ لِيُوحِّدَ الله وَيُعْبَدَ وحده، ولا يُؤَلَّهَ معه شيءٌ من مخلوقاته، بعثه الله تعالى ناسخًا لجميع الشرائع والأديان والأعياد، فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك.

وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء، أهل الكيد والضَّرار لأولياء الله، أهل المقاصد الفاسدة، والقلوب التي هي عن نصر الحق حائِدة.

(١) أسماء لأعياد بدعية.

وإنما أعرض هذا الضعيفُ عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى، واليهود، والرافضة، والمعتزلة، والقَدَرية، وأصناف أهل البدع والضلالات، لأن الناس متفقون على ذمهم، يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون، بل يعلمون ويجبُون عن اللقاء فلا يجاهدون، وتأخذهم في الله اللائمة، لحفظ مناصبهم، وإبقاء على أغراضهم.

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاء - حق القيام - سواكم، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء إن شاء الله، بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا - أيده الله - حق القيام، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك.

فصبراً يا إخواني على ما أقامكم الله فيه، من نصرة دينه وتقويم اعوجاجه وخُذْلان أعدائه، واستعينوا بالله، ولا تأخذكم فيه لومة لائم، وإنما هي أيامٌ قلائل، والدين منصورٌ، قد تولى الله إقامته ونصره، ونُصرة مَنْ قامَ به من أوليائه، إن شاء الله ظاهراً وباطناً.

وابذلوا فيما أقمتم فيه ما أمكنكم من الأنفس والأموال، والأفعال، والأقوال، عسى أن تُلْحَقُوا بذلك بِسَلَفِكُمْ أصحاب رسول الله ﷺ، فلقد عرفتم ما لَقُوا في ذات الله، كما قال خُبَيْبٌ حين صُلب على الجذع:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالِ شِلْوِ مُمَرِّعٍ

وقد عرفتم ما لقي رسول الله ﷺ من الضُرِّ والفاقة في شِعبِ بني هاشم، وما لقي الأولون من التعذيب والهجرة إلى الحبشة، وما لقي المهاجرون والأنصارُ في أحد، وفي بئر معونة، وفي قتال أهل الرَدَّة،

وفي جهاد الشام والعراق، وغير ذلك.

وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله، حُبًّا له، وشوقًا إليه، فكذا أنتم، رحمكم الله، كلُّ منكم على قدر إمكانه واستطاعته، بفعله، وبقوله، وبخطه، وبقلبه، وبدعائه. كلُّ ذلك جهادٌ.

أرجو أن لا يخيب مَنْ عامل الله بشيءٍ من ذلك، إذ لا عيشَ إلا في ذلك، ولو لم يكن فيه إلا هِمَمُكم، مزاحمةٌ لأهل الزيف، مُشوِّشةٌ لهم، تبغضونهم في الله، وتطلبون استقامتهم في دين الله، وذلك من الجهاد الباطن إن شاء الله تعالى.

فصل

ثم اعرفوا إخواني حق ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك، واعرفوا طريقكم إلى ذلك، واشكروا الله تعالى عليها، وهو أن أقام لكم ولنا في هذا العصر مثل سيدنا الشيخ الذي فتح الله به أقفال القلوب، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات، حيث تاه العقل بين هذه الفرق، ولم يهتد إلى حقيقة دين الرسول ﷺ.

ومن العَجَب أن كلاً منهم يدّعي أنه على دين الرسول، حتى كَشَفَ الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذي أنزله من السماء وارتضاه لعباده.

واعلموا أنَّ في آفاق الدنيا أقوامًا يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق، يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الإسلام، فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا.

فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبع مئة من الهجرة مَنْ بيّن لكم أعلام دينكم، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته، وبيّن لكم

بهذا النور المحمدي ضلالات العباد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم، والصحيح من السقيم.

وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة، الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وهم بالشام إن شاء الله تعالى.

فصل

ثم إذا علمتم ذلك، فاعرفوا حقَّ هذا الرجل الذي هو بين أظهركم وقدره، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول ﷺ وحقه وقدره، فمن وقع دينُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قلبه بموقع يستحقه، عرف حقَّ ما قام به هذا الرجل بين أظهر عباد الله، يُقوِّم معوجَّهم، ويصلحُ فسادهم، ويُلِّمُ شعثهم، جهد إمكانه، في الزمان المظلم، الذي انحرف فيه الدين، وجُهلَت السنن، وعُهدت البدع، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والقابض على دينه كالقابض على الجمر، فإنَّ أجر من قام بإظهار هذا النور في هذه الظلمات لا يوصف، وخطره لا يُعرف، هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثة الأمر الشرعي الظاهر، فهنا قوم عرفوه من حيثة أخرى من الأمر الباطن، ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وعظمة ذاته، واتصال قلبه بأشعة أنوارها، والاحتذاء من خصائصها وأعلى أذواقها، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن، ومن الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر، وغير ذلك مما لا يمكن شرحه في كتاب.

فشيخكم - أيدكم الله تعالى - عارفٌ بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية، ومثلُ هذا العارف قد يُبصر ببصيرته تنزُّل الأمر بين طبقات السماء

والأرض. كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فالناس يُحِسُّونَ بما يجري في عالم الشهادة، وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب، ينتظرون ما تجري به الأقدار، يشعرون بها أحياناً عند تنزلها.

فلا تهوّنوا أمر مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق؛ واشتغال أوقاتهم بهم، فإنهم كما حُكي عن الجُنيد - رحمه الله - أنه قيل له: «كم تنادي على الله تعالى بين الخلق؟ فقال: أنا أنادي على الخلق بين يدي الله؟».

فاللَّهُ اللّهُ في حفظ الأدب معه، والانفعال لأوامره، وحفظ حُرُماته في الغيب والشهادة، وحبٌّ مَنْ أَحَبَّهُ، ومجانبة من أبغضه وتنقّصه، وردّ غيبته، والانتصار له في الحق.

واعلموا رحمكم الله، أن هنا مَنْ سافر إلى الأقاليم، وعرف الناس وأذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم، فوالله، ثم والله، ثم والله، لم يُرَ تحت أديم السماء مثلُ شيخكم: علماً وعملاً، وحالاً، وخُلُقاً، واتباعاً، وكرماً وجِلْماً في حق نفسه، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرّماته، أصدقُ الناس عَقْداً، وأصَحُّهم علماً وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه هَمّةً، وأسخاهم كَفّاً، وأكملهم اتباعاً لنبيّه محمد ﷺ.

ما رأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة المحمديةُ وستُّها من

أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة.

وبعد ذلك كله فقول الحق فريضة، فلا ندّعي فيه العصمة عن الخطأ، ولا ندّعي إكماله لغايات الخصائص المطلوبة، فقد يكون في بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة، لا يتم الكمال إلا بهاتيك الخصوصية، وهذا القدر لا يجهله منصف عارف، ولولا أن قول الحق فريضة، والتعصب للإنسان هوئى، لأعرضت عن ذكر هذا - لكن يجب قول الحق إن ساء أو سرّ - والله المستعان.

إذا علمتم ذلك - أيدكم الله تعالى - فاحفظوا قلبه، فإن مثل هذا قد يُدعى عظيمًا في ملكوت السماء، واعملوا على رضاه بكل ممكن واستجلبوا وُدّه لكم، وحبّه إياكم بمهما قدرتم عليه، فإن مثل هذا يكون شهيدًا، والشهداء في العصر تبع لمثله، فإن حصلت لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكرمها ولا أذكرها، وربما يَفْطَنُ لها الأذكياء منكم، وربما سمحت نفسي بذكرها، كيلا أكرم عنكم نصحي.

وتلك الخصوصية: هي أن تُرزقوا قسطًا من نصيبه الخاص المحمدي مع الله تعالى، فإن ذلك إنما يسري بواسطة محبة الشيخ للمريد، واستجلاب المريد محبة الشيخ بتأثيره معه، وحفظ قلبه وخاطره، واستجلاب وُدّه ومحبته، فأرجو بذلك لكم قسطًا مما بينه وبين الله تعالى، فضلًا عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته، إن شاء الله تعالى.

وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم تعالى بصحيح المعاملة بحفظ تلك الساعة في الصلوات الخمس والتهجد أن يفتح لكم معرفة

حقيقة هذا الرجل ونبيّه إن شاء الله تعالى .

وإنما ذكرت حفظ الساعة - وإن كان في الصلوات الخمس كفايةً إذا قام العبد فيها لحقّ الله تعالى - وذلك لأن الصلوات قد تهجّم على العبد وقلبه مأخوذ في جواذب الظاهر، فلا يعرف نصيب قلبه من ربه فيها، فإذا كان للعبد ساعة بين الليل والنهار عرّف فيها نصيب قلبه من ربه، فإذا جاءت الصلوات، عرف فيها حاله وزيادته ونقصانه باعتبار حالته مع ربه في تلك الساعة، وبالله المستعان .

فصل

وإذا عرفتم قدرَ دين الله تعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ، وعرفتم قدر حقائق الدين الذي يُعبّر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى، والحظوة بقربه، ثم عرفتم اجتماع الأمرين في شخص مُعيّن، ثم عرفتم انحراف الأمة عن الصراط المستقيم، وقيام الرجل المُعيّن الجامع للظاهر والباطن في وجوه المنحرفين، ينصر الله تعالى ودينه، ويقومُ مُعوجهم، يلُمُّ شعثهم، ويصلح فاسدهم، ثم سمعتم بعد ذلك طعن طاعن عليه من أصحابه أو من غيرهم، فإنه لا يخفى عنكم مُحقُّ هو، أو مبطل؟ إن شاء الله .

وبرهان ذلك: أن المُحقَّ طالب الهدى والحق يعرض عند من أنكر عليه ذلك الفعل الذي أنكره، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام بالتلطف عن ذلك النقص الذي رآه فيه، أو بلغه عنه، فإن وجد هناك اجتهداً، أو رأياً أو حجة، قنع بذلك، وأمسك، ولم يُفش ذلك إلى غيره، إلا مع إقامة ما بيّنه من الاجتهاد، أو الرأي، أو الحجة، ليسدّ الحَلَّ بذلك .

فمثل هذا يكون طالب هدى، محبّاً، ناصحاً، يطلب الحق، ويروم

تقويم أستاذه عن انحرافه بتعريفه وتفويضه، كما يروم أستاذه تقويمه، كما قال بعضُ الخلفاء الراشدين^(١) - ولا يحضرني اسمه -: «إذا اعوجَّجتُ فقوموني».

فهذا حقٌّ واجبٌ بين الأستاذ والطالب، فإن الأستاذ يطلب إقامة الحق على نفسه ليقوم به، ويتَّهم نفسه أحياناً، ويتعرَّف أحواله من غيره، مما عنده من النَّصَفَةِ وطلب الحق، والحذر من الباطل، كما يطلب المريد ذلك من شيخه من التقويم، وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال.

ومن براهين المُحِقِّ: أن يكون عدلاً في مدحه، عدلاً في ذمِّه، لا يحمله الهوى - عند وجود المُراد - على الإفراط في المدح، ولا يحمله الهوى - عند تعذُّر المقصود - على نسيان الفضائل والمناقب، وتعدد المساوىء والمثالب.

فالمُحِقُّ في حالتي غضبه ورضاه ثابتٌ على مدح مَنْ مدحه وأثنى عليه؛ ثابت على ذم من ثلَّبه وحطَّ عليه.

وأما مَنْ عَمِلَ كُرَّاسَةً في عدِّ مثالب هذا الرجل القائم بهذه الصفات الكاملة بين أصناف هذا العالم المنحرف، في هذا الزمان المظلم، ثم ذكر مع ذلك شيئاً من فضائله، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل، بل المقصود تلك المثالب، ثم أخذ الكُرَّاسَةَ يقرؤها على أصحابه واحداً واحداً في خَلْوَةٍ، يوقف بذلك هَمَّهُم عن شيخهم، ويُرِيهم قدحاً فيه، فإني أستخير الله تعالى وأجتهد رأيي في مثل هذا الرجل، وأقول انتصاراً لمن ينصر دين الله، بين أعداء الله في رأس السبع مئة، فإن نصرة مثل

(١) جاء نحوه عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -.

هذا الرجل واجبة على كل مؤمن، كما قال وَرَقَّةُ بن نوفل: «لئن أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ لَأَنْصُرَنَّكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»^(١). ثم أسأل الله تعالى العصمة فيما أقول عن تَعَدِّي الحدود والإخلاد إلى الهوى. أقول: مثل هذا - ولا أُعَيِّن الشخصَ المذكور بعينه - لا يخلو من أمور:

أحدها: أن يكون ذا سنٍّ تغيَّر رأيه لِسَنِّه؛ لا بمعنى أنه اضطرب بل بمعنى أن السنَّ إذا كَبُرَ يجتهد صاحبه للحق، ثم يضعه في غير مواضعه، مثلاً يجتهد أن إنكار المنكر واجبٌ، وهذا منكر، وصاحبه قد راج على الناس، فيجب عَلَيَّ تعريفُ الناس ما راج عليهم، وتغيُّبُ عليه المفاصد في ذلك.

فمنها: تخذيلُ الطَّلَبَةِ، وهم مضطرون إلى محبة شيخهم، ليأخذوا عنه، فمتى تغيرت قلوبهم عليه وَرَأَوْا فيه نقصاً حُرِّموا فوائده الظاهرة والباطنة: وخيفَ عليهم المقتُّ من الله أولاً، ثم من الشيخ ثانياً.

المفسدة الثانية: إذا شعر أهلُ البدع الذين نحن وشيخنا قائمون الليل والنهارَ بالجهاد والتوجُّه في وجوههم لنصرة الحق: أنَّ في أصحابنا مَنْ ثلب رئيس القوم بمثل هذا، فإنهم يتطرَّقون بذلك إلى الاشتفاء مِنْ أهل الحق ويجعلونه حُجَّةَ لهم.

المفسدة الثالثة: تعديد المثالب في مقابلة ما يستغرقها ويزيد عليها بأضعاف كثيرة من المناقب، فإن ذلك ظلم وجهل.

والأمر الثاني من الأمور الموجبة لذلك: تغير حاله وقلبه، وفساد

(١) رواه البخاري في أول صحيحه.

سلوكه بحسد كان كامناً فيه، وكان يكتمه بُرْهة من الزمان، فظهر ذلك الكمين في قالب، صورته حق ومعناه باطل.

فصل

وفي الجملة - أيّدكم الله - إذا رأيتم طاعناً على صاحبكم فافتقدوه في عقله أولاً، ثم في فهمه، ثم في صدقه، ثم في سنّته، فإذا وجدتم الاضطراب في عقله، ذلكم على جهله بصاحبكم، وما يقول فيه وعنه، ومثله قلّة الفهم، ومثله عدم الصدق، أو قصوره، لأن نقصان الفهم يؤدي إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه، ومثله العلو في السنّ فإنه يشيخ فيه الرأي والعقل كما تشيخ فيه القوى الظاهرة الحسيّة، فاتّهموا مثل هذا الشخص واحذروه، وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة.

وصفة الامتحان بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه: أن تسألوه عن مسألة سلوكية، أو علمية، فإذا أجاب عنها فأوردوا على الجواب إشكالاً متوجّهاً بتوجيه صحيح، فإن رأيتم الرجل يروح يميناً وشمالاً، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معانٍ خارجة، وحكايات ليست في المعنى حتى ينسى ربّ المسألة سؤاله، حيث تَوَهَّه عنه بكلام لا فائدة فيه، فمثل هذا لا تعتمدوا على طعنه، ولا على مدحه، فإنه ناقصُ الفطرة، كثيرُ الخيال، لا يثبت على تحرّي المدارك العلمية، ولا تُنكروا مثل إنكار هذا، فإنه اشتهر قيام ذي الخُوَيْصرة التَّميمي إلى رسول الله ﷺ وقوله له: «اعدل - فإنك لم تعدل - إن هذه قسمة لم يُرَد بها وجهُ الله تعالى»^(١) أو نحو ذلك.

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول ﷺ. فإنه قال: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ»^(١)، وإن كان ذلك في اليهود والنصارى، لكن لَمَّا كانوا منحرفين عن نَهْجِ الصواب، فكَذَلِكَ يكون في هذه الأمة من يحذو حَذْوَ كُلِّ منحرف وجد في العالم، متقدِّمًا كان أو متأخرًا، حَذْوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلوه.

يا سبحانَ الله العظيم! أين عقول هؤلاء؟ أَعْمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ وبصائرُهُمْ؟ أفلا يرون ما الناسُ فيه من العَمَى والحيرة في الزمان المظلم المُذْلِمِ، الذي قد ملكت فيه الكفارُ معظمَ الدنيا؟ وقد بقيت هذه الحُطَّةُ الضيقة، يَشُمُّ المؤمنون فيها رائحةَ الإسلام؟ وفي هذه الحُطَّةُ الضيقة من الظُّلُمات من علماء السوء والدُّعاة إلى الباطل وإقامته، ودَخُضَ الحق وأهله مالا يُخَصَّرُ في كتاب، ثم إن الله تعالى قد رَحِمَ هذه الأمة بإقامة رجل قويِّ الهمة، ضعيف التركيب، قد فَرَّقَ نَفْسَهُ وَهْمَهُ في مصالح العالم، وإصلاح فسادهم، والقيام بمهماتهم، وحوائجهم، ضِمْنَ ما هو قائم بصد البدع والضلالات، وتحصيل موادِّ العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم، ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهْدَ إمكانه!! وإلا فأين حقيقة الدين العتيق؟

فهو مع هذا كله قائمٌ بجملة ذلك وَحْدَهُ، وهو منفرد بين أهل زمانه، قليلٌ ناصِرُهُ، كثيرٌ خاذلُهُ، وحاسدُهُ، والشامتُ فيه!!.

فمثل هذا الرجل في هذا الزمان، وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه، أَيْقَالُ له: لِمَ يَرُدُّ على الأحمدية؟ لِمَ لا تَعْدِلُ في القسمة؟ لِمَ

(١) متفقٌ عليه.

تدخل على الأمراء؟ لِمَ تُقَرِّبُ زَيْدًا وَعَمْرًا؟

أفلا يستحيي العبدُ من الله؟ يذكر مثل هذه الجزئيات في مقابلة هذا العبدِ الثقيل؟ ولو حُوقِقَ الرجلُ على هذه الجزئيات وُجد عنده نصوصٌ صحيحةٌ، ومقاصدٌ صحيحةٌ ونيّاتٌ صحيحةٌ!! تغيب عن الضعفاء العقول، بل عن الكَمَلِ منهم، حتى يسمعوها.

أما رَدُّه على الطائفةِ الفُلانيةِ أيها المُفَرِّطُ التائهُ، الذي لا يدري ما يقول، أفيقوم دينُ محمد بن عبد الله الذي أنزل من السماء، إلا بالظعن على هؤلاء؟ وكيف يظهر الحق إن لم يُخَذَلِ الباطل؟ لا يقول مثل هذا إلا تائهٌ، أو مُسَنِّئٌ أو حاسدٌ.

وكذا القسمةُ للرجل، في ذلك اجتهداً صحيحٌ، ونظرٌ إلى مصالح تترتب على إعطاء قوم دون قوم، كما خَصَّ الرسول ﷺ الطُّلُقَاءَ بمئة من الإبل، وحرَّمَ الأنصار! حتى قال منهم أحداً منهم شيئاً في ذلك، لا ذووا أحلامهم، وفيها قام ذو الخُوَيْصرة فقال ما قال!.

وأما دخوله على الأمراء، فلو لم يكن، كيف كان شَمُّ الأمراء رائحةَ الدين العتيق الخالص؟ ولو فَشَّشَ المفتش، لوجد هذه الكيفية التي عندهم من رائحة الدين، ومعرفة المنافقين، إنما اقتبسوها من صاحبكم.

وأما تقريبُ زيدٍ وعمرو، فلمصلحة باطنة، لو فَشَّشَ عنها مع الإنصاف وجد هنالك ما يرى أن ذلك من المصلحة، ونفرض أنك مصيب في ذلك، إذ لا نعتقد العصمة إلا في الأنبياء، والخطأ جارٍ على غيرهم، أَيْذَكُرُ مثلُ هذا الخطأ في مقابلة ما تقدم من الأمور العظام الجسام؟

لا يذكر مثلَ هذا في كُرَّاسة ويُعدِّدُها، ثم يدور بها على واحد واحد، كأنه يقول شيئاً، إلا رجلٌ نسأل الله العافية في عقله، وخاتمة الخير على عمله، وأن يردّه عن انحرافه إلى نهج الصواب، بحيث لا يبقى مَعشَرُهُ يَعِيَهُ بعلمه، وتصنيفه، من أولي العقول والأحلام.

ونستغفرُ الله العظيم، من الخطأ والزلل، في القول والعمل، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم^(١).

* * *

(١) قال الحافظ ابن عبد الهادي بعد أن أورد هذه الرسالة، في «العقود الدرّية» (ص/٣٢١): «هذا آخر الرسالة التي سماها مؤلفها «التذكرة والاعتبار والانتصار للابرار»، فرحم الله من قام بحمل الإصرار، وتصحيح التوبة بالاستغفار إلى عالم الأسرار، نفع الله من وقف عليها، وأصغى إلى مايفتح منها ولديها. آمين».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرد به وذلك في تكسير الاحجار^(١)

لخادم شيخ الاسلام: إبراهيم بن أحمد الغياني

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]. ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وصلى الله على محمد عبده ورسوله، خير الخلق وأكرمهم على الله المصطفى المأمون، صلاة دائمة مادامت الأيام والدهور والسنون.

أما بعد؛ فهذا فصل فيما قام به الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية - رضي الله عنه - وتفرد به دون غيره من العلماء - رضي الله عنهم - الذين كانوا قبله وفي زمانه، وذلك بتكسير الأحجار التي كان الناس يزورونها، ويتبركون بها، ويقبلونها، وينذرون لها النذور، ويلطخونها بالخلوق، ويطلبون عندها قضاء

(١) من «الكواكب الدراري» المجلد ٤١ / ق ١٢٥ - ١٣٠ (مخطوطة الظاهرية ٥٨٧). ونشره محب الدين الخطيب في القاهرة سنة ١٣٦٨ بعنوان «ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية».

حاجاتهم، ويعتقدون أنَّ فيها - أولها - سرًّا، وأن من تعرَّض لها بسوء - بقالٍ أو فعالٍ - أصابته في نفسه آفة من الآفات!!

فشرع الشيخ يعيب تلك الأحجار، وينهى الناس عن إتيانها، أو أن يفعل عندها شيء مما ذُكر، أو أن يُحسنَ بها الظن.

فقال له بعض الناس: إنه قد جاء حديث أن أم سلمة سمعت النبي ﷺ يقرأ بالتين والزيتون، فأخذت تينة وزيتونة وربطت عليهما وعلقتهما حرزاً. وبقيت كلما جاء إليها أحد به مرض تحطه عليه فيبرأ من ذلك المرض. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: سمعتك تقرأ بالتين والزيتون، فقلتُ: ما قرأ رسول الله ﷺ بذلك إلا وفيه سرٌّ أو منفعة، فعملت تينة وزيتونة لي حرزاً، وأحسنْتُ ظني به، ونفعت بذلك الناس. فقال لها النبي ﷺ «لو أحسن أحدكم ظنَّه بحجرٍ لنفعه الله به».

فقال الشيخ: هذا الحديث كله - من أوله إلى آخره - كذب مختلق، وإفك مفترى على رسول الله ﷺ وعلى أم سلمة - رضي الله عنها - . والذي صحَّ وثبت عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عزَّ وجل أنه قال: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني...» الحديث. و«أنا عند ظن عبدي بي، فليظنَّ بي خيراً». وقال: «لا يموتنَّ أحدكم إلا ويحسن ظنَّه بالله الذي تفرَّد بخلقه، وأوجده من العدم ولم يكن شيئاً، وبيده ضرُّه ونفعه»، كما قال إمامنا وقدوتنا إبراهيم خليل الرحمن: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ لِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٢]. فهذا الرب العظيم الكبير المتعال، الذي بيده ملكوت كل شيء، يُحسن العبد به ظنه، ما يحسن ظنه بالأحجار، فإن

الكفار أحسنوا ظنهم بالأحجار فأدخلتهم النار. وقد قال الله تعالى في الأحجار وفيمن أحسنوا بها الظنَّ حتى عبدوها من دونه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]. وقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وقد أمر النبي ﷺ أن يُستجمر من البول بثلاثة أحجار، ما قال أحسنوا ظنكم بها، بل قال: استجمروا بها من البول. وقد كسر النبي ﷺ الأحجار التي أحسن بها الظن حتى عُبدت حول البيت وحرَّقها بالنار.

فبلغ الشيخ أن جميع ما ذكر من البدع يتعمدها الناس عند العمود المخلَّق الذي داخل (الباب الصغير) الذي عند (درب النافدانين). فشدَّ عليه وقام واستخار الله في الخروج إلى كسره فحدَّثني أخوه الشيخ الإمام القدوة شرف الدين عبدالله ابن تيمية قال: فخرجنا لكسره، فسمع الناس أن الشيخ يخرج لكسر العمود المخلَّق؛ فاجتمع معنا خلق كثير. قال: فلما خرجنا نحوه، وشاع في البلدان: ابنُ تيمية طالعٌ ليكسر العمود المخلَّق، صاح الشيطانُ في البلد، وضجَّت الناس بأقوال مختلفة، هذا يقول: «ما بقيت عين الفيحة تطلع»، وهذا يقول: «ما ينزل المطر، ولا يثمر شجر»، وهذا يقول: «ما بقي ابن تيمية يفلح بعد أن تعرَّض لهذا»، وكل من يقول شيئاً غير هذا.

قال الشيخ شرف الدين: فما وصلنا إلى عنده إلا وقد رجع عنا غالب الناس، خشية أن ينالهم منه في أنفسهم آفة من الآفات، أو ينقطع بسبب كسره بعض الخيرات.

قال: فتقدَّمنا إليه، وصحبنا على الحجَّارين: «دونكم هذا الصنم»

فما جَسَرَ أحد منهم يتقدم إليه. قال: فأخذت أنا والشيخ المعاول منهم، وضربنا فيه، وقلنا: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. وقلنا: إن أصاب أحداً منه شيء نكون نحن فداه. وتابعنا الناس فيه بالضرب حتى كسرناه، فوجدنا خلفه صنمين حجارة مجسدة مصورة، طول كل صنم نحو شبر ونصف.

وقال الشيخ شرف الدين: قال الشيخ النووي: «اللهم أقم لدينك رجلاً يكسر العمود المخلوق، ويخرب القبر الذي في جيرون» فهذا من كرامات الشيخ محيي الدين (أي النووي). فكسرناه والله الحمد، وما أصاب الناس من ذلك إلا الخير. والحمد لله وحده.

فصل

قد بلغ الشيخ أن في المسجد الذي خلف (قبة اللحم) في (العلايين) ويُعرف باسم (مسجد الكف) بلاطة سوداء، وقد شاع بين الناس أن إنساناً من قديم الزمان رأى في منامه النبي ﷺ وحدثه بأمور فقال: يا رسول الله إن حدثت الناس بالذي حدثتني لا يصدقونني، فقال له: هذا كفي اليمين في هذه البلاطة دليلاً على صدقك. وحط كفه فيها، فغاص، فبقي فيها موضع كف وخمس أصابع، وانعكف الناس عليه - كما ذكر - بالندر له والتبرك به، والاستسقاء.

فبلغ ذلك الشيخ، فطلع إليها ومعه جماعته وأخوه الشيخ شرف الدين فسمعته غير مرة يحدث يقول: لما نظرت إليها قلت: هذا الكف منحوت، مصنوع، مكذوب. فإن النحات جاء يعمل كف يمين فعمله كف شمال. فبقي معكوساً يجيء الخنصر موضع الإبهام، والإبهام موضع الخنصر. فكسرها، وما بقي لها ذكر ولا أثر. والله الحمد.

فصل

وكانت صخرة كبيرة عظيمة في وسط محراب (مسجد النارنج) فيتوجه المصلي إليه ضرورة، وعليها ستر أسود مرخي ودرازين حولها. وقد استفاض بين الناس أنه حُطَّ عليها رأس الحسين - عليه السلام - فانشقت له، وأنها متى انشقت كلها قامت القيامة. ولها في كل سنة - يوم عاشوراء - عيدٌ يجتمع فيه الناس، وييقون في ذلك اليوم وفي غيره من الأيام يتبركون بها ويقبلونها، وينذرون لها النذور، ويلطخونها بالخلوق، ويدعون عندها.

فبلغ ذلك الشيخ؛ فطلب الحجارين من القلعة، وخرج إليها ومعه شرف الدين في جماعة كبيرة. فأول شيء عمله قلع الدرازين من حولها، وبتش الستر عنها ورماء. وصاح على الحجارين: «دّة عليه!»^(١)، فتأخروا عنها، فتقدم هو وأخوه شرف الدين وضربها بنعله وقال: «إن أصاب أحدًا منها شيء أصابنا نحن قبله». فتقدم إليها عند ذلك الحجارون، وحفروا عليها. فإذا هي رأس عمود كبير قد حفر له ونزل في ذلك المكان، فكسروه، وحملوه على أربع عشرة بهيمة وأحرقوه كلسًا.

قال الشيخ: بعض الرافضة عمل هذا في هذا المكان، ولوح بين الناس أن رأس الحسين حطوه على هذا الحجر، حتى يضل به جهال الناس. قال: والرافضة من عاداتهم أنهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد ويعظمونها بخلاف المساجد، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]. ولم يقل: «مشاهد

(١) كذا في الأصل.

الله». وقال ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨]. ما قال: «وأن المشاهد لله». وقال النبي ﷺ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمِفْخَصِ قِطَاةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» ما قال: مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَشْهَدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ.

وتكلم وهو جالس في هذا المكان، وقال من هذا الجنس شيئًا كثيرًا.

وقال: زيارة القبور زيارة شرعية مأمور بها، وزيارة بدعية منهي عنها، فالزيارة الشرعية هي التي أمر بها النبي ﷺ، فإنه زار قبر أمه فقال: «استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي. فإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكركم الآخرة»، فالكافر يزار قبره ليتذكر به الآخرة، ولا يُدعى له ولا يستغفر له، بخلاف المؤمن فإنه يزار قبره ليتذكر به الآخرة، ويدعى له، ويستغفر له، ويترحم عليه، ويسأل الله له من كل خير، فإن زيارة قبره من جنس الصلاة عليه.

وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله منا ومنكم المستقدمين والمستأخرين، ونسأل الله لنا ولكم العافية. اللهم لا تحرمنّا أجرهم، ولا تفتنّا بعدهم، واغفر لنا ولهم». فهذا كله حق للمؤمن، وقد قال ﷺ: «أكثرُوا من الصلاة عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم عليّ معروضة عليّ». قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أُرمت؟ فقال: تقولون إني بليت؟ قالوا: نعم. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء». وقد روى ابن عبد البر حديثًا وصححه أن النبي ﷺ قال: «مامن رجل مؤمن يمرّ بقبر رجل مؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا ردّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام».

وأما الزيارة البدعية؛ فهي أن تُزار القبور للتبرك بها، أو الدعاء عندها، أو الاستغاثة بأهلها، أو النذر لها - مثل زيت أو كسوة أو شمع أو دراهم - أو يشعلون عندها السُّرُج، أو يصلون عندها، فإن النبي ﷺ نهى عن جميع ذلك فقال: «لعن الله زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» وقال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك» وقال: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا: قالت عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً». فهذه الزيارة على هذا الوجه بدعية منهية عنها.

فصل

وكان تحت الطاحون التي قبلي (مسجد النارنج) في الماء عند فراش الطاحون صنم حجر يُعَظَّم ويستسقى به، فكان بعض الناس يكون عنده مولود صغير وقد طال به المرض، فيأتون به حتى يغطسوه عند الصنم في الماء ويشفى، ويحطون عند الصنم خبزاً وحلوى وغير ذلك. فخرج إليه الشيخ شرف الدين أخو الشيخ تقي الدين فكسره وخلّص أولاد الناس منه.

وكان عمود في حارة الفرما يقال له: (العمود المخلوق) وكان حاله كما ذكر، فكسره وأراح الناس منه.

فصل

وكان مع أناس حجارين حجر رخام وقد قمّعوه بقصدير، وفي وسط الحجر أثر قدم، دائرين به في البلاد، ويدخلون به على بيوت الكبراء والسعداء وفي الأسواق، ويقولون لهم: هذا موضع قدم نبيكم،

فيبقى الناس يقبلونه ويتبركون به ويعطونهم الأموال لأجل ذلك، فأمسكهم الشيخ، فكسر ذلك الحجر، وتهارب أصحابه من قدام الشيخ مخافة أن يضرهم.

فصل

وجاء إنسان إلى الشيخ يوماً بخبزٍ يابس فقال: «يا سيدي قد جِبتُ هذا من صماط الخليل على اسمك». فقال له: «مالي به حاجة. أنا حاجتي إلى الدين الذي كان عليه الخليل، ومتابعة ملة الخليل الذي أمر الله أمة محمد بمتابعتها. مالي حاجة بهذا الخبز، والخليل ما عمل هذا، ولا أمر بهذا العَدَس، ولا كان يطعم ويضيف غير اللحم. قال الله تعالى ﴿فَرَأَى إِلَٰهَ آهْلِيهِ فَجَاءَ يُعَٰجِلُ سَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٦]. وأما العَدَس فإنه شهوة اليهود، وقد سئل عبدالله بن المبارك رضي الله عنه ف قيل له: جاء حديث: أن العَدَس قدَّسه سبعون نبياً^(١)، فقال: «لا، ولا نصف نبي».

فصل

ولما كان الشيخ في ديار مصر كان ينهى عن إتيان المشاهد وتعظيمها، ويأمر بإتيان المساجد وتعظيمها. وأعظم المشاهد بالقاهرة مشهد الحسين فإن أمره عظيم، فإن جميع ما ذكر من البدع والضلال يقام عنده وأضعاف ذلك، حتى إذا غلَّظ أحدُ اليمين على الحالف يحلفه عند مشهد الحسين، فكان الشيخ ينهاهم عن ذلك وينكره بجنابه وحاله، وقال: إن السلف ومن اتبعهم كانوا إذا حلفوا أحدًا وغلَّظوا عليه اليمين يحلفونه بين المحراب والمنبر، ولم يحلفوه عند قبور أو أثر.

(١) موضوع، انظر «المقاصد الحسنة»: (ص/٤٨٥) و«الفوائد المجموعة»: (ص/١٦١).

قال: وأما الحسين - رضي الله عنه وعن سلفه ولعن قاتله - فما حُمِلَ رأسه إلى القاهرة، فإنَّ القاهرة بناها الملك المعز في أوائل المائة الرابعة، والحسين - عليه السلام - قتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، ودفنت جثة الحسين حيث قتل. وقد روى البخاري في «تاريخه»: أن رأس الحسين حُمِلَ إلى المدينة ودفن بها في البقيع عند قبر أمه فاطمة - رضي الله عنها - . وبعض العلماء يقول: إنه حُمِلَ إلى دمشق ودفن بها. فبين مقتل الحسين وبين بناء القاهرة نحو مئتين وخمسين سنة. فإنه من المتواتر أن القاهرة بُنيت بعد بغداد، وبعد البصرة والكوفة وواسط، فأين هذا من هذا؟!

وقد ذكر صاحب الكتاب الذي سماه: (العَلَمُ المشهور، في فضل الأيام والشهور)^(١) وصنف هذا الكتاب للملك الكامل - رحمه الله -، ذكر فيه أن هذا المشهد بناه بنو عبيد الملاحدة الزنادقة ملوك مصر في أواخر سنة خمسين وخمس مئة، وقَوَّضَ الله دولة بني عُبيد بعد بنائهم لهذا المشهد بنحو أربع عشرة سنة. وهذا مشهد الكذب والمين، ماهو مشهد الحسين.

وكلام العلماء في ذمّ بني عبيد القَدَّاح مشهور، وفي ذم مذهبهم وما كانوا عليه. قال الشيخ أبو حامد الغزالي: «ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض».

وكان الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق رحمه الله في زمن بني عُبيد في ديار مصر، وكان يفتي أنه لا تحل ذبائح بني عبيد، ولا نكاحهم،

(١) هو ابن دحية الكلبي ت (٦٤٣)، والكتاب لا يزال مخطوطاً، ومنه عدة نُسخ.

ولا يصلى خلفهم . وكان يغلظ في أمرهم .

وبلغ نور الدين بن زنكي حالهم وماهم عليه ، فسأل العلماء في قتالهم وأخذ البلاد منهم ، فأفتاه العلماء بذلك ، وكتبت بذلك محاضر ، وأثبتت على الحكام . فسير صلاح الدين ومعه جيش عظيم فغزاهم وفتح البلاد منهم .

وبعض الجهال يظن أن بني عبيد كانوا شرفاء من ذرية فاطمة وأنهم كانوا صالحين ، وإنما كانوا زنادقة ملاحدة قرامطة باطنية وإسماعيلية ونصيرية ، ومن عندهم طلع الرفض إلى الشام ، وإلا قبل ذلك ما كان يعرف الرفض في الشام . وبقاياهم في ديار مصر إلى اليوم .

وكانت قصورهم بين القصرين . وكانوا ينادون «كل من لعن وسب ، فله دينار وإردب» . فبينما إنسان منهم يلعن عائشة ، وإنسان مغربي أنكر عليه ، فتحاملوا إلى عند الحاكم ، فقال له الحاكم : «لم أنكرت عليه!» قال له المغربي : «إن امرأة جدي اسمها عائشة ، وقد ربنتي وأحسنت إليّ ، فلما سمعته يلعنها ما هان عليّ» . فقال له الحاكم : «ذا ما يلعن امرأة جدك أنت ، ذا يلعن امرأة جدي أنا» . فقال له المغربي : «منك إليه!» .

ورأيت رجلاً من أهل القاهرة جاء إلى الشيخ بالقاهرة بعد مجيئه من إسكندرية فقال له : «إن أبي حدثني عن أبيه أن هذا المشهد بناه بنو عبيد ، وأن رأس الحسين ماجء إلى ديار مصر ، لكن جرت لي واقعة . أني وأنا صغير كنت أجري فوق سطح هذا المشهد ، وماله عندي حُرمة بما حدثني أبي عنه ، فبينما أنا نائم ليلة وأنا أرى عجوزاً زرقاء العينين شمطاء الرأس ، ومعها قيد ، فحطته في رجلي وقالت : تتوب ولا تعود تجري فوق سطح المشهد؟ فقلت : التوبة ، التوبة ، مابقيت أعود . فقعدت وأنا مرعوب» .

فقال الشيخ: «وهذا أيضًا حجة لي على صحة ما أقوله، فإن هذه شيطانة هذا الموضع، وهي التي تزينه للناس. وكذلك لما بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد - رضي الله عنه - بقطع (العزى) فقال له: لما قطعت العزى أي شيء رأيت خرج؟ فقال: خَرَجْتُ منها عجوز شمطاء هاربة نحو اليمن، فقال النبي ﷺ: «تلك شيطانة العزى». وسمعت الشيخ غير مرة يحكيها للناس.

فصل

في كشف حال بني عبيد

سمعت الشيخ يحكي غير مرة في مجالسه يقول: زرت يومًا المارستان المنصوري، فجاء إليّ أناس فقالوا لي: تصدّق وزر المارستان العتيق: فرحت معهم أزوره، فقالوا لي: ألا تزور قبور الخلفاء؟ - يعنون بني عبيد - فرحت معهم إلى قبورهم، فوجدت قبورهم إلى القطب الشمالي. فتكلم عليهم وعلى مذاهبهم فقال الحاضرون: نحن نعتقد أن هؤلاء قوم صالحون، لأننا إذا مغلت عندنا الخيل^(١) نجىء بها إلى قبور هؤلاء فتبرأ، فلولا أنهم صالحون ما برأت الدواب من المغل عند قبورهم. فقلت: وهو أيضًا حجة على صحة ما أقوله فيهم، فإن المغل من برّد يحصل للدواب، فإذا جيء بها إلى قبور اليهود والنصارى في البُشام، وإلى قبور المنافقين كالقرامطة والإسماعيلية والنصيرية، فإن الدواب إذا سمعت أصوات المعدّبين في قبورهم تفرع فيحصل لها حرارة تذهب بالمغل الذي حصل لها.

(١) المغل: مغص يأخذ الدواب.

وكان النبي ﷺ يوماً راكباً على بغلته فحادث حتى كادت تلقيه عن ظهرها، فقالوا: ما شأنها يا رسول الله؟ فقال: إنها سمعت أصوات يهود تعذب في قبورها. وقال: إنهم ليعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم. فما يروح أصحاب الدواب بها إلى قبر الشافعي ولا إلى قبر أشهب فإن عند قبورهم تنزل الرحمة. وتكلم شيئاً كثيراً من هذا الجنس ما ينحصر، وهذا شيء منه.

فصل

ولما كان الشيخ في قاعة الترسيم دخل إلى عنده ثلاثة رهبان من الصعيد. فناظرهم وأقام عليهم الحجة بأنهم كفار وماهم على الدين الذي كان عليه إبراهيم والمسيح. فقالوا له: نحن نعمل مثل ما تعملون، أنتم تقولون بالسيدة نفيسة ونحن نقول بالسيدة مريم، وقد أجمعنا نحن وأنتم على أن المسيح ومريم أفضل من الحسين ومن نفيسة، وأنتم تستغيثون بالصالحين الذين قبلكم ونحن كذلك.

فقال لهم: وإن من فعل ذلك ففيه شبه منكم، وهذا ما هو دين إبراهيم الذي كان عليه فإن الدين الذي كان إبراهيم عليه: أن لا نعبد إلا الله وحده، لا شريك له. ولا نذل له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، ولا نشرك معه ملكاً ولا شمساً ولا قمراً ولا كوكباً، ولا نشرك معه نبياً من الأنبياء ولا صالحاً: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. وإن الأمور التي لا يقدر عليها غير الله لا تطلب من غيره مثل إنزال المطر، وإنبات النبات، وتفريج الكربات، والهدى من الضلالات، وغفران الذنوب، فإنه لا يقدر أحد من جميع الخلق على ذلك، ولا يقدر عليه إلا الله. والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يؤمن

بهم ونعظمهم ونوقرهم ونتبعهم ونصدّقهم في جميع ما جاءوا به ونطيعهم كما قال نوح وصالح وهود وشعيب: ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ [نوح: ٣]. فجعلوا العبادة والتقوى لله وحده، والطاعة لهم، فإن طاعتهم من طاعة الله. فلو كفر أحد بنبيٍّ من الأنبياء وآمن بالجميع مانفعه إيمانه حتى يؤمن بذلك النبي. وكذلك لو آمن بجميع الكتب وكذب بكتاب كان كافرًا حتّى يؤمن بذلك الكتاب وكذلك الملائكة واليوم الآخر.

فلما سمعوا ذلك منه قالوا: الدين الذي ذكرته خيرٌ من الدين الذي نحن وهؤلاء عليه. ثم انصرفوا من عنده.

فصل

لما كان الشيخ في قاعة الترسيم، وكان الشيخ العارف القدوة شمس الدين الدباهي^(١) قد طلع من الشام إلى مصر حتى يصلح بين الشيخ وبين الشيخ نصر المنبجي، فكتب ورقة فيها: «الطفيلي على الله محمد بن الدباهي يسأل من الشيخين الصالحين - شيخ المشايخ أبي الفتح نصر المنبجي وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية - أنهما يتفقان على طاعة الله ورسوله بحسب ما يمكنهما» وذكر أشياء يلتزمانها بحسب الإمكان ويتفقان عليها. وجاءت الورقة إلى الشيخ فقال: «إني أجيب إلى ذلك» فراح بها إلى الشيخ نصر فوجد عنده المشايخ التدمرة: أبا بكر والشيخ إبراهيم أولاد بروان، فقام الشيخ نصر من مجلسه وأقعد الشيخ شمس الدين فيه وعظّمه تعظيمًا كبيرًا، فأوقفه على الورقة، فقال له: «يا سيدي، ولم كتبت إلى الشيخ مثل هذه وما سُمع بعدُ مِنّا كلام

(١) محمد بن أحمد بن أبي نصر الدباهي البغدادي ت ٧١١هـ. ذيل طبقات الحنابلة: (٣٦١/٢).

كثير؟» فقال له: «اكتب أنك أجبتَ إلى ذلك» فقال: «إن كتب الشيخ كتبت» فقال له: «الله على ماتقول وكيل؟» فقال: «نعم» فسير الورقة إلى الشيخ، فكتب: «أجبت إلى ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وكتبه أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية. وجاب الرسولُ الورقةَ إليه، فقال له الشيخ شمس الدين: «اكتب مع الشيخ مثل ما قلتَ وعاهدت الله عليه». فقال: «ما بقيت أكتب شيئاً». فقال له شمس الدين «عاديتك في الله»، وكشف رأسه وقال: «ثم نبتهل، ثم نبتهل» وقام ونزل من عنده.

فسير الشيخ نصر إلى والي المدينة أن يكبس بيت ابن تيمية، ويمسك أصحابه ويحطهم في الحبس. فسير الوالي نائبه، فكبس البيت، وكان قصدهم أن يمسكوا شرف الدين أخا الشيخ، فهرَّبوه من فوق السطح، وأمسك أصحاب الشيخ وجابهم إلى الوالي، فحطهم في قاعة عند بيته، ومنعوا الناس من الدُّخول إلى عند الشيخ ثم بعد أيام عُزل الوالي. فسيب الجماعة، فتأخر عنده زين الدين أخو الشيخ، فسير إلى القاضي ابن مخلوف برسالة الشيخ نصر، فأمسك زين الدين وحبسه عند الشيخ في قاعة الترسيم. وفي تلك الأيام سرق مملوك زين الدين له قماش نفقة ومروزي وغيره وسافر به، ومرض زين الدين، فطلب الحمام فراح السجَّان وخادم الشيخ - إبراهيم بن أحمد الغياني - إلى القاضي، فقال له خادم الشيخ: هذا إن كان في حبسك؛ فاكتب له ورقة اعتقال، وإن كان ماهو في حبسك فلم ترسم عليه؟ ماهو في حبسي أنا، بلغني أنه يطلب يخدم أخاه، ما استحلت منعه. فقال له: أخوه رجل تاجر يريد وحده عشرة تخدمه، والشيخ أنا أخدمه، وقد قال نائب السلطان وغيره: إنهم ما رسموا بحبس زين الدين، والشيخ يفتي بأن

القماش الذي سرق لزين الدين يلزمك، ويقول السجّان: ماهو في حبسي، ولا نخليه يطلع. فقال له: إذا نزلت في بيتي غداً تعال إلى عندي مع السجّان.

قال إبراهيم: ثم حدثنا الشيخ بذلك فقال لزين الدين: قم اطلع، هذا القاضي قد تبرأ من قضيتك. فقال السجّان: حتى يروح إلى القاضي مثلما رأيتم. فقال الشيخ: إن الظلمة وأعوان الظلمة يحطون يوم القيامة في توابيت من نار. ثم يقذفون في الجحيم قال الله: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣]. فقال: أنا ما أجسر أقول له هذا. ثم إنه رسم بأن يخرج، فقال الشيخ: مابقي يخرج. فأرسل القاضي ابنه محب الدين يسأله مراراً متعددة حتى خرج.

وفي تلك الأيام جاء المشايخ التدامرة - إبراهيم وأبو بكر - إلى الشيخ وقالوا له: «قد اجتمعنا بهؤلاء القائمين عليك، وقالوا قد بلشنا به، والناس تلعننا بسببه، وقد قلنا: إنا قد أخذناه بحكم الشرع في الظاهر، فليبصر شيئاً لا يكون علينا ولا عليه فيه ردٌّ فيكتبه لنا ونتفق نحن وهو عليه». فلما قالوا له ذلك قال لهم: «أنا منشرح الصدر، وما عندي قلق، وهم برّا الحبس فلم يقلقون؟» وكتب: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه لا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم». رواه مسلم. فخرجوا من عنده على ذلك. ثم إنهم بعد أيام جاءوا إلى عنده وقالوا له: قد وقفوا على الورقة وقالوا: «هذا رجل مخجاج خصم، وماله قلب يفزع من الملوك، وقد اجتمع بغازان ملك التتر وكبار دولته وما خافهم، ومتى اجتمع بالسلطان والدولة وقرأ

عليهم كتاب «الفصوص» الذي كانت الفتنة بسببه قتلونا أو قطعونا من المناصب، ويقال عنا: إنه ما خرج من الحبس حتى دخلتم تحت ما شرط عليكم. ابعثوا أنتم اشرطوا عليه ما أردتم، فإن لم يدخل تحته تكونوا قد عذرت فيه.

فلما أخبره بذلك المشايخ التدامة قالوا: يا سيدي قد حملونا كلاماً نقوله لك: وحلفونا أنه ما يطلع عليه غيرنا: أن تنزل لهم عن مسألة العرش ومسألة القرآن ونأخذ خطك بذلك، نوقف عليه السلطان ونقول له: هذا الذي حبسنا ابن تيمية عليه قد رجع عنه ونقطع نحن الورقة.

فقال لهم: تدعونني أن أكتب بخطي أنه ليس فوق العرش إله يعبد، ولا في المصاحف قرآن، ولا لله في الأرض كلام؟ ودق بعمامته الأرض وقام واقفا ورفع برأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أشهدك على أنهم يدعونني أن أكفر بك وبكتبك ورسلك، وأن هذا الشيء ما أعمله. اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين. نفذت فيهم سهام الله. والله لتقلبن دولة ببيرس أسفلها أعلاها. ويكون أعز من فيها أذل من فيها ولينتقم الله من الكبير والصغير، وكم أجد عليهم وما أدعو عليهم». فقلت أنا وشرف الدين بن سعد الدين: شيخ الإسلام الأنصاري عريض على السيف أربع عشرة مرة لا يقال له: «وافقنا» إلا أسكت ويقول: أقتل ولا يسعني أن أسكت عمن خالفني.

وكان الشيخ سكت عنهم في دمشق، وما كان جرى شيء من هذا، وهم انفلتوا فينا بالسب القبيح والشتم، وما عليه أضر من أصحابه. ثم خرجوا من عنده.

وبعد ذلك جاء إلى عند الشيخ رجل يقال له الشيخ علي الفراء له

منامات خوارق فقال: رأيت في منامي كأن البحر قد زاد حتى دخل الماء في جميع حارات المدينة، وهو أسود مثل القطران وهو يغلي مثل القدر على النار، والشيخ راكب سفينة وقد ركب معه جماعة يسيرة وهو يقول: النجاء النجاء. وقد طلعت به من باب سعادة حتى جاءت إلى باب اللوق، وإذا بالسلطان سنقر راكب فيلاً وخلفه راكب القاضي ابن مخلوف والشيخ نصر، وأنا أقول: يا سيدي كيف نعمل حتى نخرج من هذا الكدر الذي نحن فيه إلى البحر الصافي وهذا الفيل في طريقنا؟ وأنت تقرأ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]. إلى آخرها، وما أصبت السفينة إلا أنها قد صارت في البحر الكبير.

ثم بعد أيام جاء عند الشيخ شمس الدين بن سعد الدين الحراني وأخبره أنهم يسفرونه إلى الإسكندرية. وجاءت المشايخ التدامرة وأخبروه بذلك، وقالوا له: كل هذا يعملونه حتى توافقهم، وهم عاملون على قتلك، أو نفيك. أو حبسك، فقال لهم: «أنا إن قتلت كانت لي شهادة، وإن نفوني كانت لي هجرة»، ولو نفوني إلى قبرص لدعوت أهلها إلى الله وأجابوني، وإن حبسوني كان لي معبداً، وأنا مثل الغنمة كيفما تقلبت تقلبت على صوف، فيئسوا منه وانصرفوا.

فلما كان بعدُ في صلاة المغرب جاء نائب والي المدينة بدر الدين المحب بن عماد الدين بن العفيف ومعه جماعة فقال: يا سيدي باسم الله. فقال له الشيخ: إلى أين؟ قال: إلى الإسكندرية قد رسم السلطان بذلك الساعة. فقال له: لو كنتم أخبرتموني بذلك حتى تجهزت للسفر وأخذت معي نفقة. فقال له: قد أمرت لك ولأصحابك ما يكفيك. فقال له: أنا الليلة ما أسافر. فقال له: ما يمكنني أن أخالف مرسوم السلطان. فقال له معك مرسوم بأن تُسَخِّطَنِي؟ فقال: لا. وقام خرج من

عنده . فغلق السجان باب الحبس ، وراح .

فلما كان ثاني يوم ، جاء عبدالكريم ابن أخت الشيخ نصر وحلف أن الشيخ نصر ماعنده علم من هذا ، وانصرف .

فلما كان بعد صلاة العصر وقفت أبكي . فقال لي الشيخ : لاتبك ، ما بقيت هذه المحنة تبطيء ، فقلت له أفتح لك في المصحف ؟ فقال : افتح . فطلع قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [١٢٧] إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل : ١٢٧ - ١٢٨] ، فقال : افتح في موضع آخر ، فطلع قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل : ٥٠] . إلى آخرها ، فقال : افتح آخر ، فطلع قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ... ﴾ [الفتح : ٢٩] . إلى آخرها .

فلما صلينا المغرب بقي يدعو بدعاء الكرب ، وأنزل الله عليه من النور والبهاء والحال شيئاً عظيماً . وأشرت إلى المُحْسِنِينَ ، كأن وجهه شمع يجلوه مثل العروس ، حتى إذا راق الليل ، جاء نائب الوالي فقال : «باسم الله» ، فبقوا يودّعون ويبيكون ويدعون عليهم بدعاء مختلف ، أقله أن يسلبهم الله نعمته .

وركب على باب الحبس ، فقال له إنسان : «يا سيدي هذا مقام الصبر» . فقال له : «بل هذا مقام الحمد والشكر ، والله إنه نازل على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قُسم على أهل الشام ومصر لفضل عنهم ، ولو أن معي في هذا الموضع ذهباً وأنفقته ما أديت عشر هذه النعمة التي أنا فيها» .

وخرج من باب سعادة ، وركبنا في البحر إلى ذلك البر فَلَقِينَا أَمِيرٌ

يقال له بدر الدين طبر أمير عَشْرَة مقدّم مائة، فمنعنا من السفر مع الشيخ وقال: ما معي مرسوم أن يجيء أحد مع الشيخ فقال الشيخ: «يا إبراهيم انزل إلى الشام، وقل لأصحابنا: وحق القرآن - ثلاث مرات - مابقيت هذه المحنة تبطىء، وتنفرج قريبًا فوق ما في النفوس، ويقلب الله مملكة بيبرس أسفلها أعلاها، وليجعلنّ الله أعز من فيها أذل من فيها».

فلما رجعنا بعد أن ودّعناه انكسر في تلك الليلة البحر، ونقص الماء، وغلا الخبز وغيره، ومابقي شيءٌ يلتقي، وبقيت الناس تلعنهم ويقولون: غرّقوا ابن تيمية في البحر، مابقي يطلع، فطلع جماعة من أكابر إسكندرية وصلحائها التقوا الشيخ، وقعد في البرج الأخضر حتى طلع السلطان الناصر من الكرك، وهرب بيبرس من السلطنة وسير بطلبه مكرّمًا.

* * *

رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مري الحنبلي
(بعد ٧٢٨) إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الإخوان:

لاتنسوا تقارير شيخنا الحاذق الناقد الصادق - قدس الله روحه -
لمعاني قوله تبارك وتعالى في بيان الحكم الأربع التي أودعها الله
سبحانه في ضمن انكسار عسكر الرسول في يوم أحد، وهي قوله
تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١)
وَلْيُمَخِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيُمَحِّقَ الْكَافِرِينَ^(٢).

فلا تهملوا أمر الفكرة الصالحة، في هذه المعاني الشريفة وغيرها،
ولا تجزعوا لما حصل فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وهو المتكفل سبحانه
بنصر الدين وأهله، والمختبر لعباده فيما يبتليهم به، والخير بجملة
مصالحهم، والرؤوف بهم، والهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم، ولا
يهلك على الله إلا هالك، والسعيد من قام بما عليه إلى وفاته، ومن
أراد عظيم الأمر التام، ونصيحة الأنام، ونشر علم هذا الإمام، الذي

(١) نشرها محمد حامد الفقي في «مجموعة رسائل علمية» (القاهرة ١٣٦٨هـ، ص ١٤٧ -
١٥٤)، بالاعتماد على نسخة بخط الشيخ جمال الدين القاسمي منقولة من نسخة
منقولة من خط المؤلف.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٠ - ١٤١.

اختطفه من بيننا محتوم الجِمام، ويخشى دُروسَ كثيرٍ من علومه المتفرقة الفائقة، مع تكرّر مرور اللَّيالي والأيام، على جليتها من غيرِ تصرّفٍ فيها ولا اختصار، ولو وجدَ فيها كثيرًا من التكرار، ومقابلتها وتكثير النّسخ بها وإشاعتها، وجمع النظائر والأشباه في مكانٍ واحدٍ، واغتنام حياةٍ من بقي من أكابر الإخوان، فكأننا جميعًا بِكمالِ القوّتِ وقد حان، ويكفيها ما عندنا على ما فرطنا من عظيم الأسفِ، فلوّجِه الله معشرَ الإخوان لا تعاملوا الوقت الحاضر بما عاملتم به الوقت الذي قد سلف فإن حياته رحمه الله ورضي عنه كانت مأمولةً لاستدراك الفارطات الفائتات، وتكميل الغايات والنهايات، فاغتنموا تحصيل كلّ مهمةٍ في وقتها بلا كسل ولا مللٍ، ولا تشاغِلِ ولا بخل. لأن هذا المهم الكبير أحقُّ شيء يُبذل في تحصيله المال الكثير، وقد علم مضرة التعليل والتسويق وكون ذلك من أكبر القواطع عن مصالح الدنيا والآخرة.

فاحتفظوا بالشيخ أبي عبدالله^(١) - أيده الله - وبما عنده من الذخائر والنفائس، وأقيموا لهذا المهم الجليل بأكثر مما تقدرون عليه ولو تألّمتم أحيانًا من مطالبته؛ لأنه قد بقي في فنه فريدًا، ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الإطلاق، وكل أحوال الوجود لا بد فيها من العوارض والأنكاد، فاحتسبوا مساعدته عند الله تعالى وانهضوا بمجموع كلفته فإن الشدائد تزول، والخيرات تغتنم، فاكتبوا ما عنده وليكتب ما عندكم، وأنا أستودع الله ما عنده، وأوصيه بالصبر أيضًا وبمعاملة الله

(١) علق عليه القاسمي بقوله: «يعني ابن القيم أجلّ تلامذة شيخ الإسلام» والصواب أنه أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن رُشَيْق المالكي (ت ٧٤٩هـ)، ناسخ مؤلفات شيخ الإسلام وصاحب كتاب: «مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية» المنسوب خطأ لابن القيم، انظر: المقدمة: (ص/٨ - ١٥).

سبحانه فيما هو فيه، وإن قصر الإخوان في حقه^(١)، وليطلب نصيبه من الله تعالى متكلماً عليه في رزقه المضمون، ومُجَمَّلاً في الطلب، لأن ما قسم لأبد أن يكون، وإنما أحث همكم الصالحة على تحصيل كراريس «الرد على عقائد الفلاسفة» لأنه ليس في الوجود بهذا المؤلف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي وكانت في الخريستان الشمالي من مدرسة شيخنا، وأخبرني الشيخ شرف الدين^(٢) - رحمه الله تعالى - أنه أودع المجموع في مكان حريز، وقد شح عليّ بإفناذ هذه الكراريس وقت الذهاب من الشام، ولا قوة إلا بالله، والكراس الرابع منها أخذه أبو عبدالله من يدي وهو عنده، ونسخة الأصل التي بخط الشيخ هي في القطع في الكبير، وكانت هناك أيضاً، وقد بقي من آخر نسختي أقل من ورقة، فأوصلوا ذلك إلى أبي عبدالله، ليُكمل النسخة إلى عند قوله: «فهذا باب، وذاك باب، والله أعلم بالصواب».

وللطوسي نسخة بخط كَيْسٍ، وكملوها، لأنه مؤلف لا نظير له، ولا يكسر الفلاسفة مثله. ومن الله نسأل المعونة على جمع شمل هذه المصالح الجليلة بعد شتاتها، ونعوذ بالله من عوارض القواطع وآفاتها، لأن القَوْتَ صعب، وغائلة التفريط رديّة، وانتهاز الفرص من أهم الأمور وأجمعها لمصالح الدنيا والآخرة، وما يعقلها إلا العالمون،

(١) توفي ابن رشيقي وبقي عليه دين (كما في البداية والنهاية ٢٢٩/١٤). وهذا يدل على تقصير الإخوان في حقه، وأنه كان يعاني من شظف العيش ومرارة الحياة بسبب قلة المال لديه. ولذا حثَّ الشيخ ابن مري زملاءه على مساعدته.

(٢) الشيخ شرف الدين هو أخو الشيخ ابن تيمية - عبدالله بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني. (ت ٧٢٧هـ). شذرات الذهب (٧٦/٦ - ٧٧).

وسيندم المفرطون في استدراك بقايا هذه الأمور الكاملة والمقصرون كما ندم المتخيلون بطول حياة الشيخ والمغترون، وهذه الأمور قد أشرت إليها في هذه الأوراق الخفيفة هي أعلى أبواب النصيحة وأتمها فيما أعلم، لأن الذاهب مضي، والوقت سيف منتضى، وكل من ذهب بعده من أكابر الإخوان ما عنه عوض، والدهر في إدبار، والشروع في زيادة، وإذا جمعت هذه المؤلفات العزيزة الكثيرة، ونقل من المسوّدات ما لم يُنْقَلْ، وقُبِلَ رأيي أبي عبدالله في ذلك كله؛ لأنه على بصيرة من أمره، وهو أخبر الجماعة بمظان المصالح المفردة التي قد انقطعت مادتها، وقوبل كل ما يكتب مع أصلح الجماعة، أو على نسخة الأصل، وروجع شيخنا الحافظ جمال الدين^(١) الذي هو بقية الخير لثقتة وخبرته وشفقته وتحرقه على ظهور هذه المواد الصالحة في الوجود، ولسعة علمه وإحاطته بكثير من مقاصد شيخنا المؤلف، وروجع الشيخان الصالحان، الفاضلان المحققان: شرف الدين^(٢)، وشمس الدين بن أبي بكر^(٣) فإنهما أحذق الجماعة على الإطلاق في المناهج العقلية وغيرها، وأذكرهم للمباحث الأصولية فيما يشته من المقاصد خوفاً من التصحيف وتغيير بعض المعاني، وروجع غيرهم من أكابر الجماعة أيضاً، كان في ذلك خير كثير، واستدراك كبير، إن شاء الله تعالى.

والشيخ أبو عبدالله سلمه الله، فهو بلا تردد واسطة نظام هذا الأمر العظيم فأعدوه وأزيلوا ضرورته، وأجمعوا همته، واغتنموا بقية حياته،

(١) جمال الدين الحافظ المزني (ت ٧٤٢هـ).

(٢) القاضي شرف الدين بن عبدالله بن شرف الدين حسن بن الحافظ أبي موسى (ت ٧٣١هـ).

(٣) شمس الدين بن أبي بكر هو ابن القيم (ت ٧٥١هـ).

واقبلوا نصيحتي فيما الحقيقة من هذا كله كما كنت أتحدث.

إن اغتنام أوقات الشيخ وجمعها على التأليف والإتقان والمقابلة خير من صرفها في مجرد المفاكهة اللذيذة والمنادمة، والنفوس فرطت كثيراً في ذلك الحال. والله المسؤول بأن يكفها مضرة كمال الفتوة الذي لا عوض عنه بحال، إنه رؤوف رحيم، جواد كريم، فإن يسر الله تعالى وأعان على هذه الأمور العظيمة صارت إن شاء الله مؤلفات شيخنا ذخيرة صالحة للإسلام وأهله، وخزانة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل، وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ويختصر إلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى؛ قال ﷺ: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعة الله» وقال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» والله سبحانه يقول في كتابه: ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده إن شاء الله تعالى، فاتبعوا أمر الله، واقصدوا رضى الله بجمع كل ما تقدرُونَ عليه من أنواع المؤلفات الكبار، وأشتات المسائل الصغار، ومن نسخ الفتاوى المتفرقة، وسائر كلامه الذي قد ملئ، والله الحمد، من الفوائد والفرائد والشوارد، فأيقظوا الهمم، وابذلوا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا نصير له، فهذا هو الذي يلزمنا من حيث الأسباب. والتمام على رب الأرباب ومسبب الأسباب وفتاح الأبواب، الذي يقيم دينه، وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من يؤهله لذلك من أنواع الخاص والعام، وكل مجزي في القيامة بعمله، وما ربك بظلام للعبيد.

وقد علم أن الإمام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن

كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظمى، ولما توفي استدرك أصحابه ذلك الأمر الكبير، فنقلوا علمه وبينوا مقاصده، وشهروا فوائده، فانتصرت طريقته، واقتفيت آثاره. لأجل ذلك الوجود هو على هذه الصفة قديمًا وحديثًا، فلا تياسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا فإنه والله الحمد مقبول طوعًا وكرهًا، وأين غايات قبول القلوب السليمة لكلماته، وتتبع الهمم النافذة لمباحثه وترجيحاته، والله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لِنَصْرِ هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه، واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائب، رجالاً هم إلى الآن في أصلاب آبائهم^(١). وهذه هي سنة الحياة الجارية في عبادته وبلاده، والذي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى.

ومن المعلوم أن البخاري مع جلالة قدره أخرج طريداً، ثم مات بعد ذلك غريباً، وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لا خطر في باله، ولا مرّ في خياله. من عكوف الهمم على كتابه، وشدة احتفالها به، وترجيحها له على جميع كتب السنن وذلك لكمال صحته، وعظمة قدره، وحسن تربيته، وجمعه، وجميل نية مؤلفه، وغير ذلك من الأسباب. ونحن نرجو أن يكون لمؤلفات شيخنا أبي العباس من هذه الوراثة الصالحة نصيب كثير إن شاء الله تعالى، لأنه كان بنى جملة أموره على الكتاب والسنة، ونصوص أئمة سلف الأمة. وكان يقصد تحرير الصحة بكل جهده ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه، لا يهاب مخالفة أحدٍ من الناس في نصر هذه الطريقة، وتبيين هذه الحقيقة، وتسهيل العبارات، وجمع أشتات المتفرقات، والنطق في مضايق

(١) وقد كان ذلك، والله الحمد.

الأبواب، بحقائق فصل الخطاب، ما ليس لأكثر المصنفين، في أبواب مسائل أصول الدين، وغيرها من مسائل المحققين، لأنه كان يجعل النقل الصحيح أصله وعمدته في جميع ما يبني عليه، ثم يعتضد بالعقليات الصحيحة التي توافق ذلك وبغيرها، ويجتهد على دفع كل ما يعارض ذلك من شبه المعقولات، ويلتزم حلّ كل شبهة كلامية وفلسفية كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، ويلتزم أيضًا الجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول، ويجزم بأن فرض دليلين قطعيين متعارضين من المحال إن كانا عقليين أو عقليًا ونقلًا، قال: لأن الدليل هو الذي يجب ثبوت مدلوله، فإمّا أن لا يكونا قطعيين، وإمّا أن لا يكون مدلولاهما متناقضين: وعلى هذا المقصد الجليل بنى كلامه المتين، وتقاسيمه العجيبة في أول قاعدته الكبيرة الباهرة التي ألفها في دفع «تعارض العقل للنقل» فكانت مقاصده وتحقيقاته في هذا الباب العظيم عجبًا من عجائب الوجود.

وكان يقول: لا يتصور أن يتعارض حديثان صحيحان قط إلا أن يكون الثاني منهما ناسخًا للأول: قال: والإمام أحمد بن حنبل كان في زمنه يصرح به، ويلتزم تحقيقه، وأنا في زماني ألتزم حكم هذه القاعدة أيضًا، والنهوض بالجواب عن كل ما يعارضها، وكان رحمه الله ورضي عنه، يذب عن الشريعة ويحمي حوزة الدين بكل ما يقدر عليه، وكان كما علم من حاله لا يخاف في هذا الباب لومة لائم، ولا ينثني عما يتحقق عنده، ولم يزل على ذلك إلى أن قضى نحبه، ولقي ربه، فقدس الله روحه، ونور ضريحه، ونصر مقاصده، وأيد قواعده، والله سبحانه يعلم حسن قصده، وصحة علومه ورجحان دليله، وهو ناصر الحق وأهله، ولو بعد حين. وجميع ما وقع من هذه الأمور فيه من الدلالة إن

شاء الله على شمول أمره، وظهور كلمة هذه العلوم الباهرة أكثر مما فيه من الدلالة على خلاف ذلك، ولا قوة إلا بالله غير أن الأشياء المقدرة، تفتقر إلى أسبابها المعلومّة، ولهذا كان الرسول ﷺ وهو في العرش يوم بدر يجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت أكبر أسباب النصر في ذلك اليوم، بعد أن عرفه الله تعالى، قبل ذلك، جليلة مصارع القوم. ولما التزمه أبو بكر من ورائه قائلاً له يا رسول الله أهكذا مناشدتك ربك فإنه وافٍ لك بما وعدك. لم يترك استغاثته بربه لعلمه أن الأمور المقدرة لا بد أن تقع بأسبابها اللازمة لها، المعروفة بها، ومصدق ذلك ما أنزل سبحانه في تقرير هذه الأمور.

وتحقيق هذه القاعدة وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْغَلَّةِ مُرْدِفِينَ﴾ ① وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ② لأنه سبحانه يبين حكم الأسباب المتقدمة والمتأخرة، ورد الأمر إلى حقائق التوحيد، بقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وهذا هو نهاية مطالب هذا الباب، واتباع هذه الأحكام الثابتة على هذه الصنعة المؤيدة، هو بلا شك أعلى مراتب العبودية، وأنفعها وأرفعها في حق مجموع البرية. فأكثروا من استعمال هذا الأمر الجليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلامه على جميع الصالحين.

نِهَآيَةُ الْأَرْبِ فِي فَنُونِ الْأَدَبِ^(١)

للعلامة/ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهَّاب الثَّوِيرِي (٧٣٣)

ذِكْرُ تَوَجُّهِ الْعَسَاكِرِ الشَّامِيَةِ إِلَى بِلَادِ الْكُسْرَوَانِ^(٢)

وإِبَادَةُ مَنْ بِهَا وَتَمْهِيدُهَا

كَانَ أَهْلُ جِبَالِ الْكُسْرَوَانِ قَدْ كَثُرُوا وَطَغَوْا وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ، وَتَطَرَّقُوا إِلَى أَدَى الْعَسْكَرِ النَّاصِرِيِّ عِنْدَ انْهِزَامِهِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَتَرَاحَى الْأَمْرُ وَتَمَادَى وَحَصَلَ إِغْفَالُ أَمْرِهِمْ فَزَادَ طُغْيَانُهُمْ وَأَظْهَرُوا الْخُرُوجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَاعْتَزُّوا بِجِبَالِهِمُ الْمُنِيعَةِ، وَجَمُوعَهُمُ الْكَثِيرَةِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِمْ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِمُ الشَّرِيفُ زَيْنُ الدِّينِ ابْنُ عَدْنَانَ، ثُمَّ تَوَجَّهَ بَعْدَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعٍ مِائَةِ الشَّيْخِ تَقِي الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَالْأَمِيرُ بِهَاءُ الدِّينِ قَرَاقُوشُ الظَّاهِرِيِّ، وَتَحَدَّثَا مَعَهُمْ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الطَّاعَةِ فَمَا أَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَسَمَ بِتَجْرِيدِ الْعَسَاكِرِ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ، وَتَوَجَّهَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الْأَفْرَمِ مِنْ دِمَشْقَ بِسَائِرِ الْجِيُوشِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِيِ الْمَحْرَمِ وَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ

(١) (١١٨ - ٩٧/٣٢، ٢١١/٣٣ - ٢١٣، ٢٦٥ - ٢٦٦، ٢٧٦ - ٢٧٧) نشر دار الكتب

المصرية بالقاهرة ط. الأولى ١٩٩٨ تحقيق د. فهد شلتوت.

(٢) وهي جبال تتصل بسلسلة جبال لبنان، وتسكنها طائفة الدروز.

اجتمع من الرجال نحو خمسين ألفاً، وتوجهوا إلى جبال الكسروانيين والجرديين وتوجه الأمير سيف الدين أسندمر بعسكر الفتوحات من الجهة التي تلي بلاد طرابلس. وكان قد نُسب إلى مُبَاطَنَتِهِمْ، فكَتِبَ إليه في ذلك، فجزّد العزمَ وأراد أن يفعل في هذا الأمر ما يمحو عنه أثر هذه الشناعة التي وقعت، وطلع إلى جبل الكسروان من أصعب مسالكة، واجتمعت عليهم العساكر فقتلَ منهم خَلْقٌ كثير، وتبدد شملهم وتمزقوا في البلاد، واستخدم الأمير سيف الدين أسندمر جماعةً منهم بطرابلس بجامكية وجراية من الأموال الديوانية، وسماهم رجال الكسروان، وأقاموا على ذلك سنين وأقطع بعضهم أخباراً من حلقة طرابلس، وتفرق بقيتهم في البلاد، واضمحلَّ أمرهم وخمل ذكرهم، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق في رابع عشر صفر من السنة وأقطع جبال الكسروانيين والجرديين لجماعة من الأمراء التركمان وغيرهم، منهم: الأمير علاء الدين بن معبد البعلبكي، وعز الدين خطاب، وسيف الدين بُكْتُمُر الحُسامي، وأعطوا الطبلخانات وتوجهوا لعمارة إقطاعهم وحفظ ميناء البحر من جهة بيروت.

وفي هذه السنة^(١) كانت بدمشق فتنة بين جماعة من الفقهاء الأحمدية والشيخ تقي الدين ابن تيمية، وذلك أنهم اجتمعوا في يوم السبت تاسع جمادى الأولى عند نائب السلطنة، وحضر الشيخ تقي الدين فطلبوا منه أن يسلم إليهم حالهم، وأن تقي الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم، وأرادوا أن يظهروا شيئاً مما يفعلونه فقال لهم الشيخ: إن اتباع الشريعة لا يسع الخروج عنه، ولا يُقرُّ أحد على خلافه، وهذه

البَدَع التي تفعلونها من دخول النار وإخراج الزبد من الحلق؛ لها حِيلَ ذَكَرَها، وقال: من أراد منكم دخول النار فليغسل جسده في الحمام ثم يدلكه بالخل ثم يدخل بعد ذلك، فإن قدر على الدخول دخلت معه، ولو دخل بعد ذلك لم يرجع إليه، بل هو فعل من أفعال الدجال، فانكسرت حِدَّتْهم وانفصل المجلس على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من أعناقهم، وعلى أن من خرج منهم عن الكتاب والسنة قوبل بما يستحقه، وضبط المجلس المذكور وما وقع فيه وما التزم الفقراء الأحمديّة الرفاعيّة به، وصنف الشيخ جزءاً يتعلّق بهذه الطائفة وأفعالهم. ذَكَرَ حادثة الشيخ تقي الدين أحمد ابن تيمية، وما اتفق لطائفة

الحنابلة، واعتقال تقي الدين، وما كان من خبره،

إلى أن أُفْرِجَ عنه أخيراً

كانت هذه الحادثة التي نذكرها في سنة خمسٍ وسبع مئة وانتهت في أواخر سنة تسع وسبع مئة، وكان لوقوعها أسباب وموجبات ووقائع اتفقت بالقاهرة ودمشق، وقد رأينا أن نذكر هذه الواقعة ونشرح أسبابها من ابتداء وقوعها إلى انتهائها ولا نقطعها بغيرها، وإن خرجت سنة ودخلت أخرى.

السببُ المحركُ لهذه الواقعة الموجبُ لطلب الشيخ تقي الدين المذكور إلى الديار المصرية فقد اطلعت عليه من ابتدائه وهو: أن بعض الطلبة واسمه: عبدالرحمن العينوسي سكن بالمدرسة الناصرية التي تقدم ذكرها بالقاهرة وكنت بها، وبها قاضي القضاة زين الدين المالكي وغيره، فاتفق اجتماعي أنا والقاضي شمس الدين محمد بن عدلان

الكناني القرشي الشافعي بمنزلي بالمدرسة المذكورة في بعض الليالي، وهو أيضًا ساكن بالمدرسة ومعيد بها، فحضر عبدالرحمن المذكور إلينا ومعه فتيا وقد أجاب الشيخ تقي الدين عنها فأخرجها من يده وشرع يذكرُ الشيخَ تقي الدين وبَسَطَ عبارته وعِلْمه، وقال: هذه من جملة فتاويه ولم يُرد فيما ظهر أذاه وإنما قصد - والله أعلم - نشر فضيلته، فتناولها القاضي شمس الدين ابن عدلان منه وقرأها فإذا مضمونها^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم، ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين - رضي الله عنهم أجمعين - أن يبينوا ما يجب على الإنسان أن يعتقده ويصير به مسلمًا بأوضح عبارة وأبينها، من أن مافي المصاحف هو كلام الله القديم أم هو عبارة عنه لا نفسه؟ وأنه هو حادث أو قديم؟ وأن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/ ٥] هو استواء حقيقة أم لا؟ وأن كلام الله عز وجل بحرفٍ وصَوْتٍ أم كلامه صفة قائمة لا تفارق؟ وأن الإنسان إذا أجرى القرآن على ظاهره من غير أن يتأول شيئًا منه ويقول: أو من به كما أنزل؛ هل يكفيه ذلك في الاعتقاد أم يجب عليه التأويل؟ وأن السائل رجل متحيز لا يعرف شيئًا وسؤاله بجواب لين ليقلد قائله افتونا مأجورين رحمكم الله.

فأجاب الشيخ تقي الدين ماصورته:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي يجب على الإنسان اعتقاده في ذلك وغيره ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله واتفق عليه سلف المؤمنين الذين أثنى الله على من اتبعهم وذم من اتبع غير سبيلهم، وهو أن القرآن

(١) توجد هذه الفتوى في «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٢/ ٢٣٥ - ٢٤٥) ناقصة.

الذي أنزله الله على محمد عبده ورسوله كلام الله وأنه منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه قرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون، وأنه قرآن مجيد في لوح محفوظ، وأنه في أم الكتاب لدى الله تعالى حفيظ، وأنه في الصدور كما قال النبي - ﷺ -: «استذكروا القرآن فهو أشد تفلتًا من صدور الرجال من النعم من عقلها»، وقال: «الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب»، [و] أن ما بين لוחي المصحف الذي كتبه الصحابة كلام الله كما قال النبي - ﷺ -: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم».

فهذه الجملة تكفي المسلم في هذا الباب، وأما تفصيل ما وقع في ذلك من النزاع فكثير، منه [ما] يكون كلا الاطلاقين خطأ، ويكون الحق في التفصيل، ومنه ما يكون مع كل من المتنازعين نوع من الحق ويكون كل منهما ينكر حق صاحبه، وهذا من التفرق والاختلاف الذي ذمه الله ونهى عنه؛ فقال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة/ ١٧٦] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران/ ١٠٥] وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران/ ١٠٣] وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة/ ٢١٣] فالواجب على المسلم أن يلزم سنة رسول الله - ﷺ - وسنة خلفائه الراشدين والسابقين من الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل وإلا استمسك بالجمال الثابتة بالنص والإجماع، وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، فإن مواقع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى، وقد بسطت القول من

جنس هذه المسائل ببيان ما كان عليه سلف الأمة الذي اتفق عليه العقل والسمع، وبيان ما يدخل في هذا الباب من الاشتراك والاشتباه والغلط في مواضع متعددة، ولكن نذكر هنا جُمْلَةً مختصرة بحسب حال السائل، والواجب أمر العامة بالحَمْل على الثابت^(١) بالنص والإجماع، ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يُوقِع بينهم الفرقة والاختلاف، فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله.

والتفصيل المختصر فنقول: من اعتقد أن المِداد الذي في المصحف وأصوات العباد قديمة أزلية؛ فهذا ضال مخطيء مخالف للكتاب والسنة وإجماع السابقين الأولين وسائر علماء المسلمين ولم يقل أحد قط من علماء المسلمين: إن ذلك قديم، لا من أصحاب الإمام أحمد ولا من غيرهم ومن نقلَ قَدَم ذلك عن أحد من علماء أصحاب الإمام أحمد ونحوهم؛ فهو مخطيء في هذا النقل أو متعمد الكذب، بل المنصوص عن الإمام أحمد وعامة أئمة أصحابه تبديع من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، كما جهّموا من قال: اللفظ بالقرآن مخلوق، وقد صنف أبو بكر المروزي - أخص أصحاب الإمام أحمد به - في ذلك رسالة كبيرة مبسطة، ونقلها عنه أبو بكر الخلال في «كتاب السنة» الذي جمع فيه كلام الإمام أحمد وغيره من السنة في أبواب الاعتقاد، وكان بعض أهل الحديث إذ ذاك أطلق القول بأن «لفظي بالقرآن غير مخلوق» فبلغ ذلك الإمام أحمد فأنكر ذلك إنكاراً شديداً وبدّع من قال ذلك، وأخبر أن أحداً من العلماء لم يقل ذلك، فكيف من يزعم أن صوت العبد قديم؟ وأصبح من ذلك من يحكي عن بعض العلماء: أن المِداد الذي في

(١) كذا عبارة ص، وف والفتاوى «بالجمل الثابتة».

المصحف قديم، وجميع أئمة أصحاب الإمام أحمد وغيره أنكروا ذلك، وما علمتُ أنَّ عالمًا نقل ذلك إلا مابلغنا عن بعض الجهال من الأكراد ونحوهم.

وقد ميّز الله - تعالى - في كتابه بين الكلام والمِداد، فقال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَوْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدادًا﴾ [الكهف/ ١٠٩] فهذا خطأ من هذا الجانب، وكذلك من زعم أن القرآن محفوظ في الصدور، كما أن الله معلوم بالقلوب، وأنه متلوّ بالألسن، كما أن الله مذكور بالألسن، وأنه مكتوب في المصحف، كما أن الله مكتوب في المصحف، وجعل ثبوت القرآن في الصدور والألسنة والمصاحف مثل ثبوت ذات الله في هذه المواضع، فهذا أيضًا مخطيء في ذلك، فإن الفرق بين ثبوت الأعيان في المصحف وبين ثبوت الكلام فيها بيّن واضح، فإن الأعيان لها أربع مراتب: مرتبة في الأعيان، ومرتبة في الأذهان، ومرتبة في اللسان، ومرتبة في البيان، فالعلم يطابق العين، واللفظ يطابق العلم، والخط يطابق اللفظ.

فإذا قيل: إن العين في الكتاب كما في قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر/ ٥٢] فقد عُلِمَ أن الذي في الزبر إنما هو الخط المطابق للفظ المطابق للعلم، فبين الأعيان وبين المصحف مرتبتان وهي اللفظ والخط، وأما الكلام نفسه فليس بينه وبين الصحيفة مرتبة غيرهما، بل نفس الكلام يجعل في الكتاب، وإن كان بين الحرف الملفوظ والحرف المكتوب فرق من وجه^(١) آخر إلا إذا أريد أن الذي في المصحف هو ذكره والخبر عنه، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّي

(١) في الأصل: من غير وجه! والمثبت من الفتاوى.

الْعَالَمِينَ ﴿١٩١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّمَا لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٣﴾ أَوَّلُ
يَكُنْ لَمْ يَأْتِ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُونَا بَنَى إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء/ ١٩٢ - ١٩٧] فالذي في زبر
الأولين ليس هو نفس القرآن المنزل على محمد. فإن هذا القرآن لم
ينزل على أحد قبله ولكن في زبر الأولين صَحَّ ذكر القرآن وخبره، كما
فيها ذكر محمد وخبره، كما أن أفعال العباد في الزبر كما قال: ﴿وَكُلُّ
شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [القمر/ ٥٢] فيجب الفرق بين كون هذه
الأمور في الزُّبُر وبين كون الكلام نفسه في الزبر، كما قال: ﴿إِنَّمَا لَقَرْنَا
كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة/ ٧٧ - ٧٨] وقال: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا
مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة/ ٢ - ٣] فمن قال: إن المِداد قديم؛
فقد أخطأ، ومن قال: ليس في المصحف كلام الله وإنما فيه المِداد
الذي هو عبارة عن كلام الله فقد أخطأ، بل القرآن في المصحف، كما
أن سائر الكلام في الأوراق كما عليه الأمة مجتمعة، وكما هو في نظر
المسلمين، فإن كلَّ مرتبة لها حكم يخصها، وليس وجود الكلام من
الكتاب كوجود الصفة بالموصوف، مثل [وجود] العلم والحياة بمحلها
حتى يقال: إن صفة الله حَلَّتْ بغيره أو فارقت، ولا وجوده فيه كالدليل
المحض، مثل وجود العالم الدال على الباري تعالى، حتى يقال: ليس
فيه إلا ماهو علامة على كلام الله، بل هو قسم آخر، ومن لم يُعْطِ كلَّ
مرتبة فيما يستعمل فيها أداة الظرف^(١) حقها، فيفرق بين وجود الجسم
في الحيز وفي المكان، ووجود العرض بالجسم، والصورة بالمرآة،
ويفرق بين رؤية الشيء بالعين يقظة ورؤيته بالقلب يقظة ومنامًا، ونحو
ذلك، وإلا اضطرب عليه الأمر.

(١) في الأصل: أداء الطرق! والمثبت من الفتاوى.

وكذلك سؤال السائل عما في المصحف، هل هو حادث أو قديم؟ سؤال مجمل. فإن لفظ «القديم» أولاً [ليس] ^(١) مأثورًا عن السلف، وأما الذي اتفقوا عليه أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو كلام الله حيث تلي، وحيث كُتب، وهو قرآن واحد وكلام [واحد] وإن تنوّعت الصور التي يُتلى بها، ويكتب من أصوات العباد ومدادهم، فإن الكلام كلام من قاله مبتدئًا، لا كلام من بلغه مؤديًا، فإن سمعنا محدثًا يحدث بقول النبي - ﷺ -: «إنما الأعمال بالنيات» قلنا: هذا كلام رسول الله لفظه ومعانيه، مع علمنا أن الصوت صوت المبلغ لا صوت رسول الله، وهكذا كل من بلغ كلام غيره من نظم ونثر.

ونحن إذا قلنا: هذا كلام الله، لِمَا نسمعه من القارئ من قراءة في المصحف فالإشارة إلى الكلام من حيث هو مع قطع النظر عما اقترن به البلاغ من صوت المبلغ ومداد الكاتب، فمن قال: صوت القارئ ومداد الكاتب كلام الله الذي ليس بمخلوق فقد أخطأ، وهذا الفرق الذي بينه الإمام أحمد لمن سأله وقد قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص/ ١] فقال: هذا كلام الله غير مخلوق؟ فقال: نعم، فنقل السائل عنه أنه قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، قد عابه أحمد وزيره زبرًا شديدًا وطلب عقوبته وتعزيره وقال: أنا قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ فقال: لا ولكن قلت لي لما قرأت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] هذا كلام الله غير مخلوق، فقال: فلم تنقل عني مالم أقله؟! فبين الإمام أحمد أن القائل إذا قال - لما يسمعه من المبلغين والمؤدين -: هذا كلام الله، فالإشارة إلى الحقيقة التي تكلم بها الله وإن

(١) من الفتاوى، وبه يستقيم المعنى.

كنا إنما سمعناها ببلاغ المبلغ وحركته وصوته، فإذا أشار إلى شيء من صفات المخلوق لفظه أو صوته أو فعله، وقال: هذا غير مخلوق، فقد ضل وأخطأ، فالواجب أن يقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، والقرآن في المصحف كما أن سائر الكلام في الصُّحُف ولا يقال: إن شيئاً من المداد والورق غير مخلوق، بل كل ورق ومداد في العالم فهو مخلوق، ويقال أيضاً: القرآن الذي في المصحف كلام الله غير مخلوق والقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله غير مخلوق.

وَيَبَيِّنُ بهذا الجوابُ عن المسألة الثانية هي قوله: إن كلام الله هل هو بحرف وصوت أم لا؟ فإن إطلاق الجواب في هذه المسألة نفياً وإثباتاً خطأ، وهي من البدع المولدة الحادثة بعد المئة الثالثة لما قال قوم من متكلمة الصفاتية: إنَّ كلام الله الذي أنزله على أنبيائه كالتوراة والإنجيل والقرآن، والذي لم ينزله، والكلمات التي كون بها الكائنات والكلمات المشتملة على أمره ونهيه وخبره، ليست إلا مجرد معنى واحد، هو صفة واحدة قامت بالله، إن عبَّرَ عنها بالعبرية كانت التوراة، وإن عبَّرَ عنها بالعربية كانت القرآن، وأن الأمر والنهي والخبر صفات لها لا أقسام لها، وأن حروف القرآن مخلوقة خلقها الله تعالى ولم يتكلم بها وليست كلامه؛ إذ كلامه لا يكون بحرف وصوت.

عارضهم آخرون من المثبتة فقالوا: بل القرآن هو الحروف والأصوات وتوهم قوم أنهم يعنون بالحروف المداد وبالأصوات أصوات العباد وهذا لم يقله عالم.

والصواب الذي عليه سلف الأمة كالإمام أحمد والبخاري صاحب «الصحيح» في كتاب «خلق أفعال العباد» وغيره وسائر الأئمة قبلهم

وبعدهم اتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جميعه كلام الله تعالى؛ حروفه ومعانيه ليس شيء من ذلك كلامًا لغيره ولكن أنزله على رسله، وليس القرآن اسمًا لمجرد المعنى ولا لمجرد الحرف، بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ولا المعاني فقط، بل مجموعهما، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ولا مجرد الجسد، بل مجموعهما، وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك هو أصوات العباد، لا صوت القاريء ولا غيره، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق ولا معانيه تشبه معانيه ولا حروفه تشبه حروفه، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته، وقد بينت في الجواب المبسوط مراتب مذاهب أهل الأرض في ذلك، وأن المتفلسفة تزعم أن كلام الله ليس له وجود إلا في نفس الأنبياء تفيض عليهم المعاني من العقل الفعال فتصير في نفوسهم حروفًا كما أن ملائكة الله عندهم ما يحدث في نفوس الأنبياء من الصور النورانية، وهذا من جنس قول فيلسوف قریش الوليد بن المغيرة: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدرثر/ ٢٥] فحقيقة قولهم إن القرآن تصنيف الرسول لكنه كلام شريف صادر عن نفس صافية، وهؤلاء هم الصابئة فنشرت^(١) منهم الجهمية فقالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم ولا قام به كلام وإنما كلامه ما يخلقه من الهواء أو غيره، فأخذ بعض ذلك قوم من متكلمة الصفات فقالوا:

(١) في الفتاوى: فتقربت.

بل نصفه، وهو المعنى كلام الله، ونصفه وهو الحروف ليس كلام الله بل هو خلق من خلقه.

وقد تنازع الصفاتية القائلون بأن القرآن غير مخلوق هل يقال: إنه قديم لم يزل ولا يتعلق بالمشيئة؟ أم يقال يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء؟ على قولين مشهورين في ذلك، وفي السمع والبصر ونحوهما ذكرهما الحارث المحاسبي عن أهل السنة، وذكرهما أبو بكر [عبدالعزیز] عن أهل السنة من أصحاب أحمد وغيرهم.

وكذلك النزاع بين أهل الحديث والصوفية وفرق الفقهاء من المالكية والشافعية والحنفية بل وبين فرق المتكلمين والفلاسفة في جنس هذا الباب وليس هذا موضع بسط ذلك الفصل.

وأما سؤاله عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/ ٥] فهو حق أخبر الله به، وأهل السنة متفقون على ما قاله ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس وغيرهما من الأئمة: أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيف بدعة، فمن زعم أن الله مفتقر إلى عرش يُقَلُّه أو أنه محصور في سماء تُظَلِّه أو أنه محصور في شيء من مخلوقاته، أو أنه تحيط به جهة من جهات مصنوعاته؛ فهو مخطيء ضال، ومن قال: إنه ليس على العرش رب ولا فوق السموات خالق بل ما هنالك إلا العدم المحض والنفي الصرف؛ فهو معطل جاحد لرب العالمين مُضَاهٍ لفرعون الذي قال: ﴿يَهْمَنُنْ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ﴾ [الْأَسْبَابُ ٣٦] ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذْبًا﴾ [غافر/ ٣٦ - ٣٧] بل أهل السنة والحديث وسلف الأمة متفقون على أنه فوق سماواته على عرشه بائن من

مخلوقاته ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته وعلى ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمة السنة، بل على ذلك جميع المؤمنين من الأولين والآخرين وأهل السنة، وسلف الأمة متفقون على أن من تأوّل «استوى» بمعنى استولى أو بمعنى آخر ينفي أن يكون الله فوق السموات؛ فهو جهمي ضال مضل.

وأما سؤاله عن إجراء القرآن على ظاهره؛ فإنه إذا آمن بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تكيف فقد اتبع سبيل المؤمنين. ولفظ الظاهر في عرف المتأخرين قد صار فيه اشتراك؛ فإن أراد بإجرائه على الظاهر الذي هو في خصائص المخلوقين حتى يشبه الله بخلقه فهذا ضلال، بل يجب القطع بأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل قد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء يعني أن موعود الله في الجنة من الذهب والحرير والخمر واللبن يخالف حقًا بقية حقائق هذه الأمور الموجودة في الدنيا فالله تعالى أبعد عن مشابهة مخلوقاته بما لا تدركه العباد؛ إذ ليست حقيقته كحقيقة شيء منها، وأما إن أراد بإجرائه على الظاهر الذي هو الظاهر في عرف سلف الأمة بحيث لا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يُلحد في أسماء الله تعالى، ولا يفسر القرآن والحديث بما يخالف تفسير سلف الأمة وأهل السنة بل يجري ذلك على ما اقتضته النصوص وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة، فهذا مصيب في ذلك وهو الحق وهذه جملة لا يسع هذا الموضع تفصيلها والله أعلم^(١).

فلما وقف القاضي شمس الدين ابن عدلان على هذه الفتيا أنكر منها مواضع، وعرضها على القاضي زين الدين المالكي، فقال قاضي القضاة: أحتاج أن يثبت عندي أن هذا خط تقي الدين المذكور، فإذا ثبت ذلك رتب عليه مقتضاه، وانفصل المجلس في تلك الليلة على هذا.

ثم شهد جماعة عند قاضي القضاة أن الجواب المذكور بخط تقي الدين المذكور فثبت ذلك عنده وأشهد على نفسه به في شعبان من السنة، واجتمع قاضي القضاة زين الدين بالأمرء وعرفهم ما أنكره من فتياه، فرُسِمَ بطلبه إلى الأبواب السلطانية وتوجه البريد بذلك، فتوقف نائب السلطنة بالشام الأمير جمال الدين في إرساله، واتفق وصول الأمير سيف الدين الطنقش الجمالي أستاذ دار نائب السلطنة بالشام إلى الأبواب السلطانية في الشهر المذكور في بعض المهمات وملك السلطان مخدومه من أملاكه بالشام أماكن احتاج إلى إثباتها على قاضي القضاة زين الدين المالكي فاجتمع بي بسبب ذلك، فدخلت على قاضي القضاة وعرفته مكانة سيف الدين المذكور ومنزلته من أرباب الدولة، ومحل مخدومه والتمست منه الإذن له في الدخول وإكرامه إذا دخل عليه فأذن له في الدخول، فلما دخل عليه أطرحه ولم يكثرث لدخوله، وكلمه بكلام غليظ فكان مما قال له عند دخوله عليه: أنت أستاذ دار جمال الدين؟ قال: نعم، قال: لا بيّض الله وجهه. وحمله رسالة لمخدومه فقال: قل له عني أنت تعرف كيف كنت، وأنني اشتريتك للسلطان الملك المنصور وكنت على حالٍ من الضرورة في جنديتك وإمرتك ثم خولك الله تعالى من نعمة وأفاض عليك منها ما أنت عليه الآن، وألحقك بأكابر الملوك ونُعتَ بملك الأمرء، ثم أنت تدافع عن رجلٍ طلبته لقيام حق من حقوق الله عليه، والله لئن لم ترسله ليعجلن الله

تعالى هلاكك... ، إلى غير ذلك مما قاله في وقت خروجه، فالترزم الأمير سيف الدين الطنقش أنه عند وصوله إلى دمشق لا يبيت ابن تيمية بها، ويرسله إليه.

ثم لم يقنع قاضي القضاة بذلك إلى أن اجتمع بالأمرء، وجدّد معهم الحديث في أمر تقي الدين، فاقضى ذلك إرسال الأمير حسام الدين لاجين العمري أحد الحُجَّاب بالأبواب السلطانية إلى دمشق بمثال شريف سلطاني بطلبه، فتوجه ووصل إليها في خامس شهر رمضان.

هذا هو السبب الموجب لطلبه وانحمال قاضي القضاة زين الدين المالكي عليه، نقلته عن مشاهدة وإطلاع.

واتفق في هذه المدة له وقائع بدمشق، نحن نوردها ملخصة بمقتضى ما أورده الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري في «تاريخه»^(١) ليجمع بين أطراف هذه الحادثة وأسبابها بمصر والشام، وهو أنه لما كان في يوم الاثنين ثامن شهر رجب عُقد مجلس بين يدي نائب السلطنة بدمشق حضره القضاة والعلماء والشيخ تقي الدين المذكور وسُئل عن عقيدته، فأملأ شيئاً منها ثم أحضر عقيدته «الواسطية» وقرئت في المجلس وحصل البحث في مواضع منها، وأُخِّرت مواضع إلى مجلس آخر، ثم اجتمعوا في يوم الجمعة ثاني عشر الشهر، وحصل البحث وسُئل عن مواضع خارجة عن العقيدة، ونُذِب للكلام معه الشيخ صفي الدين الهندي، ثم عدل عنه إلى الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني، فبحث معه من غير مسامحة، فأشهد الشيخ تقي الدين على نفسه من

(١) وهو: «تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه» - لم يوجد كاملاً - وأثبتنا ما وُجد منه في محله من هذا الكتاب.

حضر المجلس أنه شافعي المذهب يعتقد ما يعتقدہ الإمام الشافعي،
فحصل الرضى منه وعنه بهذا القول وانفصل المجلس.

ثم حصل بعد ذلك من بعض أصحاب الشيخ تقي الدين كلام
وقالوا: ظهر الحق مع شيخنا فأحضر الشيخ كمال الدين القزويني نائب
قاضي القضاة نجم الدين أحدهم إلى المدرسة العادلية وعزّره وفعل
قاضي القضاة الحنفي مثل ذلك باثنين من أصحابه، فلما كان يوم الاثنين
ثاني عشرين الشهر قرأ الشيخ جمال الدين المزيّ فصلاً في الرد على
الجهمية من كتاب «أفعال العباد» من كتاب البخاري^(١)، وكان ذلك
بالجامع الأموي تحت النسر في المجلس العام المعقود لقراءة «صحيح
البخاري» فغضب بعض الفقهاء الحاضرين، وقال نحن قُصِدْنَا بهذا
التكفير، فبلغ ما قاله قاضي القضاة نجم الدين الشافعي فأحضره ورسم
باعتقاله، فبلغ ابن تيمية الخبر فقام حافياً وتبعه أصحابه، وأخرجه من
الحبس، فغضب القاضي وتوجّه إلى نائب السلطنة واجتمع هو وتقي
الدين فاشتط تقي الدين عليه وذكر نائبه جلال الدين وأنه آذى أصحابه،
فرسم نائب السلطان بإشهار النداء في البلد بالكف عن العقائد والخوض
فيها، ومن تكلم في ذلك سفك دمه ونهب ماله. وأراد بذلك تسكين
هذه الفتنة ثم عُقد مجلس في ثاني يوم الثلاثاء سلخ رجب بالقصر
الأبلىق بحضور نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وحصل البحث في أمر
العقيدة وطال البحث فوقع من الشيخ صدر الدين كلام في معنى
الحروف فأنكره الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني فأنكر صدر الدين
القول، فقال كمال الدين لقاضي القضاة نجم الدين بن صصري:

(١) كذا! وصوابه: للبخاري، وهو كتاب مفرد وليس من «الصحيح».

ماسمعتَ ما قال؟ فتغافل عن إجابته لتتكسر الفتنة، فقال ابن الزملكاني: ماجرى على الشافعية قليل إذ صرت رئيسهم يريدُ بذلك ابن الوكيل - فيما يزعم - فظن قاضي القضاة أنه أراد به بكلامه فأشهد عليه أنه عزل نفسه عن القضاء، وقام من المجلس، فرسم نائب السلطنة بعوده، فأدركه الأمير ركن الدين بيبرس العلائي الحاجب وغيره من الأمراء وأعادوه إلى المجلس، وجرى كلام كثير ثم ولاه نائب السلطنة القضاء، وحكم قاضي القضاة الحنفي بصحة ولايته ونفذها المالكي، فلما وصل إلى داره انقطع عن الحكم وطالع نائب السلطنة في أمره فعاد الجواب السلطاني باستمراره في القضاة في ثامن عشرين شعبان.

ثم وصل الأمير حسام الدين لاجين العمري في خامس شهر رمضان بطلب قاضي القضاة نجم الدين وتقي الدين ابن تيمية، وتضمن المثل السلطاني بأن يطالع بما وقع من أمر تقي الدين المذكور في سنة ثمان وتسعين وست مئة بسبب عقيدته، وأن تكتب صورة العقيدتين الأولى والثانية فأراد نائب السلطنة أن يدافع عنه ويكتب في حقه فوصل مملوكه سيف الدين الطنقش من الديار المصرية وأخبر باشتداد الحال عليه وقيام الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وذكر له كلام قاضي القضاة زين الدين، فعند ذلك أمر بإرساله وإرسال قاضي القضاة نجم الدين، فتوجَّها في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رمضان فتوجه القاضي نجم الدين في الخامسة من النهار وتوجه تقي الدين في التاسعة وصحبته جماعة من أصحابه منهم تقي الدين بن سُتْقُر، وزين الدين بن زين الدين بن مُنْجِي، وشمس الدين التدمري، وفخر الدين وعلاء الدين أولاد شرف الدين الصايغ، وابن بُحَيْخ، وشرف الدين عبدالله أخو الشيخ، وكان وصولهم إلى القاهرة في يوم الخميس ثاني عشرين شهر رمضان وعُقد

مجلس بدار النيابة بقلعة الجبل وحضره الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وغيره من الأمراء والقضاة والعلماء وذلك بعد صلاة الجمعة الثالث والعشرين من الشهر، فادّعى القاضي شمس الدين محمد ابن عدلان دعوى شرعية على تقي الدين في عقيدته عند قاضي القضاة زين الدين في المجلس، وطالبه بالجواب فنهض تقي الدين قائماً وقال: الحمد لله، وأراد أن يذكر خطبة ووعظاً، ويذكر عقيدته في أثناء ذلك، فقليل له: أجب عما أدّعي عليك به ودع هذا فلا حاجة لنا بما تقول، فأراد أن يعيد القول في الخطبة فمُنِعَ وطوّلَ بالجواب، فقال: عند من الدعوى عليّ؟ فقل عند قاضي القضاة زين الدين المالكي، فقال هو عدوي وعدو مذهبي فلم يرجع إلى قوله، ولما لم يأت بجواب أمر قاضي القضاة زين الدين باعتقاله على رد الجواب فأقيم من المجلس واعتقل هو وأخواه شرف الدين عبدالله وعبدالرحمن وحُسُوا في برج، فتردد إليه بعض الناس فاتصل ذلك بقاضي القضاة زين الدين فأمر بالتضييق عليه، فنقل إلى الحب في ليلة عيد الفطر وكتب مثال شريف سلطاني وسير إلى دمشق في أمر تقي الدين والحنابلة، ونسخته^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تنزه عن التشبيه والتنظير، وتعالى عن المثل، فقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١] نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب، ورفع في أيماننا أسباب الشك والارتياب، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير

(١) هذا المرسوم صاغه فقهاء السلطة، وعلماء البدعة (المأجورون)، ولا غرابة فنظائره ماثلة، والتاريخ يُعيد نفسه!!.

وينزه خالقه عن التحيز في جهة لقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد/ ٤] ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي نهج سبيل النجاة لمن سلك طريق مرضاته، وأمر بالتفكر في آلاء الله، ونهى عن التفكير في ذاته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع، وشيد الله بهم من قواعد الدين الحنيف ماسرع، وأحمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع، وبعد: فإن العقيدة الشرعية وقواعد الإسلام المرعية وأركان الإيمان العلية ومذاهب الدين المرضية هي الأساس الذي يبنى عليه، والموئل الذي يرجع كل أحد إليه، والطريق الذي من سلكها فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً، فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها، ويؤكد دوامها وتضان عقائد هذه الأمة عن الاختلاف، وتزآن قواعد الأمة بالائتلاف، وتغمد بواتر البدع، ويفرق من فرقها ما اجتمع، وكان التقي ابن تيمية في هذه المدة قد بسطَ لسانَ قلمه، ومدَّ عنانَ كليمه، وتحدث في مسائل الذات والصفات، ونصَّ في كلامه على أمور منكرات، وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما تجنبه السلف الصالحون، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، واتفق على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه في البلاد ما استخف به عقول العوام، وخالف في ذلك علماء عصره، وفقهاء شامه ومصره، وبعث رسائله إلى كل مكان، وسمي فتاويه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

ولما اتصل بنا ذلك وما سلكه مريدوه من هذه المسائل وأظهره، من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه استخف قومه فأطاعوه، حتى اتصل بنا أنهم صرحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم، قمنا في الله تعالى مشفقين من هذا النبا العظيم، وأنكرنا هذه البدعة، وأنفنا

أن يشيع عن تفضله ممالكنا هذه السمعة، وكرهنا ما فاه به المبطلون وتلونا قوله: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١١) فإنه جل جلاله تنزه عن العديل والنظير: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/ ١٠٣) وتقدمت مراسمنا باستدعاء ابن تيمية المذكور إلى بابنا عندما سادت فتاويه شامًا ومصر وصرح فيها بالألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا﴾ (الكهف/ ٧٤) ولما وصل إلينا أمرنا بجمع أولي الحل والعقد، وذوي التحقيق والنقد، وحضر قضاة الإسلام وحكام الأنام، وعلماء الدين، وفقهاء المسلمين، وعُقد له مجلس شرع، في ملأ من الأئمة وجمع، فثبت عند ذلك عليه جميع مانسبه إليه، بمقتضى خط يده الدال على منكر معتقده، وانفصل ذلك الجمع وهم لعقيدته منكرون، وأخذوه بما شهد به قلمه عليه تالين: ﴿سَكَتَ شُهَدَاؤُهُمْ وَتَسْأَلُونَ﴾ (الزخرف/ ١٩) وبلغنا أنه كان استتيب فيما تقدم، وأخره الشرع الشريف لما تعرض لذلك وأقدم، ثم عاد بعد منعه ولم تدخل تلك النواهي في سمعه، ولما ثبت ذلك في مجلس الحكم العزيز المالكي، حكم الشرع الشريف بأن يسجن هذا المذكور ويمنع من التصرف والظهور ومرسومنا هذا يأمر بأن لا يسلك أحد ماسلكه المذكور من هذه المسالك، وينهى عن التشبه به في اعتقاد مثل هذا أو يغدو له في هذا القول متبعًا، ولهذه الألفاظ مستمعًا، أو يسرى في التجسيم مسراه، أو أن يفوه بجهة العلو مخصصًا أحد كما فاه، أو يتحدث إنسان في صوت أو حرف، أو يوسع القول في ذات أو وصف، أو ينطق بتجسيم، أو يحيد عن طريق الحق المستقيم، أو يخرج عن آراء الأئمة، أو ينفرد عن علماء الأمة، أو يُحَيِّرَ الله في جهة، أو يتعرَّض إلى حيث أو كيف، فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا إلا السيف، فليقف كل أحد عند هذا الحد والله الأمر من قبل ومن بعد، وليلزم كل

من الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدة، أو الخروج من هذه المشتبهات الشديدة، ولزوم ما أمر الله تعالى به من التمسك بمذهب أهل الإيمان الحميدة فإنه من خرج عن أمر الله تعالى فقد ضل سواء السبيل وليس له غير السجن الطويل من مستقر ولا مقيـل.

رسمنا بأن ينادى في دمشق المحروسة والبلاد الشامية وتلك الجهات بالنهي الشديد والتخويف والتهديد لمن يتبع ابن تيمية في الأمر الذي أوضحناه، ومن تبعه فيه تركناه في مثل مكانه وأحللناه ووضعناه من عيون الأمم كما وضعناه، ومن أصرَّ على الدفاع وأبى إلا الامتناع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم وإسقاطهم من مراتبهم، وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا قضاء ولا إمامة ولا شهادة ولا ولاية ولا رتبة ولا إقامة فإننا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، وأبطلنا عقيدته التي أضل بها كثيراً من العباد أو كاد، ولتكتب المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك، وتسير إلينا بعد إثباتها على قضاة الممالك، وقد أعذرنا وحذرنا، وأنصفنا حيث أنذرنا، وليقرأ مرسومنا هذا على المنابر، ليكون أبلغ واعظ وزاجر، وأحمد ناهٍ وأمر، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، وكتب في ثامن عشرين شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة.

ولما وصل هذا المثال إلى دمشق قُرىء على المنابر كما رسم فيه وأشهر وأُعلن، وأما قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري فإنه عومل بالإكرام وخلع عليه ونزل بدار الحديث الكاملية بقاعة التدريس بها، وأذن له السلطان أن يحكم بالقاهرة فأثبت مكاتب كثيرة وجلس كتاب الحكم بين يديه، وخرجت إـسـجـالـاته وشهدتُ عليه في بعضها، ثم عاد إلى دمشق على خيل البريد، وكان وصوله إليها في يوم الجمعة سادس ذي القعدة. وفي أثناء هذه الحادثة في غُصُون هذه المدة كان للحنابلة

في القاهرة مع قاضي القضاة زين الدين المالكي وقائع أُهِنَ فيها بعض أعيانهم واعتقل وعزر بعضهم.

وكان ممن تعصب لتقي الدين ابن تيمية في هذه الواقعة بالشام قاضي القضاة شمس الدين محمد ابن الحريري الحنفي، وأثبت محضراً له مما هو عليه من الخير، وكتبَ في أعلاه بخطه ثلاثة عشر سطراً يقول في جملتها: إنه منذ ثلاث مئة سنة ما رأى الناس مثله، وأراني قاضي القضاة زين الدين المالكي هذا المحضر، وغضب منه وسعى في عزل قاضي القضاة الحنفي بدمشق شمس الدين ابن الحريري، فعُزل وفُوض قضاء القضاة الحنفي بدمشق بعده لقاضي القضاة شمس الدين محمد ابن إبراهيم الأذري الحنفي مدرس المدرسة الشبلية، فوصل تقليده إلى دمشق في ثاني ذي القعدة.

وأما تقي الدين فإنه استمر في الجبّ بقلعة الجبل إلى أن وصل الأمير حسام الدين مهنا إلى الأبواب السلطانية في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبع مئة فسأل السلطان في أمره وشفع فيه فأمر بإخراجه فأخرج في يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر، وأُخِضَ إلى دار النيابة بقلعة الجبل وحصل بحث مع بعض الفقهاء ثم اجتمع جماعة من أعيان العلماء ولم تحضره القضاة وذلك لمرض قاضي القضاة زين الدين المالكي، ولم يحضر غيره من القضاة، وحصل البحث وكتب خطه ووقع الإشهاد عليه وكتب بصورة المجلس مكتوب مضمونه:

بسم الله الرحمن الرحيم شهد من يضع خطه آخره أنه لما عقد مجلس لتقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني الحنبلي بحضرة المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبير العالمي العادلي السيفي ملك الأمراء سَلَّار الملكي الناصري نائب السلطة المعظمة أسبغ الله ظله،

وحضر فيه جماعة من السادة العلماء الفضلاء أهل الفتيا بالديار المصرية بسبب ما نُقِلَ عنه وَوُجِدَ بخطه الذي عرف به قبل ذلك من الأمور المتعلقة باعتقاده أن الله تعالى يتكلم بصوت وأن الاستواء على حقيقته وغير ذلك مما هو مخالف لأهل الحق، انتهى المجلس بعد أن جرت فيه مباحث معه ليرجع عن اعتقاده في ذلك إلى أن قال بحضرة شهود: أنا أشعري ورفع كتاب الأشعرية على رأسه وأشهد عليه بما كتب به خطأ وصورته: الحمد لله، الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت، كتبه: أحمد ابن تيمية، والذي أعتقده من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/ ٥] أنه على ما قاله الجماعة، أنه ليس على حقيقته وظاهره، ولا أعلم كُتِبَ المراد منه بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى. كتبه أحمد بن تيمية.

والقول في النزول كالقول في الاستواء أقول فيه ما أقول فيه ولا أعلم كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى، وليس على حقيقته وظاهره، كتبه: أحمد ابن تيمية وذلك في يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة.

هذا صورة ما كتب به خطه، وأشهد عليه أيضًا أنه تاب إلى الله تعالى مما ينافي هذا الاعتقاد في المسائل الأربع المذكورة بخطه^(١) وتلفظ بالشهادتين المعظمتين وأشهد عليه أيضًا بالطوعية والاختيار في ذلك ووقع ذلك كله بقلعة الجبل المحروسة من الديار المصرية حرسها الله تعالى بتاريخ يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة وشهد عليه في هذا المحضر جماعة من الأعيان المقتنين والعدول، وأفرج عنه واستقر بالقاهرة بدار شقير، ثم عُقِدَ له مجلس

(١) سيأتي التعليق على هذا الخط وما يشتمل عليه من التوبة في ص ٤٧١.

ثالث بالمدرسة الصالحية بالقاهرة في يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الآخر وكتب بخطه نحو ماتقدم ووقع الإشهاد فيه عليه أيضاً، وسكن الحال مدة ثم اجتمع جماعة من المشايخ والصوفية مع الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله في نحو خمس مئة نفر وتبعهم جمع كثير من العوام وطلعوا إلى قلعة الجبل في العشر الأوسط من شوال من السنة، واجتمع الشيخ المذكور وأعيان المشايخ بنائب السلطان وقالوا: إن تقي الدين يتكلم في حق مشايخ الطريقة وأنه يقول: لا يُسْتَغَاثُ بالنبِيِّ ﷺ فرد الأمر إلى قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي، واقتضى الحال أن رُسِمَ بتفسيره إلى الشام على خيل البريد فتوجه وكان قاضي القضاة زين الدين المالكي في ذلك الوقت في حال شديدة من المرض وقد أشرف على الموت، فبلغه ذلك عقيب إفاقة من غشي كان قد حصل له فأرسل إلى الأمير سيف الدين سلار وسأله في رده فأمر برده إلى القاهرة فتوجه البريد وأعادته من مدينة بلبس فوصل وقاضي القضاة زين الدين مغلوب بالمرض فأرسل إلى نائبه القاضي نور الدين الزواوي فحضر به إلى مجلس قاضي القضاة بدر الدين وحررت الدعوى عليه في أمر اعتقاده وما وقع منه، فشهد عليه الشيخ شرف الدين ابن الصابوني، وقيل: إن الشيخ علاء الدين القُوتُوي يشهد عليه فاعتقل بسجن الحاكم بحارة الديلم وذلك في ثامن عشر شوال سنة سبع وسبعمئة، واستمر به إلى سلخ صفر سنة تسع وسبع مئة، فَأُنْهِيَ عنه أن جماعة يحضرون إليه بالسجن وأنه يَعْظُهُمْ وَيَتَكَلَّمُ في أثناء وعظه بما يشبه ماتقدم من كلامه، فأمر بنقله إلى ثغر الإسكندرية واعتقاله هناك، فجهز إلى الثغر في هذا التاريخ وحبس ببرج شرقي واستمر به إلى أن عادت الدولة الناصرية، ثالثاً فتحدث مع السلطان في يوم السبت ثامن عشر شوال سنة تسع وسبع مئة فأكرمه السلطان وجمع القضاة وأصلح بينه وبين قاضي القضاة

زين الدين المالكي فأشروط عليه قاضي القضاة أن يتوب عما تقدم الكلام فيه ويتوب عنه ولا يعود إليه، فقال السلطان: قد تاب وانفصل المجلس على خير، وسكن الشيخ تقي الدين بالقاهرة ببعض القاعات، وتردد الناس إليه واستمر إلى أن توجه السلطان إلى الشام في سنة ثنتي عشرة وسبع مئة، فتوجه بِنَيْة الغزاة، وأقام بدمشق إلى أن سطرنا هذه الأحرف في سنة خمس وعشرين وسبعمئة، وكان له في غضون هذه المدة بدمشق وقائع نذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى، ولنرجع إلى تنمة سياقة الحوادث في سنة خمس وسبعمئة.

ذكر اعتقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية

وفي هذه السنة^(١) - في يوم الاثنين السادس من شعبان - اعتُقل الشيخ تقي الدين أحمد بن تَيْمِيَّةَ بقلعة دمشق المحروسة، حسب الأمر الشريف السلطاني، واعتُقل معه أخوه زين الدين عبدالرحمن، ومنع من الفتيا واجتماع الناس به.

وسبب ذلك: أنه أفتى أنه لا يجوز زيارة قبر رسول الله ﷺ، ولا قبر إبراهيم الخليل، ولا غيرهما من قبور الأنبياء والصالحين^(٢)، وتوجه بعض أصحابه وهو الشمس محمد بن أبي بكر إمام المدرسة الجوزية^(٣) في هذه السنة لزيارة البيت المقدس، فرقى منبراً في حرم القدس الشريف، ووعظ الناس وذكر هذه المسألة في أثناء وعظه، وقال: ها أنا

(١) سنة ٧٢٦.

(٢) لم يمنع الشيخ الزيارة، بل منع شد الرحل، وهذا واضح في جميع كتبه لكل ذي عينين!!.

(٣) هو ابن القيم - رحمه الله -.

من هنا أرجع ولا أزور الخليل، وجاء إلى نابلس، وعمل مجلس وعظ، وأعاد كلامه، وقال: ولا يزار قبر النبي ﷺ، ولا يزار إلا مسجده، فقصده أهل نابلس قتله، فحال بينهم وبينه مُتَوَكِّفًا، وكتب أهل القدس وأهل نابلس ودمشق بما وقع منه، فطلبه قاضي القضاة شرف الدين المالكي، فتغيب عنه، وبادر بالاجتماع بقاضي القضاة شمس الدين محمد بن مسلم الحنبلي قاضي الحنابلة، وتاب عنده، وقبل توبته، وحقن دمه، ولم يُعْزَره.

فنهض الفقهاء بدمشق عند ذلك، وتكلموا على الشيخ تقي الدين، وكتبوا فتيا تتضمن ماصدر منه، وذكروا هذه المسألة وغيرها، فأفتى العلماء بكفره!! وعُرضت الفتيا على نائب السلطنة بالشام، الأمير سيف الدين تنكز، فطالع السلطان بذلك، فجلس السلطان في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رجب بالميدان الذي هو بذيل قلعة الجبل، وأحضر القضاة والعلماء، وعرض عليهم ماورد في أمره من دمشق، فأشار قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي باعتقال تقي الدين المذكور، فرسم باعتقاله ومنعه من الفتيا، ومنع الناس من الاجتماع به، وأن يُؤَدَّب من هو على معتقده، وتوجه البريد بذلك، فوصل إلى دمشق في يوم الاثنين سادس شعبان، فاعتقل، وقرئ المثال السلطاني بعد صلاة الجمعة العاشر من الشهر على السدة بجامع دمشق.

ثم طلب قاضي القضاة القزويني جماعةً من أصحاب تقي الدين في يوم الجمعة الرابع والعشرين من الشهر إلى المدرسة العادلية، وكانوا قد اعتُقلوا بسجن الحكم، فادَّعَى على العماد إسماعيل^(١) صهر الشيخ

(١) هو الإمام ابن كثير، صاحب التفسير.

جمال الدين المِزِّي أنه قال: إن التوراة والإنجيل لم يُبدَّلا، وأنهما كما أنزلا، فأنكر، فشهد عليه بذلك، فضرب بالدِّرَّة، وأشهر وأطلق.

وادعى على عبدالله الإسكندري، والصلاح الكتبي^(١)، وغيرهما بأمور صدرت منهم، فثبت ذلك عليهم، فضربوا بالدِّرَّة، وأشهرُوا في البلد.

وطلب الشمسي أمام المدرسة الجوزية، وسئل عما صدر منه في مجلس وعظه بالقدس ونابلس، فأنكر ذلك، فشهد عليه من حضر مجلسه بما تلفظ ممن كان قد توجه من عدول دمشق لزيارة البيت المقدس، فثبت ذلك عليه فُضِرَبَ بالدرة، وأشهر على حمار بدمشق والصالحية، وقُيِّد، واعتُقِلَ بقلعة دمشق، فلم يزل في الاعتقال إلى يوم الثلاثاء العشرين من ذي الحجة سنة ثمان وعشرين، فأفرج عنه في هذا اليوم، وحضر إلى قاضي القضاة الشافعي، فشرط عليه شروطًا، فالتزمها، وأُطلق.

وفيها^(٢) في يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة ورد مرسوم شريف سلطاني إلى دمشق بمنع الشيخ تقي الدين أحمد ابن تيمية من الكتابة مطلقًا في التصنيف والفتيا، فأخذ ما عنده من الكتب والأوراق والدواة والأقلام وأودع ذلك عند متولي قلعة دمشق، فكان عنده إلى مستهل شهر رجب، ثم أرسل المتولي ذلك إلى قاضي القضاة علاء الدين، فجعل الكتب في خزانة المدرسة العادلية، لأنها كانت عارية، وأما الأوراق التي كانت بخطه من تصانيفه فكانت نحو أربع عشرة ربطة، فنظر القضاة والفقهاء فيها، وفرقت بينهم.

(١) هو ابن شاعر الكتبي المؤرخ.

(٢) سنة ٧٢٨، وهو في الحبس.

وكان سبب ذلك أنه وجد له جواب عما رده عليه قاضي القضاة تقي الدين المالكي، فأعلم السلطان بذلك، فاستشار قاضي القضاة، فأشار بذلك، فرسم به، فحينئذ عدل الشيخ عن ذلك إلى تلاوة القرآن.

وفيها^(١) في الثالث الأخير من ليلة الاثنين المسفر صباحها عن العشرين من ذي القعدة كانت وفاة الشيخ العالم الورع تقي الدين أحمد ابن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي في معتقله بدمشق، ومرض سبعة عشر يوماً، ولما مُنِعَ من الكتابة والتصنيف عكف على تلاوة كتاب الله تعالى، فيقال إنه قرأ ثمانين ختمة، وقرأ من الحادية والثمانين إلى سورة الرحمن، وأكملها أصحابه الذين دخلوا عليه حال غسله وتكفينه، وتولى غسله مع المغسل الشيخ تاج الدين الفارقي، والشيخ شمس الدين بن إدريس، وصُلِّيَ عليه في عدة مواضع؛ فصلّى عليه أولاً بقلعة دمشق وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تَمَّام الصالحي الحنبلي، ثم حُمِلَ إلى الجامع الأموي، ووضعت جنازته في أول الساعة الخامسة، وامتأل الجامع بالناس، وغلقت أسواق المدينة، وصلى عليه بعد صلاة الظهر، ثم حمل وأخرج من باب الفرج، وازدحم الناس حتى تفرّقوا في أبواب المدينة وصُلِّيَ عليه بعد صلاة الظهر، ثم حمل فخرجوا من باب النصر وباب الفراديس وباب الجابية، وامتأل سوق الخيل بالناس، وصُلِّيَ عليه مرة ثالثة وأم الناس في الصلاة عليه أخوه الشيخ زين الدين عبدالرحمن، وحُمِلَ إلى مقبرة الصوفية، فدُفِنَ قريباً من وقت العصر لازدحام الناس عليه.

ومولده بحران في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، وقدم مع والده في حال صغره، واشتغل عليه وسمع من جماعة من المشايخ، وكان شيخاً حافظاً مُفْرِطَ الذكاء، حسن البديهة، وله تصانيف كثيرة منها ما ظهر، ومنها ما لم يظهر، وشهرته بالعلم تغني عن بَسْطِ القلم فيه، وكان علمه أرجح من عقله^(١)، وقد قدمنا من أخباره ووقائعه ما يغني عن إعادته، وكانت مدة اعتقاله من يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة إلى حين وفاته ستين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً، رحمه الله تعالى.

ولما مات أُفْرِجَ عن أخيه الشيخ زين الدين عبدالرحمن في يوم الأحد سادس عشرين ذي القعدة، وكان قد اعتقل معه، فلما مات كان يخرج في كل يوم إلى تربة أخيه، ويعود عشية النهار يبيت بقلعة دمشق، إلى أن حضر نائب السلطنة من الصيد، فأفْرِجَ عنه.



(١) كلمة قالها الجزري، فتلقفها من بعده، وقد قال الذهبي عن تاريخ ابن الجزري:

«وفي تاريخه عجائب وغرائب»! اهـ.

انظر: «ذيل تاريخ الإسلام»: (ق/١٠٢ب).

أجوبة ابن سيّد الناس اليعمري عن سؤالات ابن أبيك الدمياطي^(١)

للعلامة / أبي الفتح ابن سيّد الناس اليعمري (٧٣٤)

[قال ابن سيّد الناس، بعد ثنائه على المزي: وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.

فألفيته ممن أدرك من العلم حظًا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا. إن تكلم في التفسير؛ فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه؛ فهو مُدرك غايته، أو ذاكر بالحديث؛ فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل؛ لم يُر أوسع من نخلته في ذلك ولا أرفع من درايته، برز في كل فنٍّ على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه. كان يتكلم في التفسير؛ فيحضر مجلسه الجُم الغفير، ويرِدون من بحر علمه العذب النмир، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير، إلى أن دبَّ إليه من أهل بلده داء الحسد، وأكبَّ أهل النظر منهم على ما يُنتقد عليه في حنبلية من أمور المعتقد، فحفظوا عنه في ذلك كلامًا؛ أوسعوه بسببه ملامًا، وفوقوا لتبديعه سهامًا. وزعموا أنَّه خالف طريقتهم، وفرق فريقهم، فنازعهم ونازعه،

(١) (٢/٢٢١-٢٢٤) تحقيق د/ محمد الراوندي، نشر وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٤١٠.

وقاطع بعضهم وقاطعوه، ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة،
 ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق،
 وذكر لها - على ما زعم - بواطن، فأضت إلى الطائفة الأولى من منازعته،
 واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعته، فوصلوا بالأمراء أمره، وأعمل
 كل منهم في كفره فكره، فرتبوا محاضر، وألبوا الرويضة للسعي بها بين
 الأكابر، وسعوا في نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية فنقل، وأودع
 السجن ساعة حضوره واعتقل، وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك
 قوماً من عُمّار الزوايا وسكّان المدارس، من مجامل في المنازعة، مختل
 بالمخادعة، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة، يسومونه ريب المنون،
 ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص / ٦٩].

وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالاً من المختل، وقد دبّت إليه
 عقارب مكره فردّ الله كيد كل في نحره، ونجاه على حد من اصطفاه
 والله غالب على أمره.

ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من
 محنة إلا إلى محنة، إلى أن فوّض أمره لبعض القضاة فتقلّد ما تقلّد من
 اعتقاله، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى ربه تعالى وانتقاله،
 وإلى الله ترجع الأمور، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وكان يومه مشهوداً، ضاقت بجنازته الطريق، وانتابها المسلمون من
 كل فج عميق، يتبركون بمشهده يوم يقوم الأشهاد، ويتمسكون
 بشرجه^(١) حتى كسروا تلك الأعواد!! وذلك في ليلة العشرين من ذي

(١) أي: سريره. وهذا التبرك محرّم شرعاً! وهذا ما بيّنه شيخ الإسلام في كتبه. انظر:
 «مجموع الفتاوى»: (٢٦/١٢١).

القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بقلعة دمشق المحروسة، وكان مولده بحرّان في عاشر شهر ربيع الأوّل من سنة إحدى وستين وست مئة - رحمه الله وإيانا - .

قرأت على الشيخ الإمام حامل راية العلوم، ومدرّك غاية الفهوم؛ تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية - رحمه الله - بالقاهرة - قدّم علينا - قلت: أخبركم الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي .

ح قال أبو الفتح: وأخبرنا الشيخان أبو الفرج عبداللطيف إجازة، وأخوه أبو العزّ عبدالعزیز سماعًا غير مرة قالوا: أنا أبو الفرج عبدالمنعم ابن عبدالوهاب بن سعد بن صدقة بن كليب.

قال ابن عبدالدائم وعبداللطيف: سماعًا، وقال عبدالعزیز: إجازة. قال: أنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مخلد قال: أنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصقّار، ثنا أبو علي الحسن بن عرفة العبدي، ثنا إسماعيل بن عيّاش عن بحير بن سعد الكلاعي عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة الحضرمي عن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة».

رواه أبو داود في الصلاة عن أبي بكر بن أبي شيبة، والترمذي عن ابن عرفة كلاهما عن إسماعيل بن عيّاش، وقال: حسن غريب. فوقع لنا موافقة عالية للترمذي، وبدلاً لأبي داود.

تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه^(١)

لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم
الجزري القرشي (٧٣٩)

في يوم الاثنين السادس من شعبان (سنة ٧٢٦) قدم البريد من مصر إلى دمشق وعلى يده مرسوم سلطاني أن يعتقل الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فلما كان بعد صلاة العصر حضر ناصر الدين مشد الأوقاف، والأمير بدر الدين (أمير مسعود)^(٢) ابن الخطير الحاجب إلى عند الشيخ، وعرفوه صورة الحال، فأظهر أن في هذا خير كثير^(٣)، وأحضروا له مركوبًا، فركب معهم إلى قلعة دمشق، فأخلت له دار يجري إليها الماء، وكان في جملة المرسوم أن يكون معه ولد أو أخ وخادم يخدمه، وأن يُجرى عليهم كفايتهم، فاختار أخوه زين الدين عبدالرحمن المقام معه لخدمته. وكان السبب في ذلك أنه قد أفتى فتيا وذكر فيها (أنه)^(٤)

(١) ١١١/٢ - ١١٤، ١٢٣، ٢٦٣ - ٢٦٤، ٢٧٣، ٣٠٦ - ٣١٠، نشر المكتبة العصرية - بيروت ١٤١٩، ط. الأولى، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري. والحواشي المثبتة من المحقق.

(٢) عن الهامش.

(٣) كذا، والصواب: «خيرًا كثيرًا».

(٤) عن الهامش.

لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث^(١) مساجد. الحديث المشهور. وأن زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام لا يشد إليها الرحال كقبر أبونا^(٢) إبراهيم الخليل والنبي عليه السلام وغيرهما من الأنبياء والصالحين صلى الله عليهم أجمعين.

واتفق أن الشمس محمد إمام الجوزية^(٣) سافر إلى القدس الشريف ورَقًا في الحرم على منبر ووعظ، وفي أثناء وعظه ذكر هذه المسألة، وقال: ها أنا من هاهنا أرجع ولا أزور الخليل إساءة أدب عليه عليه السلام. وجاء إلى نابلس وعُمِلَ له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى أنه قال: ولا يزار قبر النبي عليه السلام إلا مسجده، فقاموا^(٤) عليه الناس، فحمّاه منهم والي نابلس سيف الدين بهادر، وكتبوا^(٥) أهل القدس ونابلس إلى دمشق يعرفونهم^(٦) صورة ما وقع منه، فطلبه القاضي المالكي، فتودد منه وطلع إلى الصالحية إلى القاضي الحنبلي وتاب على يديه وأسلم، فقبل توبته وحكم بإسلامه وحَقَّنَ دمه ولم يعززه لأجل الشيخ. فحينئذ قامت الفقهاء الشافعية والمالكية وكتبوا فتيا في الشيخ تقي الدين بن تيمية لكون أنه هو أول من تكلم بهذه المسألة وغيرها، فكتب عليها الشيخ الإمام برهان الدين (أبي^(٧) إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين

(١) كذا، والصواب: «ثلاثة».

(٢) كذا، والصواب: «أبينا».

(٣) انظر عن المدرسة الجوزية في: الدارس ٢٣/٢، ومناداة الأطلال ٢٢٧.

(٤) كذا، والصواب: «فقام».

(٥) كذا، والصواب: «وكتب».

(٦) الصواب: «يعرفونهم».

(٧) كذا، والصواب: «أبو».

عبدالرحمن الفزاري الشافعي^(١) نحو أربعين سطرًا بأشياء كثيرة أنه يقولها ويفتي بها، وآخر الكلام أفتى بتكفيره، ووافقه شهاب الدين بن جهبل الشافعي وكتب تحت خطه، وكذلك الصدر المالكي، وغيرهم، وحملت الفتيا إلى نائب السلطنة، فأراد أن يُعقد لهم مجلس ويُجمع القضاة والعلماء في ذلك، فرأى أن الأمر يتسع الكلام فيه، ولا بد من إعلام السلطان، فأخذ الفتوى وجعلها في المطالعة، وسيرها إلى السلطان، عز نصره، فجمع لها القضاة، ولم يحضر المالكي فإنه كان مريضًا، فلما قرئت عليهم أخذها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وكتب على ظهرها: القائل بهذه المقالة ضال مُضِلُّ^(٢) مبتدع، ووافق/ الحنفي والحنبلي، فقال الأمير بهادر لقاضي القضاة بدر الدين: ماترى في أمره؟ فقال: يُحبس، فإنه من العلماء وقد أفتى، فقال مولانا الناصر، عز نصره: وكذا كان في نفسي أن أفعل به، فكتب إلى نائب السلطنة بما اعتمده من حبسه، وفي (يوم)^(٣) الجمعة عاشر شعبان بعد (صلاة)^(٤) الجمعة قرىء كتاب السلطان على السُّدَّة في حديثه.

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان قعد قاضي القضاة جلال الدين بعد الصلاة بالمدرسة العادلية^(٥)، وأحضروا جماعة من جماعة تقي الدين بن تيمية كانوا معتقلين في حبس الشرع، فادَّعي على العماد إسماعيل صهر جمال الدين المزني أنه قال: إن التوراة والإنجيل

(١) مابين القوسين عن الهامش.

(٢) في الأصل: «طال مطل».

(٣) عن الهامش.

(٤) عن الهامش.

(٥) هي العادلية الكبرى بدمشق. انظر عنها في: الدارس ١/ ٢٧١، ومنادمة الأطلال ١٢٣.

مابدلت وإنها بحالها كما أنزلت، وشهدوا عليه، وثبت ذلك في وجهه، فعُزِّر بالمجلس بالدرة، وأخرج وطيف به، ونادوا: هذا جزاء من قال إن التوراة والإنجيل مابدلت، وبعد ذلك سببوه.

وأحضر عبدالله الإسكندري وأدّعي عليه أنه قال عن مؤذنين^(١) الجامع: هؤلاء كفر، أو أنهم كفار بسبب أنهم يقولوا^(٢) في المنارة: ألا يارسول الله أنت وسيلتي، وشيء^(٣) آخر من هذا الجنس. فذكر أنه اعترف بذلك وبغيره عند قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي، وأنه أسلم على يده وقبل توبته وحقن دمه، وأبقا^(٤) عليه جهاته وزوجتيه، فسيروا إلى الحنبلي يسألوه^(٥) عن ذلك.

وأحضر بعده الصلاح الكتبي^(٦) وأدّعي عليه أنه قال: لا فرق بين حجارة سقاية جيرون^(٧) وحجارة صخرة بيت المقدس، فأنكر فقامت عليه البينة بذلك.

وأحضر بعدهم إمام الجوزية الشمس محمد بن أبي بكر الذي عمل الفتنة من أصلها وأدّعي عليه في المجلسين الذين^(٨) عملهما بالقدس

(١) كذا، والصواب: «مؤذني».

(٢) كذا، والصواب: «يقولون».

(٣) كذا، والصواب: «وشيتاً».

(٤) كذا، والصواب: «وأبقى».

(٥) كذا، والصواب: «يسألونه».

(٦) هو المؤرخ محمد بن شاكر بن أحمد المتوفى سنة ٧٦٤هـ. صاحب: عيون التواريخ، وفوات الوفيات.

(٧) جيرون، قرية من غوطة دمشق.

(٨) كذا، والصواب: «اللذين».

الشريف ونابلس فأنكر، وكان من قطوعه أنه قد سافر جماعة من أهل دمشق كلهم فقهاء وعدول، من جملتهم مدرس الطرخانية الحنفية^(١) وغيره، فحضروا مجلسه بنابلس، فأنكر، فشهدوا عليه بما قال، وثبت ذلك. وجاء الحنبلي إلى عند ملك الأمراء وقال: أنا حكمت بإسلامهم وهو مظلومين^(٢) بحبسهم فنازعوه^(٣) القضاة، وجرى أمور يطول شرحها. وأخذوا^(٤) المالكية إمام الجوزية إلى حبسهم، فعاد الحنبلي سيرا إلى قاضي القضاة جلال الدين يسأل أن يتم المسلم عنده ولا يؤديهم إلى المالكي، فعاد جلال الدين عزّر عبدالله الإسكندري على حمار غير مقلوب، والصلاح الكتبي، وآخر أساء الأدب، وقال: كل من قال عن ابن تيمية شيء^(٥) فهو كاذب وأضربه بمداس، وضربوهم جميعهم بالدرة في قفيهم^(٦) على الحمير وردوا إلى الحبس، وأحضر بعدهم إمام الجوزية وعزّره عنده بالعادلية بالدرة، ثم أركبه حمار وطاوفه^(٧) البلد، وراحوا به إلى الصالحية، وآخر النهار رد إلى الحبس، وأعلموا نائب^(٨) السلطنة بما فعلوه. وبعد ذلك حضر (ناصر الدين)^(٩) مشد الأوقاف تسلّم إمام الجوزية وودّاه إلى القلعة فحبس

(١) انظر عن المدرسة الطرخانية في: الدارس ١/٤١٥، ومنادمة الأطلال ١٧٩.

(٢) كذا، والصواب: «وهم مظلومون».

(٣) كذا، والصواب: «فنازع».

(٤) في الأصل: «وأخذ».

(٥) كذا، والصواب: «شيئا».

(٦) كذا، والصواب: «أقفيهم».

(٧) كذا، والصواب: «حمارا وطوفه».

(٨) كتبت في آخر الصفحة السابقة ثم شطب فوقها.

(٩) فوق السطر.

المذكور مقيداً، وسيبوا الباقي، وسكنت القضية.

وفي تاسع ذي القعدة قدم نائب السلطنة إلى دمشق من الصيد والقنص، وسير الحاجب بدر الدين الخطير إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى الحبس مرتين، ولم يعلم ماجراً^(١).

وفي يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة سير نائب السلطنة للقاضي جمال الدين (يوسف)^(٢) بن جملة الشافعي نائب الحكم العزيز، وناصر الدين مشد الأوقاف (للشيخ تقي الدين بن تيمية)^(٣) وسألوه عما أفتا^(٤) وما يعتقد فكتب بخطه ثمانين سطراً بصورة ما أفتا^(٥) وما يعتقد وغير ذلك، فسيرها ملك الأمراء طي مطالعته للسلطان، عز نصره.

وفي يوم الإثنين تاسع عشر جمادى الآخرة (٧٢٨) ورد المرسوم السلطاني بمنع الشيخ تقي الدين بن تيمية أن يصنف أو يكتب، فحضر إليه من أخذ جميع ما كان عنده من كتاب وورق ومن دواة وأقلام، وتركت عند والي القلعة إلى مستهل رجب سيرها متولي القلعة إلى عند قاضي القضاة علاء الدين (القونوي)^(٥) الشافعي، فجعل الكتب في خزانة العادلة لأن أكثرها كانت عند الشيخ عارية، والرزم التي بخطه وتصنيفه طالعوها حتى يردوا عليه ما قاله خلاف الإجماع.

(١) كذا، والصواب: «ما جرى».

(٢) عن الهامش.

(٣) عن الهامش.

(٤) كذا، والصواب: «أفتى».

(٥) عن الهامش.

وكان سبب ذلك أنه رد على قاضي القضاة (تقي الدين الإخنائي)^(١) المالكي بالديار المصرية في كتاب كان قد صنفه في الزيارة، وجرى حديث يطول شرحه وتفصيله، وكان له في ذلك خيرة كبيرة لأنه اشتغل بالصلاة وتلاوة القرآن الكريم إلى حيث مات، رحمه الله تعالى وإيانا^(٢).

وفي يوم الأحد سادس عشرين ذي القعدة (٧٢٨) أفرج عن الشيخ زين الدين عبدالرحمن أخو^(٣) الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكان من بعد موت أخيه كل ليلة يروح يبات في القلعة بسبب غيبة نائب السلطنة في الصيد، لما حضر أفرج عنه.

وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة (سنة ٧٢٨) تُوفي الشيخ الإمام، العالم، العامل، العلامة، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، القدوة، العارف، المحقق، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبو^(٤) البركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي بقلعة دمشق، في القاعة التي كان محبوسًا فيها الثلث الأخير من الليل، وكان له مدة سبع^(٥) عشر يومًا بالحمى. كذى^(٦) أخبرني أخوه الشيخ زين الدين عبدالرحمن، وذكر لي أن من حيث منع من

(١) عن الهامش.

(٢) الخبر في: البداية والنهاية ١٤/ ١٣٤.

(٣) الصواب: «أخي».

(٤) الصواب: «أبي».

(٥) الصواب: «سبعة».

(٦) الصواب: «كذا».

الكتابة والتصنيف (في يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة من هذه السنة)^(١) قرأ أحد^(٢) وثمانين ختمة، وكان قد بقي من الختمة الأخيرة من سورة الرحمن إلى الحمد، فقرأ أصحابه الذين دخلوا إليه ليصروه قبل تغسيله وإلى حيث فرغ من غسله وتكفينه تمام الختمة المباركة إن شاء الله تعالى. والذي تولى غسله مع المغسل الشيخ الصالح تاج الدين (محمود)^(٣) الفارقي، والشيخ شمس الدين ابن الرزير خطيب جامع كريم الدين، فغسلوه وكفنوه، وتقدم في الصلاة عليه الشيخ الصالح محمد بن تمام الصالحي الحنبلي، وصلى عليه جميع من في قلعة دمشق، ثم حمل وأخرج منها إلى جامع دمشق، ووضعت الجنازة أول الخامسة، وقد امتلأ الجامع بالناس، وغلقت جميع أسواق دمشق ولم يبق حانوت مفتوح، إلا أن يكون نصراني^(٤)، لأن اليهود كانوا في عيد المظلة. وأما دكاكين المراوزة والحريريين والقزازين وجميع أرباب الأنوال والحكاة والصناع، وجميع أرباب الصنائع، وسكان الأحكار ظاهر دمشق، وأهل الصالحية بأجمعهم حضروا إلى الجامع المعمور لأجل الصلاة عليه، وامتلاً الجامع أكثر من يوم الجمعة، لأن أهل الصالحية مع أهل الأحكار يصلون يوم الجمعة في جوامعهم، وفي هذا اليوم حضروا إلى الجامع بأجمعهم، ولعل من لا له عادة بالصلاة حضر لأجل الصلاة عليه، وصلى عليه (قاضي القضاة الشيخ علاء الدين القونوي الشافعي)^(٥)

(١) عن الهامش.

(٢) الصواب: «إحدى».

(٣) عن الهامش.

(٤) الصواب: «نصرانياً».

(٥) عن الهامش.

عقيب صلاة الظهر بالجامع، ثم حضروا^(١) الأمراء والحجاب والنقباء بالعصي والدبابيس حول نعشه، وحملوه^(٢) الترك من الأمراء والمقدمين على رؤوسهم تبركاً به، والأجناد يضربون الناس، ولولا ذلك لما قدروا يصلوا به إلى قبره من كثرة الزحام والتبرك به. وكانت سوقة باب البريد قد أخربوها، فشق على الناس ذلك، وحملوه وخرجوا به من باب الفرج، وبعض الناس من باب الفراديس وباب النصر وباب الجابية من كثرة الناس. وامتد العالم إلى سوق الخيل وامتلاً، فصلى عليه أخوه زين الدين عبدالرحمن، ثم حمل من سوق الخيل فمُرَّ به تحت القلعة المحروسة. والله العظيم، لقد رأيت الناس قاعدين على الطريق يميناً وشمالاً، الرجال والنساء مختلطين كأنهم ينتظرون عبور السلطان، ومنهم من يبكي، ومنهم من يضح ويصيح، ومن يتأسف، ومنهم من يتفرج. فلما وصلت إلى مقبرة الصوفية رأيته وقد امتلت بالعالم، وقد حفروا قبره إلى جانب أخيه الشيخ شرف الدين. وحضر أخوه زين الدين وحوله نُقباء يحمونه^(٣) من الناس، حتى شاهد القبر قبل وضع أخيه، وتأخرت الجنازة إلى قريب العصر حتى وضع في قبره وألحدوه وطم عليه ولقنوه، وبعد ذلك انصرف الناس أول^(٤) بأول متأسفين عليه.

وكنت من حيث حضرت إلى الجامع المعمور شرعت في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقريت^(٥) إلى حيث دفن وانصرفت من عند قبره

(١) الصواب: «حضر».

(٢) الصواب: «حملة».

(٣) الصواب: «يحمونه».

(٤) الصواب: «أولاً».

(٥) الصواب: «فقرأت».

ألف مرة ومائة مرة وأحد عشر^(١) مرة، قل هو الله أحد، والمعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وأهديت ثواب ذلك جميعه إليه، وطلبت له من الله تعالى المغفرة والمفاداة والرضوان، ووصلت إلى بيتي أذان العصر. وبعد انصرافي ذكروا أن بعض الأمراء أحضر خيمة كبيرة نصبت على قبره، وحضر جماعة من القراء وختموا على قبره. وأنه أحضر لهم مأكول كثيرًا^(٢) من الطعام وغيره، وحضروا بكرة النهار وتُليت ختمات كثيرة عند قبره، وفي الصالحية، وفي بيوت أصحابه، وإهدي ثوابها له، وتردد الناس إلى قبره أيام^(٣) كثيرة. ورأوا له منامات صالحة كثيرة لم أضبطها.

مولده يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بخران، وقدم مع والده إلى دمشق صغيرًا، واشتغل عليه، وسمع منه، ومن الشيخ شمس الدين ابن أبي عمر، ومن شمس الدين ابن عطاء، ومن شمس الدين بن علان، وابن أبي اليسر، وابن عبد، وابن عبدالدائم، وابن البخاري، وابن الواسطي، وابن الصيرفي، وابن المقداد، والهروي، وابن عساكر، وجماعة كثيرة. وأجاز له جماعة، وقرأ بنفسه الكثير، وطلب الحديث، وكتب الطباقي، ولازم السماع مدة سنين، واشتغل بالعلوم على والده وغيره، وحصل في أول وقت ما لا حصّله غيره في سنين كثيرة. وكان عنده ذكاء مفطر، وبديهة حسنة، وعنده طرف جيد من التفسير، والفقه، والأصول، والنحو، واللغة، والخلاف، فكان فيه إمامًا ماهرًا، وأما علوم الحديث فكان يعرف

(١) الصواب: «إحدى عشرة».

(٢) الصواب: «كثير».

(٣) الصواب: «أيامًا».

الحديث الصحيح من السقيم، ويذكر رجاله، العدل فيهم والضعيف، وهو في ذلك إمامًا مبرزًا^(١). وكان في أكثر العلوم له فيها اليد الطولى. وصنف تصانيف كثيرة في علوم شتى. وكان علمه أكثر من عقله^(٢). وكان كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة، ومن ذكره كان دائمًا يقول: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يشخص إلى السماء حتى يغيب بكليته. وكان من غرائب الزمان وعجائبه.

عاش سبع وستون^(٣) سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام، وخرج من بطن أمه يوم الاثنين وحبس الآن يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة، فيكون مدة اعتقاله سنتين وثلاث^(٤) شهور وخمس عشرة^(٥) يومًا، وبينه وبين أخيه الشيخ شرف الدين عبدالله سنة وستة أشهر وأربعة أيام، لأنه توفي في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبعمائة، رحمهم الله تعالى وإيانا والمسلمين أجمعين.

(شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، حافظ وقته، ومحدث زمنه، له اليد العالية في العلوم، صالحًا زاهدًا ورعًا متقشفًا متقيًا^(٦))، قائم بالحق أمر بالمعروف، ناه عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم. [له] الفتاوى المشهورة والتصانيف المذكورة. لم يكن في وقته أحفظ منه، ولا لنقل

(١) الصواب: «إمام مبرز».

(٢) سبق التعليق على هذه العبارة ص: ١٣٣.

(٣) الصواب: «سبعًا وستين».

(٤) الصواب: «وثلاثة».

(٥) الصواب: «وخمسة عشر».

(٦) الصواب: «صالح زاهد ورع متقشف متق».

في التفسير وأقوال العلماء فيه، ولا في الحديث واختلاف الصحابة منه،
ولا في الفقه واختلاف الفقهاء منه^(١).

* * *

(١) ما بين القوسين كُتب على هامش الصفحة ١٢٨ من المخطوط.

المُقتَنِي لتاريخ أبي شامة^(١)

تأليف: علم الدين القاسم بن محمد البرزالي (٧٣٩)

وفي يوم السبت منتصف ربيع الآخر (سنة ٦٩٩) شرع في نهب الصالحية والعيث والفساد فيه، وكسروا الأبواب وقلعوا الشبايك وأخذوا بسط الجامع، وحصل لهم في الصالحية شيء كثير من القمح والذخائر والمطعومات والكتب، والتجأ الناس إلى دير الحنابلة من جوانب الصالحية، فاحتاط التتار به يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر، ودخلوا إليه ونهبوا منه وسبوا، وخرج إليهم في هذا اليوم يوم الثلاثاء شيخ المشايخ المذكور وجماعة^(٢) بين الظهر والعصر، فأدركوا وردوا عنهم وهرب التتار بين أيديهم وتوجهوا إلى قرية المزة فنهبوا وأسروا وتوجهوا إلى داريا فدخل أهلها إلى الجامع فاحتاطوا به ودخلوه ونهبوا وأسروا وقتلوا أيضاً.

وفي يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر خرج جماعة منهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى ملك التتار وكان نازلاً بتل راهط بالمرج فدخل عليه وأراد أن يشكي إليه ماوقع فلم يمكن من ذلك، وأشار

(١) القسم الأول من الجزء الثاني من الكتاب، إعداد: يوسف إبراهيم الشيخ عيد الزامل، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ١٤١٥.

(٢) على رأس هذه الجماعة شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية، انظر عقد الجمان ٣٤/٤.

الوزير سعد الدين، ومشير الدولة الرشيد بأن لا يخاطب الملك بشيء من ذلك فانه يحصل لكما، ونحن نتولى إصلاح الأمر، ولكن لابد من إرضاء المغل فإن منهم جماعة لم يحصل لهم شيء إلى الآن، وعاد الشيخ تقي الدين ومن معه إلى البلد ليلة السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر. (ص ٥٥).

في يوم الخميس ثاني رجب (سنة ٦٩٩) طلب الأعيان من القضاة والعلماء والرؤساء بأوراق عليها علامة الأمير سيف الدين قبجق إلى داره، فحضر جماعة منهم حلفوا للدولة المحمودية بالنصح وعدم المداجاة وغير ذلك، وفي يوم الخميس المذكور توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى مخيم بولاي بسبب الأسرى واستفكاكهم وكان معهم خلق من الأسرى فأقام ثلاث ليال. (ص ٨٤).

وفي بكيرة الجمعة المذكورة [السابع عشر من رجب سنة ٦٩٩] دار الشيخ تقي الدين ابن تيمية بدمشق على ماجدد من الخمارات فبدد الخمر وكسر الجرار وشق الظروف وعزر الخمارين هو وجماعته، ولازم الناس هذه الليالي المبيت على الأسوار وأظهروا عددًا حسنة وتحملًا وكان الشيخ تقي الدين وأصحابه يمشون على الناس ويقرأ الشيخ عليهم سور القتال وآيات الجهاد وأحاديث الغزو والرباط والحرس، ويحثهم على ذلك ويحرضهم. ونودي بكرة السبت الثامن عشر من رجب بالأمر بزيئة البلد مع ملازمة السور فشرع الناس في الزيئة. (ص ٨٨).

واستهل شهر صفر (سنة ٧٠٠) والأخبار قد وصلت بقصد التتار البلاد، والناس بدمشق مهتمون بأمر الهرب إلى الديار المصرية والكرك

وغيرهما، والأراجيف تتبع بعضها بعضاً، والإزعاج وافر، والصدور ضيقة، وغلت الأكرية وبلغ كرى المَحَارَة إلى مصر خمس مائة درهم، وبلغ ثمن الجمل ألف درهم، وثن الحِمَار خمس مائة درهم، وباع الناس الأمتعة بالثمن البخس من الحلي والنحاس والقماش، وطاشت الألباب، وتحير الناس، وتفرقت القلوب، وجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مكانه بالجامع يوم الاثنين ثاني صفر يفسر آيات الجهاد، ويحض الناس على لقاء العدو، وعلى الغزو والإنفاق في سبيل الله، ويوجه وجوب قتالهم ويقلل عددهم، ويضعف أمرهم، ويوبخ من قَصَد الهرب، ويحضه على إنفاق مقدار ما يخرج في ذلك في الغزو، واستمر يجلس أياماً متوالية. (ص ١٢٢).

واستهل جمادى الأولى (سنة ٧٠٠) والناس في رجفات وخوف ووجل وشدة، وأرباب المناصب قد ضاقت صدورهم وتمنوا الهرب، وأن يؤذن لهم في ذلك، والناس في خوف من عدم قدوم العسكر والسلطان، ومن لم يتحيل أولاً قام وتحيل وباع ورهن، وقاسى الناس شدة شديدة، ويقولون: أين العسكر وما هذه أحوال من نيته الحضور؟! وهؤلاء قد تركوا الشام وإنما يقاتلون عن ديار مصر وما شابه ذلك، وخرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية مستهل جمادى الأولى إلى المرج إلى المخيم فاجتمع بنائب السلطنة وسكنه وثبته، وأقام عنده إلى بكرة الأحد ثالث الشهر فودعه وساق على خيل البريد إلى الجيش المصري فما أدركهم إلا بعد دخولهم القاهرة. (ص ١٣١).

وفي بكرة الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الأولى وصل كتاب الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى دمشق، متضمناً أنه دخل القاهرة على البريد في سبعة أيام والثامن، وأن وصوله كان يوم الاثنين حادي

عشر جمادى الأولى، وأنه اجتمع بجميع أركان الدولة، وذكر لهم حاجة المسلمين إلى الإعانة والغوث، وحصل بسببه همم عليّة ونودي بالغزاة وجرد جماعة وقويت العزائم ونزل بالقلعة، وفي ظهر يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الأولى وصل الشيخ تقي الدين المذكور إلى دمشق على البريد بعد أن أقام بقلعة القاهرة ثمانية أيام وتكلم مع السلطان والنائب والوزير والأمراء الأكابر أهل الحل والعقد في أمر الجهاد وكسر هذا العدو المخذول وقهره والظفر به وإصلاح أمر الجند وتقوية ضعفائهم، والنظر في أرزاقهم، والعدل في ذلك، وأمرهم بانفاق فضول أموالهم في هذا الوجه، وتلا عليهم آية الكنز، وقوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ الآيات، وكان خروجه من ديار مصر في يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الأولى. (ص ١٣٤).

وفي جمادى الأولى (سنة ٧٠٢) وقع بيد نائب السلطنة الأمير جمال الدين الأفرم كتاب إليه صورة نصيحة على لسان قطز من مماليك الأمير سيف الدين قبجق، وفيه أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والقاضي شمس الدين ابن الحريري يكتبان قبجق ويختارانه لنيابة الملك ويعملان على الأمر، وأن الصدر كمال الدين ابن العطار والشيخ كمال الدين ابن الزملكاني يطالعان بأخبار الأمير وأن جماعة من الأمراء معهم في هذه القضية، وذكروا جماعة من مماليك الأمير وخواصه، وأدخلوهم في ذلك، فلما قرأ الأمير هذا الكتاب وفهمه علم بطلانه وأسرّه إلى بعض الكتاب وطلب التعريف بمن فعله، فاجتهد في ذلك حتى وقع الخاطر والحدس على فقير يعرف باليعفوري ممن كان نسب قبل ذلك إلى فضول وتزوير فمُسك، فوجد معه مسوّدّة بالكتاب المذكور

بعينه فضرب فأقر على شخص آخر يعرف بأحمد القباري كان أيضًا قد نسب إليه زور ودخول فيما لا يعنيه، فضرب الآخر فاعترف وعين جماعة من الأكابر أشاروا عليهما بذلك، وكان قصدهم تشويش خاطر الأمير على خواصه والسعي في إهلاك المذكورين في الكتاب، فانجلت القضية للأمير وعرف الأمر فيها معرفة شافية وعزر الفقيرين المذكورين في مستهل جمادى الآخرة، ثم بعد التعزير أمر بتوسيطهما وتعليقهما في اليوم المذكور، وكذلك أيضًا عزز التاج ابن المناديلي الناسخ في التاريخ المذكور وقطعت يمينه وهو الذي كان كتب لهما الكتاب، وخطه معروف. (ص ١٩١ - ١٩٢).

وأصبح الناس بدمشق يوم الأحد المذكور (٢٥ شعبان سنة ٧٠٢) في أمر كبير لقرب العدو وتأخر السلطان وجمهور الجيش، فشرعوا وتحركوا في الجفل، وذكروا أن هذا الجيش الذي قد اجتمع بالمرج ودمشق ليس لهم طاقة بلقاء هذا العدو وإنما سيبلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة، فاخبط البلد، فلما تعالى النهار اجتمع الأمراء بالميدان وتحالفوا على لقائهم، وشجعوا أنفسهم ونودي بالبلد أن لا يجفل أحد ولا يسافر أحد فسكن الناس وجلس القضاة بالجامع وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامّة على حضور الغزاة، وتوجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى جهة العسكر الواصل من حماة فادركه بالقطيقة^(١) والمرج فاجتمع بهم وأعلمهم بما اتفق عليه الأمراء بدمشق فوافقوا على ذلك.

وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شعبان اختبط الناس كثيرًا

(١) القطيقة: قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص، انظر ياقوت: معجم البلدان ٣٧٨/٤.

وجفل جميع أهل القرى والحوضر، واعتكر الناس بأبواب البلد ودخل كثير من الناس إلى القلعة وامتألت المنازل والطرق وحصل التنازع في ذلك وتشوشت القلوب بسبب أن جماعة من الجيش توجهوا إلى الكسوة^(١) وناحياتها فتكلم الناس أن هؤلاء يريدون اللحاق بالسلطان وبقية الجيش، وهذا يقتضي ترك البلد ومن فيه وراء ظهورهم وانزعج الناس لذلك، ومن الناس من ذكر أن القصد أن يختاروا موضعاً للوقعة يكون أصلح من المرج فإن فيه حفراً ومياهًا كثيرة. وذكروا أن التار ظلوا بعيداً حتى ذكروا أنه وصل منهم طائفة إلى القطيفة، ومنهم من يقول: إنهم على قارا، ونزل الجيش بأسره على الجسور قبلي دمشق فسكن الناس بين الظهر والعصر، فلما كان بعد العصر شرع الناس يتحدثون في رحيلهم من هناك، فمن الناس من يقول أنا كنت فيهم وهم ثابتون لا يتغيرون من هناك أصلاً، ومنهم من يقول قد شرع المصريون في الرحيل والشاميون يتبعونهم بلا شك واضطرب الناس، وكان الشيخ تقي الدين في البلد وأما القضاة فكانوا أخرجوا مع الجيش وبات الناس ليلة الخميس، ففي أول الليل رأى الناس نيرانهم وخيمهم، وفي آخره لم يروا لهم أثراً، فأصبح الناس بكرة الخميس وقد اشتد الأمر واضطرب البلد وغلقت الأبواب وازدحم الناس في القلعة، وهرب من قدر وخرج الشيخ تقي الدين بكرة إلى جهتهم ففتح له باب النصر بمشقة وحصل له لوم من الناس لكونه كان من موانع الجفل، وبقي البلد لا متولي فيه والناس رعا، وغلا السعر حتى بيع الخبز ثلاث أواق بدرهم وانحصر الناس فلا يجسر أحد على الخروج إلى بستانه ولا مزرعته ولا

(١) الكسوة: قرية وهي أول منزل تنزل القوافل فيه إذا خرجت من دمشق إلى مصر، انظر ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٦١.

داره وخرج الشلوح واللصوص إلى البساتين يقطعون الفواكه قبل أوانها، وكذلك الزرع والبقول وغير ذلك، والناس في حيرة، وحيل بينهم وبين خبر الجيش وانقطعت الطريق إلى الكسوة في ساعة واحدة، فيرجع هذا وهو مجروح، وآخر وهو مشلح، وظهرت الوحشة على البلد والحوضر. (ص ١٩٨ - ١٩٩).

وفي يوم الاثنين رابعه وصل الناس من الكسوة ودخل الشيخ تقي الدين وأصحابه بكرة النهار والناس يهتؤنهم ويدعون لهم، وخرج خلق كثير من البلد إلى مكان الوقعة للفرجة والعيان والمكاسب، ووصل نائب الشام الأمير جمال الدين الأفرم والعسكر الشامي وتوجهوا إلى جهة المرج، ونودي أن لا يبيت بالبلد منهم أحد إلا شتق، وذكر أن ذلك للاسراع خلف المنهزمين، ونودي من أراد الغزاة فليخرج إلى^(١). (ص ٢٠٢).

وفي ليلة الأحد رابع رجب (سنة ٧٠٤) أُحضِر المجاهد ابراهيم القطان صاحب الدلق الكبير إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية فقص شعره المفتل وشاربه المسبل وأظفاره، وأمره بترك الصياح والفحش وأكل ما يغير العقل، وترك لبس الدلق الكبير، وأُخِذَ وَفُتِقَ وكان قِطْعًا كثيرة، فيه بسط وعبي.

وفي يوم السبت سابع عشر رجب أُحضِر الشيخ محمد الخباز البلاسي إلى الشيخ تقي الدين أيضًا، فتاب على يده، وأشهد عليه بترك المحرمات واجتنابها، وأنه لا يخالط أهل الذمة ولا يتكلم في تعبير

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

الرؤيا ولا في شيء من العلوم بغير معرفة، وكتب عليه مكتوب شرعي بذلك. (ص ٢٤٥).

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب (سنة ٧٠٤) حضر الشيخ تقي الدين ابن تيمية وجماعة بمسجد النارنج جوار المصلى، وحضر معهم بعض الحجارين وقطعوا الصخرة التي كانت هناك وأزالوها واستراح الناس من زيارة شيء لا أصل له، والاعتقاد فيه بغير طريق شرعي. (ص ٢٤٦).

توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى الجبلية الجرديين والكسراونيين وصحبته الأمير قراقوش في مستهل ذي الحجة (سنة ٧٠٤) ثم توجه بعدهم إلى الجهة المذكورة الشريف زين الدين ابن عدنان في نصف ذي الحجة. (ص ٢٥٣).

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى (٧٠٥) اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية عند نائب السلطنة بالقصر، وحضر الشيخ تقي الدين ابن تيمية وطلبوا أن يسلم إليهم حالهم، وأن الشيخ تقي الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم، وأرادوا أن يظهروا شيئاً مما يفعلونه فانتدب لهم الشيخ وتكلم باتباع الشريعة وأنه لا يسع أحداً الخروج عنها بقول ولا فعل، وذكر أن لهم حيلاً يتحيلون بها في دخول النار وإخراج الزبد من الحلق، وقال لهم: من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام، ثم يدلّكه بالخل ثم يدخل، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا، وكانوا جمعاً كبيراً، وقال الشيخ صالح شيخ المنبيع: نحن أحوالنا تنفق عند التتار ماتنفق قدام الشرع، وانفصل المجلس على أنهم يخلعون الأطواق الحديد، وعلى أن من خرج عن

الكتاب والسنة ضربت رقبتة، وحفظ هذه الكلمة الحاضرون من الأمراء والأكابر وأعيان الدولة، وكتب الشيخ عقيب هذه الواقعة جزءاً في حال الأحمدية ومبدئهم وأصل طريقتهم، وذكر شيخهم وما في طريقهم من الخير والشر وأوضح الأمر في ذلك. (ص ٢٦٣ - ٢٦٤).

وفي يوم الاثنين ثامن رجب (سنة ٧٠٥) طُلب القضاة والفقهاء وطُلب الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى القصر إلى مجلس نائب السلطنة، فلما اجتمعوا عنده سأل الشيخ تقي الدين على التعيين عن العقيدة، فأحضر الشيخ عقيدته «الواسطية» وقرئت في المجلس، وبحث فيها وبقي مواضع أخرت إلى مجلس آخر ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور، وحضر هذا المجلس أيضاً الشيخ صفى الدين الهندي، وبحثوا معه وسألوه عن أشياء ليست في العقيدة، وجعلوا الشيخ صفى الدين يتكلم معه ثم اتفقوا على الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني فحاققه وبحث معه من غير مسامحة ورضوا بذلك عن الشيخ كمال الدين وعظموه وأثنوا عليه وعلى بحثه وفضائله، وخرجوا من هناك والأمر قد انفصل، وانصرف الشيخ تقي الدين إلى منزله. والذي حمل الأمير على هذا الفعل كتاب ورد عليه من مصر في هذا المعنى، وكان السبب فيه القاضي زين الدين المالكي قاضي ديار مصر والشيخ نصر المنبجي، وبعد ذلك عزز بعض القضاة بدمشق لشخص ممن يلوذ بالشيخ تقي الدين وطلب جماعة ثم أطلقوا، ووقع هرج في البلد، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد وغاب نحو جمعة ثم حضر.

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب قرأ المحدث جمال الدين المزي فصلاً في الرد على الجهمية من كتاب «أفعال العباد»

تصنيف البخاري، وكانت قراءته لذلك في المجلس المعقود لقراءة الصحيح تحت النسر، فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين وقالوا: نحن المقصودون بهذا، ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي فطلبه ورسم بحبسه، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين فتألم له وأخرجه من الحبس بنفسه، وخرج إلى القصر فاجتمع هو وقاضي القضاة هناك ورد الشيخ تقي الدين عن المزي وأثنى عليه وغضب قاضي القضاة وأعاد المزي إلى حبسه بالقوصية فبقي أيامًا، وذكر الشيخ تقي الدين ما وقع في غيبة الأمير في حق بعض أصحابه من الأذى فرسم الأمير فنودي في البلد أنه من تكلم في العقائد حل ماله ودمه ونهبت داره وحانوته وقصد الأمير تسكين الناس بذلك. (ص ٢٦٦).

وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عقد للشيخ تقي الدين مجلس ثالث بالقصر ورضي الجماعة بالعقيدة، وفي هذا اليوم عزل قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين، وفي السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان إلى قاضي القضاة باعادته إلى الحكم وفيه: إنا كنا رسمنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين وقد بلغنا ماعقد له من المجالس وأنه على مذهب السلف وما قصدنا بذلك إلا برآءة ساحته. (ص ٢٦٨).

وفي يوم الاثنين خامس رمضان (سنة ٧٠٥) وصل كتاب السلطان بالكشف عما كان وقع للشيخ تقي الدين في ولاية جاغان، وفي ولاية القاضي إمام الدين وبإحضاره وإحضار قاضي القضاة إلى الديار المصرية، فطلب نائب السلطنة جماعة من الفقهاء وكتب مذكروه مما وقع في أيام جاغان.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر رمضان توجه قاضي القضاة والشيخ تقي الدين على البريد ودخل الشيخ تقي الدين مدينة غزة يوم السبت، وعمل في جامعها مجلسًا، ووصلا معًا إلى القاهرة يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان، وعقد للشيخ تقي الدين مجلسًا بالقلعة وأراد أن يتكلم فلم يمكن من البحث والكلام على عادته، وحبس في برج أيامًا ثم نقل إلى الحب ليلة عيد الفطر هو وأخوه.

وأكرم قاضي القضاة نجم الدين وجدد له توقيع وخلع عليه وسافر إلى دمشق فوصلها يوم الجمعة سادس ذي القعدة وقرىء تقليده بمقصورة الخطابة يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة، وقرىء عقيبه الكتاب الذي وصل معه وفيه مخالفة الشيخ تقي الدين في العقيدة وإلزام الناس بذلك خصوصًا أهل مذهبه والوعيد بالعزل والحبس، وفيه أن يُنادى بذلك في البلاد الشامية، وكان قد نودي قبل صلاة الجمعة بالجامع والأسواق، ووصلت الأخبار بكثرة المتعصبين بالديار المصرية على الشيخ تقي الدين وأنه حصل أذى كثير للحنابلة، وحبس تقي الدين عبد الغني ابن الشيخ شمس الدين الحنبلي وألزموا جميعهم بالرجوع عن عقيدتهم في القرآن والصفات وأشار القضاة على رفيقهم قاضي القضاة شرف الدين الحراني الحنبلي بموافقة الجماعة، وكان قليل العلم فوافق وألزم جماعة من أهل مذهبه بذلك وأخذ خطوطهم ووقع أمر لم يجر على الحنابلة مثله، وكان ذلك بقيام الأمير ركن الدين الجاشنكير في القضية بسعي القاضي المالكي والقروي المالكي وجماعة من الشافعية. (ص ٢٧٠).

وفي سلخ رمضان (٧٠٦) أحضر الأمير سيف الدين سلار القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي ومن الفقهاء الباجي والجزري

والنمراوي وتكلم في إخراج الشيخ تقي الدين من الحبس، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك فلم يجب إلى الحضور، وتكرر الرسول إليه في ذلك ست مرات وصمم على عدم الحضور في هذا الوقت، فطال عليهم المجلس وانصرفوا من غير شيء. (ص ٢٩٧).

وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة وصل الشيخ تاج الدين محمود بن عبدالكريم بن محمود الفارقي من الديار المصرية وكان توجه لأجل زيارة الشيخ تقي الدين والقيام في نصرته، فأقام مدة ثم رجع والأمر على حاله، وفي هذا اليوم أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب إليه من الشيخ تقي الدين ابن تيمية من العجب، وأعلم بذلك جماعة ممن حضر مجلسه وأثنى عليه، وقال مارأيت مثله ولا أشجع منه، وذكر ماهو عليه في السجن من التوجه إلى الله تعالى وأنه لا يقبل شيئاً من الكسوة السلطانية، ولا من الادرار السلطاني، ولا تدنس بشيء من ذلك. (ص ٣٠٥).

وفي يوم الخميس السابع والعشرين من ذي الحجة طلب أخوا الشيخ تقي الدين ابن تيمية وهما شرف الدين عبدالله، وزين الدين عبدالرحمن من الحبس إلى مجلس نائب السلطنة، وحضر القاضي زين الدين المالكي، وجرى بينهم كلام كثير وأعيدا إلى موضعهما. (ص ٣٠٦).

واجتمع قاضي القضاة بدر الدين بالشيخ تقي الدين ابن تيمية في دار الأوحدي بالقلعة بكرة الجمعة رابع عشرين صفر (سنة ٧٠٧) وتفرقا قبل الصلاة وطال بينهما الكلام. (ص ٣١١).

وفي أوائل ربيع الأول وصل الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى إلى دمشق وتوجه إلى القاهرة، فوصلها في تاسع عشر الشهر المذكور، وحضر بنفسه إلى السجن إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية فأخرجه بعد أن استأذن في ذلك، فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر إلى دار نائب السلطنة بالقلعة، وحضر بعض الفقهاء وحصل بينهم بحث كثير، وفرقت صلاة الجمعة بينهم، ثم اجتمعوا إلى المغرب ولم يفصل الأمر، ثم اجتمعوا بمرسوم السلطان يوم الأحد الخامس والعشرين من الشهر مجموع النهار، وحضر جماعة أكثر من الأولين، حضر نجم الدين ابن الرفعة، وعلاء الدين الباجي، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعز الدين النمراوي، وشمس الدين ابن عدلان، وصهر المالكي وجماعة من الفقهاء، ولم تحضر القضاة وطلبوا واعتذر بعضهم بالمرض وبعضهم تبع أصحابه، وقبل عذرهم نائب السلطنة، ولم يكلفهم بالحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم، وانفصل المجلس على خير، وبات الشيخ عند نائب السلطنة، وكتب كتابًا إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر يتضمن خروجه، وأنه أقام بدار ابن شقير بالقاهرة، وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخره عن الأمير مهنا أيامًا ليرى الناس فضله ويحصل لهم الاجتماع به، ووصل مهنا إلى دمشق يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر، وأقام ثلاثة أيام وسافر، ثم عُقد للشيخ تقي الدين مجلس ثالث يوم الخميس سادس ربيع الآخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة. (ص ٣١٢ - ٣١٣).

وفي شوال شكى شيخ الصوفية بالقاهرة كريم الدين الآملي وابن عطاء وجماعة نحو الخمس مائة من الشيخ تقي الدين ابن تيمية وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر في ذلك إلى الحاكم

الشافعي، وعُقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت شيء منها، لكنه اعترف أنه قال لا يستغاث بالنبي ﷺ استغاثة بمعنى العبادة ولكن يتوسل به، فبعض الحاضرين قال ليس في هذا شيء، ورأى قاضي القضاة بدر الدين أن هذه إساءة أدب وعنفه على ذلك فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ماتقتضيه الشريعة في ذلك، فقال القاضي: قد قلت له مايقال لمثله، ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهي الإقامة بدمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس، فاختر الحبس، فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزمًا ماشرط فأجابهم فأركبوه خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال، ثم أرسل خلفه من الغد بريد آخر فرده، وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من الفقهاء فقال له بعضهم: ماترضي الدولة إلا بالحبس، فقال قاضي القضاة وفيه مصلحة له واستتاب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع، وقال: مايبث عليه شيء، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي، فتحير، فقال الشيخ: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ماتقتضيه المصلحة فقال نور الدين المأذون له في الحكم: فيكون في موضع يصلح لمثله، فقبل له: ماترضى الدولة إلا بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القاضي وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس، وأذن في أن يكون عنده من يخدمه، وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته في الدولة، واستمر الشيخ في الحبس يُستفتى ويقصده الناس ويزورونه وتأتية الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس. (ص ٣٣٤ - ٣٣٥).

كنز الدرر وجامع الغرر^(١)

لأبي بكر بن عبدالله بن أبيك الدواداري (بعد ٧٣٠)

ذكر ما جرى لدمشق من الأحوال الناكدة

ولما تحقّق الأمر عند أهل دمشق اشتدّ خوفهم وكثرت الأراجيف واختلفت الأقوال. فمنهم من قال: إنّ غازان مسلم، وإنّ غالب جيوشه كذلك، وإنّهم لم يتبعوا المسلمين من المنهزمين، وبعد انفصال الوقعة لم يقتلوا أحداً. وكثرت الأقاويل في ذلك. فلما كان يوم السبت رابع اليوم من الوقعة وقعت صيحة عظيمة بالبلد، وخرجت النساء مهتكات لما بلغهن أنّ التتار دخلوا البلد. ولم يكن لذلك ضجّة، وانفرجت في ساعة، لكن بعدما مات في ذلك اليوم على أبواب دمشق جماعة نحو من عشرين نفر، منهم شخص يسمّى النجم المحدث البغدادي. وذلك لعظم الازدحام بالأبواب. وكان ليلة السبت قد خرج من البلد جماعة من أعيان الناس وكبار البلد وهم قاضي القضاة إمام الدين، والقاضي جمال الدين المالكي، وتاج الدين بن الشيرازي، ووالي البلد ووالي البرّ والمحتسب مع جماعة كبيرة من بياض الناس، وتوجّهوا إلى الديار المصرية. وفي ليلة الخميس، أحرقوا المحابيس، باب سجن باب الصغير، وخرجوا منه في عدّة مايتي وخمسين نفر، وتوجّهوا إلى باب

(١) (١٨/٩ - ٣٤٩) نشر قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، ١٣٧٩، تحقيق هانس روبرت رومر.

الجابية وكسروا الأقفال وفتحوا الباب وخرجوا. وأصبح الناس يوم الأحد لا يدرون ما هم فيه، ولا ماذا يفعلون.

واجتمع الناس في ذلك اليوم في مشهد عليّ، وتشاوروا في أمر الخروج إلى غازان. فكان ممّن اجتمع ذلك اليوم مّن يُذكر وهم: القاضي بدر الدين ابن جماعة، والشيخ زين الدين الفارقيّ، والشيخ تقيّ الدين بن التيميّة، وقاضي القضاة نجم الدين بن صصري، والصاحب فخر الدين بن الشيرجيّ، والقاضي عزّ الدين بن الزكيّ، والشيخ وجيه الدين بن منجّي، والصدر عزّ الدين بن القلانسيّ، وأمين الدين بن شقير الحرّانيّ، والشريف زين الدين بن عدنان، والشيخ نجم الدين [بن] أبي الطيّب، وناصر الدين عبدالسلام، والصاحب شهاب الدين بن الحنفي، والقاضي شمس الدين ابن الحريري، والشيخ الصالح شمس الدين قوام النابلسي، وجماعة كبيرة من القراء والفقهاء والعدول، وأجمعوا رأيهم على الخروج إلى غازان. فلما كان نهار الاثنين صلوا صلاة الظهر وتوجهوا إلى الله عز وجل وخرجوا ليتقنوا أمر صلاح البلد. (١٨/٩ - ١٩).

ثم إن التتار طلعوا إلى جبل الصالحية، وفعلوا فيه من الأفعال القبيحة ما يطول شرحه مما تقشعر لهول سماعه الأبدان. فخرج الشيخ تقي الدين ابن التيميّة إلى عند شيخ الشيوخ وصحبته جماعة من أهل البلد، وشكوا إليه الحال. فخرج إليهم في يوم الثلاثاء وسط النهار. فلما بلغ التتار الذين كانوا بجبل الصالحية مجي شيخ الشيوخ هربوا بعد أن أخبروا جميع مساكنه ونهبوا ساير أمواله وسبوا حريم أهله وأولادهم وبناتهم، وجرت عليهم أمور عظام لا يطاق سماعها، أضربت عن ذكر جميع ذلك. (٢٨/٩).

وحكى الشيخ علم الدين البرزالي، قال: اجتمعت يوم الخميس

الخامس والعشرين من الشهر بالشيخ تقي الدين ابن التيمية، فذكر أنه اجتمع ببهاء الدين قطلوشاه، وذكر له أنه من عظم جنكزخان، ولحية قطلوشاه أجروود ولا شعرة بوجهه أصلاً، وأنه كان له في ذلك العهد من العمر اثنتين وخمسين سنة، وأنه ذكر له أن الله عز وجل ختم الرسالة بمحمد ﷺ، وأن جنكزخان جده كان مسلماً، وكل من خرج من ذريته مسلمين، ومن خرج من طاعته فهو خارجي، وذكر أيضاً اجتماعه بالملك غازان، والوزير سعد الدين، ورشيد الدولة الوزير المتطبب، وكذلك بالشریف قطب الدين ناظر الخزانة، والكاتب صدر الدين، والنجيب الكحال اليهودي، وشيخ الشيوخ نظام الدين محمود، وأصيل الدين بن النصير الطوسي ناظر الأوقاف، وهؤلاء كانوا أعيان دولة الملك غازان، وذكر أيضاً أنه رأى عند قطلوشاه صاحب سيس الملعون، وهو أشقر أزرق كث اللحية ومعه طايفة من الأرمن عليهم الذلة والمسكنة. وكان سفر قطلوشاه ظهر يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من الشهر. وكان سبب اجتماع الشيخ تقي الدين بهؤلاء الأسرا، وقال: إنهم يكتبون في جميع فرامينهم بقوة الله وبميثاق الملة المحمدية! وذكر أنه اجتمع بشخص منهم فيه دين وسكون وصلاة حسنة، فسأله: ما السبب في خروجك وقتالك المسلمين وأنت كما أرى منك؟ فقال: أفتانا شيخنا بتخريب الشام وأخذ أموالهم، لأنهم لا يصلون إلا بالأجرة، ولا يؤذنون إلا لذلك ولا يتفقهون إلا بمثل ذلك. (٣٣ - ٣٢/٩).

وفي العشر الأخير من الشهر المذكور^(١) نزل أيضاً جماعة من القلعة وقتلوا جماعة من التتار وحصلت خبطة عظيمة، ومسك جماعة من الذين كانوا

(١) جمادى الآخرة، سنة (٦٩٩).

ينسبون إلى المشي مع التتار، وجبيت أيضًا جباية أخرى لبوليه مقدم التتار.

ودخل الخطيب بدر الدين بن جماعة والشيخ ابن التيمية إلى القلعة ومشوا في الصلح بين أرجواش ونواب التتار. فلم يوافق أرجواش رحمه الله على ذلك، ولم يزل الأمر كذلك إلى مستهل شهر رجب الفرد.

وفي الثاني من الشهر طلب قبجق أعيان البلد وحلفهم للدولة المحمودية بالنصح وعدم المداجاة.

وفي يوم الخميس توجه الشيخ تقي الدين ابن التيمية إلى مخيم بولاي مقدم التتار يسأل في المأسورين، وكانوا خلقًا كثيرًا. وتحدث بولاي في أمر يزيد بن معاوية مع الشيخ، وسأله: هل يجوز لعنته أم لا؟ ففهم الشيخ أن فيه موالاة، فكلمه بما لاق بخاطره بغير شيء يكره. فقال: هؤلاء أهل دمشق هم قتلة الحسين بن علي صلوات الله عليه. فقال له الشيخ: إنه لم يكن من أهل دمشق من حضر قتلة الحسين عليه السلام، وقتل عليه السلام بأرض كربلا من العراق. فقال: صحيح، وكانوا بنو أمية خلفاء الدنيا، وكانوا يحبون سكنى الشام. فقال الشيخ: وماذا يلزم من ذلك في قتلة الحسين، وهذه الشام ما برحت أرضًا مباركة ومحل الأولياء والصلحاء بعد الأنبياء صلوات الله عليهم. ولم يزل به حتى سكن غضبه على أهل الشام. ثم ذكر للشيخ أن أصله مسلم من أهل خراسان. وجرى بينه وبين الشيخ كلام كثير. (٣٥/٩ - ٣٦).

ذكر واقعة الشيخ تقي الدين ابن التيمية رحمه الله

وذلك لما كان يوم الاثنين ثامن شهر رجب الفرد من هذه السنة المذكورة، طُلب القضاة والفقهاء والشيخ تقي الدين ابن التيمية إلى

مجلس الأمير جمال الدين الأفرم نايب الشام المحروس بدمشق، وكان اجتماعهم بالقصر الأبلق. ثم سألوا الشيخ تقي الدين ابن التيمية عن عقيدته. فأملى شيئاً منها. ثم أحضر عقيدته الواسطية وقرئت في المجلس المذكور، وبحث فيها وتأخر منها مواضع إلى مجلس آخر. ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثامن عشر الشهر المذكور. وحضر المجلس أيضاً صفي الدين الهندي. وبحثوا مع الشيخ تقي الدين وسألوه عن مواضع خارجاً عن العقيدة. وجعل الشيخ صفي الدين يتكلم معه كلاماً كثيراً. ثم إنهم رجعوا عنه واتفقوا أن كمال الدين بن الزملكاني يحاqqه من غير مسامحة، ورضوا بذلك الجميع. وانفصل الأمر بينهم أنه أشهد على نفسه الحاضرين أنه شافعي المذهب، يعتقد ما يعتقدہ الإمام الشافعي رضي الله عنه، ورضوا منه بهذا القول، وانصرفوا على ذلك.

فعند ذلك حصل من أصحاب الشيخ تقي الدين كلام كثير وقالوا: ظهر الحق مع شيخنا، فأحضروا واحداً منهم إلى عند القاضي جلال الدين الشافعي في العادلية، فصفعه وأمر بتعزيره، فشفعوا فيه. وكذلك فعل الحنفي بآخر وآخر من أصحاب الشيخ تقي الدين.

ثم لما كان يوم الاثنين ثاني وعشرين الشهر قرأ الجمال المزيّ المحدث فصلاً في الرد على الجهمية من كتاب «أفعال العباد» تصنيف البخاري رضي الله عنه، قرأ ذلك في مجلس العام تحت النسر. فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وقالوا: ما قرئ هذا الفصل إلا ونحن المقصودون بهذا التكفير، قال: فحملوه إلى قاضي القضاة الشافعي، فرسم بحبسه. فبلغ الشيخ تقي الدين ذلك، فقام حافياً في جماعة من أصحابه، وأخرج المذكور من الاعتقال. فعند ذلك اجتمع القاضي بملك الأمراء، وكذلك الشيخ تقي الدين والنقباء عند ملك الأمراء،

واشتط تقي الدين على القاضي، وذكر ناييه جلال الدين وأنه آذى أصحابه بسبب غيبة نايب السلطان في الصيد. فلما حضر نايب السلطان رسم بطلب كل من أكثر كلامه من الطائفتين، وأمر باعتقالهم، ونودي في البلد بمرسوم سلطاني: من تكلم في العقائد حل ماله ودمه ونهب داره وهتكت عياله. وقصد نايب السلطان بذلك إخماد الفتنة الثائرة.

ثم لما كان سلخ شهر رجب اجتمع القضاة والفقهاء وعقدوا مجلساً بالميدان بحضور ملك الأمراء وبحوثا في العقيدة. فجرى من الشيخ صدر الدين بن الوكيل كلام في معنى الحروف وغيره. فأنكر عليه كمال الدين ابن الزملكاني القول في ذلك. ثم قال للقاضي نجم الدين بن صصري قاضي القضاة: أما سمعت ما قال؟ فكأن نجم الدين تغافل عن ذلك طلباً لإخماد الشر. فقال كمال الدين بن الزملكاني: ما جرى على الشافعية قليل كون أن تكون رئيسها، إشارة على ما كان ادعاه صدر الدين بن الوكيل. فظن القاضي نجم الدين أن الكلام له، فقال: اشهدوا على أنني قد عزلت نفسي! وقام من المجلس فلحقه الحاجب الأمير ركن الدين بيبرس العلائي وعلاء الدين أيدغدي بن شقير وأعادوه إلى المجلس. وجرى كلام كثير بعد ذلك يطول شرحه. ثم إن ملك الأمراء ولاه الحكم، وحكم القاضي الحنفي بذلك وصحة الولاية، وأنفذها المالكي وقبل الولاية بحضور ملك الأمراء. فلما عاد إلى داره لاموه أصحابه. وخشى على نفسه ورأى أن الولاية لاتصح، فعاد طلع إلى تربته بسفح قاسيون، فأقام بها وصمم على العزل.

فلما كان بعد ثلاثة أيام رسم ملك الأمراء لنوابه بالمباشرة إلى حيث يرد جواب مولانا السلطان. فأما ناييه جلال الدين فإنه باشر الحكم، وأما تاج الدين فامتنع.

فلما كان ثامن عشرين شهر شعبان المكرم وصل البريد من الأبواب العالية أعلاها الله تعالى وعلى يده كتابين، كتاب لملك الأمراء وكتاب للقاضي نجم الدين بعودته إلى الحكم العزيز. ومضمون الكتاب في فصل منه يقول: قد فرحنا باجتماع رأى العلماء عقيدة الشيخ تقي الدين. فباشر القاضي نجم الدين يوم الخميس مستهل شهر رمضان المعظم، وسكنت الفتنة.

فلما كان خامس رمضان، وصل من الأبواب العالية بريد، وهو الأمير حسام الدين لاجين العمري يطلب القاضي نجم الدين بن صصري والشيخ تقي الدين بن التيمية وكمال الدين بن الزملكاني. وفي المرسوم الوارد يقول: وتعرفونا ماكان وقع في زمان جاغان في سنة ثمان وتسعين وست مائة بسبب عقيدة ابن التيمية - وفيه إنكار عظيم عليه - وأن تكتبوا صورة العقيدتين: الأولى والثانية. - فعند ذلك طلبوا القاضي جلال الدين الحنفي وسألوه عما جرى في أيامه. فقال: نقل إلي عنه كلام، وسألناه فأجاب عنه. وكذلك القاضي جلال الدين الشافعي لما طلب أحضر نسخة العقيدة التي كانت أحضرت في زمان أخيه. ثم إنهم تحدثوا مع ملك الأمراء في أن يكتب بسببهم ويسد هذا الباب، فأجاب إلى ذلك.

فلما كان يوم السبت عاشر رمضان المعظم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد المنصور، وأخبر أن الطلب على الشيخ تقي الدين حثيث، وأن القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي قد قام في هذا الأمر قيامًا عظيمًا، وأن الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير معه في هذا الأمر، وأخبر بأشياء كثيرة جرت مما وقع بمصر في حق الحنابلة، وأن بعضهم أهين، وأن القاضي المالكي والحنبلي جرى بينهما كلام كثير. فلما سمع ملك الأمراء ذلك رجع عن المكاتبة بسببهم وأمر بتجهيزهم إلى الأبواب العالية وتوجهوا. فلما كان يوم الجمعة سابع شهر شوال

وصل البريد، وأخبر أن كان وصول القاضي نجم الدين والشيخ تقي الدين إلى الديار المصرية يوم الخميس ثاني وعشرين رمضان المعظم من هذه السنة المذكورة. (١٣٣/٩ - ١٣٦).

ذكر ما جرى للشيخ تقي الدين بمصر المحروسة

وذلك أنه لما وصل في ذلك التاريخ المذكور، عقد له مجلس في دار النيابة بحضور الأمير سيف الدين سلار، وأحضروا العلماء والأئمة القضاة الأربعة، وحضر الأمير ركن الدين بيبرس. فتكلم القاضي شرف الدين بن عدلان الشافعي، وادعى على الشيخ تقي الدين دعوى شرعية في أمر عقيدته. فعند ذلك قام الشيخ تقي الدين وحمد الله تعالى وأثنى عليه وتلجلج^(١). ثم أراد أن يذكر الله ويذكر عقيدته في فصل طويل. فقالوا له: يا شيخ. الذي بتقوله معلوم، ولا حاجة إلى الإطالة، وأنت قد ادعى عليك هذا القاضي بدعوى شرعية، أجيب عنها! - فأعاد القول في التحميد وحاد عن الجواب، فلم يمكن في تنمة تحاميده. فقال: عند من هي هذه الدعوى؟ فقالوا: عند القاضي زين الدين المالكي، فقال: عدوي وعدو مذهبي، فكررنا عليه القول مراراً، ولم يزددهم على ذلك شيئاً وطال الأمر. فعند ذلك حكم القاضي المالكي باعتقاله على رد الجواب. فقال الشيخ: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ فأقاموه من المجلس واعتقل، وسجن أيضاً إخوته في برج من أبراج القلعة.

فبلغ القاضي أن جماعة من الأمراء يترددون إليه وينقلون له المآكل الطيبة. فطلع القاضي واجتمع بالأمير ركن الدين في قضيته وقال: هذا

(١) هذه من مفاريد المؤلف! وإلا فجميع التراجم لا تذكر إلا ثباته وقوته.

يجب عليه التضيق إذا لم يقتل ، وإلا فقد ثبت كفره . فنقلوه هو وإخوته ليلة عيد الفطر إلى الجب بالقلعة .

وكان بعد قيام ابن التيمية من المجلس قد تكلم قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة رحمه الله في مسائل القرآن العظيم وشيء من عقيدة الإمام الشافعي رضي الله عنه . فقبل لقاضي القضاة الحنفي : ماتقول؟ قال : كذا أعتقد . فقبل لقاضي القضاة شرف الدين الحنبلي : ماتقول؟ فتلجلج ، فقال له الشيخ شمس الدين القروي المالكي : ثم ، جدد إسلامك ! وإلا لحقوك بابن التيمية وأنا أحبك وأنصحك ، فخلج . فلحقه القاضي بدر الدين بن جماعة القول ، فقال مثل قوله ، وانفصل الحال .

ثم كتب إلى دمشق كتاب يتضمن أن مولانا السلطان - خلد الله ملكه - قد رسم : أي من اعتقد عقيدة ابن التيمية حل ماله ودمه . وبعد صلاة الجمعة حضروا القضاة جميعهم بمقصورة الخطابة بجامع دمشق ومعهم الأمير ركن الدين بيبرس العلائي أمير حاجب الشام يوم ذاك . وجمعوا جميع الحنابلة ، وأحضر تقليد قاضي القضاة نجم الدين بن صصري باستمراره على القضاء وقضاء العسكر ونظر الأوقاف مع زيادة المعلوم ، وقرأه زين الدين أبو بكر . وقرأ عقيبه نسخة الكتاب الذي وصل فيما يتعلق بمخالفة عقيدة الشيخ تقي الدين ابن التيمية وإلزام الناس بذلك ، خصوصًا الحنابلة . فكان ما هذا نسخته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تنزه عن الشبيه والنظير ، وتعالى عن المثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ .

نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتباب.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير.

وَنُزِّلَ الْخَالِقُ عَنْ التَّحْيِيزِ فِي جِهَةِ لِقَاؤِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نهج سبل النجاة لمن سلك طريق مرضاته، وأمر بالتفكير في آلاء الله ونهى عن التفكير في ذاته.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع، وشيد الله بهم قواعد الدين الحنيفي ماسرع، فأحمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع.

وبعد: فإن العقائد الشرعية، وقواعد الإسلام المرعية، وأركان الإسلام العلية، ومذاهب الدين المضية، هي الأساس الذي يبنى الإيمان عليه، والمؤمل الذي يرجع كل أحد إليه، والطريق التي من سلكها: ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً. فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها ويؤكد زمامها، وتضان عقائد هذه الأمة عن الاختلاف، وتزان قواعد الأئمة بالائتلاف، وتخدم ثوائر البدع، ويفرق من قوتها ما جمع.

وكان التقي ابن التيمية في هذه المدة قد سلط لسان قلمه، ومد عنان كلمه، وتحدث في مسائل الذات والصفات، ونص في كلامه على أمور منكرات، وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما

يخفيه السلف الصالحون، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام،
وانعقد على خلافه اجتماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه في البلاد
ما استخف به عقول العوام، فخالف في ذلك علماء عصره، وأئمة شامه
ومصره، وبعث رسائله إلى كل مكان، وسمى فتاويه أسماء: ﴿مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

ولما اتصل بنا ذلك، وما سلكوا مريدوه من هذه المسالك،
وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ
فَأَطَاعُوهُ﴾ حتى اتصل بنا أنهم صرحوا في حق الله بالحرف والصوت
والتجسيم، قمنا في الله تعالى مستعظمين لهذا النبي العظيم. فأنكرنا هذه
البدعة، وأنفنا أن نسمع عن من تضمه ممالكنا هذه السمعة. وكرهنا ما
فاه به المبطلون، وتلونا قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ فإنه جل
جلاله تنزه عن العديل والنظير ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
اللطيف الخبير﴾.

وتقدمت مراسمنا باستدعاء التقي ابن التيمية المذكور إلى أبوابنا
عندما شاعت فتاويه شاماً ومصرّاً، وصرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم
إلا وتلا: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا﴾.

ولما وصل إلينا، تجمع أولوا الحل والعقد، وذوو التحقيق والنقد،
وحضر قضاة الإسلام، وحكام الأنام، وعلماء الدين، وفقهاء المسلمين،
وعقد له مجلس شرع، في ملأ من الأئمة والجمع، فثبت عند ذلك
عليه، جميع ما نسب إليه، بمقتضى خط يده، الدال على معتقده،
وانفصل ذلك الجمع، وهم لعقيدته منكرون، وأخذوه بما شهد به قلمه
عليه: ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.

وبلغنا أنه كان استتيب فيما تقدم، وأخره الشرع الشريف لما تعرض إلى ذلك وأقدم. ثم عاد بعد ردعه ومنعه، ولم تدخل تلك النواهي في سمعه.

فلما ثبت ذلك في مجلس الحكم العزيز المالكي، حكم الشرع الشريف بأن يسجن هذا المذكور، ويمنع من التصرف والظهور.

ومرسومنا هذا يأمر بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك، وينهى عن التشبه به في اعتقاد مثل ذلك، أو يغدو له في هذا القول متبعًا، أو لهذه الألفاظ مستمعًا، أو يسري في التجسم مسراه، أو أن يفوه بجهة للعلو، مخصصًا أحدًا كما فاه، أو يتحدث إنسان في صوت أو حرف، أو يوسع القول في ذات أو وصف، أو يطلق لسانه بتجسيم، أو يحيد عن طريق الحق المستقيم، أو يخرج عن رأي الأمة، أو ينفرد عن علماء الأئمة، أو يحيز الله تعالى في جهة، أو يتعرض إلى حيث وكيف، فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا غير السيف.

فليقف كل أحد عند هذا الحد، ف ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ فليلزم كل من الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدة، والخروج من هذه المشتبهات الشديدة، ولزوم ما أمر الله به من التمسك بمذاهب أهل الإيمان الحميدة، فإنه من خرج عن أمر الله تعالى ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وليس له منا غير السجن الطويل من مقيل.

ومتى أصروا على الامتناع، وأبوا إلا الدفاع، فليس لهم عندنا حكم ولا قضاء ولا إمامة، ولا نسنح لهم في بلادنا بشهادة ولا منصب ولا إقامة، ونأمر بإسقاطهم من مراتبهم، وإخراجهم من مناصبهم. وقد حذرنا وأعذرنا، وأنصفنا حيث أنذرنا.

فليقرأ مرسومنا هذا على المنابر، ليكون أعظم زاجر وأعدل ناه وأمر. وليبلغ للغائب الحاضر. والخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه.

وكتب هذا المرسوم عدة نسخ، ونفذ إلى سائر الممالك الإسلامية. وتولى قراءة هذا المرسوم الوارد بدمشق القاضي شمس الدين محمد بن شهاب الدين محمود الموقع، وبلغ عنه ابن صبيح المؤذن. وأحضروا الحنابلة بعد ذلك، واعترفوا عند قاضي القضاة جمال الدين المالكي بأنهم جميعهم يعتقدون ما يعتقدده الإمام محمد ابن إدريس الشافعي رضي الله عنه، وهو قوله: آمنت بالله وما جاء عن الله عن من آمن بالله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله عن مراد رسول الله ﷺ. (١٣٧/٩ - ١٤٣).

ذكر السبب الموجب لهذه الفتن المذكورة

وذلك أن بعض أصحاب الشيخ تقي الدين ابن التيمية أحضر للشيخ كتابًا من تصانيف الشيخ محيي الدين ابن العربي يسمى «فصوص الحكم» وذلك في سنة ثلاث وسبع مئة. فطالعه الشيخ تقي الدين، فرأى فيه مسائل تخالف اعتقاده. فشرع في لعنة ابن العربي وسب أصحابه الذين يعتقدون اعتقاده. ثم اعتكف الشيخ تقي الدين في شهر رمضان وصنف نقيضه وسماه «النصوص على الفصوص» وبين فيه الخطأ الذي ذكره ابن العربي. وبلغه أن شيخ الشيوخ كريم الدين شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة المحروسة له اشتغال بمصنفات ابن العربي، وأنه يعظمه تعظيمًا كبيرًا وكذلك الشيخ نصر المنبجي. ثم إن الشيخ تقي الدين صنف كتابين فيهما إنكار كثير على تأليف ابن العربي، ولعنه

فيهما مصرحاً ولعن من يقول بقوله، وسير الكتاب الواحد للشيخ نصر المنبجي والآخر للشيخ كريم الدين. فلما وقف عليه الشيخ نصر حصل عنده من ذلك أمر عظيم، وتآلم له تألماً بالغاً وحصل له إنكاء شديد.

وكان الشيخ نصر كما قد تقدم من الكلام منزلته عند الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير العالية. وأن بيبرس لا يقوم ويقعد إلا به في سائر حركاته. وكان سائر الحكام من القضاة والأمراء وأرباب المناصب يترددون إلى عند الشيخ نصر لأجل منزلته عند بيبرس الجاشنكير. فحضر عنده القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي عقيب وقوف الشيخ نصر على كتاب الشيخ تقي الدين، فأوقف القاضي على الكتاب المذكور. فقال له القاضي: أوقف الأمير ركن الدين عليه وقرّر معه ما أحببت، وأنا معك كيف شئت. وألزم الأمير ركن الدين بطلبه إلى الديار المصرية وتسأله عن عقيدته. فقد بلغني أنه أفسد عقول جماعة كبيرة، وهو يقول بالتجسيم، وعندنا من اعتقد هذا الاعتقاد كفر ووجب قتله. فلما حضر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عند الشيخ نصر على عادته، أجرى له ذكر ابن التيمية وأمر عقيدته، وأنه أفسد عقول جماعة كبيرة، ومن جملتهم نائب الشام وأكبر الأمراء الشاميين، والمصلحة تقتضي طلبه إلى الأبواب العالية ويطلب منه عقيدته، وتقرأ على العلماء بالديار المصرية من المذاهب الأربعة، فإن وافقوه وإلا يستتيبوه ويرجعوه ليرجع عن مذهبه واعتقاده سائر من لعب بعقله من الناس أجمعين. ثم ذكر له ذنباً آخر حتى حرّض بيبرس على طلبه.

ثم بعد ذلك جرت فتن للحنابلة بمدينة بلييس. ثم انتقل الحال إلى القاهرة، وحصل لبعض الحنابلة إهانة واعتُقل منهم جماعة. وجرت فتن عظيمة بين الأشاعرة والحنابلة بالشام، وكان النائب غائباً بالصيد. فلما

حضر أمر بإصلاح ذات البين، وأقر كل طائفة على حالها. وجرى في القاهرة أيضًا على الحنابلة أمور شنيعة، وألزمهم بالرجوع عن العقيدة وأن يقولوا: إن القرآن العظيم هو المعنى القائم بالنفس، وإن ما في الصحف عبارة عنه، وإن ما هو في الصحف موجود ومحفوظ في الصدور ومقر بالألسنة مخلوق، وإن القديم هو القائم بالنفس، وألزموا بنفي مسألة العلو والتصريح بذلك، وأن جميع ماورد من أحاديث الصفات لايجري على ظاهرها بوجه من الوجوه. وجرى عليهم كل مكروه. وكان القاضي شرف الدين الحنبلي قليل البضاعة في العلم، ولم يدري ما يجيب به، وكان أكبر من تحدث فيهم وألزمهم بذلك، القاضي زين الدين المالكي رحمه الله، انتصارًا للشيخ نصر في ذلك الوقت. وكان القاضي زين الدين عالمًا جيدًا وفقيرًا حسنًا رضي الله عنه، يتحدث في المذاهب الأربعة. وكذلك ساعدوه جماعة من الشافعية. فكان هذا سبب أصول الفتن المذكورة، وسيأتي ذكر بقية ماجرى لتقي الدين ابن التيمية في سنة ست وسبع مائة إن شاء الله تعالى. (١٤٣/٩ - ١٤٥).

ذكر سنة ست وسبع مائة

وفيها في آخر يوم من شهر رمضان المعظم، أحضر الأمير سيف الدين سلار، الموالي القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي، ومن الفقهاء الباجي والجزري والنراوي، وتكلم معهم في إخراج الشيخ تقي الدين ابن التيمية، فاتفقوا على أن يُشترط عليه أمور ويلزم بالرجوع عن العقيدة. فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك. فلم يجب إلى الحضور، وتكرر إليه الرسول ست دفعات، وهو مصمم على عدم الحضور، وطال عليهم المجلس، فانصرفوا على غير شيء. (١٤٦/٩).

وفيه^(١) في العشر الأول من شهر ربيع الأول، وصل الأمير حسام الدين مهنا بن الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى الأبواب العالية، واجتمع بالمقام الأعظم السلطاني، وحصل له من الإقبال والإنعام شيء كثير. وخاطب مولانا السلطان في أمر الشيخ تقي الدين ابن التيمية، فأنعم مولانا السلطان به بإطلاقه. فتوجه إليه الأمير حسام الدين مهنا بنفسه إلى السجن، وأخرجه يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول، وأحضر إلى دار النيابة بحضرة الأمير سيف الدين سلار وأحضر له بعض الفقهاء، وحصل بينهم كلام كثير وبحث زايد يضيق هذا المجموع عن بعضه، وقربت صلاة الجمعة فافترقوا. ثم اجتمعوا وبحثوا إلى المغرب ولم ينفصل لهم أمر. ثم اجتمعوا يوم الأحد الخامس والعشرين من الشهر، وحضروا جماعة فقهاء آخر، وحضر الشيخ نجم الدين بن رفعة، وعلاء الدين الباجي، وفخر الدين بن أبي سعد، وشمس الدين الخطيب الجزري، وعز الدين النمراوي، وشمس الدين عدلان وصهر المالكي وجماعة آخر في تعدادهم طول كثير. ولم تحضر الموالي القضاة، وطلبوهم فاعتذروا. وقبل عذرهم نائب السلطان، ولم يكلفهم إلى الحضور. وتباحثوا ذلك اليوم في مجلس الأمير سيف الدين سلار، وانفصل المجلس على خير. وبات الشيخ تقي الدين عند نائب السلطان، وكتب بيده كتابًا إلى دمشق مضمّنًا خروجه من السجن. وأقام بعد ذلك بدار ابن شقير بالقاهرة. ورسم نائب السلطان بتأخيره عن التوجه مع مهنا لمصلحة في ذلك.

وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر، عقد له مجلس آخر

(١) سنة سبع وسبع مئة.

بالمدرسة الصالحة بعد الصلاة. وكان مهنا قد سافر، وبحثوا معه. ووقع الاتفاق على تغيير الألفاظ في العقيدة، وانفصل المجلس على خير. واستقر بعد ذلك بالقاهرة، والناس يجتمعون به ويهرعون إليه، ولم يزل كذلك إلى أن سافر في سنة اثنتي عشرة وسبع مائة. واستقر إلى أن توفي رحمه الله تعالى في تاريخ ما يأتي ذكره. (١٥٠/٩ - ١٥١).

وفيها^(١) توفي الشيخ تقي الدين ابن التيمية، رحمه الله تعالى. (٣٤٩/٩).

* * *

(١) سنة ثمان وعشرين وسبع مئة.

رسالة من عبدالله بن حامد أحد علماء الشافعية إلى ابن عبدالهادي في الثناء على شيخ الإسلام^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من أصغر العباد عبدالله بن حامد إلى الشيخ الإمام العالم العامل،
وقدوة الأفاضل والأماثل، مجمل المجالس والمحافل، المحامي عن
دين الله، والذّاب عن سنة رسول الله ﷺ، والمعتصم بحبل الله، الشيخ
المبجل المكرم أبي عبدالله، أسبغ الله عليه نعمه، وأيد بإصابة الصواب
لسانه وقلمه، وجمع له بين السعادتين، ورفع درجته في الدارين بمنّه
ورحمته.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد، فإني أحمد إليك الله
الذي لا إله إلا هو، ثم وافاني كتابك وأنا إليك بالأشواق، ولم أزل
مسائلًا ومستخيرًا الصادر والوارد عن الأنباء، طاب مسموعها، وسرّ ما
يسرّ منها.

وما تأخر كتابي عنك هذه المدة مللاً ولا خللاً بالموّدة، ولا تهاوؤاً
بحقوق الإخاء، حاشا لله أن يشوب الأخوة في الله جفاء، ولا أزال

(١) ساقها بتمامها ابن عبدالهادي في «العقود»: (ص/٥٠٢ - ٥٠٧)، ونشرها د/محمد
رشاد سالم في مقدمة «درء التعارض»: (١/٤٠ - ٤٣)، وضمنها العلامة الآلوسي
كتابه «غاية الأمانى» (١/٣٨٧ - ٣٨٩).

أتعلل بعد وفاة الشيخ الإمام - إمام الدنيا رضي الله عنه - بالاسترواح إلى أخبار تلامذته وإخوانه وأقاربه وعشيرته والخصيصين به، لما في نفسي من المحبة الضرورية التي لا يدفعها شيء، على الخصوص لما اطلعت على مباحثه واستدلالاته التي تُزلزل أركان المبطلين، ولا يثبت في ميادينها سفسطة المتفلسفين، ولا يقف في حلباتها أقدام المبتدعين من المتكلمين.

وكنْتُ قبل وقوفي على مباحث إمام الدنيا - رحمه الله - قد طالعت مصنفات المتقدمين، ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الفلسفة ونُظَّار أهل الإسلام؛ فرأيت فيها الزخارف والأباطيل والشكوك التي يأنف المسلم الضعيف في الإسلام أن تخطر بباله، فضلاً عن القوي في الدين؛ فكان يتعب قلبي ويحزني ما يصير إليه الأعظم من المقالات السخيفة والآراء الضعيفة، التي لا يعتقد جوازها آحاد الأمة، وكنْتُ أفتش على السنة المحضة في مصنفات المتكلمين من أصحاب الإمام أحمد - رحمه الله - على الخصوص، لاشتغالهم بالتمسك بمنصوصات إمامهم في أصول العقائد فلا أجد عندهم ما يكفي، وكنْتُ أراهم يتناقضون إذ يؤصِّلون أصولاً يلزم فيها ضد ما يعتقدون، أو يعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم، فإذا جمعتُ بين أقاويل المعتزلة والأشعرية، وحنابلة بغداد وكرامية خراسان أرى أن إجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي، فيسوِّني ذلك، وأظل أحزن حزناً لا يعلم كنهه إلا الله، حتَّى قاسيت من مكابدة هذه الأمور شيئاً عظيماً لا أستطيع شرح أيسره، وكنْتُ ألتجئ إلى الله سبحانه وتعالى وأتضرع إليه، وأهرب إلى ظواهر النصوص، وألقى المعقولات المتباينة، والتأويلات المصنوعة فتنبو الفطرة عن قبولها، ثم

قد تشبثت فطرتي بالحق الصّريح في أمهات المسائل، غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولاً وتصميماً للعقد عليه، حيث لا أراه مأثوراً عن الأئمة وقدماء السلف، إلى أن قدّر الله سبحانه، وقوع مصنّف^(١) الشيخ الإمام - إمام الدنيا رحمه الله - في يدي، قبيل واقعته الأخيرة بقليل، فوجدت فيه ما بهرني من موافقة فطرتي لما فيه، وعزو الحق إلى أئمة السنة وسلف الأمة، مع مطابقة المعقول والمنقول! فبهت لذلك سروراً بالحق، وفرحاً بوجود الضّالة التي ليس لفقدها عوض، فصارت محبة هذا الرجل - رحمه الله - محبة ضرورية، تقصر عن شرح أقلها العبارة ولو أطنبت، ولما عزمت على المهاجرة إلى لقيه، وصلني خبر اعتقاله، وأصابني لذلك المقيم المقعد.

ولما حججت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة صممت العزم على السفر إلى دمشق لأتوصل إلى ملاقاته، ببذل مهما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه، فوافاني خبر وفاته - رحمه الله تعالى - مع الرجوع إلى العراق، قبيل وصولي الكوفة، وجدت عليه مالا يجده الأخ على شقيقه - وأستغفر الله - بل ولا الوالد الثّاكل على ولده، وما دخل في قلبي من الحزن لموت أحد من الولد والأقارب والإخوان كما وجدته عليه - رحمه الله تعالى - ولا تخيلته قط في نفسي ولا تمثلته في قلبي؛ إلا ويتجدد لي حزن قديمه كأنه محدث، ووالله ما كتبته إلا وأدمني تتساقط عند ذكره أسفاً على فراقه وعدم ملاقاته، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ - رحمة الله تعالى عليه - إلا

(١) لعلّه يقصد «درء تعارض العقل والنقل».

ليتحقق بعدي عن الملل^(١) الموهوم، لكن لما سبق الوعد الكريم منكم بانفاذ فهرست مصنفات الشيخ - رضي الله عنه - وتأخر ذلك عني، اعتقدت أن الإضراب عن ذلك نوع تقية، أو لعذر لا يسعني السؤال عنه، فسكت عن الطلب خشية أن يلحق أحدًا ضرر - والعياذ بالله - بسببي، لما كان قد اشتهر من تلك الأحوال، فإن أنعمتم بشيء من مصنفات الشيخ - رحمه الله تعالى - كانت لكم الحسنة عند الله تعالى علينا بذلك، فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى!. وقد يقع في كلام غيره من الغش، والشبه المدلس بالتبر ما لا يخفى على طالب الحق بحرص وعدم هوى، ولا أزال أتعجب من المنتسبين إلى حب الإنصاف في البحث، المُرّين على أهل التقليد المعقولات التي يزعمون أن مستندهم الأعظم الصريح منها، كيف يباينون ما أوضحه من الحق وكشف عن قناعه؟ وقد كان الواجب على الطلبة شدّ الرحال إليه من الآفاق ليروا العجب، وما أشبه حال المباينين له من المنتسبين إلى العلم، الطالبين للحقّ الصريح الذي أعياهم وجدانه بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ في بعض المفازات، فحين أشرفوا على التلف لمع لهم شطّ كالفرات أو دجلة أو كالنيل، فعند معاينتهم لذلك اعتقدوه سرابًا لا شرابًا، فولّوا عنه مدبرين، وتقطّعت أعناقهم عطشًا وظمأً!! فالحكم لله العلي الكبير، وما أرسلنا الكتب المقابلة من الطرفين ففيه تعسف!^(٢) وتمهدون العذر في الإطناب.

فهذا الذي ذكرته من حالي مع الشيخ كالقطرة من البحر، وإن

(١) كذا في نسخة، وفي العقود: «الملك».

(٢) كذا في الأصول، وفي العبارة غموض.

أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه - كبيرهم وصغيرهم - كان ذلك مضافاً إلى سابق إنعامكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأنتم في أمان الله ورعايته، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.

* * *

لقطة العجلان في مختصر وفيات الأعيان^(١)

للعلامة / عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (٧٤٣)

الحافظ تقي الدين ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي.

شيخ العلوم الإسلامية، وأساس القواعد الدينية، وابن بجدة الأحاديث النبوية، جمع من المعقول والمنقول، وردّ على فلاسفة الحكماء فيما يتعلّق بالمعقول، إذا تكلم في مسألة فحدّث عن البحر ولا خرج، وإذا استمرّ في معنى من المعاني لا يكاد سامعه يقول عنه خرج، مع فصاحة لسان، وبلاغة ملكة أزمّة التبيان.

وأما الزهد في الدنيا، ورفض زخرفها: فإليه الغاية، وعنده يوجد في هذا الشأن النهاية، أجمع من شاهد معارفه، وتحقق عوارفه: أنّه نسيج وحده، وفريد وقته في علمه ومجده.

كان له اطلاع على مذاهب الإسلام، وإتقان لمسالك الحلال والحرام، ودراية بالتّوراة والأنجيل.

وعلى الجملة؛ لم يسمح الزمن له بمثيل، تقصر العبارة عن ذكر صفاته على التّفصيل، فلذلك جاء لسان العلم بها مسرودة على طريق

(١) نسخة الخزنة العامة بالرباط برقم (٦٢٧/ق) [ق١٠٦ب - ١٠٧أ].

الإجمال، ولو شرع في تفاصيلها لأوقرَ منها الأحمال فالأحمال.

ما زال يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْعُلَيَاءِ مُخْتَصِرٌ

خَصَّهُ اللهُ مَعَ هَذِهِ الْمَزَايَا بِكَرَمٍ يَسْتَقِلُّ الدُّنْيَا لَوَافِدِهِ وَيَسْتَنْزِرُ الْكِبَرِيَّةَ الْأَحْمَرَ لِقَاصِدِهِ، مَعَ أَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِغَاثَةِ لِلْمَلْهُوفِ، وَاتِّبَاعِ لِسُنَنِ الصَّحَابَةِ، وَاقْتِفَاءِ لَأَنَارِ أَوْلِي الْإِنَابَةِ، مَا وَرَثَ الْعِلْمَ عَنْ كِلَالَةِ، بَلْ بَيْتِهِ لِأَهْلَةِ الْعُلُومِ هَالَةً.

ونقل الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي أَنَّ مَصْنُفَاتِهِ تُنْفَقُ عَلَى خَمْسِ مِثَّةٍ مَجْلَدٌ.

ولد سنة ستين^(١) وست مئة بحرَّان، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بدمشق بقلعتها، لأُمُور جرت بينه وبين علماء عصره وعُقدت له مجالس فيما يتعلَّق بمسائل عديدة أصولية وفروعية، واستقرَّ آخر الأمر على أن يُبْنَى له في القلعة مكان ويُمْنَع منه من أراد الوصول إليه، وأقبل بعد ذلك على التَّصْنِيف والاكثار منه، يُقَال: إِنَّهُ وَضَعَ تَفْسِيرًا مَطْوًى لَأَتَى فِيهِ بِالْغَرِيبِ وَالْعَجِيبِ.

ولقد سبقه من قبله الإمام أبو محمد علي بن حزم فيما اتفق له حذو القذَّة بالقذَّة، عفا الله عن الجميع، وغفر لهم، إِنَّهُ وَلِيَّ الْإِجَابَةِ.

* * *

(١) الصواب: إحدى وستين.

مختصر طبقات علماء الحديث^(١)

للعلامة/ محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (٧٤٤)

ابن تيمية

شيخنا الإمام الربّاني، إمام الأئمة، ومُفتي الأمة، وبحر العلوم، سيّد الحُفّاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، وقريع الدهر، شيخ الإسلام، قُدوة الأنام، علامة الزّمان، وترجمان القرآن، علّم الرّهّاد، وأوحد العبّاد، قامعُ المبتدعين، وآخر المُجتهدين، الشّيخ تقي الدين؛ أبو العبّاس، أحمد بن الشّيخ الإمام شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن الشّيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبدالسلام بن أبي محمّد عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن [محمّد بن الخضر] بن عليّ بن عبدالله الحرّاني؛ نزيل دمشق، وصاحب التّصانيف التي لم يُسبق إلى مثلها.

قيل: إنّ جدّه محمّد بن الخضر حجّ - وله امرأة حامل - على درب تيماء، فرأى هناك جاريةً طفلة قد خرجت من خِباء، فلما رجع إلى حرّان وجد امرأته قد ولدت بنتاً، فلما رآها قال: يا تيمية، يا تيمية، فلُقّب بذلك.

(١) (٢٩٦-٢٧٩/٤) نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٧. وانظر «العنوان الصحيح للكتاب»: (ص/٩٢) في الكلام على عنوان الكتاب.

وقال ابنُ النَّجَّار: ذُكرَ لنا أَنَّ مُحَمَّدًا هذا كانت أمُّه تسمى تَيْمِيَّةً، وكانت واعظةً، فنسب إليها، وعُرفَ بها.

ولد شيخنا بِحْرَان يوم الاثنين عاشر - وقيل ثاني عشر - ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة.

وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، وكانوا قد خرجوا من حَرَّان مُهاجرين بسبب جَوْرِ التُّتار، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدَّواب؛ فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا وسَلِموا، وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين؛ فسمعوا من الشَّيخ زين الدين أحمد بن عبدالدَّائم بن نعمة المقدسي جُزء ابن عرفة، وغير ذلك.

ثمَّ سمع شيخنا الكثير من: ابن أبي اليُسْر، والكمال بن عبد، والشَّيخ شمس الدين الحَنْبلي، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحَنْفي، والشَّيخ جمال الدين بن الصَّيرفي، ومجد الدين بن عَسَاكر، والتَّجيب المِقْداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وأبي بكر الهَرَوِي، والكمال عبدالرحيم، وفخر الدين بن البُخاري، وابن شَيْتَان، والشرف بن القَوَّاس، وزينب بنت مكي، وخلق كثير.

وشيوخه الَّذِينَ سمع منهم أَزيد من مِثلي شيخ.

وسمع «مسند الإمام أحمد» مرَّات، و «معجم الطَّبْراني الكبير»، والكتب الكبار، والأجزاء، وعني بالحديث، وقرأ بنفسه الكثير، ولازم السماع مدة سنين، وقرأ «الغيلانيات» في مجلس، ونسخ وانتقى، كَتَبَ الطُّبَاق والأَثَبات، وتعلَّم الخطَّ والحساب في المكتب، واشتغل

بالعلوم، وحَفِظَ الْقُرْآنَ، وأقبل على الفقه، وقرأ أيامًا في العربية على ابن عبد القوي^(١) ثم فهمها، وأخذ يتأمل «كتاب سيبويه» حتى فهمه، وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه، وغير ذلك، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر الفضلاء من فَرَطِ ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه.

نشأ في تصوّن تام، وعفاف وتأله، واقتصاد في الملبس والمأكل، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاً سلفياً، بَرّاً بالديه، تقياً، ورعاً، عابداً ناسكاً، صَوَّاماً قَوَّاماً، ذاكرةً الله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، رجّاعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافاً عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تملّ من الاشتغال، ولا تكِلُّ من البحث، وقلّ أن يَدْخُلَ في علم من العلوم، في باب من أبوابه إلاّ ويُفَتِّحَ له من ذلك الباب أبواب، ويستدرِك أشياء في ذلك العلم على حَذِّاق أهله.

وكان يحضر المدارس والمحافل في صِغَرِهِ، فيتكلّم وينظر، ويُفَحِّمُ الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيانُ البلد في العلم، وأفتى وله نحو سبع عشرة سنة، وشرّع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت.

ومات والده - وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم - فدرّس بعده بوظائفه؛ وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره، وبعُدَ صيته في

(١) سليمان بن عبد القوي الطوفي (٧١٦)، وأخذ هو عن شيخ الإسلام.

العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجُمع على كرسي من حفظه، فكان يورد ما يقوله من غير توقُّفٍ ولا تلعث، وكذا كان يورد الدُّرس بتؤدّةٍ وصوتٍ جَهوَرِي فصيح.

وَحَجَّ سنة إحدى وتسعين^(١) وله ثلاثون سنة، ورجع وقد انتهت إليه الإمامة في العِلْم، والعمل، والرُّشد، والورع، والشجاعة، والكرم، والتواضع، والحِلْم، والأناة، والجلالة، والمهابة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع الصُّدق والأمانة والعِفَّة والصِّيانة، وحُسن القُصد والإخلاص، والابتغال إلى الله، وشِدَّة الخوف منه، ودوام المراقبة له، والتمسُّك بالأثر، والدُّعاء إلى الله، وحُسن الأخلاق، ونفع الخلق والإحسان إليهم.

وكان - رحمه الله - سيفًا مسلولاً على المخالفين، وشجى في حُلوق أهل الأهواء والمبتدعين، وإمامًا قائمًا ببيان الحقِّ ونُصرة الدِّين، طُنَّت بذكره الأمصار، وضُنَّت بمثله الأعصار.

وقال شيخنا الحافظ أبو الحَجَّاج: ما رأيتُ مثله، ولا رأى هو مثلاً نَفْسِه، وما رأيتُ أحدًا أعلم بكتاب الله وسُنَّة رسوله، ولا أتبع لهما منه.

وقال العلَّامة كمال الدين بن الزَّمَلَكاني: كان إذا سُئل عن فنٍ من العِلْم ظَنَّ الرَّائي والسَّامع أنَّه لا يعرف غيرَ ذلك الفن، وحَكَمَ أن أحدًا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنَّه ناظر أحدًا

(١) كذا هنا، وفي «البدایة والنهاية» و«المقفى»: سنة اثنتين وتسعين.

فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أو غيرها - إلّا فاق فيه أهله والمنسويين إليه، وكانت له اليد الطولى في حُسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين، ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر؛ فكتب فيها مجلدة كبيرة، وكذلك وقعت مسألة في حدّ من الحدود؛ فكتب فيها أيضًا مجلدة كبيرة، ولم يخرج في كلّ واحدة عن المسألة، ولا طولًا بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء، وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر، واجتمعت فيه شروطُ الاجتهاد على وجهها.

وقرأت بخطّ الشيخ كمال الدين أيضًا على كتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لشيخنا: تأليف الشيخ الإمام العالم، العلامة الأوحد، الحافظ المُجتهد، الزاهد العابد، القدوة، إمام الأئمة، قُدوة الأمة، علامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدّين، بركة الإسلام، حُجّة الأعلام، بُرّهان المتكلمين، قانع المبتدعين، محيي السُّنة، ومن عَظُمَتْ به لله علينا المِنَّة، وقامت به على أعدائه الحُجّة، واستبانَت بركته وهديه المَحَجّة، تقي الدين أبي العبّاس أحمد ابن عبدالحليم بن عبدالسّلام ابن تيميّة الحرّاني، أعلى الله مناره، وشيّد به من الدين أركانه.

ماذا يقولُ الواصفون له وصفاته جلّت عن الحُصْرِ
هو حُجّةُ الله قاهرةٌ هو بيننا أعجوبةُ الدَّهرِ
هو آيةٌ في الخلقِ ظاهرةٌ أنوارها أربّت على الفجرِ

وهذا الثناء عليه وكان عمره نحو الثلاثين سنة، وقد أثنى عليه خلقٌ من شيوخه، ومن كبار علماء عصره كالشيخ شمس الدين ابن أبي عمر، والشيخ تاج الدين الفزاري، وابن مُنَجَّى، وابن عبد القوي، والقاضي الحُوَيْي، وابن دقيق العيد، وابن النُّحَّاس، وغيرهم.

وقال الشيخ عماد الدين الواسطي - وكان من الصلحاء العارفين - وقد ذكره: هو شيخنا السيّد الإمام، الأمانة الهمام، محيي السُّنة، وقامع البدعة، ناصر الحديث، مُفتي الفرق، الفاتق عن الحقائق وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضي بالحق ظاهرًا وقلبه في العُلَى قاطن، أنموذج الخلفاء الرّاشدين، والأئمة المهديين، الشَّيخ الإمام تقي الدين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تيميَّة أعاد الله بركته، ورفع إلى مدارج العُلَى درجته.

ثمَّ قال في أثناء كلامه: واللَّهِ ثمَّ واللَّهِ ثمَّ واللَّهِ لم أرَ تحت أديم السَّماء مثله عِلْمًا وعملاً وحالاً وخُلُقًا واتباعًا وكرمًا وحِلْمًا في حقِّ نفسه، وقيامًا في حقِّ الله عند انتهاك حرَماته.

ثمَّ أطلال في الثناء عليه.

وقال الشَّيخ عَلَم الدين^(١) في «معجم شيوخه»: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد بن تيميَّة الحرَّاني الشَّيخ تقي الدين أبو العبَّاس، الإمام المُجمَع على فضله وتبُّله ودينه، قرأ الفقه وبرَّع فيه، والعربية والأصول، ومهَّر في عِلْمَي التفسير

(١) البرزالي.

والحديث، وكان إمامًا لا يلحق غُبارَه في كلِّ شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين. وكان إذا ذكر التفسير أبهت النَّاسَ من كثرة محفوضه، وحُسن إيراده، وإعطائه كلَّ قولٍ ما يستحقُّه من التَّرجيح والتَّضعيف والإبطال، وخَوَّضه في كلِّ عِلْمٍ، كان الحاضرون يقضون منه العَجَب، هذا مع انقطاعه إلى الزُّهد والعبادة، والاشتغال بالله تعالى، والتجرُّد من أسباب الدُّنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى، وكان يجلس في صبيحة كلِّ جُمُعة على النَّاسِ يفسِّر القرآن العظيم، فانتفع بمجلسه وبركة دعائه، وطهارة أنفاسه، وصِدْق نيته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأُناب إلى الله خَلْقٌ كثير، وجَرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر، والتقلُّل من الدُّنيا، وردًّا ما يفتح به عليه.

وقال علم الدِّين في موضع آخر: رأيتُ في إجازة لابن الشَّهْرزُوري المَوْصِلي خَطَّ الشَّيْخِ تقي الدِّين، وقد كَتَبَ تحته الشَّيْخُ شمس الدين الذَّهَبِيُّ: هذا خطُّ شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فَرَدَ الزَّمان، بحر العلوم، تقيِّ الدين. مولده عاشر ربيع الأوَّل سنة إحدى وستين وست مئة، وقرأ القرآن والفقه، وناظر واستدلَّ وهو دون البلوغ، وبرَّعَ في العلم والتفسير، وأفتى ودرَّس وله نحو العشرين، وصنَّفَ التَّصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المُصَنَّفَاتُ الكبار التي سارت بها الركبان، ولعلَّ تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كُرَّاس وأكثر، وفسَّرَ كتاب الله تعالى مدة سنين من صَدْره أيام الجُمُعة، وكان يتوقَّد ذكاءً، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المُنتهى، وحِفْظُهُ للحديث ورجاله وصِحَّتُهُ وسُقْمِهِ فما يُلْحَقُ فيه، وأما نَقْلُهُ للفقه ومذاهب الصَّحابة والتابعين -

فضلاً عن المذاهب الأربعة - فليس له فيه نظير، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً، ويدري جُمْلَةً صالحة من اللُغة، وعربيته قويةٌ جدًّا، ومعرفته بالتَّاريخ والسَّير فَعَجَبٌ عجيب، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصفَ ويفوق الثَّغتَ، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضرب بهم المثل، وفيه زُهد وقناعةٌ باليسير في المأكل والملبس.

وقال الدَّهبيُّ في موضع آخر: كَانَ آيَةً في الذكاء وسُرْعَة الإدراك، رأسًا في مَعْرِفة الكتاب والسُّنَّة والاختلاف، بحرًا في الثَّقَلِيَّات، هو في زمانه فريد عَصْرِهِ عِلْمًا وزُهدًا وشجاعةً وسخاءً، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وكثرة تصانيف.

إلى أن قال: فَإِنْ ذُكِرَ التفسير فهو حامل لوائه، وإن عُدَّ الفقهاء، فهو مجتهدهم المطلق، وإن حَضَرَ الحُقَاط نَطَقَ وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سَمِيَ المتكَلِّمون فهو فَرْدُهُم، وإليه مَرْجِعُهُم، وإن لاح ابنُ سينا يَقدِّم الفلاسفة فَلَسهُم وتيسُّهُم^(١)، وهتَكَ أَسْتارَهُم، وكشف عَوَارِهِم، وله يَدٌ طُولَى في معرفة العربية والصَّرْف واللُّغة، وهو أعظم من أن تَصِفَهُ كَلِمِي، وينبئه على شأوه قَلَمِي، فَإِنَّ سيرته وعلومه ومعارفه ومِحنَه وتنقلاته يحتمل أن ترصَّع في مجلَّدتين.

وقال في مكان آخر: وله خِبرَةٌ تامَّة بالرِّجال، وجَرَحُهُم وتَعْدِيلُهُم وطبقاتُهُم، ومعرفةٌ بفنون الحديث، وبالعالِي والتَّازل، وبالصَّحيح والسَّقِيم، مع حفظه لمتونه الَّذِي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته

(١) أي: أبطل قولهم. انظر «اللسان».

ولا يقاربه، وهو عَجَبٌ في استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمُسند بحيث يَصْدُق عليه أن [يقال]: «كلُّ حديثٍ لا يعرفه ابنُ تيمية فليس بحديث»؛ ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف فيه من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السَّواقِي، وأما التفسير فمسلَّم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن - وقت إقامة الدليل بها على المسألة - قوةٌ عجيبة، وإذا رآه المقرء تحيّر فيه، ولفرط إمامته في التفسير وعظمة اطلاعه يبيّن خطأ كثير من أقوال المُفسِّرين، ويُوْهي أقوالاً عديدة، وينصّر قولاً واحداً موافقاً لما دلَّ عليه القرآن والحديث، ويكتب في اليوم واللييلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصولين، أو من الرَّدِّ على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد، وما أُبعدُ أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمس مئة مجلِّدة، وله في غير مسألة مصنَّف مفرد في مجلِّد.

ثم ذكر بعض مصنفاته وقال: ومنها كتاب في الموافقة بين المعقول والمنقول في مجلِّدتين.

قلتُ: هذا الكتاب - وهو كتاب «درء تعارض العقل والنقل» - في أربع مجلدات كبار، وبعض النسخ به في أكثر.

ومن مصنفاته: كتاب «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» في ست مجلدات، وبعض النسخ به في أكثر، وكتاب «جواب الاعتراضات المضرة على الفتيا الحموية» في مجلدات، وكذلك كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام [الشيع] والقدرية»، وكتاب في الرد على النَّصارى سماه «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح»، ومن مصنفاته أيضاً كتاب «الاستقامة» في مجلِّدين، وكتاب في محنته بمصر

في مجلدين، وكتاب «الإيمان» في مجلد، وكتاب «تنبيه الرّجل العاقل على تمويه المجادل في الجدل الباطل» في مجلد، وكتاب «الرد على أهل كسروان الرّافضة» في مجلدين، وكتاب «الردّ على المنطق، وكتاب في الوسيلة، وكتاب في الاستغاثة، وكتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل»، وكتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»، وكتاب «التحرير في مسألة حفير»، وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وكتاب «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، وكتاب «تفضيل صالح النّاس على سائر الأجناس»، وكتاب «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، وكتاب «الفرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشيطان»، وكتاب «المسائل الإسكندرية في الرد على الملاحدة والاتحادية»، وتُعرف بالسبعينية.

وعدد أسماء مصنفاته يحتاج إلى أوراق كثيرة، ولذكرها موضع آخر، وله من المؤلّفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل والتّعليق ما لا ينحصر ولا ينضب، ولا أعلم أحدًا من المتقدّمين ولا من المتأخّرين جمّع مثل ما جمع، ولا صنّف نحو ما صنّف، ولا قريبًا من ذلك؛ مع أنّ تصانيفه كان يكتبها من حفظه، وكتب كثيرًا منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه، ويراجعه من الكتب.

وقال الشيخ فتح الدّين بن سيّد النّاس - بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ أبي الحجاج التي تقدّم ذكرها -: وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدّين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية؛ فالفيتنه ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد يستوعب الشّن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير [فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه

فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل لم يُر أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه، كَانَ يتكَلَّم في التفسير [فيحضر مجلسه الجُم الغفير، ويردون من بحر علمه العذب الثمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير.

إلى أَنْ دَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بِلَادِهِ دَاءُ الْحَسَدِ، وَأَكْبَأُ أَهْلُ النَّظَرِ مِنْهُمْ عَلَى مَا يُنْقَدُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْمُعْتَقَدِ، فَحَفِظُوا عَنْهُ فِي ذَلِكَ كَلَامًا، أَوْسَعُوهُ بِسَبِيهِ مَلَامًا، وَفَوَّقُوا لَتَبْدِيعِهِ سِهَامًا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ خَالَفَ طَرِيقَهُمْ، وَفَرَّقَ فَرِيقَهُمْ، فَنَازَعَهُمْ وَنَازَعُوهُ، وَقَاطَعَ بَعْضَهُمْ وَقَاطَعُوهُ، ثُمَّ نَازَعَ طَائِفَةً أُخْرَى يَنْتَسِبُونَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَى طَرِيقَةٍ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى أَدَقِّ بَاطِنٍ مِنْهَا وَأَجْلَى حَقِيقَةٍ، فَكَشَفَ تِلْكَ الطَّرَاقِقَ، وَذَكَرَ لَهَا - عَلَى مَا زَعَمَ - بَوَاقٍ، فَأَضَتْ إِلَى الطَّائِفَةِ الْأُولَى مِنْ مَنَازِعِهِ، وَاسْتَعَانَتْ بِذَوِي الضُّغْنِ عَلَيْهِ مِنْ مَقَاطِعِهِ، فَوَصَلُوا بِالْأَمْرَاءِ أَمْرَهُ، وَأَعْمَلُ مِنْهُمْ فِي كُفْرِهِ فِكْرَهُ، فَرَتَّبُوا مُحَاضِرَ، وَأَلْبَوْا الرُّؤْيِيَّةَ لِلسَّعْيِ بِهَا بَيْنَ الْأَكْبَارِ، وَسَعَوْا فِي نَقْلِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْمَمْلَكَةِ بِالذَّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَتَقَلَّ وَأُودِعَ السَّجْنَ سَاعَةً حُضُورَهُ وَاعْتُقِلَ، وَعَقَدُوا لِإِرَاقَةِ دَمِهِ مَجَالِسَ، وَحَشَدُوا لِذَلِكَ قَوْمًا مِنْ عُمَّارِ الزَّوَايَا وَسُكَّانِ الْمَدَارِسِ، مِنْ مُجَافِلٍ فِي الْمُنَازَعَةِ مَخَاتِلٍ فِي الْمَخَادَعَةِ، وَمِنْ مُجَاهِرٍ بِالتَّكْفِيرِ مَبَارِزٍ بِالمَقَاطَعَةِ، يَسُومُونَهُ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص/٦٩].

وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالاً من المخاتل، وقد دَبَّتْ إِلَيْهِ عِقَارِبُ مَكْرِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ كُلِّ فِي نَحْرِهِ، وَنَجَاهُ عَلَى يَدٍ مِنْ اضْطِفَافِهِ،

والله غالب على أمره، ثمَّ لم يَخُلْ بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلَّا إلى محنة، إلى أن فُوِّض أمره لبعض القضاة فتقلد ما تقلد من اعتقاله، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله، وإلى الله ترجع الأمور، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وكان يومه مشهودًا، ضاقت بجنائزته الطريق، وانتابها المسلمون من كلِّ فجٍّ عميق، يتبركون بمشهده يوم يقوم الأشهاد، ويتمسكون بشرَّجَعِهِ^(١) حتى كسروا تلك الأعواد!!

ثمَّ ذكر يوم وفاته ومولده، ثمَّ قال: وقرأتُ على الشيخ الإمام حامل راية العلوم، ومُدرِّك غاية الفهوم، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسَّلام بن تيمية - رحمه الله - بالقاهرة - قدم علينا - ثمَّ ذكر حديثًا من جُزء ابنِ عَرَفَة.

قلتُ: أُملى شيخنا المسألة المعروفة بالحموية سنة ثمانٍ وتسعين في قعدة بين الظَّهر والعَصْر، وهي جواب سؤال ورد من حماة في الصِّفات، وجرى له بسبب ذلك محنة، ونصره الله وأذلَّ أعداءه، وما حصل له بعد ذلك إلى حين وفاته من الأمور والمِحن والتَّنقلات تحتاج إلى عِدَّة مجلِّدات، وذلك كقيامه في نوبة غازان سنة تسع، والتقاءه أعباء الأمر بنفسه، واجتماعه بالملك وبنائبه خطلوشاه وبيولاي، وإقدامه وجُزأته على المغول، وعظيم جهاده، وفَعْلِهِ الخَيْر، من إنفاق الأموال، وإطعام الطَّعام، ودفن المَوْتى، ثمَّ توجهه بعد ذلك بعام إلى الدِّيار المِصرية، وسوقه على البريد إليها في جُمُعة لما قَدِمَ التَّار إلى أطراف البلاد، واشتدَّ الأمر بالبلاد الشَّامية، واجتماعه بأركان الدَّولة،

(١) أي سريره. انظر التعليق (ص/١١١).

واستصراخه بهم، وحضهم على الجهاد، وإخباره لهم بما أعدَّ الله للمجاهدين من الثواب، وإبدائهم له العذر في رجوعهم، وتعظيمهم له، وتردد الأعيان إلى زيارته، واجتماع ابن دقيق العيد به، وسماعه كلامه، وثنائه عليه الثناء العظيم، ثمَّ توجهه بعد أيام إلى دمشق واشتغاله بالاهتمام لجهاد التَّار، وتحريض الأمراء على ذلك، إلى ورود الخبر بانصرافهم، ثمَّ قيامه في وقعة شُحْب المشهورة سنة اثنتين وسبع مئة، واجتماعه بالخليفة والسُّلطان، وأرباب الحِلِّ والعقد، وأعيان الأمراء، وتحريضه لهم على الجهاد، وموعظته لهم، وما ظهر في هذه الوقعة من كراماته وإجابة دُعائه، وعظيم جهاده، وقوَّة إيمانه، وشدَّة نُصْحه للإسلام، وفرط شجاعته، ثمَّ توجهه بعد ذلك في آخر سنة أربع لقتال الكُسرانيين وجهادهم، واستئصال شأفتهم، ثمَّ مناظرته للمخالفين سنة خمس في المجالس الَّتِي عُقِدَتْ له بحضرة نائب السلطنة الأفرم، وظهوره عليهم بالحُجَّة والبيان، ورجوعهم إلى قوله طائعين ومكرهين، ثمَّ توجهه بعد ذلك في السَّنة المذكورة إلى الدِّيار المِصْرية صحبة قاضي الشَّافعية، وعقد مجلس له حين وصوله بحضور القُضاة وأكابر الدَّولة، ثمَّ حبسه في الجُبِّ بقلعة الجبل، ومعه أخواه سنة ونصفًا، ثمَّ خروجه بعد ذلك، وعقد مجالس له ولخصومه وظهوره عليهم، ثمَّ إقراؤه للعِلْم وبَيَّته ونشره، ثمَّ عقد مجلس له في شَوَّال من سنة سبع لكلامه في الاتِّحادية وطعنه عليهم، ثمَّ الأمر بتسفيره إلى الشَّام على البريد، ثمَّ رَدُّه من مرحلة وسجنه بحبس القُضاة سنة ونصفًا، وتعليمه أهل الحبس ما يحتاجون إليه من أمور الدِّين، ثمَّ إخراجه منه، وتوجهه إلى الإسكندرية، وجَعَلَه في برج حَسَنٍ منها ثمانية أَشْهُرٍ يدخل إليه مَنْ شاء، ثمَّ توجهه إلى مِصر، واجتماعه بالسُّلطان في مجلس حفل فيه القضاة وأعيان الأمراء، وإكرامه له إكرامًا عظيمًا، ومشاورته له في قتل

بعض أعدائه، وامتناع الشيخ من ذلك، وجعله كل من آذاه في حلٍّ ثمَّ سَكَنَاهُ بالقاهرة، وعوده إلى نشر العلم ونفع الخلق، وما جرى بعد ذلك من قضية البكري وغيرها، ثمَّ توجهه بعد ذلك إلى الشام صحبة الجيش المِصْرِي قاصداً للغزاة بعد غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جُمُوع، وتوجهه في طريقه إلى بيت المقدس، ثمَّ ملازمته بعد ذلك بدمشق لنشر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الخلق، إلى أن تكلم في مسألة الحلف بالطلاق، فأشار عليه بعض القضاة بتَرْك الإفتاء بها في سنة ثمان عشرة؛ فقبل إشارته، ثمَّ ورد كتاب السلطان بعد أيام بالمنع من الفتوى عليها، ثمَّ عاد الشيخ إلى الإفتاء بها وقال: لا يَسْغُنِي كِتْمَانُ الْعِلْمِ. وبقي كذلك مُدَّةً إلى أن حبسوه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثمَّ أُخْرِجَ، ورجع إلى عادته من الأشغال وتعليم العلم، ولم يزل كذلك إلى أن ظفروا له بجواب يتعلّق بمسألة شدِّ الرِّحَالِ إلى قبور الأنبياء والصّالحين، كَانَ قد أجاب به من نحو عشرين سنة؛ فشَنَعُوا عليه بسبب ذلك، وكَبُرَتِ القضية، وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ستِّ وعشرين بجعله في القلعة؛ فأُخْلِيت له قاعة حسنة، وأجري إليها الماء، وأقام فيها ومعه أخوه يخدمه، وأقبل في هذه المُدَّة على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب، والردُّ على المخالفين، وكتبَ على تفسير القرآن العظيم جملةً كبيرة تَشْتَمِلُ على نفائسَ جليلة، ونُكَّتِ دقيقة، ومعانٍ لطيفة، وأوضح مواضع كثيرة أشكلت على خَلْقٍ من المفسِّرين، وكتبَ في المسألة التي حبس بسببها مجلِّداتٍ عدَّة، وظهر بعض ما كتبه واشتهر، وآل الأمر إلى أن مُنِعَ من الكتابة والمطالعة، وأُخْرِجُوا ما عنده من الكُتُب، ولم يتركوا عنده دواةً ولا قلمًا ولا ورقة، وكتب عقيب ذلك بفحمٍ يقول: إِنَّ إخراج الكتب من عنده من أعظم

النَّعَم^(١). وبقي أشهرًا على ذلك، وأقبل على التَّلاوة والعبادة والتهجُّد حتَّى أتاه اليقين، فلم يفجأ النَّاسَ إِلَّا نَعِيَهُ، وما علموا بمرضه، وكان قد مَرَضَ عشرين يومًا، فتأسَّف الخَلْقُ عليه، وحضر جَمْعٌ كبير، فأذِنَ لَهُم في الدخول، وجلس جماعةٌ عِنْدَهُ قبل الغُسل، وقرؤوا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثُمَّ انصرفوا، وحضر جماعةٌ من النِّساء ففعلن مثل ذلك، ثُمَّ انصرفن، واقتَصِرَ على من يغسله ويعين عليه في غُسله، فلما فُرِغَ من ذلك أخرج وقد اجتمع النَّاسُ بِالْقَلْعَةِ والطريق إلى جامع دمشق، وامتأَّل الجامعُ وصحنه والكلَّاسَةُ وباب البريد وباب السَّاعات إلى اللَّبَّادِين والفوَّارة، وحضرتِ الجَنَازَةُ في السَّاعة الرابعة من النَّهار أو نحو ذلك، ووُضِعَتْ في الجامع، والجُنْد يحفظونها من النَّاس من شِدَّة الزَّحَام، وصُلِّيَ عليه أولاً بِالْقَلْعَةِ، تقدَّم في الصَّلَاة عليه الشَّيخ مُحَمَّد بن تَمَّام، ثُمَّ صُلِّيَ عليه بجامع دمشق عقيب صلاة الطُّهر، وحُمِلَ من باب البريد، واشتد الزَّحَام، وألقى النَّاس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتَّبَرُّك!! وصار النَّعش على الرُّؤوس، تارة يتقدَّم وتارة يتأخَّر، وخرج النَّاس من الجامع من أبوابه كُلِّها من شِدَّة الزَّحَام، وكل باب أعظم زحمةً من الآخر، ثُمَّ خرج النَّاس من أبواب البلد جميعها من شِدَّة الزَّحَام، لكن كَانَ المعظم من الأبواب الأربعة باب الفَرَج الَّذِي أُخْرِجَتْ منه الجَنَازَةُ، ومن باب الفراديس وباب النَّصْر وباب الجابية، وعَظُم الأمر بسوق الخيل، وتقدَّم في الصَّلَاة عليه هناك أخوه زين الدِّين، وحُمِلَ إلى مقبرة الصُّوفية؛ فدفن إلى جانب أخيه الإمام شرف الدِّين -رحمهما الله-، وكان دَفَنُهُ وقتَ العَصْرِ أو قبلها بيسير، وغلَّق النَّاس حوانيتهم، ولم يتخلَّف عن الحضور، إِلَّا نَفَرٌ قليل، أو مَنْ عَجَزَ

(١) أي: ليطلع عليها الجميع؛ طلابه، وأعداؤه، انظر: «العقود»: ص/٣٦٦.

للزَّحَامِ، وحضرها من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ أَكْثَرُ مِنْ مِئَتِي أَلْفٍ، وَشَرِبَ جَمَاعَةُ الْمَاءِ الَّذِي فَضَّلَ مِنْ غُسْلِهِ، وَاقْتَسَمَ جَمَاعَةُ بَقِيَةِ السُّدْرِ الَّذِي غُسِلَ بِهِ، وَقِيلَ إِنَّ الطَّاقِيَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ دَفَعَ فِيهَا خَمْسَ مِئَةِ دِرْهَمٍ، وَقِيلَ إِنَّ الْخِيطَ الَّذِي فِيهِ الزُّبُقُ الَّذِي فِي عُنُقِهِ لِأَجْلِ الْقَمَلِ دُفِعَ فِيهِ مِئَةٌ وَخَمْسُونَ دِرْهَمًا، وَحَصَلَ فِي الْجَنَازَةِ ضَجِيجٌ وَبَكَاءٌ عَظِيمٌ، وَتَضَرَّعَ كَثِيرٌ، وَكَانَ وَقْتُاً مَشْهُودًا، وَخُتِمَتْ لَهُ خَتَمٌ كَثِيرَةٌ بِالصَّالِحَةِ وَالْبَلَدِ، وَتَرَدَّدَ النَّاسُ إِلَى قَبْرِهَ أَيَّامًا كَثِيرَةً لَيْلًا وَنَهَارًا، وَرُؤِيتَ لَهُ مَنَامَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ، وَرِثَاهُ جَمَاعَةٌ بِقِصَائِدَ جَمَّةٍ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَثَابَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ.

* * *

الإمام الذَّهَبِيُّ (٧٤٨)

- ١- ذيل تاريخ الإسلام.
- ٢- معجم الشيوخ.
- ٣- تذكرة الحفاظ.
- ٤- ذيل العبر.
- ٥- دول الإسلام.
- ٦- الإعلام بوفيات الأعلام.
- ٧- المعين في طبقات المحدثين.
- ٨- ذكر من يُعتمد قوله في الجرح والتعديل.
- ٩- المعجم المختصّ.

ذيل تاريخ الإسلام^(١)

ابن تَيْمِيَّةَ

الشيخ، الإمام، العالم، المفسر، الفقيه، المجتهد، الحافظ، المحدث، شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف الباهرة والذكاء المفرط، تقي الدين، أبو العباس، أحمد، ابن العالم المفتي شهاب الدين عبدالحليم، ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام مؤلف «الأحكام»، ابن عبدالله بن أبي القاسم الحراني، ابن تَيْمِيَّةَ، وهو لقب لجده الأعلى.

مولده في عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وست مئة بحرّان، وتحول به أبوه وأقاربه إلى دمشق في سنة سبع وستين عند جور التّار؛ منهزمين في الليل؛ يجرون الذرية والكتب على عجلة؛ فإنّ العدو ما تركوا في البلد دواب سوى بقر الحرث، وكلّت البقر من ثقل العجلة، ووقف الفران^(٢)، وخافوا من أن يدركهم العدو، ولجأوا إلى الله، فسارت البقر بالعجلة، ولطف الله تعالى، حتّى انحازوا إلى حد الإسلام.

فسمع من: ابن عبدالدائم، وابن أبي اليُسّر، والكمال ابن عبد،

(١) منه نسختان؛ الأولى بجامعة ليدن بهولندا برقم ٣٢٠، والأخرى بمكتبة تشستر بيتي بايرلندا، ومنها صورة بجامعة الإمام برقم (٤١٠٠). ويقال: هو ذيل للسّير.

(٢) كذا في نسخة ليدن، وفي نسخة تشستر بيتي غير واضحة.

وابن أبي الخير، وابن الصيرفي، والشيخ شمس الدين، والقاسم الإربلي، وابن علان، وخلق كثير، وأكثر وبالغ.

وقرأ بنفسه على جماعة وانتخب، ونسخ عدة أجزاء، و«سنن أبي داود»، ونظر في الرجال والعلل. وصار من أئمة النقد، ومن علماء الأثر، مع التدين والنبالة، والذكر، والصيانة.

ثم أقبل على الفقه ودقائقه وقواعده وحججه، والإجماع والاختلاف؛ حتى كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف، ثم يستدل ويرجع ويجهد، وحق له ذلك، فإن شروط الاجتهاد كانت قد اجتمعت فيه؛ فإني ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً لمتون الأحاديث، وعزوها إلى الصحيح أو إلى المسند، أو إلى السنن منه؛ كأن الكتاب والسنن نصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف. وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير، والتوسع فيه، لعله يبقى في تفسير الآية المجلس والمجلسين.

وأما أصول الديانة، ومعرفتها، ومعرفة أحوال الخوارج والروافض والمعتزلة وأنواع المبتدعة؛ فكان لا يُشق فيه غباره، ولا يلحق شأوه.

هذا مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أشاهد مثله قط، والشجاعة المفرطة التي يضرب بها المثل، والفراغ عن ملاذ النفس من اللباس الجميل، والمأكل الطيب، والراحة الدنيوية.

ولقد سارت بتصانيفه الركبان في فنون العلم وألوان، لعل تواليه وفتاويه في الأصول، والفروع، والزهد، والتفسير، والتوكل،

والإخلاص، وغير ذلك تبلغ ثلاث مائة مجلد، لا بل أكثر.

وكان قوَّالاً بالحق، نهاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوة وإقدام، وعدم مداراة الأغيار. ومن خالطه وعرفه؛ قد ينسبني إلى التقصير في وصفه، ومن نابذه وخالفه؛ ينسبني إلى التغالي فيه، وليس الأمر كذلك. مع أنني لا أعتقد فيه العصمة، كلا ! فإنه مع سعة علمه، وفرط شجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لحرمات الدين، بشرُّ من البشر، تعتريه حدة في البحث، وغضب وشظف للخصم؛ تزرع له عداوة في النفوس، ونفوراً عنه.

وإلا والله فلو لاطف الخصوم، ورفق بهم، ولزم المجاملة وحسن المكالمة؛ لكان كلمة إجماع؛ فإنَّ كبارهم وأئمتهم خاضعون لعلومه وفقهه، معترفون بشغوفه وذكائه، مقرّون بندور خطئه.

لست أعني بعض العلماء الذين شعارهم وهجّيراهم الاستخفاف به، والازدراء بفضله، والمقت له، حتّى استجهلوه وكفّروه ونالوا منه، من غير أن ينظروا في تصانيفه، ولا فهموا كلامه، ولا لهم حظ تام من التوسع في المعارف، والعالم منهم قد ينصفه ويرد عليه بعلم.

وطريق العقل السكوت عما شجر بين الأقران - رحم الله الجميع -.

وأنا أقلّ من أن ينبّه على قدره كلمي، أو أن يوضح نبأ قلّمي؛ فأصحابه وأعداؤه خاضعون لعلمه، مقرّون بسرعة فهمه، وأثّه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، وأن جوده حاتمي، وشجاعته خالدية.

ولكن قد يتّقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً؛ منصفهم فيها مأجور، ومقتصدهم فيها معذور، وظالمهم فيها مأزور، وغاليهم مغرور، وإلى

الله ترجع الأمور. وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، والكمال للرسول، والحجة في الإجماع. فرحم الله امرأً تكلم في العلماء بعلم، أو صمت بحلم، وأمعن في مضايق أقاويلهم بتؤدة وفهم، ثم استغفر لهم، ووسّع نطاق المعذرة، وإلاً؛ فهو لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري.

وإن أنت عذرت كبار الأئمة في معضلاتهم، ولا تعذر ابن تيمية في مفرداته؛ فقد أقررت على نفسك بالهوى وعدم الإنصاف !

وإن قلت: لا أعذره، لأنه كافر، عدو الله تعالى ورسوله ! قال لك خلق من أهل العلم والدين: ما علمناه والله إلا مؤمناً محافظاً على الصلاة، والوضوء، وصوم رمضان، معظماً للشرعية ظاهراً وباطناً. لا يؤتى من سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم، فإنه بحر زخار، بصير بالكتاب والسنة، عديم النظر في ذلك. ولا هو بمتلاعب بالدين؛ فلو كان كذلك؛ لكان أسرع شيء إلى مداينة خصومه، وموافقتهم، ومناققتهم.

ولا هو يتفرد بمسائل بالتشهي، ولا يفتي بما اتفق، بل مسائله المفردة يحتاج لها بالقرآن أو بالحديث أو بالقياس، ويبرهنها وينظر عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث؛ أسوة من تقدمه من الأئمة، فإن كان قد أخطأ فيها؛ فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب؛ فله أجران.

وإنما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى ولم يُبدِ حجة، ورجل تكلم في مسألة بلا خميرة من علم ولا توسع في نقل؛ فنعوذ بالله من الهوى والجهل.

ولا ريب أنَّه لا اعتبار بزم أعداء العالم؛ فإنَّ الهوى والغضب يحملهم على عدم الإنصاف والقيام عليه. ولا اعتبار بمدح خواصه والغلاة فيه؛ فإنَّ الحب يحملهم على تغطية هناته، بل قد يعدوها محاسن. وإنما العبرة بأهل الورع والتقوى من الطرفين، الَّذِينَ يتكلمون بالقسط، ويقومون لله ولو على أنفسهم وآبائهم.

فهذا الرَّجل لا أرجو على ما قلته فيه دنيا ولا مالا ولا جاها بوجه أصلا، مع خبرتي التامة به، ولكن لا يسعني في ديني ولا عقلي أن أكتم محاسنه، وأدفن فضائله، وأبرز ذنوبًا له مغفورة في سعة كرم الله تعالى وصفحه، مغفورة في بحر علمه وجوده، فالله يغفر له، ويرضى عنه، ويرحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه.

مع أنني مخالفٌ له في مسائل أصلية وفرعية، قد أبدت آنفاً أنَّ خطأه فيها مغفور، بل قد يشبه الله تعالى فيها على حسن قصده، وبذل وسعه، والله الموعد. مع أنَّي قد أوديت لكلامي فيه من أصحابه وأضداده؛ فحسبي الله!.

وكان الشَّيخ أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربَّعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحًا، سريع القراءة. تعتريه حِدَّة، ثمَّ يقهرها بحلم وصفح، وإليه كان المنتهى في فرط الشجاعة، والسماحة، وقوة الذكاء. ولم أرَ مثله في ابتهاله واستغاثته بالله تعالى، وكثرة توجهه. وقد تعبت بين الفريقين: فأنا عند محبه مُقَصِّر، وعند عدوه مُسْرِف مُكْثِر، كلا والله!

توفي ابن تَيْمِيَّةَ إلى رحمة الله تعالى معتقلاً بقلعة دمشق، بقاعة بها،

بعد مرضٍ جدٍّ أيامًا، في ليلة الاثنين، العشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبع مئة.

وُصِّلِي عليه بجامع دمشق عقيب الظهر، وامتأً الجامع بالمصلين كهيئة يوم الجمعة، حتَّى طلع الناس لتشييعه من أربعة أبواب البلد، وأقلُّ ما قيل في عدد من شهدته خمسون ألفًا، وقيل أكثر من ذلك، وحُمِلَ على الرؤوس إلى مقابر الصوفية، ودفن إلى جانب أخيه الإمام شرف الدين، رحمهما الله تعالى وإيانا والمسلمين.

* * *

معجم الشيوخ^(١)

ابن تيمية

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسَّلام بن عبدالله بن أبي القاسم ابن تيمية، شيخنا الإمام تقي الدين أبو العباس الحرَّاني. فريد العصر علمًا ومعرفةً وذكاءً وحفظًا وكرمًا وزهدًا، وفرط شجاعة وكثرة تأليف والله يصلحه ويسدِّده، فلسنا بحمد الله ممن نغلُّ فيه، ولا نجفو عنه، ما رُئي كاملاً أئمةً التَّابعين وتابعيهم، فما رأيتُهُ إلاَّ يبطن كتاب.

ولد شيخنا في عاشر ربيع الأوَّل سنة إحدى وستين وست مئة بحرَّان، وتحوَّلوا إلى دمشق سنة سبع وستين. فسمع من ابن عبدالدَّائم وابن أبي اليُسْر، وخلق كثير، وعُني بالرواية، وسمع الكتب و«المسند» و«المعجم الكبير». سمعت جُملةً من مصنفاته، وجزء ابن عَرَفَة، وغير ذلك.

وكانت وفاته في العشرين من شهر ذي القعدة، سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة، مسجونًا بقاعة من قلعة دمشق، وشيَّعه أُمُّ لا يُحصون إلى مقبرة الصوفية، ولم يخلف بعده مثله في العلم، ولا من يُقاربه.

* * *

(١) (٥٧-٥٦/١)، تحقيق د/ محمد الهيلة، نشر مكتبة الصديق، بالطائف، الطبعة الأولى ١٤٠٨.

تذكرة الحفاظ^(١)

ابن تيمية

الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن المفتي شهاب الدين عبدالحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الحراني. أخذ الأعلام.

وُلد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، وقدم مع أهله سنة سبع، فسمع من ابن عبدالدائم، وابن أبي اليسر، والكمال بن عبد، وابن الصيرفي، وابن أبي الخير، وخلق كثير. وعُني بالحديث، ونسخ الأجزاء، ودار على الشيوخ، وخرّج، وانتقى، وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه، وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك.

وكان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد. أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان، لعلها ثلاث مئة مجلد.

حدث بدمشق، ومصر، والثغر. وقد امّتحن وأوذّي مرّات، وحُبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية، وبقلعة دمشق مرّتين. وبها توفي في العشرين من ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة، في قاعة،

(١) ١٤٩٦/٤ - ١٤٩٨، نشر دائرة المعارف العثمانية، تحقيق العلامة المعلمي.

٢١٣

البلد، فشهده أُمم لا يُخصَّون،
 جنب أخيه الإمام شرف الدين عبدالله،
 بالله تعالى.

ورُئيت مات حسنة، ورثي بعدة قصائد. وقد انفرد بفتاوى نيل
 من عرضه لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه. فالله تعالى يُسامحه
 ويرضى عنه. فما رأيت مثله. وكل أحد من الأمة فيؤخذ من قوله
 ويترك. فكان ماذا؟!

أخبرنا أحمد بن عبدالحليم الحافظ غير مرّة، ومحمّد بن أحمد بن
 عثمان، وابن فرح، وابن أبي الفتح، وخلق قالوا: أنا أحمد بن
 عبدالدائم، أنا عبدالمنعم بن كليب.

ح وأنبأنا أحمد بن سلامة عن ابن كليب، أنا علي بن بيان، أنا محمّد
 ابن محمّد، أنا إسماعيل ابن الصّقار، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا خلف بن
 خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبدالله بن الحارث، عن ابن مسعود
 رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّكَ
 لَتَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَنْتَهَبُهُ، فَيَخْرُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيًّا».

ذيل العبر^(١)

قال في وفيات ٧٢٨:

ومات بقلعة دمشق ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله ابن تيمية الحراني معتقلاً. ومنع قبل وفاته بخمسة أشهر من الدواة والورق. ومولده في عاشر ربيع الأول يوم الاثنين سنة إحدى وستين وست مئة بحرّان. سمع من ابن عبدالدائم، وابن أبي اليسر، وعدة. وبرع في التفسير، والحديث، والاختلاف، والأصلين، وكان يتوقّد ذكاء.

ومصنفاته أكثر من مائتي مجلد. وله مسائل غريبة، نيل من عرضه لأجلها. وكان رأساً في الكرم والشجاعة، قانعاً باليسير، شيعة نحو من خمسين ألفاً، وحُمل على الرؤوس رحمه الله.

* * *

(١) (ص/ ٨٤) نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥.

دول الإسلام^(١)

وفي ذي القعدة (سنة ثمان وعشرين وسبعماية) توفي بالقلعة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرّاني، عن سبع وستين سنة وأشهر، وشيعه خلقٌ أقل ما حُزروا بستين ألفاً، ولم يخلف بعده من يُقاربه في العلم والفضل.

* * *

الإعلام بوفيات الأعلام^(٢)

وشيخ الوقت تقي الدين ابن تيمية في ذي القعدة (سنة ٧٢٨).

* * *

(١) (٢٣٧/٢)، تحقيق فهم شلتوت، ومحمد مصطفى نشر إدارة إحياء التراث بقطر (١٣٩٤).

(٢) ص ٣٠٨ تحقيق رياض عبدالحميد مراد وعبدالجبار زكار، ط. دار الفكر بدمشق (١٤١٢).

المُعِين فِي طَبَقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ^(١)

(ذكره في الطبقة الأخيرة) فقال:

- الحافظ العلامة القُدوة، شيخ الإسلام، تقي الدين، أحمد بن الحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية الحرّاني.

* * *

ذَكَرَ مَنْ يُعْتَمَدُ قَوْلُهُ فِي الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ^(٢)

(ذكره في الطبقة الثانية والعشرون) فقال:

- والحافظ العَلَم، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحرّاني، ابنُ تيمية.

* * *

(١) (ص/٣٢٢)، دار الصحوة (١٤٠٧).

(٢) (ص/٧٢)، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة.

المُعْجَمُ الْمُخْتَصُّ (١)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم ابن تَيْمِيَّةَ، الإمام العلامة الحافظ الحُجَّةُ فريد العصر بَحْرُ العلوم تَقِيَّ الدين أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَرَّانِي ثُمَّ الدَّمَشْقِي.

وُلِدَ بِحَرَّانَ فِي ربيع الأول سنة إِحدى وستين وستمائة.

وقدم دمشق مع والدِهِ الْمُفْتِي شهاب الدين، فسمع ابن عبدالدَّائِمِ، وابن أَبِي اليُسْرِ، والمُجَدِّ بن عساكر، وأكثرَ عن أصحاب حنبل وابن طبرزد وَمَنْ بَعْدَهُمْ، ونسخ وقرأ وانتقى، وبرع في علوم الآثار والسُّنَنِ، ودرَّس وأفْتَى وفسَّر وصنَّف التَّصَانِيفَ البديعة وانفَرَدَ بمسائل فَنِيلَ من عَرَضِهِ لأَجْلِهَا، وهو بَشَرٌ له ذُنُوبٌ وخطأٌ ومع هذا فوالله ما مَقَلْتُ عيني مِثْلَهُ ولا رأى هو مِثْلَ نَفْسِهِ. كان إمامًا مُتَبَحِّرًا في علوم الديانة صحيح الذَّهْنِ، سريع الإدراك، سَيَّالُ الفَهِمِ، كثير المحاسن، موصوفًا بفرط الشجاعة والكرم، فارغًا عن شهوات المأكَلِ والملبَسِ والجماع، لا لَذَّةَ له في غير نُشْرِ العلم وتدوينه والعَمَلِ بِمُقْتَضَاهِ.

ذكره أَبُو الفتح اليَعْمَرِي في «جواب سؤالات أَبِي الْعَبَّاسِ ابن الدمياطي الحافظ» فقال: «أَلْفَيْتُهُ مِمَّنْ أَدْرِكُ مِنَ الْعُلُومِ حَظًّا، وكَادَ يَسْتَوْعِبُ السُّنَنَ وَالْآثَارَ حِفْظًا، إِنْ تَكَلَّمَ فِي التفسير فهو حَامِلٌ رايته، أو

(١) (ص/٢٥-٢٧)، تحقيق د/ محمد الهيلة، نشر مكتبة الصديق، بالطائف، الطبعة الأولى ١٤٠٨.

أفتى في الفقه فهو مُذْرِكُ غَايَتِهِ، أَوْ ذَاكَرَ بِالْحَدِيثِ فَهُوَ صَاحِبُ عِلْمِهِ
وَذُو رِوَايَتِهِ، أَوْ حَاضِرَ بِالتَّحَلِّ وَالْمِلَلِ لَمْ يَرِ أَوْسَعُ مِنْ نَخْلَتِهِ وَلَا أَرْفَعُ
مِنْ دِرَايَتِهِ، بَرَزَ فِي كُلِّ فَنٍّ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ، لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ وَلَا رَأَتْ
عَيْنُهُ مِثْلَ نَفْسِهِ».

قُلْتُ: قَدْ سُجِنَ غَيْرَ مَرَّةٍ لِيَفْتَرَ عَنْ خُصُومِهِ وَيُقْصِرَ عَنْ بَسْطِ لِسَانِهِ
وَقَلَمِهِ وَهُوَ لَا يَرْجِعُ وَلَا يَلْوِي عَلَى نَاصِحٍ إِلَى أَنْ تُوْفِيَ مَعْتَقَلًا بِقَلْعَةِ
دَمَشْقٍ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

وَشَيْعَتُهُ أَمَمٌ لَا يُخْصَوْنَ إِلَى مَقْبَرَةِ الصُّوفِيَّةِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَرَحِمَهُ
أَمِينَ.

حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ الْحَافِظُ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ،
وَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ فَرَحٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَلِيِّ وَمُحَمَّدُ
بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ الْإِمَامِ، وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ حَسَّانَ،
وإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ غَالِبٍ، وَجَبْرِيلُ الْفَقِيهِ وَعَدَّةٌ
قَالُوا: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ، أَنْبَأَنَا ابْنُ كُليبٍ.

وَأَنْبَأَنِي عَنْ ابْنِ كُليبٍ أَحْمَدُ بْنُ سَلَامَةَ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ
وَالْخَضِرُ بْنُ حَمْوِيَةَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ بِيَانٍ أَخْبَرَهُمْ قَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ،
أَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ، نَا ابْنُ عَرَفَةَ، نَا الْمُبَارَكُ بْنُ سَعِيدِ الثَّوْرِيِّ عَنْ
مُوسَى الْجَهْنِيِّ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ ثَوْرٍ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
«أَيْمَنْعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَبِّرَ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا وَيُسَبِّحَ عَشْرًا وَيَحْمَدَ
عَشْرًا، فَذَلِكَ فِي خَمْسِ صَلَوَاتٍ خَمْسُونَ وَمِائَةً بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ
وخمسمائة فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كَبَّرَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ
ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَسَبَّحَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي

الميزان. ثم قال: فأيكم يعمل في يوم وليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟
رواه النسائي في «اليوم والليلة» عن زكريا الخياط عن الحسن بن
عرفة. فوقع لنا بدلاً بعلو درجتين.

* * *

أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية^(١)

لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد المعروف بابن رُشَيْق
المغربي (٧٤٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد؛ فإن جماعة من محبي السنة والعلم سألني أن أذكر له ما
ألّفه الشيخ الإمام العلامة الحافظ، أوجد زمانه، فريد العصر: تقي
الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية - رضي الله عنه -؛ فذكرت لهم أنني
أعجز عن حصرها وتعدادها، لوجوه أبعديتها لبعضهم، وسأذكرها إن
شاء الله فيما بعد.

فأكثروهم قالوا: لا بدّ من ذكر ماتعرف، وما لا يدرك كله لا يترك كله؛
فتعينت إجابتهم، وها أنا أذكر ما يسّر الله عليّ منها، وإن وجد الواقف
على ما أكتب زيادة فليُحققها، والله المستعان.

فمن ذلك ما ألّفه من تفسير القرآن العزيز غير ما جمعه من أقوال
مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم، فكتب على جميع

(١) توجد منها نسخة في دار الكتب الظاهرية برقم ١١٤٧٩ (بخط الشيخ طاهر
الجزائري)، وأخرى فيها برقم ٤٦٧٥ (بخط جميل العظم). ونشرها صلاح الدين
المنجد منسوبة إلى ابن القيم، وهو وهم. ونشرته ناقصة، فانه اعتمد على النسخة
الثانية فقط. وسبق الكلام على تحقيق نسبتها لابن رشيق في المقدمة.

القرآن ما أمكنه من النقول عن السلف وذلك شيء كثير.

وقال لي مرة: وقفت على نحو خمسة وعشر^(١) تفسيراً مسندة.

وقال لي مرة: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير، ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا معلم إبراهيم. ويذكر قصة معاذ / بن جبل، ٣ / أ وقوله لمالك بن يخامر لما بكى عند موته، وقال: أنا لا أبكي على دنيا كنت أصيبها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك، فقال: إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما، فاطلب العلم عند أربعة وسمّاهم، فقال: عند أبي الدرداء، وعبدالله بن مسعود، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن سلام، فإن أعيان العلم عند هؤلاء؛ فليس هو في الأرض، فاطلبه من معلم إبراهيم.

- فكتب الشيخ نقول السلف مجرداً عن الاستدلال، على جميع القرآن.

- وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال.

- ورأيت له سوراً وآيات يفسرها ويقول في بعضها: كتبه للتذكر، ونحو ذلك.

ثم لما حُبس في آخر عمره كتبت له: أن يكتب على جميع القرآن مرتباً على السور، فكتب يقول: إن القرآن فيه ماهو بيّن في نفسه، وفيه مايّنه المفسرون في غير كتاب؛ ولكن بعض الآيات أشكلت على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدّة كتب ولا يبيّن له

تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيرًا وتفسير نظيرها بغيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل؛ لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها.

وقال: قد فتح الله عليّ في هذا الحصن في هذه المدة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء [يتمنونها]، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، أو نحو هذا، وأرسل شيئًا/ كثيرًا مما كتب من هذا الجنس، وبقي شيء كثير في سلة الحكم عند الحكّام^(١) لما أخرجوا كتبه من عنده، وتوفي وهي عندهم إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة.

١ - فمما رأيت من التفسير

- على الاستعاذة والبسملة أوراق.

- قاعدة في الفاتحة؛ في الاسماء التي فيها، وفي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

* وفي سورة البقرة:

- قطعة كبيرة في تفسير أولها.

- وفي تفسير قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ نحو عشرين ورقة.

- وفي قوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، نحو كراسة.

(١) علق الشيخ طاهر الجزائري هنا: «ولعلها لم تضع».

- وفي قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

- وفي قوله: ﴿فَنَ تَمَنَّعَ بِالْمَعْرِ إِلَى الْحَجِّ﴾، نحو عشرين ورقة.

- وفي قوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾.

/- وفي قوله: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾، نحو ثلاثين ورقة. ٤ / أ

- وفي آية الكرسي، في موضعين، نحو عشرين ورقة.

- وفي قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ﴾، نحو ثلاثين ورقة.

- وفي قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، وتُسمى «العبودية» نحو سبعين ورقة.

- وفي آيات الربا، وتكلم فيها على ربا الفضل، نحو ثلاثين ورقة.

* وفي سورة آل عمران:

- في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ نحو مجلد.

- وفي قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، نحو ستين ورقة.

- وفي قوله: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكَمُ﴾.

- وفي قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّجَى قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ﴾، نحو عشر ورقات.

* وفي سورة النساء:

- في قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، نحو مئة ورقة.

- وفي قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَبِيبَةٍ﴾.

- وفي قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾.

* وفي سورة المائدة:

- في قوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، نحو ثلاثين ورقة.

- وفي تفسير السورة وجميع معانيها، ونحو ذلك، مجلد لطيف.

ب/٤ / * وفي سورة الأنعام:

- في قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾.

- وقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾.

- وقوله: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦).

- وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾.

* وفي سورة الأعراف:

- في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾، ثلاث قواعد، أكثر من سبعين ورقة.

- وفي قوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ﴾.

- وقوله: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾.

* وفي سورة الأنفال:

- في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾.

* وفي سورة براءة:

- في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾، فسرها مرّات في قواعد متعددة.

- وفي قوله: ﴿فَاتَّبِعُوا إِلَهُكُمُ عَهْدَهُمْ﴾.

- وفي قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾.

- وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفْئَةٍ﴾.

* وفي سورة يونس - عليه السلام -:

- في قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾.

- وفي قوله: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لِمَاءٍ آمَنُوا﴾.

* وفي سورة هود - عليه السلام -:

- في قوله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾.

- وفي قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ - وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾.

- وفي قوله: ﴿خَلْدِيدٍ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، وتكلم على هذا الاستثناء.

- وفي محبسه الأخير عمل قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار، في نحو عشرين ورقة.

- وفي قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِيفِينَ ﴿١١٦﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

والكلام على هذه اللام.

* وفي سورة يوسف - عليه السلام -:

- فسرها أو أكثرها، وتكلم على معانيها، بمصر في الجب، في نحو مجلدين.

- وفي قوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، وبين أنه من كلام المرأة.

- وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهُمْ بِهَا ثَوَالٍ أَن رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّي﴾.

- / وقوله: ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْشَسَ الرَّسُلُ﴾.

ب/

- وقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾.

* وفي سورة الرعد:

- في قوله: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾.

- وفي قوله: ﴿أَمَنَ يَعْلَمُ أَنَّما أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾.

* وفي سورة الحجر:

- في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ﴾.

- وفي قوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾، ونظائر هذه الآية،

كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

* وفي سورة النحل:

- الآيات الأولى، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،

﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الآيات.

- وفي قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾.

- وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾.

* وفي سورة الأنبياء - عليهم السلام -:

- في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾، في مجلد لطيف، وهي دعوة ذي النون^(١).

-/ وفي قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، واعتراض ٦/ أ ابن الزبيري، وجوابه.

* وفي سورة الحج:

- في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾، وتكلم على لفظ التأويل، في نحو كراسة^(٢).

- وفي قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾، وورقات.

* وفي سورة النور:

- فسر غالبها في مجلد لطيف^(٣).

- وفي قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، خمس ورقات.

- وفي قوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ في قاعدتين.

(١) قال الشيخ الجزائري: «رأيتها».

(٢) علق الشيخ الجزائري: «رأيتها في بيروت».

(٣) علق الشيخ الجزائري: «طبع في الهند».

* وفي سورة القصص :

- في حمو موسى ، هل هو شعيب أم غيره ، في كراسة .

- وفي قوله : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ طَعْمٍ عِنْدِي ﴾ .

- وفي قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا ﴾ ، مرتين .

* وفي سورة العنكبوت :

- قوله : ﴿ اَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسَ ﴾ .

- وقوله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

- وفي قوله : ﴿ وَلَا تَجِدُ لَهَا أَهْلًا لِّلْكِتَابِ إِلَّا بِآلِئِ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

* وفي سورة لقمان :

٦/ب

- في قوله : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

* وفي سورة ﴿ اَلَمْ تَنْزِيلُ ﴾ السجدة :

- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا ﴾ .

* وفي سورة الأحزاب :

- قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ، وقصة الخندق .

* وفي سورة سبأ :

- ﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

* وفي سورة فاطر :

- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١).

- وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾.

* وفي سورة غافر:

- قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾.

- وفي قوله في آخر السورة: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

* وفي سورة الشورى:

- قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، نحو خمسين ورقة.

/ * وفي سورة الزخرف:

- قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾^(٢).

* وفي سورة الدخان وسورة الجاثية:

- ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

- وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

* سورة الحجرات:

- فسرّها في بضعة عشر^(٢) ورقة.

* سورة الذاريات:

(١) علق الشيخ الجزائري: «رأيتها».

(٢) كذا في الأصل.

- قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦)، فسرهما مرتين، إحداهما في نحو سبعين ورقة.

* سورة الواقعة:

- قوله: ﴿قُلْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ (٨٧).

* سورة المجادلة:

- قوله: ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾، فسرهما مرات، وتكلم على المعية في جميع موارد.

* سورة الممتحنة:

- ﴿إِذَا جَاءَ كُفُّ الْمُؤْمِنَاتِ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾.

* سورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١).

- فسرهما في مجلد لطيف.

* سورة الفجر:

- فسرهما وتكلم مرات على قوله: ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧).

- وقوله: ﴿وَلَيْلٍ عَشْرِ﴾ (٢)، وبين أن له (١) عشرين فضيلة.

/ * سورة: ﴿لَا أَقْسِمُ﴾:

ب/٨

- فسرهما بكمالها، وتكلم على قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠).

- وتكلم على قوله: ﴿فَالْمَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ﴿٨﴾.

* سورة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْرَرِكَ﴾.

- فسرها، وبين أنها أول سورة انزلت، وبين أنها تضمنت أصول الدين، في مجلد لطيف^(١).

* سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

- فسرها بكمالها^(٢).

* سورة ﴿قُلْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿١﴾:

- فسرها في نحو ثلاثين ورقة^(٣).

* سورة ﴿تَبَّتْ﴾:

- فسرها في نحو عشر ورقات.

* المعوذتان:

- فسرها مرات في نحو خمسين ورقة.

* ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾:

- فسرها في مجلد.

(١) رمز الشيخ الجزائري بـ (م).

(٢) علق الشيخ الجزائري: وعندي تفسير أولها.

(٣) علق الشيخ الجزائري: «رأيتها».

- وتكلم في مجلد لطيف على كونها تعدل ثلث القرآن، وتفضيل القرآن بعضه على بعض.

- وله قواعد في التفسير مجملة، تكلم فيها على المصنفات، وعلى المفسرين، وما هو متصل وغير متصل، ومن يعتمد عليه ومن لا يعتمد عليه، رأيت منها نحو مجلد كبير. ٨/ أ

- وكتب قاعدة كبيرة في هذا المعنى.

- وله جواب في تفسير البغوي والقرطبي والزمخشري؛ أيها أفضل؟

- وله قاعدة في فضائل القرآن.

- وقاعدة في أقسام القرآن.

- وقاعدة في أمثال القرآن.

- انتهى ما يتعلق بالكتاب العزيز^(١).

٢ - ومما صنفه في الأصول مبتدئاً أو مجيباً لمعترض أو سائل

- كتاب الإيمان. في مجلد.

- كتاب الاستقامة. في مجلدين.

- كتاب جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية. أربع مجلدات.

(١) كتب الناسخ العلامة طاهر الجزائري هنا: «وهذا الذي أردنا نقله الآن لغرض، حرر في ليلة ٢٦/رمضان، سنة ١٣١٨، والله الحمد.

- كتاب الجواب عما أورده كمال الدين الشريشي على كتابه تعارض العقل والنقل.

- كتاب بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. في ست مجلدات.

- كتاب درء تعارض العقل والنقل. أربع مجلدات.

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. أربع مجلدات.

- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح. في مجلدين.

- شرح أول المحصل. في مجلد.

- كتاب الرد على أهل كسروان الرافضة. في مجلدين.

- الهلاكونية. وهو جواب سؤال ورد على لسان هلاكو ملك التتار. في مجلد.

- كتاب في الوسيلة. في مجلد.

- كتاب في الرد على البكري في الاستغاثة. في مجلد.

- شرح على أول كتاب الغزنوي في أصول الدين. في مجلد لطيف.

- كتاب في الرد على المنطق. في مجلد كبير.

- شرح عقيدة الأصفهاني. في مجلد.

- شرح مسائل من الأربعين للرازي. في مجلدين.

- المسائل الإسكندرية. رد فيه على ابن سبعين وغيره. في مجلد.

- كتاب في محنته في مصر. في مجلدين. وتكلم فيه على الكلام النفسي وأبطله من نحو ثمانين وجهًا.
- كتاب الكلام على إرادة الرب وقدرته. نحو مائة ورقة.

٣ - قواعد وفتاوى

- الكيلانية، وهو جواب في مسألة القرآن. في مجلد لطيف.
- قواعد في إثبات المعاد، والرد على ابن سينا في رسالته الأضحوية. نحو مجلد.
- تحقيق الاثبات في الأسماء والصفات: التدمرية. بحث فيها في حقيقة الجمع بين القدر والشرع.
- الفتيا الحموية. ستون ورقة. كتبها بين الظهر والعصر.
- المراكشية. وهي فتيا في الصفات. خمسون ورقة.
- فتيا في مسألة العلو. نحو خمسين ورقة.
- فتيا تتضمن صفات الكمال مما يستحقه الرب سبحانه. نحو ستين ورقة.
- الواسطية. وهي فتيا في عقيدة الفرقة الناجية. نحو ثلاثين ورقة.
- جواب في تعليل مسألة الأفعال. نحو ستين ورقة.
- جواب في مسألة القرآن. وردت من مصر. نحو سبعين ورقة.
- البعلبكية. تكلم فيها على اختلاف الناس في الكلام. نحو عشرين ورقة.

- القادرية. وهي مسألة في القرآن. نحو عشر ورقات.
- جواب مسألة في القرآن؛ هل هو حرف وصوت أم لا. نحو ثلاثين ورقة.
- الأزهرية. بضع وعشرون ورقة.
- البغدادية. وهي مسألة في القرآن.
- مسائل في الشكل والنقط.
- كتاب إبطال قول الفلاسفة بإثبات الجواهر العقلية.
- كتاب إبطال قول الفلاسفة بقدوم العالم. في مجلد كبير.
- قاعدة في إبطال قول الفلاسفة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد.
- قاعدة في القضايا الوهمية.
- قاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى.
- جواب في العزم على المعصية هل يُعاقب العبد عليه. نحو عشرين ورقة.
- قاعدة في أن مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام لا تكون إلا عن ظن واتباع هوى.
- قاعدة في أن الإيمان والتوحيد يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة.
- قاعدة في إثبات كرامات الأولياء. عشرين ورقة.
- قاعدة في أن خوارق العادات لا تدلّ على الولاية.

- قاعدة في الصبر والشكر . نحو ستين ورقة .
- قاعدة في الرضا . مجلد لطيف .
- قاعدة في أن كل آية يحتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله .
- قاعدة في أن كل دليل عقلي يحتج به مبتدع ، فيه دليل على بطلان قوله . مائة ورقة .
- قاعدة في تفضيل صالحى الناس على سائر الأجناس .
- قاعدة في الخلوات ، والفرق بين الخلوة الشرعية والبدعية .
- قاعدة في لباس الخرقة والأقطاب ونحوهم .
- الصعيدية . وهي قاعدة تتعلق بالتوبة .
- قاعدة في الفقراء والصوفية أيهم أفضل .
- قاعدة في محبة الله للعبد ومحبة العبد لله . مجلد لطيف .
- التحفة العراقية . نحو ستين ورقة .
- قاعدة في الاخلاص والتوكل . نحو خمسين ورقة .
- قاعدة في الشيوخ الأحمدية . نحو خمسين ورقة .
- قاعدة في تحريم السماع . نحو عشرين ورقة .
- تحريم السماع . في مجلد .
- تعلية على فتوح الغيب لسيدى عبدالقادر الكيلانى .

- قاعدة في شرح أسماء الله الحسنى .
- قاعدة في قوله ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» .
- قاعدة في الاستغفار وشرحه .
- قاعدة في أن الشريعة والحقيقة متلازمتان .
- قاعدة في الخلعة والمحبة وأيهما أفضل . في مجلد .
- قاعدة في العلم المحكم . مجلد .
- قواعد في خلافة الصديق . مجلد .
- رسالة في أمر يزيد هل يُسبُّ أم لا .
- رسالة في الخضر هل مات أو هو حي .
- رسالة في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة .
- رسالة فيمن عزم على فعل محرم ثم مات .
- رسالة في أن اسماعيل عليه السلام هو الذبيح .
- رسالة في الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية .
- رسالة في قوله عليه الصلاة والسلام: «من قال أنا خير من يونس بن مَتَّى فقد كذب» .
- رسالة في الاشتغال بكلام الله وأسمائه وذكره، أي ذلك أفضل .
- رسالة في غض البصر وحفظ الفرج ماذا يُعِينُ عليه .

- الإربلية. وهي رسالة في الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا.
- رسالة في مسألة الزوال واختلاف وقته باختلاف البلدان. في مجلد لطيف.
- رسالة في اللقاء وما ورد فيه في القرآن وغيره. نحو عشرين ورقة.
- رسالة في قرب الرب من عابديه وداعيه. مجلد لطيف.
- رسالة في الاستواء وإبطال قول من تأوّل بالاستيلاء من نحو عشرين وجهًا.
- كتاب في الشهادتين وما يتبع ذلك. في مجلد.
- رسالة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هل هي من الصغائر. وهل يكفر المنازع في تجويز الصغائر عليهم؟ نحو ثلاثين ورقة.
- رسالة في الاستطاعة هل هي مع الفعل أو قبله.
- رسالة في العين والقلب وأحواله.
- رسالة هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبيًا، وهل يسمّى من صحبه إذ ذاك صحابيًا.
- رسالة هل كان النبي ﷺ قبل الوحي متعبّدًا بشرع من قبله من الأنبياء.
- رسالة في كفر فرعون.
- رسالة في ذي الفقار هل كان سيفًا لعلي رضي الله عنه.

- رسالة في وجوب العدل على كل أحد في كل حال.
- رسالة في فضل السلف على الخلف في العلم.
- كتاب في الإيمان هل يزيد وينقص. في مجلد.
- رسالة في حق الله وحق رسوله وحقوق عباده وما وقع في ذلك من التفريط.
- رسالة في أن مبدأ العلم الإلهي عند النبي ﷺ هو الوحي، وعند أتباعه هو الإيمان.
- رسالة في أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لا بُدَّ أن يكون بكتاب الله وسنة رسوله.
- رسالة في عقيدة الأشعرية وعقيدة الماتريدي وغيره من الحنفية. نحو خمسين ورقة.
- الواسطية. وهي عقيدة.
- الحوفية. وهي عقيدة أيضًا. نحو عشرين ورقة.
- رسالة في العرش والعالم هل هو كروي الشكل أم لا؟
- رسالة في الخلَّة والامكان العام.
- شرح رسالة ابن عبدوس في أصول الدين.
- قاعدة فيما لكل أمة من الخصائص، وخصائص هذه الأمة.
- قاعدة في الكليات. مجلد لطيف.

- كتاب في توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا. مجلد لطيف.
- رسالة في جواب محيي الدين الأصفهاني. نحو ستين ورقة.
- الفرقان بين^(١) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. مجلد لطيف.
- رسالة في الفرق بين ما يتأوّل ومالا يتأوّل من النصوص. نحو عشرين ورقة.
- قاعدة في الفناء والاصطلام. نحو ثلاثين ورقة.
- قاعدة في العلم والحلم نحو عشرين ورقة.
- قاعدة في الاقتصاص من المظالم بالدعاء وغيره. مجلد.
- قاعدة في تركية النفوس. نحو ثلاثين ورقة.
- قاعدة في كلام ابن الشريف في التصوّف. كراسة.
- قاعدة في حق الله وحق عباده. بضع عشرة ورقة.
- قاعدة في الزهد والورع. نحو ثلاثين ورقة.
- قاعدة في الإيمان والتوحيد، وبيان ضلال من ضل في هذا الأصل.
- قاعدة في أمراض القلوب وشفائها. نحو أربعين ورقة.
- قاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة.
- قاعدة في خلة إبراهيم عليه السلام وأنه الامام المطلق.

(١) في الأصل: «بيان».

- قاعدة فيمن امتحن في الله وصبر .
- رسالة في المباينة بين الله سبحانه وبين خلقه . نحو أربعين ورقة .
- قاعدة في الصفح الجميل والهجر الجميل والصبر الجميل .
- قاعدة في اقتران الإيمان بالاحتساب .
- رسالة في قوله «أمرتُ أن أخطب الناس على قدر عقولهم» هل هو من كلام النبي ﷺ .
- قاعدة في الرد على أهل الاتحاد . وهي جواب الطوفي . في مجلد لطيف .
- رسالة في أصول الدين للعدوية . بقدر أربعين ورقة .
- رسالة في الأصول لأهل جيلان . نحو خمسين ورقة .
- رسالة لأهل قبرص تتضمن قواعد دينية أصولية ، بقدر ثلاثين ورقة .
- قاعدة فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي ﷺ ، والقيام بحقوقه الواجبة على أمته في كل زمان ومكان ، وبيان خصائصه التي امتاز بها على جميع العالمين ، وبيان فضل أمته على جميع الأمم .
- قاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم .
- قاعدة تتعلق برحمة الله في إرسال محمد ﷺ ، وأن إرساله أجلّ النعم .
- قاعدة في الشكر لله .
- رسالة في حال الحلاج ، ودفع ما وقع به التحاج .

- قاعدة في العُمَر المكية وهل الأفضل للمجاور وأهل مكة الاعتمار أو الطواف. نحو أربعين ورقة.
- قاعدة في الكلام على المرشدة^(١).
- قاعدة في كلام الجنيد لما سُئل عن التوحيد فقال «إفراد الحدوث عن القدم».
- قاعدة في التوكل والاخلاص. نحو أربعين ورقة.
- قاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل.
- قاعدة في أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته.
- قاعدة في توحيد الشهادة.
- القواعد الخمس.
- قاعدة في القدرية وأنهم ثلاثة أقسام: مجوسية، ومشركية، وابليسية.
- قاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية وما بينها وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية.
- قاعدة في وصية لقمان لابنه.
- قاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيره هل هو بلسان الحال أم لا.

(١) في الأصل: «المرشد».

- قاعدة في السياحة والعزلة، وفي الفقر والتصوف. هل هما اسمان شرعيان.

- قاعدة في مشايخ العلم ومشايخ الفقهاء أيهم أفضل.

- قاعدة في تعذيب المرء بذنب غيره.

- رسالة في العباس وبلال أيهما أفضل.

- رسالة لأهل تدمر.

- قاعدة في أن جامع الحسنات العدل، والسيئات الظلم. ومراتب الذنوب في الدنيا.

- قاعدة في فضل عشر ذي الحجة. وذكر نحو عشرين فضيلة.

- قاعدة في رسالة النبي ﷺ إلى الإنس والجن.

- قاعدة في رجوع البدع إلى شعبة من شعب الكفر.

- قاعدة في الاجماع. وله ثلاثة أقسام.

- رسالة فيمن قال إن بعض المشايخ أحياء ميتاً.

- شرح العمدة. في أربع مجلدات.

- شرح المحرر.

- الصارم المسلول على شاتم الرسول.

- اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الجحيم.

- التحرير في مسألة الخضر^(١). مجلد.

- دفع الملام عن الأئمة الأعلام. مجلد لطيف.

- قاعدة فيما يظن من تعارض النص والاجماع.

٤ - الكتب الفقهية

- قواعد في رجوع المغرور على مَنْ غَرَّه.

- قواعد في السنة والبدعة، وفي أن كل بدعة ضلالة.

- السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية.

- رسالة في فضائل الأئمة الأربعة، وما امتاز به كل إمام من الفضيلة.

- قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين، نحو خمسين ورقة.

- قاعدة في لفظ الحقيقة والمجاز، والبحث مع الآمدي. نحو

ثمانين ورقة.

- رسالة في ذبائح أهل الكتاب.

- رسالة في قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

- رسالة في اهداء الثواب للنبي ﷺ.

- رسالة في قوله (كما صليت على إبراهيم) وفي أن المشبه به أعلى

من المشبه.

(١) كذا في الأصل، والصواب «الحضير» كما في المصادر الأخرى.

- رسالة أجوبة مسائل أصفهان.
- رسالة أجوبة مسائل الأندلس.
- رسالة جواب سؤال الرحبة.
- رسالة أجوبة مسائل الصلّط.
- رسالة في أرض الموات اذا أحيّاها ثم عادت هل تملك مرة أخرى.
- رسالة في النهي عن أعياد النصارى.
- قواعد في تطهّر الأرض بالشمس والريح.
- قواعد في مسائل من الذنور والضمان.
- قاعدة في المائعات والمياه وأحكامها بنحو ستين ورقة.
- قاعدة في المائعات والميتة اذا وقعت فيها. نحو عشرين ورقة.
- قواعد في الوقف، وشروط الوقف، وفي إبداله بأجود منه، وفي بيعه عند تعذر الانتفاع.
- قاعدة في تفضيل مذهب أحمد، وذكر محاسنه. في مجلد.
- قاعدة في أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهي عنه. في مجلد لطيف.
- قاعدة في طهارة بول ما يؤكل لحمة. نحو سبعين ورقة. من ثلاثين حجة.
- قاعدة في معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة.

- قاعدة في دم الشهيد ومداد العلماء.
- قاعدة في وجوب التسمية على الذبائح والصيد.
- قاعدة في أن كل عمل صالح أصله اتباع النبي ﷺ.
- قاعدة في تفضيل مذهب أهل المدينة نحو خمسين ورقة.
- قاعدة في نواقض الوضوء.
- قاعدة في الاجتهاد والتقليد.
- قاعدة في الجهاد والترغيب فيه.
- قاعدة في المخطيء في الاجتهاد هل يأثم، وهل المصيب واحد.
- قاعدة فيما يحل وما يحرم من الأطعمة.
- قاعدة في شمول النصوص للأحكام.
- قاعدة في طواف الحائض.
- قاعدة فيما شرعه الله بلفظ العموم، هل يكون مشروعًا بلفظ الخصوص.
- قاعدة في لعب الشطرنج.
- قاعدة في مفطرات الصائم.
- قاعدة في السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر.
- قاعدة في الجمع بين الصلاتين.

- قاعدة فيما يُشترط له الطهارة.
- قاعدة في مواقيت الصلاة.
- قاعدة في الكنائس، وما يجوز هدمه منها. في مجلد.
- شمول النصوص في الفرائض.
- قاعدة في تقليد مذهب معين هل يجب على العامي أم لا.
- قاعدة في حلق الرأس هل يجوز في غير النسك.
- قاعدة فيما يحل ويحرم بالنسب والصهر والرضاع.
- قاعدة في الجد، هل يجبر البكر على النكاح.
- قاعدة في الجهر بالبسملة.
- قاعدة في القراءة خلف الامام.
- قاعدة فيمن بكر وابتكر، وغسل واغتسل.
- قاعدة في ذم الوسواس.
- قاعدة في الأنبذة والمسكرات.
- قاعدة في قوله عليه الصلاة والسلام «استحللتم فروجهن بكلمة الله».
- قاعدة في الحسبة.
- قاعدة في المسألة السريجية.
- قاعدة في حل الدور. ومسائل الجبر والمقابلة.

٥ - وله وصايا منها

- وصية لابن المهاجري .

- وصية للتجيبى .

- وصية لأبى القاسم يوسف السبتي .

٦ - وله إجازات منها :

- إجازة لأهل سبته ، ذكر فيها مسموعاته .

- إجازة كتبها لبعض أهل تبريز .

- إجازة لأهل غرناطة .

- إجازة لأهل أصبهان .

٧ - وله رسائل تتضمن علومًا

- الرسالة المدنية .

- الرسالة المصرية .

- رسالة كتبها إلى أهل بغداد .

- رسالة إلى أهل البصرة .

- رسالة كتبها إلى القاضي السروجي الحنفي .

- الرسالة العدوية كتبها إلى بيت الشيخ عدي بن مسافر .

- رسالة كتبها إلى بيت الشيخ جاكير .

- رسالة كتبها إلى صاحب قبرص في مصالح تتعلق بالمسلمين .
- رسالة إلى البحرين وملوك العرب .
- رسالة لأهل العراق .
- رسالة إلى ملك مصر .
- رسالة إلى ملك حماة .
- رسالة العرش .
- رسالة تكسير الأحجار .
- رسالة في المسألة الحرفية .
- رسالة في إثبات وجود النفس بعد الموت .
- شرح دعاء أبي بكر رضي الله عنه .
- الدر المنثور في زيارة القبور .
- شرح العقيدة الاصفهانية .
- الفرقان بين الحق والباطل . ستين ورقة .
- رسالة في عرض الأديان عند الموت .
- رسالة في المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر .
- تمّ كتاب «أسماء مؤلفات الإمام أحمد بن تيمية» رضي الله عنه .

مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ^(١)

للعلامة / أحمد بن يحيى ابن فضل الله العُمري (٧٤٩)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم
الحرّاني، العلامة الحافظ الحجة المجتهد المفسر، شيخ الإسلام نادرة
العصر علّم الزُّهاد، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية.

هو البحرُ من أيّ النواحي جثته، والبدرُ من أيّ الضّواحي أتيته،
جَرَتْ أَبَاؤُهُ لِشَأْوِهِ مَا قَنَعَ بِهِ، وَلَا وَقَفَ عِنْدَهُ طَلِيحًا مُرِيحًا مِنْ تَعَبِهِ، طَلَبًا
لَا يَرْضَى بِغَايَةٍ، وَلَا يُقْضَى لَهُ بِنَهَايَةٍ. رَضَعَ ثُدْيَ الْعِلْمِ مُنْذُ فُطِمَ، وَطَلَعَ
وَجْهَ الصَّبَاحِ لِيُحَاكِئَهُ فَلُطِمَ، وَقَطَعَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ دَائِبِينَ، وَاتَّخَذَ الْعِلْمَ
وَالْعَمَلَ صَاحِبَيْنِ، إِلَى أَنْ أَنْسَى السَّلَفَ بِهْدَاهُ، وَأَنَّى الْخَلْفَ عَنْ بُلُوغِ
مَدَاهُ.

وَنَقَفَ اللَّهُ أَمْرًا بَاتَ يَكْلُؤُهُ يَمْضِي حُسَامَاهُ فِيهِ السِّيفُ وَالْقَلَمُ

بِهَمَّةٍ فِي الثَّرِيَّا أَثَرُ أَخْمَصِهَا وَعَزَمَةٍ لَيْسَ مِنْ عَادَاتِهَا السَّأْمُ

على أنّه من بيتٍ نشأت منه علماء في سالفِ الدُّهور، ونَسأت منه
عُظَمَاءُ على المشاهير الشُّهور، فَأُخِيَّ معالِمَ بيتِهِ القديم إذْ دَرَسَ، وَجَنَى
من فَنِّهِ الرُّطِيبِ ما غَرَسَ، وَأَصْبَحَ فِي فَضْلِهِ آيَةً إِلَّا أَنَّهُ آيَةُ الْحَرَسِ،

(١) نسخة ايا صوفيا، المكتبة السلیمانیة باستانبول برقم ٣٤١٨ (ص ٢٩٤ - ٣٠٦).

عَرَضَتْ لَهُ الْكُدَى فَرَحَزَحَهَا، وَعَارَضَتْهُ الْبَحَارُ فَضَخَضَهَا، ثُمَّ كَانَ أُمَّةً وَحْدَهُ، وَفَرَدًا حَتَّى نَزَلَ لَحْدَهُ. أَخْمَلَ مِنَ الْقُرْنَاءِ كُلِّ عَظِيمٍ، وَأَخْمَدَ مِنْ أَهْلِ الْفَنَاءِ كُلِّ قَدِيمٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُجْفِلُ عَنْهُ إِجْفَالُ الظَّلِيمِ، وَيَتَضَاءَلُ لَدَيْهِ تَضَاوُلُ الْغَرِيمِ.

مَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَّا مِثْلَمَا بَعْضُ الْحَصَا الْيَاقُوْتَةُ الْحَمْرَاءُ

جَاءَ فِي عَصْرِ مَاهُولٍ بِالْعُلَمَاءِ، مَشْحُونٍ بِنُجُومِ السَّمَاءِ، تَمُوجُ فِي جَانِبَيْهِ بِحُورٌ خَضَارُمُ، وَتَطِيرُ بَيْنَ خَافِقِيهِ نُسُورٌ قَشَاعِمُ، وَتُشْرِقُ فِي أَنْدِيَتِهِ بُدُورٌ دُجْنَةُ، وَصُدُورٌ أَسِنَّةٌ، وَتَثَارُ جُنُودُ رَعِيلٍ، وَتَزَارُ أَسْوَدُ غَيْلٍ، إِلَّا أَنَّ صَبَاحَهُ طَمَسَ تِلْكَ النُّجُومَ، وَبَخَّرَهُ طَمَّ عَلَى تِلْكَ الْغُيُومَ، فَقَاءَتْ سُمْرَتُهُ عَلَى تِلْكَ التَّلَاحِ، وَأَطْلَتْ قَسُورَتُهُ عَلَى تِلْكَ السَّبَاعِ، ثُمَّ عُبِّتْ لَهُ الْكِتَابُ فَحَطَمَ صَفُوفَهَا، وَخَطَمَ أَنْوْفَهَا، وَابْتَلَعَ غَدِيرَهُ الْمَطْمَشُ جَدَاوِلَهَا، وَاقْتَلَعَ طَوْدَهُ الْمُرْجَحِ جَنَادِلَهَا، وَأَخْمَدَتْ أَنْفَاسَهُمْ رِيحُهُ، وَأَكْمَدَتْ شَرَارَاتِهِمْ مَصَابِيحُهُ

تَقَدَّمَ رَاكِبًا فِيهِمْ إِمَامًا وَلَوْلَاهُ لَمَا رَكِبُوا وَرَاءَ

فَجَمَعَ أَشْتَاتَ الْمَذَاهِبِ، وَشَتَاتَ الْمَذَاهِبِ، وَنَقَلَ عَنْ أُمَّةِ الْإِجْمَاعِ فَمَنْ سِوَاهُمْ مَذَاهِبَهُمُ الْمُخْتَلَفَةَ وَاسْتَخَضَرَهَا، وَمَثَلَ صُورَهُمُ الذَّاهِبَةَ وَأَخْضَرَهَا، فَلَوْ شَعَرَ أَبُو حَنِيفَةَ بِزَمَانِهِ وَمَلَكَ أَمْرَهُ لَأَذْنَى عَصْرَهُ إِلَيْهِ مُقْتَرِبًا، أَوْ مَالِكٌ لِأَجْرَى وَرَاءَهُ أَشْهَبَهُ وَلَوْ كَبَا، أَوْ الشَّافِعِيُّ لَقَالَ: لَيْتَ هَذَا كَانَ لِلْأَمِّ وَلَدًا وَلَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ أَبًا، أَوْ الشَّيْبَانِيُّ ابْنُ حَنْبَلٍ لَمَا لَامَ عِذَارَهُ إِذَا غَدَا مِنْهُ لَقَرَطِ الْعَجَبِ أَشْيِيَا، لَا بَلْ دَاوُدُ الظَّاهِرِيُّ وَسِنَانُ الْبَاطِنِيُّ لَظَنَّا تَحْقِيقَهُ مِنْ مُتَحَلِّهِ، وَابْنُ حَزْمٍ وَالشَّهْرِسْتَانِيُّ لِحَشَرَ كُلِّ مِنْهُمَا ذِكْرَهُ أُمَّةً فِي نَحْلِهِ، وَالْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ وَالْحَافِظُ السَّلْفِيُّ لِأَضَافِهِ

هذا إلى استداركِهِ وهذا إلى رَحْلِهِ .

تَرَدُّ إِلَيْهِ الْفَتَاوَى وَلَا يَرُدُّهَا، وَتَقْدُّ عَلَيْهِ فَيُجِيبُ عَلَيْهَا بِأَجْوِبَةٍ كَأَنَّهُ
كَانَ قَاعِدًا لَهَا يُعِدُّهَا

أَبَدًا عَلَى طَرَفِ اللِّسَانِ جَوَابُهُ فَكَأَنَّمَا هِيَ دَفْعَةٌ مِنْ صَيِّبٍ

يَعْدُو مُسَاجِلُهُ بَغْرَةً صَافِحٍ وَيَرْوَحُ مُعْتَرِفًا بِذَلَّةٍ مُذْنِبٍ

وَلَقَدْ تَضَافَرَتْ عَلَيْهِ عُصَبُ الْأَعْدَاءِ فَأَقْحِمُوا إِذْ هَدَرَ فَخْلُهُ،
وَأَفْحِمُوا إِذْ زَمَزَمَ لِيَجْنِيَ الشَّهْدَ نَحْلُهُ، وَرَفَعَ إِلَى السُّلْطَانِ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ
وَرُمِيَ بِالْكَبَائِرِ، وَتُرْبِّصَتْ بِهِ الدَّوَائِرُ، وَسُعِيَ بِهِ لِيُؤْخَذَ بِالْجَرَائِرِ،
وَحَسَدَهُ مَنْ لَمْ يَنْلِ سَعْيِهِ وَكَثُرَ فَارْتَابُ، وَنَمَّ وَمَا زَادَ عَلَى أَنَّهُ اغْتَابَ.

وَأَزْعَجَ مِنْ وَطْنِهِ تَارَةً إِلَى مِصْرَ ثُمَّ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَتَارَةً إِلَى
مَحْبَسِ الْقَلْعَةِ بِدَمَشَقَ، وَفِي جَمِيعِهَا يُودَعُ أَخِيئَةُ الشُّجُونِ، وَيُلْدَغُ بِزُبَانِي
الْمَنُونِ، وَهُوَ عَلَى عِلْمٍ يُسْطَرُّ صُحْفُهُ، وَيَدَّخِرُ تُحْفَهُ، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الشَّيْءِ إِلَّا أَنْ يُصَنِّفَهُ، وَيَقْرَظَ بِهِ وَلَوْ سَمِعَ أَمْرِي وَاحِدٍ وَيُسْتَفِّفَهُ، حَتَّى
تَسْتَهْدِي أَطْرَافُ الْبِلَادِ طُرْفَهُ، وَتَسْتَطْلِعَ ثَنَايَا الْأَقَالِيمِ شُرْفَهُ، إِلَى أَنْ
خَطَفَتْهُ آخِرَ مَرَّةٍ مِنْ سِجْنِهِ عُقَابُ الْمَنَايَا، وَجَذَبَتْهَا إِلَى مَهْوَاتِهَا قَرَارُهُ
الرِّزَايَا.

وَكَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ قَدْ مُنِعَ الدَّوَاةَ وَالْقَلَمَ، وَطَبَعَ عَلَى قَلْبِهِ مِنْهُ طَابِعُ
الْأَلَمِ، فَكَانَ مَبْدَأَ مَرَضِهِ وَمُنْشَأَ عَرَضِهِ، حَتَّى نَزَلَ قِفَارَ الْمُقَابِرِ، وَتَرَكَ
قِفَارَ الْمَنَابِرِ، وَحَلَّ سَاحَةَ تَرْبِهِ وَمَا يُحَادِرُ، وَأَخَذَ رَاحَةَ قَلْبِهِ مِنَ اللَّائِمِ
وَالْعَادِرِ، فَمَاتَ لَا بَلَّ حَيٍّ، وَعُرفَ قَدْرُهُ لِأَنَّ مِثْلَهُ مَا رُمِيَ.

وَكَانَ يَوْمُ دَفْنِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا ضَاقَتْ بِهِ الْبِلْدُ وَظَوَاهِرُهَا، وَتَذَكَّرَتْ بِهِ

أوائِلُ الرِّزَايا وأواخِرُها، ولم يكن أعظم منها مُنْذُ مِثْنِ سِنِينَ جنازة رُفِعَتْ على الرُّقَابِ، ووُطِئَتْ في زِحَامِهَا الأعقابُ، وسارَ مرفوعاً على الرُّءُوسِ، متبوعاً بالنفوسِ، تَخْذُوهُ العِبَرَاتُ، وتَبْعُهُ الزَّفَرَاتُ، وتقولُ له الأُممُ: لا فُقِدَتْ مِن غائب، ولأقلامه النافعة: لا أَبْعَدُكُنَّ اللهُ مِن شَجَرَاتِ.

وكان في مَدَد ما يؤخذ عليه في مقاله ويُنْبَذُ في حُفْرَةِ اعتقاله، لا تَبْرُدُ له غُلَّةٌ بالجمع بينه وبين خُصَمَائِهِ بالمناظرة، والبحثِ حيث العيونُ ناظرة، بل يَبْدُرُ حاكمٌ فيحكمُ باعتقاله، أو يمنعه من الفتوى، أو بأشياء من نوع هذه البلوى، لا بعد إقامة بَيِّنَةٍ ولا تقدُّمَ دَعْوَى، ولا ظهورَ حُجَّةٍ بالدليل، ولا وضوحَ مُحجَّةٍ للتأميل، وكان يَجِدُ لهذا ما لا يُزَاح فيه ضَرَرُ شَكْوَى، ولا يُطْفِئُ ضَرَمَ عَذْوَى.

وكلُّ امري حازَ المكارمَ محسود

كضرائِرِ الحسناءِ قُلْنَ لِوَجْهِها حَسْداً وبُغْضاً إنه لَدَمِيمٌ

كل هذا لتبريزه في الفضل حيث قَصَرَتِ الثُّظَرَاءُ، وتَجَلَّيْتِه كالْمَصْبَاحِ إذ أَظْلَمَتِ الآرَاءُ، وقيامه في دفع حُجَّةِ التَّارِ، واقتحامه، وسيوفُهم تتدفَّقُ لُجَّةَ البِدَارِ، حتَّى جَلَسَ إلى السُّلْطَانِ محمود غازان حيث تَجَمَّ الأُسْدُ في آجامِها، وتسَقَطَ القلوبُ في دواخِلِ أجسامِها، وتَجَدُّ النارُ فتوراً في ضَرَمِها، والسيوفُ فرقاً في قَرَمِها، خوفاً من ذلك السَّبْعِ المغتال، والنمروذِ المختال، والأجلُ الَّذي لا يُدْفَعُ بحيلةٍ مُحْتال، فجلس إليه وأوماً بيده إلى صدره، وواجهه ودرأ في نَحْرِهِ، وطلَبَ منه الدُّعَا، ورفعَ يديه ودعَا، دُعَاءَ مُنْصَفٍ أَكْثَرُهُ عليه، وغازانُ يَوْمُنُ على دعائه وهو مُقْبِلٌ إليه. ثُمَّ كَانَ على هذه المواجهة القبيحة، والمشاتمة الصريحة،

أعظم في صدرِ غازانَ والمُغل من كلِّ من طلعَ معه إليهم، وهم سلف العلماء في ذلك الصُّدر، وأهلُ الاستحقاقِ لرفعةِ القَدَر.

هذا مع ماله من جهادٍ في الله لم يُفَزِّعْهُ فيه طللُ الوشيح، ولم يُجْزِعْهُ فيه ارتفاعُ النشيح، مواقفُ حروبٍ بأشْرَها، وطوائفُ ضروبٍ عاشرَها، وبوارقُ صفاحٍ كاشَرُها، ومضايقُ رِماحٍ حاشَرُها، وأصنافُ خُصومٍ لُدُّ اقتحَمَ معها الغمراتِ، وواكلها مختلفَ الثَّمراتِ، وقَطَعَ جدالَها قويُّ لسانه، وجَلادَها شَبَا سِنانِه، قامَ بها وصابَرُها، وبُليَ بأصاغرِها وقاسَى أكابرَها، وأهلِ بدعٍ قامَ في دِفاعِها، وجَهدَ في حَطِّ يَفَاعِها، مخالفةً مِلَلٍ بَيَّنَ لها خطأ التَّأويلِ، وسَقَمَ التَّعْلِيلِ، وأسَكَّتْ طَنِينَ الدُّبابِ في خياشيمِ رؤوسهم بالأضاليلِ، حتَّى ناموا في مراقِدِ الخُضوعِ، وقاموا وأرجلُهم تَتَساقطُ للوقوعِ، بأدِلَّةٍ أَقَطَعَ من السيوفِ، وأجمَعَ من السُّجُوفِ، وأجلى من فَلَقِ الصُّباحِ، وأجلبَ من فَلَقِ الرِّماحِ.

إذا وَثَبَتْ في وجهِ خَطْبٍ تَمَرَّقَتْ على كَتِفِهِ الدَّرْعُ وانشَرَّ السَّرْدُ

إِلَّا أَنَّ سابِقَ المقدورِ أوقَعَهُ في خَلَلِ المَسائِلِ، وخَطَلَ خَطَأً لا يَأْمَنُ فيه مع الإكثارِ قاتِلٌ، وأظنُّه - واللهُ يَغْفِرُ له - عَجَّلَتْ له في الدنيا المقاصَّةُ، وأخذَ نَصيبَه من بلواها عامَّةً وله خاصَّةً، وذلك لحطُّه على بعضِ سلفِ العلماء، وحَلَّه لقواعدَ كثيرةٍ من نواميسِ القدماء، وقِلَّةِ توقيره للكُبراء، وكثرةِ تكفيره للفقراء، وتزييفه لغالبِ الآراء، وتقريبه لجهلَةِ العوامِّ وأهلِ المِراء، وما أفتى به آخراً في مسألتَي الزيارة والطلاق، وإذاعتِهِ لهما حتَّى تكَلَّمَ فيهما من لا دينَ له ولا خلاق، فسَلَطَ ذُبَالُ الأعداءِ على سَلِيطه، وأطلقَ أيديَ الاعتداءِ في تفريطه،

وَلَقَمَ نَارَهُمْ سَعَفَهُ، وَأَرَى أَقْسَاطَهُمْ سَرَفَهُ، فَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ مَاتَ عِرْضُهُ مِنْهُوبًا، وَعَرَضُهُ مَوْهُوبًا، وَصَفَاتُهُ تَتَصَدَّعُ، وَرُفَاتُهُ لَا يَتَجَمَّعُ، وَلَعَلَّ هَذَا لَخَيْرِ أُرِيدَ بِهِ، وَأُرِيغَ لَهُ لِحُسْنِ مُنْقَلَبِهِ.

وكان لتعمُّده للخلاف، وتقصُّده بغير طريق الأسلاف، وتقويته للمسائل الضعاف، وتقويضه عن رؤوس السُّعَاف، تغيُّرُ مكانته^(١) من خاطِر السلطان، وتسبُّبُ له التغرُّبَ عن الأوطان، وتنفُّذُ إليه سهامِ الألسنة الرواشق، ورماحِ الطَّعنِ في يدِ كلِّ ماشق، فلهذا لم يَزَلْ مُنْغَصًّا عليه طولَ مُدَّتِهِ، لَا تَكَادُ تَنْفَرِجُ عَنْهُ جَوَانِبُ شِدَّتِهِ^(٢).

هذا مع ما جَمَعَ من الورع، وإلى ما فيه من العُلَى، وما حازَه بحذافيرِ الوجود من الجود، كانت تأتيه القنَاطيرُ المقنطرةُ من الذهب والفضة والخيلِ المُسَوِّمةِ والأنعامِ والحرثِ، فيَهَبُهُ بِأَجْمَعِهِ، وَيَضَعُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَاجَةِ فِي مَوْضِعِهِ، لَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا لِيَهَبَهُ، وَلَا يَحْفَظُهُ إِلَّا لِيُذْهِبَهُ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ الْبِرِّ، وطريقِ أَهْلِ التَّوَاضُعِ لَا أَهْلَ الْكِبَرِ. لَمْ يَمَلْ بِهِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ، وَلَا حُبُّ إِلَيْهِ مِنْ ثَلَاثِ الدُّنْيَا غَيْرِ الصَّلَاةِ.

ولقد نافست ملوك جنكيز خان عليه، ووجَّهت دسائِسَ رُسُلِها إِلَيْهِ، وَبَعَثَتْ تَجَدُّ فِي طَلْبِهِ، فَنُوسِيَتْ عَلَيْهِ لِأُمُورِ أَعْظَمِهَا خَوْفُ تَوْبَتِهِ، وَمَا زَالَ عَلَى هَذَا وَمِثْلِهِ إِلَى أَنْ صَرَعَهُ أَجَلُهُ، وَأَتَاهُ بَشِيرُ الْجَنَّةِ يَسْتَعْجِلُهُ، فَانْتَقَلَ إِلَى اللَّهِ وَالظَّنُّ بِهِ أَنَّهُ لَا يُخْجَلُهُ.

(١) كذا بالأصل، وكأنَّ المؤلف نسي السياق، بعد أن طالت عليه العبارة.

(٢) ماسبق من كلام المؤلف، ناتج عن تأثره بما كان عليه أهل عصره من معاداة لشيخ الاسلام، واتهامه بما هو منه براء.

وُلِدَ بحرَّانَ يومَ الاثنينَ عاشرَ ربيعِ الأوَّلِ سنةٍ إحدى وستينَ وستمائةَ، وقَدِمَ مع والدِهِ وأهلِهِ دِمَشقَ وهو صغيرٌ، فسمعَ ابنَ عبدالدَّائمِ وطبقَتَهُ، ثُمَّ طَلَبَ بنفسِهِ قِراءَةَ وسماعًا من خَلقٍ كثيرٍ، وقرأَ بنفسِهِ الكتبَ، وكتبَ الطِّباقَ والأثباتَ، ولازمَ السَّماعَ مَدَّةَ سنينَ، واشتغلَ بالعلومِ.

وكان من أذكى النَّاسِ، كثيرَ الحفظِ قليلَ النسيانِ، قلَّما حفظَ شيئًا فنسيه. وكان إمامًا في التفسيرِ وعلومِ القرآنِ، عارفًا بالفقهِ واختلافِ الفقهاءِ والأصليينَ والنحوِ وما يتعلقُ به، واللغةِ والمنطقِ وعلمِ الهيئةِ والجبرِ والمقابلةِ، وعلمِ الحسابِ، وعلمِ أهلِ الكتابينَ وأهلِ البدعِ، وغيرِ ذلكَ من العلومِ النقليةِ والعقليةِ. وما تكَلَّمَ معه فاضلٌ في فنٍّ من الفنونِ إلَّا ظنَّ أنَّ ذلكَ الفنَّ فُتِه. وكان حُفَظَةً للحديثِ، مُمَيِّزًا بينَ صحيحِهِ وسقيمِهِ، عارفًا برجالِهِ متضلِّعًا من ذلكِ.

وله تصانيفٌ كثيرةٌ وتعاليقٌ مفيدةٌ وفتاويٌّ مُشَبَّعةٌ في الفروعِ والأصولِ، كَمَلٍ منها جملةٌ في الفقهِ والحديثِ وردُّ البدعِ بالكتابِ والسنةِ، مثلُ: كتابِ الصَّارمِ المسلولِ على مُنتَقِصِ الرِّسولِ، وكتابِ تبطيلِ التحليلِ، وكتابِ اقتضاءِ الصَّراطِ المُستقيمِ، وكتابِ تأسيسِ التقديسِ في عشرينَ مجلَّدًا، وكتابِ الردِّ على طوائفِ الشيعةِ أربعَ مجلَّداتٍ، وكتابِ رفعِ الملامِ عن الأئمةِ الأعلامِ، وكتابِ السياسةِ الشرعيةِ، وكتابِ التصوفِ، وكتابِ الكَلَمِ الطيبِ، وكتابِ المناسكِ في الحجِّ. وكان من أَعرفِ النَّاسِ بالتاريخِ، وكثيرٍ من مصنَّفاتِهِ مُسَوَّدةٌ ما بَيَّضَتْ.

وتوفي والدُهُ وهو شابٌ، فوُلِّيَ مشيخَةَ الحديثِ بدارِ الحديثِ

السَّكْرِيَّة، وَحَضَرَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ، فَشَكَرُوا عِلْمَهُ، وَأَثْنُوا عَلَيْهِ وَعَلَى فُضَائِلِهِ وَعُلُومِهِ، حَتَّى قَالَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمَ الرَّقِّي:

الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ يُؤْخَذُ عَنْهُ وَيُقَلَّدُ فِي الْعُلُومِ، فَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ مَلَأَ الْأَرْضَ عِلْمًا، وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ، وَلَا بُدَّ مَا يُعَادِيهِ النَّاسُ، فَإِنَّهُ وَارِثُ عِلْمِ النَّبُوَّةِ.

وَقَالَ ابْنُ الزَّمْلَكَانِي: لَقَدْ أُعْطِيَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْيَدَ الطَّوْلَى فِي حُسْنِ التَّصْنِيفِ وَجُودَةِ الْعِبَارَةِ وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّقْسِيمِ وَالتَّبْيِينِ، وَقَدْ أَلَانَ اللَّهُ لَهُ الْعُلُومَ كَمَا أَلَانَ لِدَاوُدَ الْحَدِيدَ. ثُمَّ كَتَبَ عَلَى بَعْضِ تَصَانِيفِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ مِنْ نَظْمِهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ:

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ وَصْفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْحَضَرِ

هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ هُوَ بَيْنَنَا أَعْجُوبَةُ الْعَصْرِ

هُوَ آيَةٌ فِي الْخَلْقِ ظَاهِرَةٌ أَنْوَارُهَا أُرْبَتْ عَلَى الْفَجْرِ

ثُمَّ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا، وَغَلَبَتْ عَلَى ابْنِ الزَّمْلَكَانِي أَهْوِيَّتُهُ، فَمَالَ عَلَيْهِ مَعَ مَنْ مَالَ.

وَلَمَّا سَافَرَ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى الْقَاهِرَةِ سَنَةَ سَبْعِمِائَةٍ نَزَلَ عِنْدَ عَمِّي الصَّاحِبِ شَرَفِ الدِّينِ تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، وَحَضَرَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ، وَرُتِّبَ لَهُ مُرَتَّبٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَهُوَ دِينَارٌ وَمَحْفِيَّةٌ^(١)، وَجَاءَتْهُ بِقُجَّةٍ قِمَاشٌ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا.

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ.

وقال القاضي أبو الفتح ابن دقيق العيد: لما اجتمعتُ بابن تَيْمِيَّةَ رأيتُ رجلاً كلَّ العلوم بينَ عينيه، يأخذ ما يُريد ويدعُ ما يريد.

وحَضَرَ عنده شيخنا العلامة شيخ النحاة أبو حَيَّان وقال: ما رأْتُ عيناَي مثله، ثمَّ مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس بقوله:

لَمَّا أَتَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرَدُّ مَالِهِ وَزَرُّ
عَلَى مُحْيَاهُ مِنْ سِنِمَا الْأَلَى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ الْقَمَرُ
حَبْرٌ تَسْرِبَلٌ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَافُفٌ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدَّرَرُ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي نَضْرٍ شَرَعَتْنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ
فَظْهَرَ الْحَقُّ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشَّرُّ إِذْ طَارَتْ لَهُ الشَّرَرُ
كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ حَبْرٍ يَجِيءُ فَهَآ أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي [قَدْ] كَانَ يُنْتَظَرُ

قلت: ثمَّ دَارَ بينهما كلامٌ جرى فيه ذكر سيبويه، فتسرَّعَ ابن تَيْمِيَّةَ فيه بقولٍ نافرُهُ عليه أبو حيان، وقطعه بسببه، ثمَّ عَادَ أَكْثَرُ النَّاسِ ذِمًّا لَهُ، واتخذهُ لَهُ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ.

وَلَمَّا قَدِمَ غَازَانَ دِمَشْقَ خَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ صُلَحَاءِ الدَّمَاشِقَةِ، مِنْهُمْ الْقُدْوَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ قِوَامٍ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى غَازَانَ كَانَ مِمَّا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ لِلتَّرْجَمَانِ: قُلْ لِلْقَانِ: أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ مُسْلِمٌ وَمَعَكَ قَاضٍ وَإِمَامٌ وَشَيْخٌ وَمُؤَذِّنُونَ عَلَى مَا بَلَّغْنَا، فَغَزَوْتَنَا، وَأَبُوكَ وَجَدُّكَ هُوَ لَوَاكُو كَانَا كَافِرِينَ وَمَا عَمِلَا الَّذِي عَمِلْتَ، عَاهَدَا فَوْفِيَا، وَأَنْتَ عَاهَدْتَ فَغَدَرْتَ، وَقُلْتَ فَمَا وَفَيْتَ. وَجَرَتْ لَهُ مَعَ غَازَانَ وَقُتْلُوشَاهُ وَبُولَايَ أُمُورٌ وَتُوبٌ، قَامَ فِيهَا كُلُّهَا اللَّهُ، وَقَالَ الْحَقُّ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ.

أخبرنا قاضي القضاة أبو العباس ابن صصري أنهم لما حضروا مجلس غازان قُدِّمَ لهم طعامٌ فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: لِمَ لا تأكل؟ فقال: كيف آكلُ من طعامكم وكلُّه ممَّا نَهَبْتُم من أغنام النَّاسِ، وطَبَخْتُمُوهُ ممَّا قَطَعْتُم من أشجار النَّاسِ. ثُمَّ إِنَّ غازانَ طَلَبَ منه الدَّعاءَ، فقال في دعائه: اللهم إن كنتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَاتَلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا وجهادًا في سبيلك فان تؤيده وتنصره، وإن كَانَ للملك والدنيا والتكاثر فان تفعل به وتصنع، يدعوه عليه وغازان يؤمِّن على دعائه ونحن نجمع ثيابنا خوفًا أَنْ يُقْتَلَ فَيُطْرَشَ بدمه. ثُمَّ لما خرجنا قلنا له: كدَّتْ تهلكنا معك ونحن ما نصحبك من هنا، فقال: ولا أَنَا أصحبكم، فانطلقنا غُصْبَةً وتأخر في خاصية مَنْ معه، فتسامعت الخوانين والأمراء، فأتوه من كل فج عميق، وصاروا يتلاحقون به ليتبركوا برؤيته، فأما هو فما وصل إلَّا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه، وأما نحن فخرج علينا جماعة، فسلخونا^(١)، وكان^(٢) لا يسمح لمناظريه في بلوغ مرادهم من ضَرْوهِ، ويقول: مالي وله؟

وكان قاضي القضاة أبو عبدالله ابن الحريري يقول: إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو؟!

ثُمَّ بعد ذلك تمكن ابن تيمية في الشَّام حتَّى صار يَحْلِقُ الرؤوس ويضرب الحدود ويأمر بالقطع والقتل. ثُمَّ ظهر الشَّيخ نصر المنبجي واستولى على أرباب الدولة بالقاهرة، وشاع أمره وانتشر، فقيل لابن تيمية: إِنَّهُ اتَّحَادِي وإنه ينصر مذهب ابن العربي وابن سبعين، فكتب

(١) في الأصل: فسلخونا. بالحاء.

(٢) أي: الخان.

إليه نحو ثلاثمائة سطر يُنكر عليه، فتكلم نصر المنبجي مع قضاة مصر في أمره، وقال: هذا مبتدع، وأخاف على الناس من شرّه، فحسّن القضاة للأمراء طلبه إلى القاهرة، وأن يُعقد له مجلس، فعُقد له مجلس بدمشق، فلم يرض نصر المنبجي وقال لابن مخلوف: قل للأمراء: إن هذا يُخشى على الدولة منه، كما جرى لابن تومرت في بلاد المغرب فطلب من الأفرم نائب دمشق، فعُقد له مجلس ثانٍ وثالث، بسبب العقيدة الحموية، ثم سكنت القضية إلى أيام الجاشنكير، فأوهمه الشيخ نصر أن ابن تيمية يُخرجهم من الملك ويقيم غيرهم، فطلب إلى الديار المصرية، فمانع نائب الشام، وقال: قد عُقد له مجلسان بحضرتي وحضرة القضاة والفقهاء، وما ظهر عليه شيء، فقال الرسول لنائب دمشق: أنا ناصح لك، وقد قيل إنه يجمع الناس عليك، وعقد لهم بيعة، فجزع من ذلك، وأرسله إلى القاهرة في رمضان سنة خمس وسبعمائة، وكتب معه كتاباً إلى السلطان، وكتب معه محضر فيه خطوط جماعة من القضاة وكبار الصلحاء والعلماء بصورة ما جرى في المجلسين، وأنه لم يثبت عليه فيهما شيء، ولا مُنع من الإفتاء، فما التفت إلى شيء من ذلك، وسُجن بالإسكندرية مدة ثم عاد إلى دمشق.

وحكي من شجاعته في مواقف الحرب نوبة شُحِب ونوبة كسروان مالم يُسمع إلا عن صناديد الرجال وأبطال اللقاء وأحلاس الحرب، تارة يباشر القتال، وتارة يُحرّض عليه. وركب البريد إلى مهنا بن عيسى واستحضره إلى الجهاد، وركب بعدها إلى السلطان واستنفره، وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره، ولما جاء السلطان إلى شُحِب لاقاه إلى قرن الحرّة، وجعل يشجّعه ويثبتته، فلما رأى السلطان كثرة التّار قال: يا لخالد بن الوليد!! فقال له: لا تقل هذا، بل قل يا الله، واستغث

بالله ربِّك، ووَحِّدْه وحَدِّه تُنْصِر، وقل: يا مالِك يوم الدين إياك نَعْبُد وإياك نَسْتَعِين. ثم ما زال يُقْبَل تارةً على الخليفة وتارةً على السلطان ويُهْدِئُهُما وَيَرْبِط جَاشَهُما حَتَّى جَاءَ نَصْرُ الله والفتح.

وحكى أَنَّهُ قال للسلطان: اثْبُتْ فَأَنْتَ مَنْصُور، فقال له بعض الأمراء: قل إن شاء الله تعالى، فقال: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا، فكان كما قال.

وحكى أَبُو حفص عمر بن عليّ بن موسى البزار البغدادي، قال: حَدَّثَنِي الشَّيْخُ المقرئ تقي الدين عبد الله بن أحمد بن سعيد قال: مرضْتُ بدمشق مرضَةً شَدِيدَةً، فجاءني ابن تَيْمِيَّةَ، فجلس عند رأسي وأنا مُثْقَلٌ بِالْحُمَّى والمرض، فدعا لي، ثُمَّ قال: قم، جاءت العافية، فما كَانَ إِلَّا أَن قام وفارقني، وإذا بالعافية قد جاءت، وَشُفِيتُ لَوْقَتِي.

قلت: وكان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يُحْصَى، فيُنْفِقْه جميعه آلافاً ومئين، لا يلمس منه درهماً بيده، ولا ينفقه في حاجةٍ له، وكان يعود المرضى، وَيُشَيِّعُ الجنائز، ويقوم بحقوق النَّاسِ، ويتألَّفُ القلوب، ولا ينسب إلى باحثٍ لديه مذهباً، ولا يحفظ لمتكلِّمٍ عنده زَلَّةٌ، ولا يتشَهَّى طعاماً، ولا يمتنع من شيءٍ منه، بل هو مع ما حضر، لا يتجَهَّمُ مَرَأَهُ، ولا يتكَدَّرُ صفوه، ولا يسأَمُ عَفْوَهُ.

وآخر أمره أَنَّهُ تكلَّمَ في مسأَلَتِي الزَّيَارَةِ والطلاق، فأخَذَ وَسْجَنَ بقلعة دمشق في قاعة، فتوفي بها في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وحضر جمعٌ كبيرٌ إلى القلعة، وأذِنَ لبعضهم في الدخول، وَغُسِّلَ وَصُلِّيَ عليه بالقلعة، ثُمَّ حُمِلَ على أصابع الرجال إلى جامع دمشق ضَحْوَةَ النهار، وَصُلِّيَ عليه، وَدُفِنَ بمقبرة الصوفية، وما وصل

إلى قبره إلى وقت العصر، وخرج النَّاس من جميع أبواب البلد، وكانوا خلقًا لا يُحصيهم إِلَّا اللهُ تعالى، وحُزِر الرجال بستين ألفًا والنساء بخمسة آلاف امرأة، وقيل أكثر من ذلك. ورؤيت له منامات صالحة. ورثاه جماعات من النَّاس بالشام ومصر والعراق والحجاز والعرب من آل فضل، رحمة الله عليه.

ورثته بقصيد لي، هي:

أهكذا بالدجاجي يُحجب القمر	ويُحبس النوء حتى يذهب المطر؟
أهكذا تُمنع الشمسُ المنيرة عن	منافع الأرض أحيانًا فتستّر؟
أهكذا الدهر ليلًا كله أبدًا	فليس يُعرف في أوقاته سحر؟
أهكذا السيف لا تمضي مضاربُه	والسيف في الفتك مافي عزمه خور؟
أهكذا القوس ترمى بالعراء وما	تُصمي الرمايا ومافي باعها قصر؟
أهكذا يترك البحرُ الخضمُّ ولا	يلوى عليه، وفي أصدافه الدرر؟
أهكذا بتقي الدين قد عبثت	أيدي العدى وتعدى نحوه الضرر؟
ألابن تيمية تُرمى سهامُ أذى	من الأنام ويُدْمى الناب والظفر؟
بذ السوابق ممتدَّ العبادة لا	يناله مللٌ فيها ولا ضجر
ولم يكن مثله بعد الصحابة في	علم عظيم وزهدٍ ماله خطرُ
طريقةً كان يمشي قبل مشيته	بها أبو بكر الصديق أو عمرُ
فردُ المذاهب في أقوال أربعة	جاؤوا على أثر السُّباقِ وابتدروا

لَمَّا بَنَوْا قَبْلَهُ عَلِيَا مَذَاهِبَهُمْ بَنَى وَعَمَّرَ مِنْهَا مِثْلَ مَا عَمَرُوا
مِثْلَ الْأَيْمَةِ قَدْ أَحْيَى زَمَانَهُمْ كَأَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ وَهُوَ مُتَنَظِّرُ
إِنْ يَرْفَعُوهُمْ جَمِيعًا رَفَعَ مُبْتَدِئُ فَحَقُّهُ الرِّفْعُ أَيْضًا إِنَّهُ خَبِرُ
أَمَثَلِهِ بَيْنَكُمْ يُلْقَى بِمَضِيعَةٍ حَتَّى يَطِيحَ لَهُ عَمْدًا دَمٌ هَدَرُ
يَكُونُ وَهُوَ أَمَانِيٌّ لَغَيْرِكُمْ تَنُوبُهُ مِنْكُمْ الْأَحْدَاثُ وَالْغَيْرُ
وَاللَّهُ لَوْ أَنَّهُ فِي غَيْرِ أَرْضِكُمْ لَكَانَ مِنْكُمْ عَلَى أَبْوَابِهِ زُمْرُ
مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ يُنْسَى بِمَحْبَسِهِ حَتَّى يَمُوتَ وَلَمْ يُكْحَلْ بِهِ بَصَرُ
مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ تُرْضَى حَوَاسِدُهُ بِحَبْسِهِ وَلَكُمْ فِي حَبْسِهِ عَذْرُ
مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي السَّجْنِ مَعْتَقَلُ وَالسَّجْنُ كَالْغَمْدِ وَهُوَ الصَّارِمُ الذِّكْرُ
مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ يُرْمَى بِكُلِّ أَدَى وَلَيْسَ يُجْلَى قَذَى مِنْهُ وَلَا نَظَرُ
مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ تَذْوَى خِمَائِلُهُ وَلَيْسَ يُلْقَطُ مِنْ أَفْنَانِهِ الزَّهَرُ
مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ شَمْسٌ تَغِيبُ سُدَى وَمَا تَرَقُّ لَهَا الْأَصَالُ وَالْبُكْرُ
مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ يَمْضِي وَمَا عَبَقَتْ بِمَسْكِهِ الْعَاطِرِ الْأَرْدَانُ وَالطَّرُّ
مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ يَمْضِي وَمَا نَهَلَتْ لَهُ سَيْوَفٌ وَلَا خَطِيئَةٌ سُمْرُ
وَلَا تَجَارَى لَهُ خَيْلٌ مَسُومَةٌ وَجُوهُ فَرَسَانِهَا الْأَوْضَاخُ وَالْغَرَرُ
وَلَا تَحْفَ بِهِ الْأَبْطَالُ دَائِرَةً كَأَنَّهُمْ أَنْجَمٌ فِي وَسْطِهَا قَمَرُ
وَلَا تَعْبَسُ حَرْبٌ فِي مَوَاقِفِهِ يَوْمًا وَيُضْحِكُ فِي أَرْجَائِهِ الظَّفَرُ

حتّى يقوّم هذا الدين من مِيلٍ
 بل هكذا السلفُ الأبرارُ ما برحُوا
 تأسّ بالأنبياء الطُّهر كم بلغتْ
 في يوسف في دخول السجن منقبةً
 ما أهملوا أبدًا بل أهملوا لمدى
 أيذهب المنهلُ الصافي وما نفعُ
 مضى حميدًا ولم يعلق به وضرُّ
 طوؤُ من الحِلْم لا يرقى له قُننٌ
 بحرُّ من العلم قد فاضت بقيتهُ
 ياليت شعري هل في الحاسدين له
 هل فيهم لحديث المصطفى أحدٌ
 هل فيهم من يضمّ البحث في نظيرِ
 هلاّ جمعتُم له من قومكم ملأً
 قولوا لهم: قال هذا فابحثوا معه
 تلقى الأباطيل أسحارٌ لها دَهشٌ
 فليتهم مثل ذاك الرهط من ملأٍ
 وليتهم أذعنوا للحق مثلهم

ويستقيم على منهاجه البشرُ
 يُبلى اضطبارهم جهداً وهم صبرُ
 فيهم مضرةُ أقوام وكم هُجروا
 لمن يكابدُ ما يلقي ويصطبرُ
 والله يُعقبُ تأييدًا وينتصرُ
 به الظماء ويبقى الحماة الكدر؟
 وكلّهم وضرُّ في الناس أو وذر
 كأثما الطوؤ من أحجاره حجرُ
 فغاضت الأبحرُ العظمى وما شعروا
 نظيره في جميع القوم إن ذكروا
 يميّزُ النقدَ أو يروى له خبر؟
 أو مثله من يضمّ البحث والنظر؟
 كفعل فرعونَ مع موسى لتعتبروا؟
 قدّامنا وانظروا الجهال إن قدرُوا
 فيلقفُ الحق ما قالوا وما سحرُوا
 حتى يكون لكم في شأنهم عبر
 فآمنوا كلّهم من بعد ما كفروا

يا طالما نفروا عنه مجانبَةً
 هل فيهمُ صادع بالحقِّ مِقُولُهُ
 رمى إلى نحر غازانٍ مواجهةً
 بتلٍّ راهطَ والأعداءُ قد غلبوا
 وشقَّ في المرج والأيّاف مسلطةً
 هذا وأعداؤه في الدور أشجعهم
 وبعدها كسروانٌ والجبال وقد
 واستحصد القوم بالأيّاف جهدهمُ
 قالوا: قبرناه، قلنا: إنَّ ذا عجبٌ
 وليس يذهبُ معنَى منه متقدُّ
 لم يَبْكِه ندمًا من لا يصبُ دمًا
 لهفي عليك أبا العباس كم كرم
 سَقَى ثراك من الوسيمِ صبيّه
 ولا يزال له برقٌ يغازله
 لِفقدِ مثلك يا مَنْ ما له مثل
 يا وارثًا من علوم الأنبياء نُهي
 يا واحدًا لستُ أَسْتثني به أحدًا
 وليتهمْ نَفَعوا في الضيم أو نفروا
 أو خائض للوغى والحرب تَسْتَعِرُّ؟
 سِهامه من دعاءِ عونهُ القَدَرُ
 على الشّام وطار الشرّ والشرر
 طوائفًا كلّها أو بعضها التتر
 مثلُ النساء بظلّ الباب مُستتر
 أقام أطوادها والطود منفطر
 وطالما بطلوا طغوى وما بطروا
 حقًا ألكوكب الدرّي قد قبرُوا؟
 وإنّما تذهبُ الأجسام والصور
 يجري به ديمًا تهمي وتنهمر
 لمّا قَضَيْتَ قضى من عمره العمرُ
 وزانَ مغناك قَطْرُ كلّ قَطْر
 حلّو المرافف في أجفانه حور
 تأسى المحارب والآيات والسور
 أورثت قلبي نارًا وقدها الفكرُ
 من الأنام ولا أبقي ولا أذرُ

يا عالمًا بنقول الفقه أجمعها
يا قانع البدع اللاتي تجنبها
وَمُرْشِدَ الْفِرْقَةِ الضَّلَالِ نَهَجَهُمْ
أَلَمْ تَكُنْ لِلنَّصَارَى وَالْيَهُودِ مَعًا
وَكَمْ فَتَى جَاهِلٍ غِرٌّ أَبْنَتْ لَهُ
مَا أَنْكَرُوا مِنْكَ إِلَّا أَنَّهُمْ جَهِلُوا
قَالُوا بِأَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ مَسْأَلَةً
غَلَطْتَ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَخْطَأْتَ وَاحِدَةً
وَمَنْ يَكُونُ عَلَى التَّحْقِيقِ مُجْتَهِدًا
أَلَمْ تَكُنْ بِأَحَادِيثِ النَّبِيِّ إِذَا
حَاشَاكَ مِنْ شُبُهٍ فِيهَا وَمِنْ شُبُهٍ
عَلَيْكَ فِي الْبَحْثِ أَنْ تَبْدِيَ غَوَامِضَهُ
قَدَّمْتَ لِلَّهِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ
هَلْ كَانَ مِثْلُكَ مِنْ يَخْفَى عَلَيْهِ هَدَى
وَكَيْفَ تَحْذَرُ مِنْ شَيْءٍ تَزَلُّ بِهِ

أَعْنِكَ تَحْفَظُ زَلَّاتٌ كَمَا ذَكَرُوا؟
أَهْلُ الزَّمَانِ، وَهَذَا الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
مِنَ الطَّرِيقِ فَمَا حَارُّوا وَلَا سَهَرُوا
مُجَادِلًا، وَهُمْ فِي الْبَحْثِ قَدْ حَصَرُوا
رُشْدَ الْمَقَالِ فزَالِ الْجَهْلُ وَالْغَرَرُ
عَظِيمٌ قَدْرِكَ لَكِنْ سَاعَدَ الْقَدْرُ
وَقَدْ يَكُونُ، فَهَلَا مِنْكَ تُعْتَقَرُ؟
أَمَّا أَجَدْتَ إَصَابَاتٍ فَتَعْتَذِرُ؟
لَهُ الثَّوَابُ عَلَى الْحَالَيْنِ، لَا الْوِزْرُ
سُئِلْتَ تَعْرِفُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ؟
كِلَاهُمَا مِنْكَ لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ
«وَمَا عَلَيْكَ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ»
وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ، ذَمُّوكَ أَوْ شَكَرُوا
وَمِنْ سَمَائِكَ تَبْدُو الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
أَنْتَ التَّقِيُّ فَمَاذَا الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ؟

تتمة المختصر في أخبار البشر^(١)

للعلامة / عمر بن المظفر ابن الوردي (٧٤٩)

وفيها^(٢) في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس، أحمد بن المفتي شهاب الدين عبدالحليم بن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي معتقلاً بقلعة دمشق، وغُسل وكُفن وأُخرج وصلى عليه أولاً بالقلعة الشيخ محمد بن تمام، ثمَّ بجامع دمشق بعد الظهر، وأُخرج من باب الفرج، واشتدَّ الزحام في سوق الخيل، وتقدَّم عليه في الصلاة هناك أخوه، وألقى الناس عليه مناديلهم وعمائمهم للتبرُّك ! وتراصَّ الناس تحت نعشه، وحُزرت النساء بخمسة عشر ألفاً، وأما الرجال فقليل: كانوا مئتي ألف. وكَثُر البكاء عليه، وخُتمت له عدة ختم، وتردد الناس إلى زيارة قبره أياماً، ورؤيت له منامات صالحة ورثاء جماعة.

قلت: ورثته أنا بمرثية على حرف الطاء؛ فشاعت واشتهرت، وطلبها مني الفضلاء والعلماء من البلاد وهي:

عَاشَا فِي عَرْضِهِ قَوْمٌ سِلَاطٌ لَهُمْ مِنْ نَثْرِ جَوْهَرِهِ التَّقَاطُ
تَقِي الدِّينِ أَحْمَدُ خَيْرُ حَبِيرٍ خُرُوقَ الْمَعْضَلَاتِ بِهِ تُخَاطُ

(١) ٤٠٦/٢ - ٤١٣ نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٩، تحقيق البدرأوي.

(٢) أي في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة.

توفّي وهو محبوسٌ فريدٌ وليس له إلى الدنيا انبساطٌ
ولو حضروه حين قضى لألفوا ملائكة النعيم به أحاطوا
قضى نحبًا وليس له قرينٌ ولا لنظيره لُفَّ القمّاط
فتّى في علمه أضحى فريدًا وحلّ المشكلات به يُنّاط
وكان إلى التقى يدعو البرايا وينهى فِرقة فسقوا ولاطوا
وكان الجن تفرّق من سَطَاهُ بوعظٍ للقلوب هو السّياط
فيالله ما قد ضمّ لحدّ ويالله ما غطّى البلاط
هم حسدوه لمّا لم ينالوا مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كُسالى ولكن في آذاه لهم نشاط
وحَبَسُ الدُرّ في الأصداف فخر وعند الشيخ بالسّجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداء فقد ذاقوا المُنون ولم يُواطوا
بنو تيمية كانوا فبانوا نجوم العلم أدركها انهباط
ولكن يا ندامة حابسيه فشك الشرك كان به يماط
ويا فرح اليهود بما فعلتم فإن الضد يعجبه الخباط
ألم يك فيكم رجلٌ رشيد يرى سجن الإمام فيُسْتَشاط
إمام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مالٍ ولم يُعهد له بكم اختلاط

ففيهم سجتّموه و غظتموه أما لجزا أذيتّه اشتراط
 وسَجَنُ الشَّيْخِ لَا يَرْضَاهُ مِثْلِي ففيه لِقَدْرٌ مِثْلُكُمْ انْحِطَاطُ
 أما والله لولا كتم سري وخوف الشر لانحل الرباط
 وكنتُ أقولُ ما عندي ولكن بأهل العلم ما حَسُنَ اشتطاط
 فما أحدٌ إلى الإنصاف يدعو وكلّ في هواه له انخراط
 سيظهر قصدكم يا حابسيه وننبئكم إذا نُصِبَ الصُّرَاطُ
 فهاهو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تُعاطوا
 وحلوا واغفدوا من غير ردٍّ عليكم وانطوى ذاك البساط

و كنت اجتمعت به - رحمه الله تعالى - بدمشق سنة خمس عشرة
 وسبعمائة بمسجده بالقصاعين، وبحثت بين يديه في فقهٍ وتفسيرٍ ونحو،
 فأعجبه كلامي وقبّل وجهي وإني لأرجو بركة ذلك، وحكى لي عن
 واقعة المشهورة في جبل كسروان، وسهرت عنده ليلة، فرأيت من
 فتوته ومروءته ومحبته لأهل العلم ولا سيما الغرباء منهم أمراً كثيراً،
 وصليت خلفه التراويح في رمضان فرأيت على قراءته خشوعاً، ورأيت
 على صلاته رقةً حاشيةً تأخذ بمجامع القلوب.

مولده - رحمه الله ورحمنا به^(١) - بحرّان يوم الاثنين عاشر ربيع
 الأول سنة إحدى وستين وست مئة، هاجر والده به وبإخوته إلى الشام
 من جور التتر، وعني الشيخ تقي الدين بالحديث، ونسخ جملةً، وتعلم

(١) هذا من التوسل الممنوع.

الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، ثم أقبل على الفقه، وقرأ أياماً في العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيويه حتى فهمه، وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى سبق فيه، وأحكم أصول الفقه، كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وإدراكه، ونشأ في تصوّن تامّ وعفاف وتعبّد واقتصاد في الملبس والمأكل.

وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، فيناظر ويفهم الكبار ويأتي بما يتحیرون منه، وأفتى وله أقل من تسع عشرة سنة، وشرع في الجمع والتأليف ومات والده وله إحدى وعشرون سنة، وبعد صيته في العالم فطبّق ذكره الآفاق وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتلعثم، وكذلك الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح يقول في المجلس أزيد من كراسين، ويكتب على الفتوى في الحال عدة أوصال بخط سريع في غاية التعليق والإغلاق.

قال الشيخ العلامة كمال الدين بن الزمّلكاني علم الشافعية من خطّ كتبه في حق ابن تيمية: كَانَ إِذَا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنّه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم بأن لا يعرفه أحد مثله، وكانت الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه أشياء، قال: ولا يعرف أنّه ناظر أحدًا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كَانَ من علوم الشرع أو غيرها إِلَّا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها^(١).

(١) هنا انتهى كلام ابن الزمّلكاني.

وكانت له خبرة تامّة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى «الكتب الستة» و«المسند» بحيث يصدق عليه أن يقال: «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث» ولكن الإحاطة لله غير أنّه يغترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقى. وأمّا التفسير فسلم إليه، وله في استحضار الآيات للاستدلال قوة عجيبة، ولفرط إمامته في التفسير وعظمة إطلاعه بيّن خطأ كثير من أقوال المفسرين، وكان يكتب في اليوم واللييلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصول أو من الردّ على الفلاسفة والأوائل نحوًا من أربعة كراريس، قال: وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمس مئة مجلد.

وله في غير مسألة مصنّف مفرد كمسألة التحليل وغيرها، وله مصنف في الرد على ابن مطهر العالم الحليّ في ثلاث مجلدات كبار، وتصنيف في الرد على «تأسيس التقديس» للرازي في سبع مجلدات، وكتاب في الرد على المنطق، وكتاب في «الموافقة بين المعقول والمنقول» في مجلدين وقد جمع أصحابه من فتاويه ست مجلدات كبار. وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قلّ أن يتكلّم في مسألة إلّا ويذكر فيها مذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة.

قال القاضي المنشي شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن فضل الله في ترجمته: جلس الشيخ إلى السلطان محمود غازان حيث تجم الأسد في آجامها، وتسقط القلوب دواخل أجسامها، وتجد النار فتورًا في

ضَرَمَهَا، والسيوفُ فرقًا في قَرَمِهَا، خوفًا من ذلك السَّبْعِ المغتال، والنمروذِ المختال، والأجل الذي لا يُدْفَعُ بحيلةٍ مُحْتَالٍ، فجلس إليه وأومأ بيده إلى صدره، وواجهه ودرأ في نَحْرِهِ، وَطَلَبَ منه الدُّعَاءَ، فرفعَ يديه ودعا دُعَاءَ مُنْصَفٍ أَكْثَرُهُ عَلَيْهِ، وغازانٌ يُوْمِنُ على دعائه.

وله مصنف سماه «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» وبقي عدة سنين لا يُفْتِي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يُسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجَسَر هو عليها، حتَّى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه وبدعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يدهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أدى إليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال، وجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية.

كَانَ معظَّمًا لحرَمَاتِ الله دائم الابتهاال كثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يُدِيمُهَا، وله من الطرف الآخر محبوبون من العلماء والصلحاء والجند والأمراء والتجار والكبراء وسائر العامة تحبه، بشجاعته تُضْرَبُ الأمثال وبيعُضُهَا يتشبهه أكابر الأبطال، ولقد أقامه الله في نوبة غازان والتقى أعباء الأمر بنفسه واجتمع بالملك مرتين وبخطلو شاه وبولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغل.

وكتب ابن الزمِّلَكَاني على بعض تصانيف ابن تَيْمِيَّةَ هذه الأبيات:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلَّتْ عن الحصر

هو حَجَّةُ الله قَاهِرَةٌ هو بيننا أُعْجُوبَةُ العَصْرِ

هو آيَةٌ في الخلقِ ظَاهِرَةٌ أنوارها أربَتْ على الفجرِ

ولما سافر ابن تَيْمِيَّةَ على البريدِ إلى القاهرة سنة سبع مئة وحضْرَ
على الجهاد رتب له مرتب في كل يوم وهو دينار وتحفة^(١) وجاءته بقجة
قماش فلم يقبل من ذلك شيئاً.

وقال القاضي أبو الفتح بن دقيق العيد: لما اجتمعت بابن تَيْمِيَّةَ
رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد. وحضر
عنده شيخ النحاة أبو حَيَّان وقال ما رأت عيناى مثله. وقال فيه على
البديهة أبياتاً منها:

قام ابن تيمية في نصر شُرْعَتنا مقام سيّد تيم إذ عصّت مُضَر

فأظهر الحقّ إذ آثاره دَرَسَتْ وأخذ الشرّ إذ طارت له الشرر

كنا نُحدِّث عن حَبْرٍ يجيء فيها أنت الإمام الذي قد كان يُنتظر

ولما جاء السلطان إلى شَقْحَب والخليفة لاقاهما إلى قرن الحرة،
وجعل يثبتهما فلما رأى السلطان كثرة التَّار قال: يا خالد بن الوليد!
قال: قل: يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، وقال للسلطان:
اثبت فأنت منصور. فقال له بعض الأمراء: قل إن شاء الله. فقال: إن
شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. فكان كما قال. انتهى ملخصاً^(٢).

(١) كذا هنا، وقد سبق فيما مضى: «محفة».

(٢) أي كلام ابن فضل الله العمري.

وهو أكبر من أن ينه مثلي على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه في العلم، وكان فيه قلّة مداراة وعدم تؤدة غالبًا، ولم يكن من رجال الدول ولم يسلك معهم تلك النواميس، وأعان أعداءه على نفسه بدخوله في مسائل كبار لا تحتملها عقول أبناء زماننا ولا علومهم، كمسألة: التكفير في الحلف بالطلاق، ومسألة: أنَّ الطلاق بالثلاث لا يقع إلا واحدة، وأنَّ الطلاق في الحيض لا يقع، وساس نفسه سياسة عجيبة فحبس مرات بمصر ودمشق والإسكندرية، وارتفع وانخفض واستبد برأيه وعسى أن يكون ذلك كفارة له، وكم وقع في صعب بقوة نفسه وخلّصه الله.

وله نظم وسط، ولم يتزوج ولا تسرّى ولا كان له من المعلوم إلا شيء قليل وكان أخوه يقوم بمصالحه، وكان لا يطلب منهم غداء ولا عشاء غالبًا، وما كانت الدنيا منه على بال. وكان يقول في كثير من أحوال المشايخ إنها شيطانية أو نفسانية فينظر في متابعة الشيخ الكتاب والسنة فإن كان كذلك فحاله صحيح وكشفه رحمني غالبًا وما هو بالمعصوم، وله في ذلك عدة تصانيف تبلغ مجلدات، من أعجب العجب، وكم عوفي من «الصراع الجنّي» إنسانٌ بمجرد تهديده للجنّي، وجرت له في ذلك فصول ولم يفعل أكثر من أن يتلو آيات ويقول: إن لم تنقطع عن هذا المصروع وإلا عملنا معك حكم الشرع وإلا عملنا معك ما يرضي الله ورسوله، وفي آخر الأمر ظفروا له بمسألة السفر لزيارة قبور النبيين، وأنَّ السفر وشد الرحال لذلك منهي عنه لقوله ﷺ: «لا تُشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد». مع اعترافه بأنَّ الزيارة بلا شدِّ رحلٍ قرينة، فشنعوا عليه بها، وكتب فيها جماعة بأنه يلزم من منعه شائبة تنقيص للنبوّة فيكفر بذلك.

وأفتى عدّة بأنه مخطئٌ بذلك خطأ المجتهدين المغفور
جماعة وكبرت القضية فأعيد إلى قاعة بالقلعة فبقي بعض
شهرًا، وآل الأمر إلى أن مُنع من الكتابة والمطالعة، وما تركوا عنده
كراسًا ولا دواة، وبقي أشهرًا على ذلك، فأقبل على التلاوة والتهجد
والعبادة حتّى أتاه اليقين فلم يفجأ الناس إلّا نعيه وما علموا بمرضه
فازدحم الخلق عند باب القلعة وبالجامع زحمة صلاة الجمعة وأرجح،
وشيّعه الخلق من أربعة أبواب البلد وحمل على الرؤوس، وعاش سبعة
وستين سنة وأشهرًا، وكان أسود الرأس قليل شيب اللحية، ربعة،
جَهْوري الصوت أبيض أعين.

قلت: تنقّص مرة بعض الناس من ابن تيمية عند قاضي القضاة
كمال الدين ابن الزمّلكاني وهو بحلب وأنا حاضر فقال كمال الدين:
ومن يكون مثل الشيخ تقي الدين في زهده وصبره وشجاعته وكرمه
وعلمه!! والله لولا تعرضه للسلف^(١) لزاحمهم بالمناكب. والله أعلم.

* * *

(١) ابن الزمّلكاني يقصد سلفه فيما ذهب إليه هو !!.

برنامج ابن جابر الوادي آشي^(١)

للشيخ / شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي (٧٤٩)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن
محمد بن تيمية.

مفتي الشام، ومحدثه، وحافظه، ويركب شواذ الفتاوي^(٢)، ويزعم
أنه مجتهد مصيب!!

سمع ابن عبداللّاثم، وابن أبي اليسر، وابن أبي الخير، وابن
عطاء، وفخر الدين بن عساكر، وفخر الدين بن البخاري، وغيرهم، وله
توالمف.

ومولده بحرّان يوم الاثنين العاشر لربيع الأوّل عام أحد وستين
وست مئة.

* * *

(١) (ص/١٠٩-١١٠) نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة،
(١٤٠١)، تحقيق د/ محمد الهيلة.

(٢) لم يفت الشيخ بمسألة إلاّ وله فيها سلف. ولم يشذّ عنهم برأي لا دليل عليه.

الكافية الشافية^(١)

للعامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف
بابن القيم (٧٥١)

وإذا أردت ترى مصارع من خلا
وتراهم أسرى حقيراً شأنهم
وتراهم تحت الرماح دريئة
وتراهم تحت السيوف تنوشهم
وتراهم انسلخوا من الوحيين وال
وتراهم والله ضحكة ساخر
قد أوحشت منهم ربوع زادها ال
وخلت ديارهم وشئت شملهم
قد عطل الرحمن أفئدة لهم
إذ عطلوا الرحمن من أوصافه
بل عطلوه عن الكلام وعن صفا
من أمة التعطيل والكفران
أيديهم غلت إلى الأذقان
ما فيهم من فارس طعان
من عن شمائلهم وعن أيمن
عقل الصحيح ومقتضى القرآن
ولطالما سخرُوا من الإيمان
جبارُ إنحاشاً مدى الأزمان
ما فيهم رجال مجتمعان
من كل معرفة ومن إيمان
والعرش أخلوه من الرحمن
ت كماله بالجهل والبهتان

(١) ص ١٦٣-١٦٥ (ط. القاهرة ١٣٤٥هـ).

فَاقْرَأْ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً
 أَعْنِي أبا العباسِ أَحْمَدَ ذَلِكَ الْكَ
 وَاقْرَأْ كِتَابَ «الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» الَّذِي
 وَكَذَاكَ «مَنْهَاجٌ» لَهُ فِي رَدِّهِ
 وَكَذَاكَ أَهْلُ الْإِعْتِزَالِ فَإِنَّهُ
 وَكَذَاكَ التَّاسِيسُ أَصْبَحَ «نَقْضُهُ»
 وَكَذَاكَ «أَجُوبَةٌ لَهُ مِصْرِيَّةٌ»
 وَكَذَا «جَوَابٌ لِلنَّصَارَى» فِيهِ مَا
 وَكَذَاكَ «شَرْحُ عَقِيدَةٍ لِلْأَصْبَحِهَا
 فِيهَا «النَّبَوَاتُ» الَّتِي إِثْبَاتُهَا
 وَاللَّهُ مَا لِلْأُولَى الْكَلَامَ نَظِيرُهُ
 وَكَذَا حَدُوثُ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالْـ
 وَكَذَا «قَوَاعِدُ الْإِسْتِقَامَةِ» إِنَّهَا
 وَقَرَأْتُ أَكْثَرَهَا عَلَيْهِ فَزَادَنِي
 هَذَا وَلَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ
 وَكَذَاكَ تَوْحِيدُ الْفَلَاسِفَةِ الْأُولَى
 سَفَرٌ لَطِيفٌ فِيهِ «نَقْضُ أَصُولِهِمْ»
 شَيْخِ الْوُجُودِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ
 سَبْخَرِ الْمَحِيطِ بِسَائِرِ الْخُلُجَانِ
 مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانٍ
 قَوْلَ الرُّوَافِضِ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ
 أَرَادَهُمْ فِي حُفْرَةِ الْجَبَانِ
 أَعْجُوبَةٌ لِلْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ
 فِي سِتِّ أَصْفَارٍ كُتِبْنَ سِمَانٍ
 يَشْفِي الصَّدُورَ وَإِنَّهُ سِفْرَانِ
 نِيٍّ شَارِحِ الْمَحْصُولِ شَرْحَ بَيَانِ
 فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ وَالتَّيْنَانِ
 أَبَدًا وَكُتِبَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
 سُفْلِيٍّ فِيهِ فِي أَتَمِّ بَيَانٍ
 سِفْرَانِ فِيمَا بَيْنَنَا ضَخْمَانِ
 وَاللَّهُ فِي عِلْمٍ وَفِي إِيمَانٍ
 قَبْلِي يَمُوتُ لَكَانَ هَذَا الثَّانِي
 تَوْحِيدُهُمْ هُوَ غَايَةُ الْكَفْرَانِ
 بِحَقِيقَةِ الْمَعْقُولِ وَالْبَرْهَانِ

وكذاك «تَسْعِينِيَّةُ» فيها له
تسعون وجها بَيَّنَتْ بطلانه
وكذا «قواعده الكبار» وإنها
لَمْ يَتَّسِعْ نَظْمِي لها فأسوقها
وكذا «رسائله» إلى البلدان والأ
هي في الورى مبثوثة معلومة
وكذا «فتاواه» فأخبرني الذي
بَلَغَ الذي أَلْفَاهُ منها عِدَّةُ الـ
سِفَرٍ يُقَابِلُ كُلَّ يومٍ، والذي
هذا وليس يُقَصِّرُ «التفسير» عن
وكذا «المقاريد» التي في كل مَسْـ
ما بين عَشْرِ أو تَزِيدُ بِضِعْفِهَا
وله المقاماتُ الشهيرةُ في الورى
نَصَرَ الإلهَ ودينَه وكِتابَه
أبدى فضائِحَهم وبيَّنَ جهلَهم
وأصارَهم واللهِ تحتَ نعالِ أهـ
وأصارَهم تحتَ الحضيضِ وطالما

رَدُّ عَلَى من قال بالنفساني
أعني كلامَ النفسِ ذا الوجدانِ
أوفى من المائتين في الحُسبانِ
فأشرتُ بعضَ إشارةٍ لبيانِ
طرافِ والأصحابِ والإخوانِ
تُبْتَاعُ بالغالي من الأثمانِ
أضحى عليها دائمَ الطوفانِ
أيامٍ من شهرٍ بلا نقصانِ
قَدْ فَاتَنِي منها بلا حُسبانِ
عَشْرٍ كَبَارٍ ليسَ ذا نُقْصانِ
أَلَّةٍ فِسْفِرٌ واضحُ التبيانِ
هي كالنجومِ لسالكِ حَيْرانِ
قد قامَها اللهُ غيرَ جَبانِ
ورسوله بالسيفِ والبرهانِ
وأرى تناقضَهم بكلِّ زمانِ
لِالحقِّ بعدَ ملابسِ التيجانِ
كانوا همُ الأعلامُ للبلدانِ

ومن العجائب أنه بسلاحهم
 كانت نواصينا بأيديهم فما
 فغدت نواصينهم بأيدينا فلا
 وغدت ملوكهم مماليكاً لأن
 وأنت جنودهم التي صالوا بها
 يدري بهذا من له خبر بما
 والقدم يوحشنا وليس هناك
 أرذاهم تحت الحضيض الداني
 منّا لهم إلا أسير عان
 يلقوتنا إلا بحبل أمان
 صار الرسول بمنّة الرحمن
 منقادة لعساكر الإيمان
 قد قاله في ربه الفتان
 فحضوره ومغيّبه سيان

* * *

الإيصال لكتاب ابن سليم وابن نقطة والإكمال^(١)

للعامة مُغلطاي بن قليج المصري (ت ٧٦٢هـ)

شيخنا الإمام بغير مرأى تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، الذي طَبَّقَ ذكره جميعَ الأقطار، وشاع علمه في جميع الأمصار، فلذلك استغنيا عن التعريف بحاله.

رأيتُه بالقاهرة، وأجازني مشافهةً بها، وجئتُه لأودَّعَه، وسألته الوصيةَ والدعاءَ فقال لي: يا غلامُ، رُوِّينا في كتاب الترمذي بإسناد ثابت أن النبي ﷺ قال لابن عباس: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألتَ فسل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضُرَّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك. رفعتِ الأقلامُ، وجفَّتِ الصحفُ».

هكذا ذكره من غير إسناد، ولم أروِ عنه حديثاً علّقَ إسناده غير هذا، وهو يرويه عن أبي الحسن بن البخاري سماعاً، أبنا ابن طبرزد، أبنا الكروخي، أبنا أبو الفتح الهروي، أبنا أبو عامر الأزدي وأبو نصر الترياقى وأبو بكر الغورجي قالوا: أبنا أبو محمد الجراحي، أبنا أبو العباس المحبوبي، أبنا الترمذي، نا أحمد بن محمد بن موسى، نا ابن المبارك، أنا

(١) ص ٧٣ - ٧٤ (نسخة الخزانة العامة بالرباط، وهي بخط المؤلف).

ليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج . ح وثنا عبدالله بن عبدالرحمن، أنا أبو الوليد، ثنا ليث بن سعد حدّثني قيس بن الحجاج، المعنى واحد، عن حنش الصنعاني عن ابن عباس، فذكره، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقد يقع لنا هذا الحديث أعلى من طريقه بثلاث درجات، فكأنني من حيث العدد سمعته من الكروخي، وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وخمس مئة. أبنا أبو الفتح يونس العسقلاني قراءةً عليه وأنا أسمع، أبنا ابن الجُمَيْزِي وغيره^(١) عن السلفي أبنا أبو العلاء محمد بن عبد الجبار بن محمد الضبي الفرساني، نا أبو عبدالله الجمال، عن عبدالله بن جعفر بن فارس، عن يونس بن حبيب، أنا أبو الوليد الطيالسي، فذكره.

* * *

(١) هنا كلمة غير واضحة، ولعلها «كلهم» أو «جميعاً».

العلامة: خليل بن أبيك الصفدي (٧٦٤)

— أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَغْوَانُ النَّصْرِ
— الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ

أعيان العصر وأَعْوَانُ النَّصْرِ^(١)

أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم .
 الشَّيْخُ الأَمَامُ العَالِمُ العَلَامَةُ المفسِّرُ المحدثُ، المجتهدُ، الحافظُ، شيخ
 الإسلام، نادرةُ العصر، فريدُ الدهر، تقيُّ الدين أبو العبَّاس ابن الشَّيْخ
 شهاب الدين ابن الإمام مجد الدين أبي البركات ابن تَيْمِيَّةَ .

سمع من ابن عبد الدايم، وابن أبي اليُسْر، والكمال ابن عَبد، وابن
 أبي الخير، وابن الصيرفي، والشَّيْخ شمس الدين، والقاسم الإربلي،
 وابن علَّان، وخلق كثير. وبالغ وأكثر، وقرأ بنفسه على جماعة،
 وانتخب، ونسخ عدة أجزاء، وسنن أبي داود. ونظر في الرجال
 والعِلل، وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر، مع التدين والتأله.

ثمَّ أقبل على الفقه ودقائقه، وغاص على مباحثه .

تحوَّل به أبوه من حرَّان إلى دمشق سنة سبع وستين وست مئة،
 وتَيْمِيَّةَ لقبٌ لجده الأعلى .

تمذهب للإمام أحمد بن حنبل، فلم يكن أحدٌ في مذهبه أثبَةً ولا
 أنْبَلَ . وجَادَل وجالَدَ شُجْعان أقرانه، وجدَل خصومه في وسط ميدانه،
 وفرَّجَ مضايقَ البحث بأدلة قاطعة، ونصر أقواله في ظلمات الشكوك

(١) ص ٦٦ - ٧٣ نسخة المكتبة السليمانية، مجموعة عاطف أفندي باستانيول، برقم
 .(١٨٠٩)

بالبراهين الساطعة. كَأَنَّ السُّنَّةَ على رأس لسانه، وعلوم الأثر مُسَاقَّةٌ في حواصل جنانه، وأقوال العلماء مجلُوةٌ نُصِبَ عيانُه. لم أرَ أَنَا ولا غيري مثل استحضاره، ولا مثل سَبْقِهِ إلى الشواهد وسُرْعَةِ إحضاره، ولا مثل عَزْوِهِ الحديث إلى أصله الَّذِي فيه نقطة مداره. وأما علم الأصلين فقَهًا وكلامًا، وفهمًا وإعلامًا، فكان عَجَبًا لمن يسمعه ومعجزًا لمن يَعُدُّ ما يَأْتِي به أو يجمعه.

يُنْزَلُ الفروع منازلها من أصولها، ويردُّ القياسات إلى مأخذها من محصولها.

وأما الملل والنحل ومقالات أرباب البدع الأول، ومعرفة أرباب المذاهب وما خُصَّوا به من الفتوحات والمواهب فكان في ذلك بحرًا يتموِّج، وسَهْمًا ينفذُ على السواء لا يتعوِّج.

وأما المذاهب الأربعة فإليه في ذلك الإشارة، وعلى ما ينقله الإحاطة والإدارة.

وأما نقل مذاهب السلف وما حدث بعدهم من الخلف فذاكَ قُتُّهُ، وهو في وقت الحرب مَجْتُهُ، قُلَّ أَنْ قَطَّعَهُ خَصْمُهُ الَّذِي تصدَّى له وانتصب، أو خلص منه مُناظره إلَّا وهو يشكو من الأَيْن والنَّصَب.

وأما التفسير فَيَكُدهُ فيه طولى، وسَرَدُهُ فيه يجعل العيون إليه حُولَى.

إِلَّا أَنَّهُ انفرد بمسائل غريبة، ورَجَّح فيها أقوالاً ضعيفة عند الجمهور معيبة^(١)، كَانَ منها يقع في هُوةٍ، ويسلمُ منها لما عنده من النية المرجوة.

(١) سبق التعليق على مثل هذه العبارات.

والله يعلم قصده وما يترجّح من الأدلة عنده.

وما دمر عليه شيءٌ كمسألة الزيارة، ولا شُنَّ عليه مثلها إغارة، دخل منها إلى القلعة مُعتقلاً، وجفاه صاحبه وقلاً، وما خرج منها إلا على الآلة الحذباء، ولا رجع منها إلا إلى البقعة الجذباء، والتحق باللطيف الخبير، ووَلَّى والثناء عليه كَنَشْر العبير.

وكان ذا قلم يُسابق البرق إذا لمع، والودق إذا هَمَعَ. يُملي على المسألة الواحدة ما شاء من رأس القلم، ويكتب الكرّاسين والثلاثة في قعدةٍ وحدّ ذهنه ما كلَّ ولا انثلم.

قد تحلّى «بالمحلّى» وتولّى من تقليده ما تولّى، فلو شاء أورده عن ظهر قلب، وأتى بجُملة ما فيه من الشناع والثلب!!

وضيّع الزمان في ردّه على النصارى والرافضة، ومَنّ عاند الدين أو ناقضه، ولو تصدّى لشرح البخاريّ أو لتفسير القرآن العظيم، لقلّد أعناق أهل العلوم بدرّ كلامه التنظيم^(١).

وكان من صغره حريصاً على الطلب، مُجدّداً على التحصيل والدأب، ولا يُؤثر على الاشتغال لذة، ولا يرى أن تَضَع لحظة منه في البطالة فذّة. يذهل عن نفسه ويغيب في لذة العلم عن حسه، لا يطلب أكلاً إلا إذا حضر لدينه، ولا يرتاحُ إلى طعام ولا شراب في أبردينه. قيل: إنّ أباه وأخاه وأهله، وآخرين ممن يلوذون بظله، سألوه أن يروح معهم

(١) لم يضيّع شيخ الاسلام الزمان بذلك؛ بل أتى فيه بالعجب العجيب، فمن لي بمثل «منهاج السنة»، و«درء التعارض»، و«الجواب الصحيح»، و«بيان تلبس الجهمية»؟! وله في التفسير والحديث ما لو وصل إلينا كاملاً لكان في أسفار كثيرة.

يوم سَبَت ليتفرّج، فهرب منهم وما أَلوى عليهم ولا عَرَج. فلما عادوا آخر النهار لاموه على تخلفه وتركه لاتّباعهم، وما في انفراده من تكلّفة. فقال: أنتم ما تزيد لكم شيء^(١) ولا تجدّد، وأنا حفظتُ في غيبتكم هذا المجلّد. وكان ذلك الكتاب «جَنَّة النَّاظِر وَجَنَّة الْمُنَاطِر»^(٢) وهو مجلّد صغير وأمره شهير. لا جَرَم أنّه كَانَ في أرض العلوم حارثًا وهو همّام، وعلومه - كما يقولُ الناسُ - تدخلُ معه الحمّام.

هذا إلى كرم يضحك البرقُ منه على غمائمهِ، وجودٍ ما يصلح حاتم أن يكون في فصّ خاتمه، وشجاعةٍ يفرّ منها قسورة، وإقدام يتأخّر عنه عنتره، دخل على محمود غازان وكلّمه كلامًا غليظًا بقوة، وأسمعه مقالًا لا تحمله الأبوةُ من البنوة.

وكان في ربيع الأوّل سنة ثمان وتسعين وست مئة، قد قام عليه جماعةٌ من الشافعية وأنكروا عليه كلامه في الصفات وأخذوا فتياه الحموية، وردّوا عليه فيها، وعملوا له مجلسًا. فدافع الأفرمُ عنه ولم يبلغهم فيه أربابًا. ونودي بدمشق بإبطال العقيدة الحموية. فانتصر له جاغان المشدّ. وكان قد مُنع من الكلام. ثمّ إنّهُ جلس على عادته يوم الجمعة وتكلّم، ثمّ حضر عنده قاضي القضاة إمام الدين، وبحثوا معه، وطال الأمر بينهم. ثمّ رجع القاضي إمام الدين وأخوه جلال الدين وقال: من قال عن الشّيخ تقيّ الدين شيئًا عزّرتاه.

ثمّ إنّهُ طُلب إلى مصر هو والقاضي نجم الدين ابن صصري، وتوجّها إلى مصر في ثاني عشر شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة، فانتصر له

(١) في الأصل: «شيئا».

(٢) لعله: روضة الناظر، وجنّة المناظر. لابن قدامة.

الأمير سيف الدين سلار، وحطّ الجاشنكير عليه، وعقدوا له مجلساً انفصل على حبسه، فحُبِسَ في خزانة البنود، ثم نُقِلَ إلى الإسكندرية في صَفَر سنة تسع وسبع مئة، ولم يُمَكَّن أحدٌ من أصحابه من التوجّه معه. ثم أُفْرِج عنه، وأقام بالقاهرة مدة، ثمّ اعتُقِلَ أيضاً، ثمّ أُفْرِج عنه في ثامن شوال سنة تسع وسبع مئة، أخرجَه الناصرُ لما وَرَدَ من الكرك، وحضر إلى دمشق.

فلما كَانَ في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة، جُمِعَ الفقهاء والقُضاة عند الأمير سيف الدين تنكز وقرئ عليهم كتابُ السلطان وفيه فصلٌ يتعلّق بالشيخ تقيّ الدين بسبب فتياه في مسألة الطلاق، وعوتب على فتياه بعد المنع، وانفصل المجلس على تأكيد المنع.

ثمّ إِنَّه في يوم الخميس ثاني عشري شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة عُقدَ له مجلس بدار السعادة، وعادوه في فُتيا الطلاق [وحاققوه]^(١) عليها وعاتبوه لأجلها، ثمّ إِنَّه حُبِسَ بقلعة دمشق، وأقام بها إلى يوم الاثنين يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين وسبع مئة، فأُخرج من القلعة بعد العصر بمرسوم السلطان، وتوجّه إلى منزله، وكانت مدة سجنه خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً.

ولمّا كَانَ في يوم الاثنين بعد العصر سادس شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة في أيّام قاضي القضاة جلال الدين القزويني تكلموا معه في مسألة الزيارة، وكُتِبَ في ذلك إلى مصر، فورد مرسوم السلطان

(١) ما بين المعكوفتين من نسخة أخرى.

باعتقاله في القلعة. فلم يزل بها إلى أن مات رحمه الله تعالى في ليلة الاثنين عشري ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، بقلعة دمشق، في القاعة التي كان بها محبوساً.

ومولده بحرّان سنة إحدى وستين وست مئة.

وأول ما اجتمعت أنا به كان في سنة ثمان عشرة أو سبع عشرة وهو بمدرسته في القصّاعين بدمشق المحروسة. وسألته مسألة مُشكلة في التفسير، ومسألة مُشكلة في الإعراب، ومسألة مُشكلة في الممكن والواجب. وقد ذكرت ذلك في ترجمته في تاريخي الكبير^(١).

ثمّ اجتمعت به بعد ذلك مرّات، وحضرت دروسه في الحنبليّة، فكنت أرى منه:

عجباً من عجائب البر والبحر ر ونوعاً فزداً وشكلاً غريباً

وكان [كثيراً]^(٢) ما يُنشد قول ابن صرّدر:

تموت النفوس بأوصابها ولم تشك عوآذاها ما بها

وما أنصفت مُهجة تشكي أذاها إلى غير أحبّابها

ويُنشد أيضاً:

من لم يُقَدْ ويُدسّ في خيشومه رهج الخميس فلن يقود خميساً

رأيتُه في المنام بعد موته رحمه الله تعالى كأنّه في جامع بني أميّة

(١) يقصد به «الوافي بالوفيات».

(٢) الزيادة من نسخة أخرى.

وأنا في يدي صورة عقيدة ابن حزم الظاهري التي ذكرها في أول كتاب «المحلى» وقد كتبها بخطي، وكتبت في آخرها:

وهذا نصر ديني واعتقادي وغيري ما يرى هذا يجوز

وقد أوقفته على ذلك، فتأملها ورآها وما تكلم بشيء.

ذكر شيء من تصانيفه

«قاعدة في الاستعاذة». «قاعدة في البسملة». «قاعدة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾». قطعة كبيرة من أول سورة البقرة، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ﴾ نحو ثلاثة كراريس. وفي قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ نحو كراستين. وفي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ سبع كراريس. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ كراس. «آية الكرسي» كراسان، وغير ذلك من سورة البقرة. ﴿مِنَهُ ءَايَاتٌ تُحْكَمُ﴾ إلى آخرها نحو مجلد. ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ستة كراريس. ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ عشر كراريس، وغير ذلك من سورة آل عمران. «تفسير المائدة» مجلد كبير. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ثلاث كراريس. ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ﴾ سبع كراريس قواعد. «سورة يوسف» مجلد كبير. «سورة النور» مجلد لطيف. «سورة تبت والمعوذتين». «سورة الكافرون». «سورة الإخلاص» مجلد. «سورة العلق» وأنها أول سورة أنزلت تضمنت أصول الدين» مجلد. «سورة لم يكن». وغير ذلك من آيات مفرقة.

كتب الأصول

«الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية» أربع مجلدات أملاه في

الجب. «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» وربما سماه تخلص التلبيس من تأسيس التقديس. «شرح أول المحصل للرازي» بلغ ثلاثة مجلد^(١). «شرح بضع عشرة مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين الرازي». «تعارض العقل والنقل» أربع مجلدات. «جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشي» مجلد. «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح»، ثلاث مجلدات. «منهاج الاستقامة». «شرح عقيدة الأصبهاني» مجلد. «نقض الاعتراض عليها لبعض المشاركة» أربع كراريس. «شرح أول كتاب الغزنوي» مجلد. «الرد على المنطق» مجلد. «رد آخر» لطيف. «الرد على الفلاسفة» مجلدات. «قاعدة في القضايا الوهمية». «قاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى». «جواب الرسالة الصفدية». «جواب في نقض قول الفلاسفة إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية». «إثبات المعاد والرد على ابن سينا». «شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد في الأصول». «ثبوت النبوات عقلاً ونقلًا والمعجزات والكرامات» مجلدان. «قاعدة في الكليات» مجلد لطيف. «الرسالة القبرسية». «رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور والأئمة المقتدى بهم». «مسألة ما بين اللوحين كلام الله». «تحقيق كلام الله لموسى». «هل سمع جبريل كلام الله أو نقله من اللوح المحفوظ». «الرسالة البعلبكية». «الرسالة الأزهرية». «القادرية». «البغدادية». «أجوبة الشكل والنقط». «إبطال الكلام النفساني» أبطله من نحو ثمانين وجهًا. «جواب من حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت». وله في إثبات الصفات وإثبات العلو والاستواء مجلدات. «المراكشية». «صفات الكمال والضابط فيها». «أجوبة في مباينة الله

(١) كذا في الأصل.

تعالى لخلقه». «جواب في الاستواء وإبطال تأويله بالاستيلاء». «جواب من قال لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه». «أجوبة كون العرش والسموات كُربةً وسبب قصد القلوب جهة العلو». «جواب كون الشيء في جهة العلو مع أنه ليس بجوهر ولا عرض معقول أو مستحيل». «جواب هل الاستواء والنزول حقيقة وهل لازم المذهب مذهب» سماه الإبيلية. «مسألة النزول واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع» مجلد لطيف. «شرح حديث النزول» في أكثر من مجلد. «بيان حل إشكالات ابن حزم الواردة على الحديث». «قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه» مجلد. «الكلام على نقض المرشدة». «المسائل الإسكندرانية في الرد على الاتحادية والحلولية». «ما تضمنه فصوص^(١) الحكم من الكفر والإلحاد والاتحاد والحلول». «جواب في لقاء الله». «جواب رؤية النساء ربهن في الجنة». «الرسالة المدنية في الصفات النقلية». «الهلاونية جواب وردّ على لسان ملك التتار» مجلد. «قواعد في إثبات القدر والرد على القدرية والجبرية» مجلد. «رد على الروافض في الإمامة على ابن مطهر». «جواب في حسن إرادة الله لخلق الخلق وإنشاء الأنام لعله أم لغير علة». «شرح حديث فحجّ آدم موسى». «تنبيه الرجل الغافل على تمويه المجادل» مجلد. «تناهي الشدائد في اختلاف العقائد». «كتاب الإيمان». «شرح حديث جبريل في الإسلام والإيمان». «في عصمة الأنبياء في ما يبلغونه». «مسألة في العقل والروح». «في المقربين هل يسألهم منكر ونكير». «هل تُعذب الروح مع الجسد في القبر وهل تفارق البدن بالموت أو لا». «الرد على أهل كسروان». «في فضل أبي بكر وعمر

(١) في الأصل: «حلول» تحريف.

على غيرهما». «قاعدة في فضل معاوية وفي ابنه يزيد أنه لا يُسَبَّ». «في تفضيل صالحى الناس على سائر الأجناس». «في كفر النصيرية». «في جواز قتال الرافضة». «في بقاء الجنة والنار وفنائهما» وهو آخر ماصنّفه في القلعة، وقد ردّ عليه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي.

كتب أصول الفقه

«قاعدة غالبها أقوال الفقهاء» مجلدان. «قاعدة كل حمد وذم من المقالات لا يكون إلّا من الكتاب والسنة». «شمول النصوص للأحكام». «قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام». «جواب في الإجماع وخبر التواتر». «قاعدة في أن خبر الواحد يفيد اليقين». «قاعدة في كيفية الاستدلال والاستدراك على الأحكام بالنص والإجماع^(١)». «في الرد على من قال إن الأدلة اللفظية^(٢) لا تفيد اليقين». «قاعدة فيما يُظنّ من تعارض النصّ والإجماع». «مؤاخذه لابن حزم في الإجماع». «قاعدة في تقرير القياس». «قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الأحكام^(٣)». «رفع الملام عن الأئمة الأعلام». «قاعدة في الاستحسان». «وصف العموم والاطلاق». «قواعد في أن المخطئ في الاجتهاد لا يَأْثَمُ». «هل العامي يجب عليه تقليد مذهب معين». «جواب في ترك التقليد في من يقول مذهبي مذهب النبي عليه السلام وليس أنا محتاج^(٤) إلى تقليد الأربعة». «جواب من تفقه في مذهب ووجد حديثًا صحيحًا هل يعمل به أو لا».

(١) في الأصل: «الأحكام» تحريف.

(٢) في الأصل: «القطعية».

(٣) في الأصل: «الإجماع».

(٤) كذا في الأصل.

«جواب تقليد الحنفي الشافعي في الجمع للمطر والوتر». «الفتح على الإمام في الصلاة». «تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة». «تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم». «قاعدة في تفضيل الإمام أحمد». «جواب هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبياً». «جواب هل كان النبي ﷺ متعبداً بشرع من قبله». «قواعد أن النهي يقتضي الفساد».

كتب الفقه

«شرح المحرر في مذهب أحمد» ولم يبيّض. «شرح العمدة للموفق» أربع مجلدات. «جواب مسائل وردت من أصبهان». «جواب مسائل وردت من الأندلس». «جواب مسائل وردت من الصّلت». «جواب مسائل من بغداد». «مسائل وردت من زُرْع». «أربعون مسألة لقبت الدرّة المضية». «الماردانية». «الطرابلسية». «قاعدة في المياه والمائعات وأحكامها». «المائعات وملاقاتها النجاسة». «طهارة بول ما يؤكل لحمه». «قاعدة في حديث القلّتين وعدم رفعه». «قواعد في الاستجمار وتطهير الأرض بالشمس والريح». «جواز الاستجمار مع وجود الماء». «نواقض الوضوء». «قواعد في عدم نقض الوضوء بلمس النساء». «التسمية على الوضوء». «خطأ القول بجواز مسح الرجلين». «جواز المسح على الخفين المنخرقين والجوربين واللفائف». «في من لا يعطي أجره الحمام^(١)». «تحريم دخول الحمام بلا مئزر». «في الحمام والاغتسال». «ذم الوسواس». «جواز طواف الحائض». «تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعذر». «كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها». «في البسملة هل هي من السورة».

(١) في الأصل: «الحكام».

«فيما يعرض من الوسواس في الصلاة». «الكَلِم الطَّيِّب في الأذكار». «كراهية بَسْطِ سجادة المصلي قبل مجيئه». «في الركعتين اللتين تصليان قبل الجمعة». «في الصلاة بعد أذان الجمعة». «القنوت في الصبح والوتر». «قتل تارك أحد المباني وكفره». «الجمع بين الصلاتين في السفر». «فيما يختلف حكمه في السفر والحضر». «أهل البدع هل يصلّي خلفهم». «صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض». «الصلوات المبتدعة». «تحريم السماع». «تحريم الشّبابة». «تحريم الشطرنج». «تحريم الحشيشة ووجوب الحد فيها ونجاستها». «النهي عن المشاركة في أعياد اليهود والنصارى وإيقاد نصف شعبان والحبوب في عاشوراء». «مقدار الكفارة في اليمين». «في أن المطلقة ثلاثاً لا تحلّ إلاّ بِنكاح زوج ثانٍ». «بيان الطلاق المباح والحرام». «في الحلف بالطلاق وتنجزه ثلاثاً». «جواب^(١) من حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة». «الفرق المبين بين الطلاق واليمين». «لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف». «الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة». «كتاب التحقيق في الفرق بين الأيمان والتطليق». «الطلاق البدعي لا يقع». «مسائل الفرق بين الحلف بالطلاق وإيقاعه والطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك» تقدير خمسة عشر مجلداً. «مناسك الحج» عدة. «في حجة النبي عليه السلام». «في العمرة المكية». «في شهر^(٢) السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المُحْرِمُ وزيارة الخليل عقيب الحج». و«زيارة القدس مطلقاً». «جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال غُيَّبٌ ولا أبدال». «جميع أيمان المسلمين مكفرة».

(١) في الأصل: «جواز».

(٢) في الأصل: «بشهر».

كتب في أنواع شتى

جمع بعض الناس «فتاويه بالديار المصرية» مدة سبع سنين في علوم شتى فجاءت ثلاثين مجلدة. «الكلام على بطلان الفتوة المصطلح عليها بين العوام وليس لها أصل يتصل بعلي عليه السلام». «كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية». «بطلان ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي». «النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة، والخسوف والكسوف، هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهله». «تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصّرع الصحيح وصفة الخواتم». «إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت». «كشف حال المرازقة». «قاعدة في العبيدين».

ومن نظم الشيخ تقي الدين على لسان الفقراء المجردين وغيرهم:

والله ما فُقرنا اختياراً وإنما فقرنا اضطراراً
جماعةً كُلنا كُسالى وأكلنا مالَهُ عياراً
تسمعُ منا إذا اجتمعنا حقيقةً كُلها فشاراً

وله قصائد مطوّلة أجوبة عن مسائل كان يُسأل عنها نظماً مثل مسألة اليهودي، وجوابه عن اللغز الذي نظمه الشيخ رشيد الدين الفاروقي، وغير ذلك.

ومدحه جماعة من أهل مصر منهم شهاب الدين أحمد بن محمد البغدادى المعروف بابن الأبرادى الحنبلى، والشيخ شمس الدين الصايغ، وسعد الدين أبو محمد سعد الله بن عبدالأحد الحرانى، وأكثر من ذلك، ومنه قوله:

لئن نافقوه وهو في السجنِ وابتغوا رضاهُ وأبدوا رقةً وتودُّدا
فلا غرَّوْا أنْ ذلَّ الخصومُ لبأسِه ولا عجبٌ أنْ خافَ سطوته العدى
فمنْ شيمَةِ العَضْبِ المُهَنَّدِ أَنَّهُ يُخافُ ويُرجى مُغَمِّدًا ومَجَرَّدًا

وممن مدحه بمصر أيضا شيخنا العلامة أبو حيان لكنه انحرف عنه فيما بعد، ومات وهو على انحرافه. ولذلك أسباب، منها: أنه قال له يومًا: كذا قال سيبويه، فقال: يكذب سيبويه، فانحرف عنه. وقد كان أولاً جاء إليه والمجلس عنده غاصٌّ بالناس، فقال يمدحه ارتجالاً:

لما أتينا تقيَّ الدين لاحَ لنا داعٍ إلى الله فردُّ ما له وزرُ
على محيَّاه من سِنِما الألى صحبوا خير البرية نورُ دونه القمرُ
حَبْرٌ تسربلَ منه دهرُه حَبْرًا بحرٌ تقاذفُ من أمواجه الدُرُّ
قام ابن تيمية في نصرِ شرعتنا مقامَ سيِّدِ تيمٍ إذ عصتَ مُضَرُّ
فأظهرَ الحقَّ إذ آثارُه درَسَتْ وأحمدَ الشرِّ إذ طارثَ له الشرُّ
كُنَّا نُحدِّثُ عن حَبْرٍ يجيىءُ فَهَا أنتَ الإمام الذي قد كان يُنتظرُ

وكتب الشيخ كمال الدين محمد بن علي ابن الزملكانيّ رحمه الله تعالى على بعض تصانيفه:

ماذا يقولُ الواصفون له وصفاته جَلَّتْ عن الحَصْرِ
هو حجةُ اللهِ قاهرة هو بينا أعجوبة العَصْرِ
هو آيةٌ في الخلق ظاهرة أنوارها أربَتْ على الفَجْرِ

والذي أراه أن هذه الأبيات كتبها الشيخ كمال الدين في حياة الشيخ صدر الدين ابن الوكيل، لأنه كان يخالفه ويريد أن يتتصر عليه بالشيخ تقي الدين ابن تيمية، والله أعلم.

ولما توفي رحمه الله تعالى رثاه جماعة منهم: الشيخ قاسم ابن عبدالرحمن المقرئ، وبرهان الدين إبراهيم ابن الشيخ شهاب الدين العجمي، ومحمود بن علي بن محمود الدقوقي البغدادي، ومجير الدين الخياط الدمشقي، وشهاب الدين أحمد الكرشت، وزين الدين عمر بن الحسام، ومحمد بن أحمد بن القاسم الحلبي الدمشقي الإسكاف، وصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي الحنبلي، وجمال الدين محمود بن الأثير الحلبي، وعبدالله بن خضر بن عبدالرحمن الرومي الجزري المعروف بالمتيم، وتقي الدين محمد بن سليمان بن عبدالله بن سالم الجعبري، وجمال الدين عبدالصمد بن إبراهيم الخليل الخليلي، وحسن بن محمد النحوي المارداني، وغيرهم. أنشدني إجازة لنفسه الشيخ علاء الدين علي بن غانم:

أَيُّ حَبْرٍ مَضَى وَأَيُّ إِمَامٍ	فُجِعَتْ فِيهِ مَلَّةُ الْإِسْلَامِ
ابن تَيْمِيَّةَ التَّقِيَّ وَحِيدُ الدِّ	لَدَهْرٍ مَنْ كَانَ شَامَةً فِي الشَّامِ
بَحْرُ عِلْمٍ قَدْ غَاضَ مِنْ بَعْدِ مَا فَ	ضَ نَدَاهُ وَعَمَّ بِالْإِنْعَامِ
زَاهِدٌ عَابِدٌ تَنْزَةً فِي دُنْ	يَاهُ عَنْ كُلِّ مَا بِهَا مِنْ حَرَامِ
كَانَ كَثْرًا لِكُلِّ طَالِبٍ عِلْمِ	وَلَمَنْ خَافَ أَنْ يُرَى فِي حَرَامِ
وَلِعَافٍ قَدْ جَاءَ يَشْكُو مِنَ الْفَقْ	رٍ لَدَيْهِ فَنَالَ كُلَّ مَرَامِ

حاز علمًا فما له من مساوٍ فيه من عالمٍ ولا من مُسامٍ
 لم يكن في الدُّنَا له من نظيرٍ في جميع العلوم والأحكامِ
 عالمٌ في زمانه فاق بالعد م جميع الأئمة الأعلامِ
 كان في علمه وحيدًا فريدًا لم ينالوا ما نال في الأحلامِ
 كلُّ مَنْ في دمشقٍ ناحَ عليه بكاءً من شدة الآلامِ
 فُجِعَ الناسُ فيه في الشرق والغرب ب وأضحوا بالحزن كالأيتامِ
 لو يفيدُ الفداء بالروح كُنَّا قد فديناه من هجوم الحِمامِ
 أوحدٌ فيه قد أُصيب البرايا فيَعزَّى فيه جميعُ الأنامِ
 وعزيرٌ عليهم أن يروهُ غابَ بالرغم في الثرى والرغامِ
 ما يرى مثلُ يومه عندما سا ر على النَّعشِ نحو دارِ السَّلامِ
 حملوه على الرقابِ إلى القَبِّ ر وكادوا أن يهلكوا بالزحامِ
 فهو الآن جارُ ربِّ السَّموا تِ الرحيم المهيمنِ العلامِ
 قدَّسَ اللهُ روحَهُ وسقى قَبِّ رًا حَواه بهاطلاتِ الغمامِ
 فلقد كان نادرًا في بني الدهر رِ وحُسنًا في أوجهِ الأيامِ

وأنشدني أيضًا إجازةً لنفسه الشيخ زين الدين عمر ابن الوردى الشافعي:

قلوبُ الناسِ قاسيةٌ سلاطُ وليس لها إلى العُلَيَا نشاطُ
 اتَّشَطَّ قَطُّ بعد وفاة جبرٍ لنا من نشرِ جَوهَرِهِ التقاطُ

تَقِيُّ الدِّينِ ذُو وَرَعٍ وَعِلْمٍ خُرُوقُ الْمَعْضَلَاتِ بِهِ تَخَاطُ
تُوفِّيَ وَهُوَ مَجْبُوسٌ فَرِيدٌ وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الدُّنْيَا انْبِسَاطُ
وَلَوْ حَضَرُوهُ حِينَ قَضَى لَأَلْفَوْا مَلَائِكَةَ النَّعِيمِ بِهِ أَحَاطُوا
قَضَى نَحْبًا وَلَيْسَ لَهُ قَرِينٌ وَلَيْسَ يَلْفُ مِثْلَهُ الْقِمَاطُ
فَتَى فِي عِلْمِهِ أَضْحَى فَرِيدًا وَحَلُّ الْمَشْكَلاتِ بِهِ يُنَاطُ
وَكَانَ يَخَافُ إِبْلِيسَ سَطَاهُ بَوْعِظٍ لِلْقُلُوبِ هِيَ السَّيَاطُ
فِي اللَّهِ مَا قَدْ ضَمَّ لَخْدٌ وَيَا اللَّهَ مَا غَطَى الْبَلَاطُ
وَحَبَسَ الدَّرْفُ فِي الْأَصْدَافِ فَخْرٌ وَعِنْدَ الشَّيْخِ بِالسَّجَنِ اغْتِبَاطُ
بَنُو تَيْمِيَّةٍ كَانُوا فَبَانُوا نَجُومُ الْعِلْمِ أَدْرَكَهَا انْهَبَاطُ
وَلَكِنْ يَا نَدَامَتَنَا عَلَيْهِ فَشْكُ الْمُلْحِدِينَ بِهِ يُمَاطُ
إِمَامٌ لَا وِلَايَةَ قَطُّ عَانِي وَلَا وَقْفٌ عَلَيْهِ وَلَا رَبَاطُ
وَلَا جَارِي الْوَرَى فِي كَسْبِ مَالٍ وَلَمْ يَشْغَلْهُ بِالنَّاسِ اخْتِلَاطُ
وَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَجَنُوهُ شَرْعًا لَكَانَ بِهِ لِقَدَرِهِمْ انْحِطَاطُ
لَقَدْ خَفَيْتُ عَلَيَّ هُنَا أُمُورٌ وَلَيْسَ يَلِيقُ لِي فِيهَا انْخِرَاطُ
وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْبَرَائَا جَمِيعًا وَانْطَوَى هَذَا الْبَسَاطُ
وَقُلْتُ أَنَا أَيْضًا أَرْتِيهِ :

إِنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ لَمَّا قَضَى ضَاقَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ رَحْبُ الْفَضَا

فَأَيُّ بَذْرِ قَدْ مَحَاهُ الرَّدَى وَأَيُّ شَرٍّ فَتَحَتْ عَيْنُهُ
 وَأَيُّ خَيْرٍ طَرَفُهُ غُمُضًا يَا وَخْشَةَ السُّنَّةِ مِنْ بَعْدِهِ
 فَرَبْعُهَا الْمَعْمُورُ قَدْ قَوَّضَا كَمْ مَجْلِسٍ كَانَ هَشِيمًا مِنَ الْكَ
 عِلْمٍ فَلَمَّا جَاءَهُ رَوْضًا وَكُلُّ حَفْلٍ أَفْقُهُ مُظْلِمٌ
 تَرَاهُ إِنْ وَافَى إِلَيْهِ أَضَا وَمُشْكِلٍ لَمَّا دَجَى لَيْلُهُ
 أَعَادَهُ يَوْمَ هُدًى أَيْضًا تَرَاهُ إِنْ بَرَزَ مِنْ أَقْوَالِهِ
 فَقَلَّ أَنْ تُذْخَرَ أَوْ تُذْخَضَا وَبَحْثِهِ فِي مَدَدِ طَافِحٍ
 وَخَصْمُهُ فِي وَقْتِهِ انْفَضَا يَوَدُّ لَوْ أَبْلَعَهُ رَيْقُهُ
 وَهُوَ لَهُ بِالْحَقِّ قَدْ أَجْرَضَا أَغْصَهُ حَتَّى غَدَا مُطْرِقًا
 مِنْ نَدَمٍ كَفَيْنَهُ قَدْ عَضَضَا مَا كَانَ إِلَّا أَسَدًا خَادِرًا
 أَضْحَى لَهُ غَابُ الثُّهَى مَرِيضًا وَهُوَ بِزِيِّ الْعِلْمِ فِي بُرْدِهِ
 وَخَصْمُهُ قَدْ ضَمَّ جَمْرَ الْغَضَا سَبْحَانَ مَنْ سَحَّرَ قَلْبَ الْوَرَى
 لِقَوْلِهِ طَوْعًا وَقَدْ قَيَّضَا قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى حُبِّهِ
 وَلَا اغْتَبَارَ بِالَّذِي أَبْغَضَا كَانَ سَلِيمَ الصَّدْرِ قَدْ سَلَّمَ الْكَ
 أَمَرَ لِبَارِيهِ وَقَدْ فَوَّضَا كَمْ حَتٌّ لِلْخَيْرِ وَكَمْ ذِي كَرَى
 أَيْقَظَ مِنْ نَوْمٍ وَكَمْ حَرَّضَا وَأَمْرَضَ الْإِلْحَادَ لَمَّا جَلَا الْكَ
 حَقَّ وَقَلْبُ الرِّينِغِ قَدْ أَرْمَضَا

وَعَادَرَ الْبَاطِلَ فِي ظُلْمَةٍ لَمَّا رَأَى بَارِقَهُ أَوْمَضَا
وَهُوَ عَنِ الدُّنْيَا زَوَى نَفْسَهُ وَاللَّهُ بِالْجَنَّةِ قَدْ عَوَّضَا
فَمَالَهُ فِي مَنْصِبٍ رَغْبَةً وَعَزَمُهُ فِي ذَلِكَ مَا اسْتَنْهَضَا
كَانَ إِذَا الدُّنْيَا لَهُ عَرَّضَتْ بِزُخْرُفٍ مِنْ نَفْسِهَا أَعْرَضَا
وَلَوْ رَأَى ذَلِكَ مَا فَاتَهُ مَنَاصِبٌ مِنْ بَعْضِهِنَّ الْقَضَا
وَبَعْدَ هَذَا حُكْمُهُ نَافِذٌ فِي كُلِّ مَا قَدْ شَاءَهُ وَارْتَضَى
بِنَفْسِهِ جَاهِدَ جَهْرًا وَكَمٍ سَلَّ حُسَامًا فِي الْوَعَى وَانْتَضَى
وَيَوْمَ غَازَاكَ غَدَا عِنْدَمَا شَدَّدَ فِي الْقَوْلِ وَمَا خَفَّضَا
شَقَّ سَوَادَ الْمُغْلِ زَاهِي الطَّلَا كَالْمَاءِ لَمَّا مَرَّقَ الْعَرَمَضَا
جَادَلَ بَلَّ جَالِدَ مُسْتَمْسِكَا بِالْحَقِّ حَتَّى أَنَّهُ أَجْهَضَا
وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ سِوَى أَنَّهُ خَالَفَ أَشْيَاءَ كَمَنْ قَدْ مَضَى
مُتَّبِعًا فِيهِ الدَّلِيلَ الَّذِي بَدَا وَلِلَّهِ فِيهِ الْقَضَا
وَبَعْدَ ذَا رَاحَ إِلَى رَبِّهِ مَا إِذَا نَ مِنْ لَهْوٍ وَلَا اسْتَقْرَضَا
ثَنَاؤُهُ مَا انْقَضَ مِنْهُ الْبِنَا وَذِكْرُهُ بَيْنَ الْوَرَى مَا انْقَضَى
فَجَادَتِ الرَّحْمَةُ أَرْضًا ثَوَى فِيهَا وَسَقَّتْهَا غُيُوثُ الرِّضَا

وعلى الجملة فكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية أحد الثلاثة الذين عاصرتهم ولم يكن في الزمان مثلهم، بل ولا قبلهم من مئة سنة، وهم:

الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وشيخنا العلامة تقي الدين السبكي، وقلت في ذلك:

ثلاثة ليس لهم رابعٌ فلا تكن من ذاك في شكٍ
 وكلهم مُتَسَبِّبٌ لِلتُّقَى يَفْضُرُ عَنْهُمْ وَصَفٌ مَنْ يَحْكِي
 فإن شَأْ قُلْتُ: ابن تيمية وابن دقيق العيدِ والسُّبْكِي

* * *

الوافي بالوفيات^(١)

العلامة تقي الدين ابن تيمية

أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني ابن تيمية، الشيخ الإمام العالم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة تقي الدين أبو العبّاس ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات مؤلف «الأحكام».

وتيمية لقب لجده الأعلى، ولد بحرّان عاشر ربيع الأوّل سنة إحدى وستين وتحول به أبوه إلى دمشق سنة سبع وستين وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة.

وسمع من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر والكمال ابن عبد وابن أبي الخير وابن الصيرفي والشيخ شمس الدين والقاسم الإربلي وابن علان وخلق كثير وبالغ وأكثر، وقرأ بنفسه على جماعة، وانتخب ونسخ عدة أجزاء و «سنن أبي داود» ونظر في الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر مع التدين والتأله والذكر والصيانة والنزاهة عن حطام هذه الدار والكرم الزائد؛ ثمّ إنّّه أقبل على الفقه ودقائقه وغاص على مباحثه ونظر في أدلته وقواعده وحججه والإجماع والاختلاف حتّى كان يُقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من الخلاف واستدل ورجّح واجتهد.

(١) (١٥/٧ - ٣٣) نشر جمعية المستشرقين الألمانية.

حكى لي أنه قال يوماً للشيخ صدر الدين ابن الوكيل: يا صدر الدين أنا أنقل في مذهب الشافعي أكثر منك، أو كما قال.

وقال الشيخ شمس الدين: ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً لمتون الأحاديث وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو السنن كأن ذلك نصب عينه وعلى طرف لسانه بعبارة رشقه حلوة وإفحام للمخالف، وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير والتوسع فيه لعله يبقى في تفسير الآية المجلس والمجلسين.

قلت: حكى لي من سمعه يقول: إني وقفت على مائة وعشرين تفسيراً، استخضرت من الجميع الصحيح الذي فيها، أو كما قال.

قال الشيخ شمس الدين: وأما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة فكان لا يُشَقَّ فيها غباره، هذا مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أشاهد مثله قط والشجاعة المفرطة والفراغ عن ملاذ النفس: من اللباس الجميل والمأكل الطيب والراحة الدنيوية.

قلت: حكى لي عنه أن والدته طبخت يوماً قرعية ولم تذقها أولاً وكانت مرة فلما ذاقها تركتها على حالها فطلع إليها وقال: هل عندك ما أكل؟ قالت: لا إلا أنني طبخت قرعاً كان مرّاً، فقال: أين هو؟ فأرته المكان الذي فيه تلك القرعية فأحضرها وقعد أكلها إلى أن شبع وما أنكر شيئاً منها، أو كما قيل.

وحكى لي عنه أنه كان قد شكاً إليه إنسان أو جماعة من قُطلوبك الكبير وكان المذكور فيه جبروت على أخذ أموال الناس واغتصابها - وحكاياته في ذلك مشهورة - فقام يمشي إليه فلما دخل إليه وتكلم معه

في ذلك قال له قطلوبك: أنا الذي أريد أجيء إليك لأنك رجل عالم زاهد، يعرض بقولهم: إذا كَانَ الأمير بباب الفقير، فنعم الأمير ونعم الفقير. فقال له: قطلوبك! لا تعمل على دركواناتك^(١)؛ موسى كَانَ خيراً مني وفرعون كَانَ شراً منك وكان موسى كل يوم يجيء إلى باب فرعون مرات في كل يوم ويعرض عليه الإيمان، أو كما قيل.

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية قال: كَانَ صغيراً عند بني المنجى فبحث معهم فادّعوا شيئاً أنكره فأحضروا النقل فلما وقف عليه ألقى المجلد من يده غيظاً، فقالوا له: ما أنت إلا جريء ترمي المجلد من يدك وهو كتاب علم؛ فقال سريعاً: أيما خير أنا أو موسى؟ فقالوا: موسى؛ فقال: أيما خير هذا الكتاب أو ألواح الجواهر التي كَانَ فيها العشر كلمات. قالوا: الألواح، فقال: إِنَّ موسى لَمَّا غضب ألقى الألواح من يده، أو كما قال.

وحكى لي عنه أيضاً قال: سأله فلان أنسيته فقال: أنت تزعم أَنَّ أفعالك كلها من السنة؟ فهذا الذي تفعله بالناس من عَزْكِ آذانهم من أين جاء هذا في السنة؟ فقال: حديث ابن عباس في الصحيحين قال: صليتُ خلف رسول الله ﷺ ليلاً فكنْتُ إذا أغفيت أخذ بأذني، أو كما قال.

قال الشيخ شمس الدين: وصنف في فنون العلم، ولعل تواليفه وفتاويه في الأصول والفروع والزهد واليقين والتوكل والإخلاص وغير ذلك تبلغ ثلاث مئة مجلدة؛ وكان قوَّالاً بالحق نهاءً عن المنكر ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة. ومسائله المفردة يحتج لها بالقرآن والحديث أو

(١) أي: حَيْكَل. وهي فارسية.

بالقياس ويبرهنها وينظر عليها وينقل فيها الخلاف ويطيل البحث أسوة من تقدمه من الأئمة فإن كَانَ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَإِنْ كَانَ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ. وَكَانَ أَبْيَضَ أَسْوَدَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةَ قَلِيلَ الشَّيْبِ، شَعْرُهُ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ، كَانَ عَيْنِيهِ لِسَانَانِ نَاطِقَانِ، رُبْعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمُنْكَبِّينَ، جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ فَصِيحَ اللِّسَانِ سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ تَعْتَرِيهِ حُدَّةٌ ثُمَّ يَقْهَرُهَا بِحِلْمٍ وَصَفْحٍ؛ تَوَفِّيَ مَحْبُوسًا فِي قَلْعَةِ دِمَشْقَ عَلَى مَسْأَلَةِ الزِّيَارَةِ؛ وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ عَظِيمَةً إِلَى الْغَايَةِ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، صَلَّى عَلَيْهِ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ قَاضِي الْقَضَاةِ الْقُونَوِي وَلَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ جَمَالُ الدِّينِ بَنَ جُمْلَةً. انْتَهَى كَلَامُ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ.

قلت: رحمهم الله أجمعين، هم الآن قد رأوا عين اليقين، فيما كانوا فيه يختلفون، وما أظنه رأى مثله في الحافظة والاطلاع وأرى أن مادته كانت من كلام ابن حزم حتى شناعه على من خالفه، وكان مغرّياً بسبب ابن عربي محيي الدين والعفيف التلمساني وابن سبعين وغيرهم من الذين ينخرطون في سلكهم وربما صرح بسبب الغزالي وقال: هو قلاووز^(١) الفلاسفة، أو قال ذلك عن الإمام فخر الدين. سمعته يقول: الغزالي في بعض كتبه يقول: «الروح من أمر ربي» وفي بعضها يدرس كلام الفلاسفة ورأيهم فيها؛ وكذلك الإمام فخر الدين الرازي كَانَ كَثِيرَ الْحَطِّ عَلَيْهِ؛ وَكَانَ مُسَلِّطًا عَلَى هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ الْأَحْمَدِيَّةِ وَالْيُونُسِيَّةِ وَالْقَرْنَدَلِيَّةِ^(٢) وغيرهم من هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ. حُكِيَ لِي أَنَّهُ جَاءَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَحْمَدِيَّةِ وَقَالَ مَا يَقُولُونَهُ عَلَى الْعَادَةِ فِي دُخُولِ التَّنَوُّرِ مِنْ بَعْدِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

(١) أي: فائد. وهي فارسية.

(٢) كذا بالأصل، والمشهور: القلندرية.

[من] وقود النار فيه فقال له: أنا ما أَكَلَفَكَ ذلك ولكن دعني أضع هذه الطوَافَةَ في ذقنك، فجزع ذلك الفقير وأبلس. قلت: وقد نقل الشَّيْخ رحمه الله تعالى هذا من قول بعض الشعراء في النار الَّتِي يزعم النصارى أنها تنزل يوم سبت النور من السماء إلى القمامة^(١) بالقدس:

لقد زعمَ القسَّيسُ أَنَّ إلهَهُ ينزِلُ نورًا بُكْرَةَ اليومِ أو غَدِ
فإن كان نورًا فهو نورٌ ورحمةٌ وإن كان نارًا أحرقت كلَّ معتدٍ
يقربها القسَّيسُ من شَعْرِ ذَقْنِهِ فإن لم تحرقها وإلاَّ اقطعوا يدي

وسمعه يقول عن نجم الدين الكاتب المعروف بدبيران - بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة - وهو الكاتب صاحب التواليف البديعة في المنطق فإذا ذكره لا يقول إلاَّ دُبَيْران - بضم الدال وفتح الباء - . وسمعه يقول ابن المنجس، يريد ابن المطهر الحلي. وكانت سمعته في البلاد البعيدة أكثر وأكبر وأشهر ممَّا هي بالشام خصوصًا بلده دمشق. وكتب رسالة إلى صاحب قبرس يأمره فيها بالرفق بالأسارى المسلمين وتخفيف الوطأة عنهم، وقصَّ عليه أقوالاً من كلام المسيح عليه السلام مثل قوله: مَنْ ضربك على خدك الأيمن فدر له الخدَّ الأيسر، وأشباه ذلك، فقليل إنَّه خفف عنهم وعمرَ لهم جامعًا على ما قيل.

وطلَّبَ إلى مصر أيام ركن الدين بيبرس الجاشنكير وعُقد له مجلس في مقالة قال بها فطال الأمر وحكموا بحبسه فحبس بالإسكندرية؛ ثمَّ إنَّ الملك الناصر لما جاء من الكرك أخرجه فيما أظن. ولم يزل العوامُّ

(١) أعظم كنيسةٍ للنصارى، ببيت المقدس، انظر «معجم البلدان»: (٤/٣٩٦).

بمصر يعظمونه إلى أن أخذ في القول على السيدة نفيسة فأعرضوا عنه .
ورأيت مرّات بمدرسة القصاصين وبالحنبليّة جُوءاً باب الفراديس ، وكان إذا
تكلم أغمض عينيه وازدحمت العبارة على لسانه فرأيت العجب العجيب ،
والحبر الذي ما له مُشاكل في فنونه ولا ضريب ، والعالم الذي أخذ من
كل شيء بنصيب ، سهمه للأغراض مصيب ، والمناظر الذي إذا جال في
حومة الجدال رُمي الخصوم من مباحثه باليوم العصيب :

وعاينتُ بدرًا لا يرى البدرُ مثلهُ وخاطبتُ بحرًا لا يرى العبرَ عائمهُ

أخبرني المولى علاء الدين عليّ بن الأمدي ، وهو من كبار كتّاب
الحساب ، قال : [دخلت] يومًا إليه أنا والشمس النفيس عامل بيت المال
ولم يكن في وقته أكتب منه فأخذ الشيخ تقي الدين يسأله عن الارتفاع
وعما بين الفذلكة واستقرار الجملة من الأبواب وعن الفذلكة الثانية
وخصمها وعن أعمال الاستحقاق وعن الختم والتوالي وما يطلب من
العامل وهو يجيبه عن البعض ويسكت عن البعض ويسأله عن تعليل ذلك
إلى أن أوضح له ذلك وعلّله ؛ قال : فلمّا خرجنا من عنده قال لي النفيس :
والله تعلّمتُ اليوم منه ما لا كنت أعلمه ؛ انتهى ما ذكره علاء الدين .

وسألته في سنة ثمانى عشرة أو سبع عشرة وسبع مئة وهو بمدرسته
بالقصاصين عن قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجْنَا مُتَشَكِّهَاتٌ ﴾ فقلت له : المعروف بين
النحاة أن الجمع لا يوصف إلّا بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد
من الوصف ، فقال : كذا هو ؛ فقلت : ما مفرد متشابهات ؟ فقال : متشابهة ،
فقلت : كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة ، وإنما يقع التشابه
بين آيتين ؟ وكذا قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ كيف يكون الرَّجُل
الواحد يقتتل مع نفسه ؟ فعدل بي من الجواب إلى الشكر ، وقال : هذا

ذهن جيد ولو لازمتني سنة لانتفعت. وسألته في ذلك المجلس عن تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فأجاب بما قاله المفسرون في ذلك وهو آدم وحواء وأن حواء لما أثقلت بالحمل أتاها إبليس في صورة رجل وقال: أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلباً؛ فلم تزل في همّ حتى أتاها ثانياً وقال: سألت الله تعالى أن يجعله بشراً سوياً وإن كان كذلك سميه عبد الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ وهذا مروي عن ابن عباس، فقلت له: هذا فاسدٌ من وجوه لأنه تعالى قال في الآية الثانية ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فهذا يدلُّ على أن القصة في حق جماعة؛ الثاني أنه ليس لإبليس في الكلام ذكر؛ الثالث أن الله تعالى علّم آدم الأسماء كلها فلا بد وأنه كان يعلم أن اسم إبليس الحارث؛ الرابع أنه تعالى قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ وهذا يدل على أن المراد به الأصنام لأن «ما» إما لا يعقل ولو كان إبليس لقال «من» التي هي لمن يعقل. فقال رحمه الله تعالى: فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهذا قصتي لأنه سمى أولاده الأربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار، والضمير في «يشركون» له ولأولاده من أعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الأسماء وأمثالها، فقلت له: وهذا أيضاً فاسد لأنه تعالى قال: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وليس كذلك إلا آدم لأن الله تعالى خلق حواء من ضلعه؛ فقال رحمه الله تعالى: المراد بهذا أن زوجه من جنسه عريية قرشية، فما رأيت التطويل معه.

وسألته في ذلك المجلس عن قول المتكلمين في الواجب والممكن

لأنهم قالوا: الواجب ما لا يتوقف وجوده على وجود ممكنه، والممكن ما يتوقف وجوده على وجود واجبه، فقال رحمه الله: هذا كلام مستقيم؛ فقلت: هذا القول هو عين القول بالعلة والمعلول، فقال: كذا هو، إلاَّ أنَّ ذلك علة ناقصة ولا يكون علةً تامةً إلاَّ بانضمام إرادته فإذا انضمت الإرادة إلى وجود الواجب تعين وجود الممكن. ثمَّ اجتمعتُ به بعد ذلك مرات عديدة وكان إذا رأيَني قال: أيش حس الإيرادات، أيش حس الأجوبة، أيش حس الشكوك؟ أنا أعلم أنك مثل القدر التي تغلي تقول بقَ بقَ بقَ، أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها، لازمني لازمني تنتفع. وكنت أحضر دروسه ويقع لي في أثناء كلامه فوائد لم أسمعها من غيره ولا وقفت عليها في كتاب، رحمه الله تعالى.

وعلى الجملة؛ فما رأيت ولا أرى مثله في اطلاعه وحافظته ولقد صدَّق ما سمعنا به عن الحفاظ الأول وكانت هممه عليه إلى الغاية لأنَّه كَانَ كثيرًا ما ينشد^(١):

تموتُ النفوسُ بأوصابِها ولم تشكُ عوَادَها ما بها
وما أنصَفَتْ مهجَةً تشكي أذاها إلى غيرِ أحبابِها
ويُنشد أيضًا^(٢):

مَنْ لَمْ يُقَدِّ وَيُدَسِّ فِي خَيْشُومِهِ رَهَجُ الْخَمِيسِ فَلَنْ يَقُودَ خَمِيسًا
وكان في ربيع الأوَّل سنة ثمان وتسعين قد قام عليه جماعة من

(١) البيتَانِ لِصُرْدُرَ، وَسَبَقَا فِي «أعيان العصر».

(٢) البيت لأبي تمام.

الشافعية وأنكروا عليه كلامه في الصفات وأخذوا فتياه الحموية وردّوا عليه فيها، وعملوا له مجلساً فدافع الأفرم عنه ولم يبلغهم فيه أرباباً، ونودي في دمشق بإبطال العقيدة الحموية فانتصر له جاغانُ المشدّ وكان قد مُنِع من الكلام. ثمَّ إنَّه جلس على عادته يوم الجمعة وتكلّم ثمَّ حضر عند قاضي القضاة إمام الدّين وبحثوا معه وطال الأمر بينهم، ثمَّ رجع القاضي إمام الدّين وأخوه القاضي جلال الدين وقالوا: من قال عن الشّيخ تقي الدين شيئاً عزّرناه، ثمَّ إنَّه طلب إلى مصر هو والقاضي نجم الدين ابن صصري فانتصر له الأمير سيف الدين سلّار، وحطّ الأمير ركن الدين الجاشنكير عليه وعقدوا له مجلساً انفصل على حبسه فحبس في خزانة البنود ثمَّ نقل إلى إسكندرية ثمَّ أفرج عنه وأقام بالقاهرة مدة ثمَّ اعتقل أيضاً ثمَّ أفرج عنه وحضر إلى دمشق، فلما كان في أيام القاضي جلال الدين تكلموا معه في مسألة الزيارة وكُتب في ذلك إلى مصر فورد مرسوم السلطان باعتقاله في القلعة فلم يزل معتقلاً بها إلى أن مات سنة ثمان وعشرين وسبع مائة.

ورأيته بعد موته رحمه الله تعالى في المنام كأنه في جامع بني أميّة وأنا في يدي صورة عقيدة ابن حزم الظاهري التي ذكرها في أول «المحلى» وقد كتبتها بخطي وكتبْتُ في آخرها:

وهذا نصرٌ ديني واعتقادي وغيري ما يرى هذا يجوزُ

وقد أوقفته على ذلك فتأملها ورآها ولم يتكلم بشيء.

ذكر تصانيفه

ومن الذي يأتي على مجموعها ! والله القائل:

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ لَعُذْرًا وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَاةُ
ولكن أذكر منها ما تيسر، وإلا فهي أكثر مما أوردته في هذه
الترجمة ولعل بعض أصحابه يعرفها:

كتب التفسير

«قاعدة في الاستعاذة» . «قاعدة في البسمة وكلام على الجهر بها» . «قاعدة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقطعة كبيرة من أول سورة البقرة، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ﴾ نحو ثلاث كراريس . قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ نحو كراسين . ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ سبع كراريس . ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ كراسة . «آية الكرسي» كراسان، وغير ذلك من سورة البقرة . ﴿مِنهُ ءَايَاتٌ تُحْكَمُتٌ﴾ إلى آخرها نحو مجلد . ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ست كراريس . ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ عشر كراريس، وغير ذلك من سورة آل عمران . «تفسير المائدة» مجلد لطيف . ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ثلاث كراريس . ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ﴾ سبع كراريس قواعد وغير ذلك . «سورة يوسف» مجلد كبير . «سورة النور» مجلد لطيف . «سورة العلق وأنها أول سورة أنزلت تضمنت أصول الدين» مجلد . «سورة لم يكن» . «سورة الكافرون» . «سورة تبت والمعوذتين» . «الإخلاص» مجلد . وغير ذلك من آيات متفرقة .

كتب الأصول

«الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية» أربع مجلدات أملاه في العجب . ردّ على تأسيس التقديس سماه «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس

بدعهم الكلامية» وربما سماه تخليص التلبيس من تأسيس التقديس. «شرح أول المحصل للإمام فخر الدين» بلغ ثلاثة مجلدات. «شرح بضعة عشرة مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين». «تعارض العقل والنقل» أربع مجلدات. «جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشي» مجلد. «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» ردّ على النصارى ثلاث مجلدات. «منهاج الاستقامة». «شرح عقيدة الأصبهاني» مجلد. «نقض الاعتراض عليها لبعض المشاركة» أربع كراريس. «شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين» مجلد. «الرد على المنطق» مجلد. «رد آخر» لطيف. «الرد على الفلاسفة» مجلدات. «قاعدة في القضايا الوهمية». «قاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى». «جواب الرسالة الصفدية». «جواب في نقض قول الفلاسفة: إنّ معجزات الأنبياء قوى نفسانية» مجلد كبير. «إثبات المعاد والرد على ابن سينا». «شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد في الأصول». «ثبوت النبوات عقلاً ونقلًا والمعجزات والكرامات» مجلدان. «قاعدة في الكليات» مجلد لطيف. «الرسالة القبرسية». «رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور والأئمة المقتدى بهم». «مسألة ما بين اللوحين كلام الله». «تحقيق كلام الله لموسى». «هل سمع جبريل كلام الله أو نقله من اللوح المحفوظ». «الرسالة البعلبكية». «الرسالة الأزهرية». «القادرية». «البغدادية». «أجوبة الشكل والنقط». «إبطال الكلام النفساني» أبطله من نحو ثمانين وجهًا. «جواب من حلف بالطلاق الثلاث أنّ القرآن حرف وصوت». وله في إثبات الصفات وإثبات العلو والاستواء مجلدات. «المراكشية». «صفات الكمال والضابط فيها». «أجوب في مباينة الله تعالى لخلقه». «جواب في الاستواء وإبطال تأويله بالاستيلاء». «جواب من قال لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي

التشبيه». نصف كراس. «أجوبة كون العرش والسموات كُرِّيَّةً وسبب قصد القلوب جهة العلو». «جواب كون الشيء في جهة العلو مع أنَّه ليس بجوهر ولا عرضٍ معقول أو مستحيل». «جواب هل الاستواء والنزول حقيقة وهل لازم المذهب مذهب» سماه الإربلية. «مسألة النزول واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع» مجلد لطيف. «شرح حديث النزول» في أكثر من مجلد. «بيان حل إشكال ابن حزم الوارد على الحديث». «قاعدتان في قرب الرب من عابديه وداعيه» مجلد لطيف. «الكلام على نقض المرشدة». «المسائل الإسكندرية في الرد على الاتحادية والحلولية». «ما تضمنه فصوص الحكم من الكفر والإلحاد والحلول والاتحاد». «جواب في لقاء الله». «جواب رؤية النساء ربهن في الجنة». «الرسالة المدنية في إثبات الصفات النقلية». «الهلاونية جواب وردَّ على لسان ملك التَّار»: مجلد. «قواعد في إثبات القدر والرد على القدرية والجبرية» مجلد. «رد على الروافض في الإمامة على ابن مطهر». «جواب في حسن إرادة الله تعالى لخلق الخلق وإنشاء الأنام لعلَّة أم لغير علَّة». «شرح حديث فحجَّ آدم موسى». «كتاب تنبيه الرُّجل الغافل على تمويه المجادل» مجلد. «تناهي الشدائد في اختلاف العقائد». كتاب الإيمان» مجلد. «شرح حديث جبريل في الإيمان والإسلام». «في عصمة الأنبياء في ما يبلغونه». «مسألة في العقل والروح». «في المقربين هل يسألهم منكر ونكير». «هل يُعذب الجسد مع الروح في القبر وهل تفارق البدن بالموت أم لا». «الرد على أهل كسروان» مجلدان. «في فضل أبي بكر وعمر على غيرهما». «قاعدة في فضل معاوية وفي ابنه يزيد أنَّه لا يُسَبَّ». «في تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس». «مختصر في كفر النصيرية». «في جواز قتال الرافضة». «كراسة في بقاء الجنة والنار وفنائهما». وردَّ عليه

العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي.

كتب أصول الفقه

«قاعدة غالبها أقوال الفقهاء» مجلدان. «قاعدة كل حمْد وذم من المقالات والأفعال لا يكون إلا بالكتاب والسنة». «شمول النصوص للأحكام» مجلد لطيف «قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام». «جواب في الإجماع وخبر التواتر». «قاعدة خبر الواحد يفيد اليقين». «قاعدة في كيفية الاستدراك على الأحكام بالنص والإجماع». «في الرد على من قال إنَّ الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين» ثلاث مصنفات. «قاعدة فيما يظن من تعارض النصوص والإجماع». «مؤاخذه لابن حزم في الإجماع». «قاعدة في تقرير القياس». «قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الأحكام» مجلد. «رفع الملام عن الأئمة الأعلام». «قاعدة في الاستحسان». «وصف العموم والاطلاق». «قواعد في أنَّ المخطيء في الاجتهاد لا يَأْثَم» مجلد. «هل العامي يجب عليه تقليد مذهب معين». «جواب في ترك التقليد في من يقول مذهبي مذهب النَّبي ﷺ وليس أنا محتاج إلى تقليد الأربعة». «جواب من تفقه في مذهب ووجد حديثاً صحيحاً هل يعمل به أو لا». «جواب تقليد الحنفي الشافعي في الجمع للمطر والوتر». «الفتح على الإمام في الصلاة». «تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة». «تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم». «قاعدة في تفضيل الإمام أحمد» مجلد. «جواب هل كَانَ النَّبي عليه السلام قبل الرسالة نبياً». «جواب هل كَانَ النَّبي عليه السلام متعبداً بشرع من قبله». «قواعد أنَّ التَّهْيِي يقتضي الفساد»^(١).

(١) في الأصل: «العناد».

كتب الفقه

«شرح المحرر في مذهب أحمد» ولم يبيِّن. «شرح العمدة لموفق الدين» أربع مجلدات. «جواب مسائل وردت من أصبهان». «جواب مسائل وردت من الأندلس». «جواب مسائل وردت من الصَّلَت». و«مسائل من بغداد». «مسائل وردت من زُرْع». «مسائل وردت من الرحبة». «أربعون مسألة لقبت الدَّرر المضية في فتاوي ابن تيمية». «الماردانية». «الطرابلسية». «قاعدة في المياه والمائعات وأحكامها». «المائعات وملاقاتها النجاسات». «طهارة بول ما يؤكل لحمة». «قاعدة في حديث القُلْتين وعدم رفعه». «قواعد في الاستجمار وتطهير الأرض بالشمس والريح». «جواز الاستجمار مع وجود الماء». «نواقض الوضوء». «قواعد في عدم نقضه بلمس النساء». «التسمية على الوضوء». «خطأ القول بجواز مسح الرجلين». «جواز المسح على الخفين المنخرقين والجوربين واللفائف». «في من لا يعطي أجره الحمام». «تحريم دخول الحمام بلا مئزر». «في الحمام والاغتسال». «ذَم الوسواس». «جواز طواف الحائض». «تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتميم والجمع بين الصلاتين للعدر». «كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها». «قاعدة في الاستعاذة». «قاعدة في البسمة هل هي من السورة». «فيما يعرض للمصلي من الوسواس هل يبطل أو لا». «الكَلِم الطيِّب في الأذكار». «كراهية تقديم بَسَط سجادة المصلي قبل مجيئه». «في الركعتين اللتين تصليان قبل الجمعة». «في الصلاة بعد أذان الجمعة». «القنوت في الصبح والوتر». «قتل تارك أحد المباني وكفره» مجلد. «الجمع بين الصلاتين في السفر». «فيما يختلف حكمه بالسفر والحضر». «أهل البدع هل يصلُّ خلفهم». «صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض».

«الصلوات المبتدعة». «تحريم السماع». «تحريم الشبابة». «تحريم اللعب بالشطرنج». «تحريم الحشيشة القنبية ووجوب الحد فيها وتنجيسها». «النهي عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود وإيقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يفعل في عاشوراء من الحبوب». «قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين» خمس كراريس. «في أَنَّ المطلقة ثلاثاً لا تحلُّ إلاَّ بنكاح زوج ثانٍ». «بيان الطلاق المباح والحرام». «في الحلف بالطلاق وتنجيذه ثلاثاً». «جواب من حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة ثمَّ طلق ثلاثاً». «في الحيض». «الفرق المبين بين الطلاق واليمين». «لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف». «الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة». «كتاب التَّحْقِيق في الفرق بين الأيمان والتطليق». «الطلاق البدعي لا يقع». «مسائل الفرق بين الحلف بالطلاق وإيقاعه والطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك». تقدير خمسة عشر مجلداً. «مناسك الحج عدة» نحو مجلد. «في حجة النَّبِيِّ عليه السلام». «في العمرة المكية». «في شهر السلاح بتبوك وشرب السوق بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المُحْرِمُ وزيارة الخليل عقيب الحج». «زيارة القدس مطلقاً». «جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال غُيِّبٌ ولا أبدال». «جميع أيمان المسلمين [مكفرة]».

الكتب في أنواع شتى

جمع بعض الناس «فتاويه بالديار المصرية» مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت ثلاثين مجلدة. «الكلام على بطلان الفتوة المصطلح عليها بين العوام وليس لها أصل متصل بعليٍّ عليه السلام». «كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية». «بطلان ما يقوله أهل بيت الشَّيْخِ عديٍّ». «النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة

وفي الكسوف هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة» مجلد. «تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصدع^(١) الصحيح وصفة الخواتم». «إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت». «كشف حال المرازقة». «قاعدة في العبيدين».

ومن نظم الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى على لسان هؤلاء الفقراء المجردين وغيرهم:

والله ما فقرنا اختياراً وإتّما فقرنا اضطراراً
جماعةً كُلُّنا كُسَالَى وأكلنا ما له عيارُ
تسمعُ منا إذا اجتمعنا حقيقةً كُلُّها فشارُ

وله أجوبةٌ سؤالاتٍ كَانَ يُسألها نظماً فيجيب عنها نظماً أيضاً وليس هذا موضع إيراد ذلك.

ومدحه جماعة من أهل عصره منهم شهاب الدين أحمد بن محمد البغدادى المعروف بابن الأبرادى الحنبلى والشيخ شمس الدين [ابن] الصايغ وسعد الدين أبو محمد سعد الله بن عبد الأحد الحرّانى، وأكثر من ذلك، ومنه:

لئن نافقوه وهو في السجن وابتغوا رضاهُ وأبدوا رقةً وتودّدا
فلا غرو أن ذلّ الخصوم لبأسه ولا عجب أن هابَ سطوته العدى
فمن شيمَةِ العَصْبِ المُهَنَّدِ أَنَّهُ يُخاف وَيُرْجى مُغَمِّداً وَمَجْرَداً

(١) في أعيان العصر: «صَرَغ»، وهو أجود.

ولما دخل مصر امتدحه العلامة أثير الدين أبو حيان بأبيات . ولما توفي رحمه الله رثاه جماعة منهم : الشيخ علاء الدين علي بن غانم ، والشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ ، وبرهان الدين إبراهيم ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم العجمي ، ومحمود بن علي بن محمود بن مقبل الدقوقي البغدادزي ، ومجير الدين أحمد بن الحسن الخياط الدمشقي ، وشهاب الدين أحمد بن الكرشت ، وزين الدين عمر بن الحسام ، وشمس الدين محمد بن أحمد بن أبي القاسم الحلبي الدمشقي الصالحي الإسكاف ، وصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادزي الحنبلي ، وجمال الدين محمود بن الأثير الحلبي ، وعبد الله ابن خضر بن عبد الرحمن الرومي الحريري المعروف بالمتيم ، وتقي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الله بن سالم الجعبري ، وجمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل بن إبراهيم بن الخليل الخليلي ، وحسن بن محمد النحوي المارداني ، والقاضي زين الدين عمر بن الوردي الشافعي وغيرهم . وفي هؤلاء من رثاه بقصيدتين وثلاث ، وقصيدة الشيخ علاء الدين ابن غانم :

أَيُّ حَبْرٍ مَضَى وَأَيُّ إِمَامٍ	فُجِعَتْ فِيهِ مَلَّةُ الْإِسْلَامِ
ابن تَيْمِيَّةَ التَّقِيِّ وَحِيدُ الدَّهْرِ	رِ مَنْ كَانَ شَامَةً فِي الشَّامِ
بَحْرُ عِلْمٍ قَدْ غَاضَ مِنْ بَعْدِ مَا فَاءَ	ضَ نَدَاهُ وَعَمَّ بِالْإِنْعَامِ
زَاهِدٌ عَابِدٌ تَنَزَّاهُ فِي دُنُو	يَاهُ عَنْ كُلِّ مَا بَهَا مِنْ حُطَامِ
كَانَ كَنْزًا لِكُلِّ طَالِبٍ عِلْمٍ	وَلَمَنْ خَافَ أَنْ يُرَى فِي حَرَامِ
وَلِعَافٍ قَدْ جَاءَ يَشْكُو مِنَ الْفَقْرِ	رِ لَدَيْهِ فَنَالَ كُلَّ مَرَامِ

حاز علمًا فما له من مساوٍ فيه من عالمٍ ولا من مسامٍ
 لم يكن في الدنا له من نظيرٍ في جميع العلوم والأحكام
 عالمٌ في زمانه فاق بالعد سم جميع الأئمة الأعلام
 كان في علمه وحيدًا فريدًا لم ينالوا ما نال في الأحلام
 كلُّ مَنْ في دمشقٍ ناحَ عليه بيكاءٍ من شدة الآلام
 فُجِعَ الناسُ فيه في الشرق والغرب بٍ وأضحوا بالحزن كالأيتام
 لو يفيدُ الفداء بالروح كُنا قد فديناه من هجوم الحمام
 أوحِدٌ فيه قد أصيب البرايا فَيُعَزَّى فيه جميع الأنام
 وعزیزٌ عليهم أن يروهُ غابَ بالرغم في الثرى والرغام
 ما يرى مثلُ يومه عندما سا ر على النعش نحو دار السلام
 حملوه على الرقاب إلى القَب رٍ وكادوا أن يهلكوا بالزحام
 فهو الآن جَارُ ربِّ السما تِ الرحيم المهيمن العلام
 قدس الله روحه وسقى قَب رًا حواه بهاطلات الغمام
 فلقد كان نادرًا في بني الدهر رٍ وحسنا في أوجه الأيتام

وأنشدني إجازة لنفسه القاضي زين الدين عمر بن الوردي الشافعي ومن
 خطه نقلت:

قلوبُ الناسِ قاسيةٌ سلاطُ وليس لها إلى العليا نشاطُ

أَتَنَشِطُ قَطُّ بَعْدَ وَفَاةِ حَبْرٍ لَنَا مِنْ نَثْرِ جَوْهَرِهِ التَّقَاطُ
تَقِيُّ الدِّينَ ذُو وَرَعٍ وَعِلْمٍ خُرُوقُ المَعْضَلَاتِ بِهِ تَخَاطُ
تُوفِّيَ وَهُوَ مَحْبُوسٌ فَرِيدٌ وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الدُّنْيَا انْبِسَاطُ
وَلَوْ حَضَرُوهُ حِينَ قَضَى لِأَلْفَوْا مَلَائِكَةُ النِّعَمِ بِهِ أَحَاطُوا
قَضَى نَجَبًا وَلَيْسَ لَهُ قَرِينٌ وَلَيْسَ يَلْفُ مُشَبَّهُهُ الْقِمَاطُ
فَتَى فِي عِلْمِهِ أَضْحَى فَرِيدًا وَحَلَّ المَشْكَلاتِ بِهِ يُنَاطُ
وَكَانَ يَخَافُ إِبْلِيسَ سَطَاهُ لَوَعِظَ لِلْقُلُوبِ هُوَ السَّيَاطُ
فِيَا لِلَّهِ مَا قَدْ ضَمَّ لَخْدٌ وَيَا لِلَّهِ مَا غَطَّى البَلَاطُ
وَحَبَسَ الدُّرَّ فِي الْأَصْدَافِ فَخْرٌ وَعِنْدَ الشَّيْخِ بِالسَّجَنِ اغْتِبَاطُ
بَنُو تَيْمِيَّةٍ كَانُوا فَبَانُوا نَجُومُ الْعِلْمِ أَدْرَكَهَا انْهِبَاطُ
وَلَكِنْ يَا نَدَامَتَنَا عَلَيْهِ فَشَكُّ المُلْحِدِينَ بِهِ يُمَاطُ
إِمَامٌ لَا وِلَايَةَ قَطُّ عَانِي وَلَا وَقَفٌ عَلَيْهِ وَلَا رِبَاطُ
وَلَا جَارِي الْوَرَى فِي كَسْبِ مَالٍ وَلَمْ يَشْغَلْهُ بِالنَّاسِ اخْتِلَاطُ
وَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَجَنُوهُ شَرْعًا لَكَانَ بِهِ لِقَدَرِهِمُ انْحِطَاطُ
لَقَدْ خَفِيتُ عَلَيَّ هُنَا أُمُورٌ فَلَيْسَ يَلِيقُ لِي فِيهَا انْخِرَاطُ
وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْبَرَايَا جَمِيعًا وَانْطَوَى هَذَا الْبَسَاطُ

العلامة / محمد بن شاعر الكتبي (٧٦٤)

— فوات الوفيات

— عيون التواريخ

فَوَاتُ الْوَفَايَاتِ^(١)

الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحَرَاني الشَّيْخُ الإمام العلامة الفقيه المفسر الحافظ المحدث، شيخ الإسلام نادرة العصر، ذو التَّصانيف والذكاء، تقي الدِّين أبو العبَّاس ابن العالم المفتي شهاب الدين، ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات. ولد بحرَّانَ عاشر ربيع الأوَّل سنة إحدى وستين، وتحول به أبوه إلى دمشق سنة سبع وستين، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، رحمه الله تعالى.

سمع من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر والكمال ابن عبد والشيخ شمس الدين والقاسم الإربلي وابن علَّان وخلق كثير، وقرأ بنفسه، ونسخ عدة أجزاء، وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر مع التدين والذكر والصيانة والنزاهة عن حطام هذه الدار، ثمَّ أقبل على الفقه ودقائقه، وغاص على مباحثه. وأما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة فكان لا يشق فيها غباره، مع ما كان عليه من الكرم الَّذي لم يشاهد مثله، والشجاعة المفرطة، والفراغ عن ملاذ النفس: من اللباس الجميل، والمأكَل الطيب، والراحة الدنيوية.

(١) (١/ ٧٤-٨٠) دار صادر، ١٩٧٣، تحقيق د/ إحسان عباس.

قيل: إِنَّ والدته طبخت له يوماً قرعية، ولم تذقها أولاً وكانت مُرَّة، فلما ذاقها تركتها على حالها، فأتى الشَّيْخ إلى الدار فرأى القرعية، فأكل منها حتَّى شبع، وما أنكر منها شيئاً.

وحُكي أَنَّهُ كَانَ قد شكَا له إنسان من قطلوبك الكبير، وكان المذكور فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها، وحكاياته في ذلك مشهورة، فلما دخل إليه الشَّيْخ، وتكلم معه في ذلك، قال: أَنَا الَّذِي كنت أريد أجي إليك لأنك رجل عالم زاهد، يعني يستهزي به، فقال له: لاتعمل عليّ دركوان^(١)!! موسى كَانَ خيراً مني وفرعون كَانَ شرّاً منك، وكان موسى كل يوم يجيء إلى باب فرعون مرّات، ويعرض عليه الإيمان.

قال الشَّيْخ شمس الدين: وصنف في فنون، ولعل توأليفه تبلغ ثلاث مئة مجلدة. وكان قوَّالاً بالحق، نهَاءً عن المنكر، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة، وكان أبيض أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كَانَ عينية لسانان ناطقان، رُبْعَةً من الرجال، جهوري الصوت، فصيح اللسان، سريع القراءة، توفي محبوساً في قلعة دمشق على مسألة الزيارة، وكانت جنازته عظيمة إلى الغاية، ودفن في مقابر الصوفية صلى عليه قاضي القضاة الشَّيْخ علاء الدين القونوي، انتهى كلام الشَّيْخ شمس الدين الذَّهَبِيّ.

ذكر تصانيفه

كتب التفسير

«قاعدة [في] الاستعاذة». «قاعدة في البسملة [و] الكلام على الجهر

(١) في الوافي بالوفيات: دركواناتك. ولعلها: «الحيل».

بها». «قاعدة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقطعة كبيرة من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ﴾ ثلاث كراريس. وفي قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ كراسين، وفي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا﴾ سبع كراريس. ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ كراسة. «آية الكرسي»، كراسان، وفي قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ست كراريس؛ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ عشر كراريس، وغير ذلك من سورة آل عمران. «تفسير المائدة» مجلد [لطيف]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ثلاث كراريس. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ﴾ سبع كراريس. «سورة يوسف» مجلد كبير. «سورة النور» مجلد لطيف. «سورة العلق وأنها أول سورة أنزلت» مجلد. «سورة لم يكن». «سورة الكافرون». «سورة تبت والمعوذتين» مجلد. «سورة الإخلاص» مجلد.

كتب الأصول

«الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية»، أربع مجلدات. «ما أملاه في الجب ردًا على تأسيس التقديس»^(١). «شرح أول المحصل»، مجلد. «شرح بضع عشرة مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين». «تعارض العقل والنقل»، أربع مجلدات. «جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشي»، مجلد. «الجواب الصحيح»، ردّ على النصارى، ثلاث مجلدات. «منهاج الاستقامة». «شرح عقيدة الأصفهاني» مجلد. «شرح

(١) كذا! وفي «الوافي»: «أربع مجلدات أملاه في الجب». «ردّ على تأسيس التقديس سماه: بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية». ولعله الصواب، وهو الموافق لما في أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية: ٢٣٢ (من نشرتنا).

أول كتاب الغزنوي في أصول الدين»، مجلد. «الردّ على المنطق»، مجلد. «ردّ آخر» لطيف. «الردّ على الفلاسفة»، أربع مجلدات. «قاعدة في القضايا الوهمية»، «قاعدة في تناهي مالا يتناهي»، «جواب الرسالة الصفدية». «جواب في نقض قول الفلاسفة: إنّ معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية»، مجلد كبير «إثبات المعاد والردّ على ابن سينا». «شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد في الأصول». «ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات»، مجلدان. «قاعدة في الكليات»، مجلد لطيف. «الرسالة القبرصية». «رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور». «الرسالة البعلبكية». «الرسالة الأزهرية». «القادرية». «البغدادية». «أجوبة الشكل والنقط». «إبطال الكلام النفساني» أبطله من نحو ثمانين وجهًا. «جواب من حلف بالطلاق الثلاث أنّ القرآن حرف وصوت». «إثبات الصفات والعلو والاستواء» مجلدان. «المراكشية». «صفات الكمال والضابط [فيها]». «جواب في الاستواء وإبطال تأويله بالاستيلاء». «جواب من قال: لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه». «أجوبة كون العرش والسموات كريمة وسبب قصد القلوب جهة العلو». «جواب كون الشيء في جهة العلو مع أنّه ليس بجوهر أو عرض معقول أو مستحيل». «جواب هل الاستواء والنزول حقيقة؟ وهل لازم المذهب مذهب» سماه «الإربلية». «مسألة النزول واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع»، مجلد لطيف. «شرح حديث النزول»، مجلد كبير. «بيان حل إشكال ابن حزم الوارد على الحديث». «قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه»، مجلد. «الكلام على نقض المرشدة». «المسائل الإسكندرية في الرد على الاتحادية والحلولية». «ما تضمنه فصوص الحكم». «جواب في لقاء الله». «جواب رؤية النساء ربهنّ في الجنة».

«الرسالة المدنية في إثبات الصفات النقلية». «الهلاونية». «جواب وردّ على لسان ملك التّار»، مجلد. «قواعد في إثبات [القدر] والرد على القدرية والجبرية»، مجلد. «رد على الروافض في الإمامة على ابن مطهر». «جواب في حسن إرادة الله تعالى لخلق الخلق وإنشاء الأنام لعلّة أم لغير علّة». شرح حديث «فَحَجَّ آدم موسى». «تنبيه الرّجل الغافل على تمويه المجادل»، مجلد. «تناسي الشدائد في اختلاف العقائد»، مجلد. «كتاب الإيمان»، مجلد. «شرح حديث جبريل في حديث الإيمان والإسلام»، مجلد. «عصمة الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغونه». «مسألة في العقل والروح». «مسألة في المقربين: هل يسألهم منكر ونكير». «مسألة هل يعذب الجسد مع الروح في القبر». «الرد على أهل الكسروان»، مجلدان. «في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما». «قاعدة [في] فضل معاوية وفي ابنه يزيد لا يُسَبَّ». «في تفضيل صالحى الناس على سائر الأجناس». «مختصر في كفر النصيرية». «في جواز قتال الرافضة»، كراسة. «في بقاء الجنة والنار وفي فنائهما» رد على^(١) مولانا قاضي القضاة تقي الدين السبكي أعزه الله تعالى.

كتب أصول الفقه

«قاعدة غالبها أقوال الفقهاء»، مجلدان. «قاعدة كل حمد وذم من المقالات والأفعال لا يكون إلّا بالكتاب والسنة». «شمول النصوص للأحكام». مجلد لطيف. «قاعدة في الإجماع وألّه ثلاثة أقسام». «جواب في الإجماع وخبر التواتر». «قاعدة في كيفية الاستدراك على

(١) في «الوافي»: «رد عليه فيها» ولعله الصواب.

الأحكام بالنص والإجماع». «في الرد على من قال إنّ الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين»، ثلاث مصنفات. «قاعدة فيما يُظن من تعارض النص والإجماع». «مواخذ^(١) على ابن حزم في الإجماع». «قاعدة في تقرير القياس». «قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الأحكام». «رفع الملام عن الأئمة الأعلام». «قاعدة في الاستحسان». «وصف العموم والإطلاق». «قواعد في أنّ المخطيء في الاجتهاد لا يأثم». «هل العامي يجب عليه تقليد مذهب معين». «جواب في ترك التقليد». «فيمن يقول مذهبي مذهب النبي عليه السلام وليس أنا محتاج إلى تقليد الأربعة». «جواب من تفقه في مذهب ووجد حديثاً صحيحاً هل يعمل به أو لا». «جواب تقليد الحنفى الشافعى في [الجمع] للمطر والوتر». «الفتح على الإمام في الصلاة». «تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة». «تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم». «قاعدة في تفضيل الإمام أحمد». «جواب هل كَانَ النبي ﷺ قبل الرسالة نبياً». «جواب هل كَانَ النبي ﷺ متعبداً بشرع مَنْ قبله». «قواعد أنّ النهي يقتضي الفساد».

كتب الفقه

«شرح المحرّر في مذهب أحمد»، ولم يبيض. «شرح العمدة لموفق الدين»، أربع مجلدات. «جواب مسائل وردت من أصفهان». «جواب مسائل وردت من الأندلس». «جواب مسائل وردت من الصلت». «مسائل من بغداد». «مسائل وردت من زُرْع». «مسائل وردت من الرحبة». «أربعون مسألة [لقبت] الدرر المضية في فتاوى ابن تَيْمِيَّة». «الماردانية». «الطرابلسية». «قاعدة في المياه والمائعات

(١) في الوافي: «مواخذة».

وأحكامها». «طهارة بول ما يؤكل لحمه». «قاعدة في حديث القلتين وعدم رفعه». «قواعد في الاستجمار وتطهير الأرض بالشمس والريح». «جواز الاستجمار مع وجود الماء». «نواقض الوضوء». «قواعد في عدم نقضه بلمس النساء». «التسمية على الوضوء». «خطأ القول بجواز المسح على الخفين». «جواز المسح على الخفين المنخرقين والجوربين واللفائف». «فيمن لا يعطي أجره الحمام». «تحريم دخول الحمام بلا مئزر». «في الحمام والاعتسال». «ذم الوسواس». «جواز طواف الحائض». «تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتييم والجمع بين الصلاتين للعدر». «كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها». «الكلم الطيب» في الأذكار. «كراهية تقديم بَسْط سجادة المصلي قبل مجيئه». «في الركعتين اللتين تصليان قبل الجمعة»، «في الصلاة بعد أذان الجمعة». «القنوت في الصبح والوتر». «قتل تارك المباني وكفره». «الجمع بين الصلاتين في السفر». «فيما يخالف حكمه بالسفر والحضر». «أهل البدع: هل يصلى خلفهم». «صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض». «الصلوات المبتدعة». «تحريم السماع». «تحريم الشبابة». «تحريم اللعب بالشطرنج». «تحريم الحشيشة القنبية ووجوب الحد عليها وتنجيسها». «النهي عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود وإيقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يفعل في عاشوراء من الحبوب». «قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين». «في أنَّ المطلقة بثلاثة لا تحل إلاً بِنكاح زوج ثان». «بيان الحلال والحرام في الطلاق». «جواب مَنْ حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة ثمَّ طلق ثلاثاً في الحيض». «الفرق المبين بين الطلاق واليمين». «لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف». «كتاب التَّحْقِيق في الفرق بين الأيمان والتطليق». «الطلاق البدعي لا يقع». «مسائل الفرق بين

الطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك». «مناسك الحج». «في حجة النبي ﷺ». «في العمرة المكية». «في شهر السلاح بتبوك وشرب السوق بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عليه السلام عقيب الحج». «زيارة القدس مطلقاً». «جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال الغيب^(١) ولا أبدال». «جميع أيمان المسلمين مكفرة».

الكتب في أنواع شتى

جمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى، فجاءت ثلاثين مجلد. «الكلام على بطلان الفتوة المصطلح [عليها] بين العوام»، وليس لها أصل متصل بعلي رضي الله عنه. «كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية». «[بطلان] ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي». «النجوم: هل لها تأثير عند القرآن والمقابلة، وفي الكسوف: هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة»، مجلد. «تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتيم». «إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت».

ومن نظم الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى على لسان الفقراء المجردين:

والله ما فقرنا اختياراً وإنا فقرنا اضطراراً
جماعةً كلنا كسالى وأكلنا مالاً عياراً

(١) في «الوافي»: «غيب».

تسمعُ مِنَّا إذا اجتمعنا حقيقةً كُلُّهَا فشارُ

وله أجوبةُ سؤالاتٍ كَانَ يُسألُهَا نظمًا فيجيب عنها نظمًا، وليس هذا
موضع إيراد ذلك رحمه الله تعالى.

* * *

عيون التواريخ^(١)

لمحمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤)

وفيها [٧٢٨] في ليلة الثاني والعشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخاشع القدوة المحقق، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبدالحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله ابن تيمية الحرّاني الدمشقي بقلعة دمشق في القاعة التي كان محبوساً بها، وغسلوه وكفّنوه وأخرجوه من باب القلعة، وصلى عليه بباب القلعة الشيخ محمد بن تمام، ثم أتوا به إلى جامع بني أمية، وغلقت جميع أسواق دمشق، وامتأل الجامع أكثر من يوم الجمعة، وحضروا^(٢) الأمراء والحجاب، وصلّوا عليه صلاة الظهر، وحملوه^(٣) الناس على رؤوسهم، وخرجوا به من باب الفرج، وبعض الناس من باب الفراديس وباب النصر وباب الجابية، وامتدّ الناس إلى سوق الخيل إلى مقبرة الصوفية، ودُفن إلى جانب قبر أخيه الشيخ عبدالله. وانصرف الناس متأسفين عليه، وختموا على قبره الختمات، وباتوا على قبره ليالي كثيرة، ورؤيت له منامات صالحة.

(١) (٦/٢٠٢ أ-ب) (مخطوطة قره جلبي زاده برقم ٢٧٦).

(٢) كذا على لغة «أكلوني البراغيث».

(٣) كذا على لغة «أكلوني البراغيث».

ومولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة بحرّان،
وقدِمَ مع والدِه إلى دمشق، واشتغل على والدِه، وسمع الحديث من
الشيخ شمس الدين ابن أبي عمر وابن العلان وابن أبي اليسر وابن
عبدالدائم وغيرهم، وقرأ بنفسه، وكتبَ الطباق، ونسخَ الأجزاء، ولازمَ
السماعَ مدةَ سنين، واشتغل في العلوم، وحَصَّلَ في أسرع وقتٍ مالا
يُحصِّلُه غيره في سنين كثيرة. وكان عنده ذكاءٌ مُفرطٌ وبديهةٌ حسنةٌ، وله
في العلوم اليد الطولى، وصنَّفَ تصانيف كثيرةً في علوم شتى ذكرتها في
ترجمته في كتاب «فوات الوفيات». وكان كثير الذكر والصَّوم والصلاة
والعبادة، وعاش سبعاً^(١) وستين سنةً وثمانيةً أشهر وعشرة أيام، رحمه
الله تعالى.

* * *

(١) في الأصل: «سبع».

مرآة الجنان^(١)

للعلامة / أبي محمد عبدالله اليافعي اليماني (٧٦٧)

وفيها^(٢) مات بقلعة دمشق الشيخ الحافظ الكبير تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية معتقلاً، ومنع قبل وفاته بخمسة أشهر من الدواة والورق. ومولده في عاشر ربيع الأول يوم الاثنين سنة إحدى وستين وست مئة بحرّان. سمع من جماعة وبرع في حفظ الحديث والأصليين، وكان يتوقّد ذكاءً. ومصنفاته قيل: أكثر من مئتي مجلد، وله مسائل غريبة أنكر عليه فيها، وحُبس بسببها، مباينة لمذهب أهل السنة^(٣).

ومن أقبحها نهيه عن زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام^(٤)، وطعنه في مشايخ الصوفية العارفين كحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، والأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري والشيخ ابن العريف، والشيخ أبي الحسن الشاذلي، وخلّاتق من أولياء الله الكبار الصفوة الأخيار.

وكذلك ما قد عُرف من مذهبه كمسئلة الطلاق وغيرها، وكذلك عقيدته في الجهة وما نقل عنه فيها من الأقوال الباطلة، وغير ذلك مما

(١) (٢٧٧/٤) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣.

(٢) أي في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة.

(٣) يعني الأشاعرة لأنه منهم!!

(٤) إنما نهى الشيخ عن شدّ الرحل، وليس عن مطلق الزيارة.

هو معروف في مذهبه، ولقد رأيت منامًا طويلًا في وقتٍ مباركٍ يتعلّق
بعضه بعقيدته ويدلّ على خطئه فيها، وقد قدّمت ذكره في سنة ثمان
وخمسين وخمس مائة في ترجمة صاحب «البيان»^(١)، فمن أراد أن يطلع
على ذلك فليطالع هناك فهو من المنامات التي تشرح بها الصدور
ويطمئن به قلب من رآه وينفتح لقبول الهدى والنور!!

* * *

(١) من كتب الفقه الشافعي المطوّلة للعمراي، وله عدة نسخ في مكتبات العالم.

نثر الجمان في تراجم الأعيان^(١)

للعلامة/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي (٧٧٠)

وفيها [٧٢٨] في الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفر صباحها عن العشرين من ذي القعدة، كانت وفاة الشيخ الإمام العالم الورع الزاهد، تقي الدين أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين [عبدالحليم]^(٢) بن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبدالسلام بن عبدالله بن [أبي] القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، في معتقله بقلعة دمشق، وكان مدة المرض: سبعة عشر يوماً، ولما مُنِع من الكتابة والتصنيف؛ عكف على تلاوة كتاب الله العزيز، فيقال: إنه قرأ ثمانين ختمة، وقرأ من الحادية والثمانين إلى سورة الرحمن، وأكملها أصحابه الذين دخلوا عليه حال غسيله، وتكفينه.

وتولّى غسيله مع الغاسل الشيخ تاج الدين الفارقي، وصُلّي عليه في عدّة مواضع، فصُلّي عليه أولاً بقلعة دمشق، وأمّ الناس في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام الصالحي الحنبلي، ثم حُمِل إلى الجامع الأموي، ووضعت جنازته في أول الساعة الخامسة، وامتلاً الجامع بالناس، وغلقت أسواق المدينة، وصُلّي عليه بعد صلاة الظهر، ثم حُمِل وأُخرج من باب الفرج، وازدحم الناس حتّى تفرقوا في الأبواب، فخرجوا من باب القصر، وباب الفراديس، وباب الجابية، وامتلاً سوق الخيل

(١) نسخة دار الكتب برقم ١٧٤٦، جزء فيه (٧٠١-٧٤٥).

(٢) في الأصل: عبدالحكيم وهو خطأ.

بالتَّاسِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مَرَّةً ثَالِثَةً، وَأَمَّ النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ أَخُوهُ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَحُمِلَ إِلَى مَقْبَرَةِ الصُّوفِيَّةِ فَدُفِنَ بِهَا قَرِيبًا مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ؛ لِازْدِحَامِ النَّاسِ عَلَيْهِ.

ومولده بحرَّان في يوم الاثنين عاشر ربيع الأوَّل سنة إحدى وستين وست مئة، وقدم مع والده في حال صِغَرِ سَنَتِهِ، واشتغل عليه وسمع من جماعة من المشايخ، وكان شيخًا حافظًا، ذكي الفطرة، حسن البديهة، وله تصانيف كثيرة منها ما ظهر، ومنها ما لم يظهر. وله مظهر بالعلوم، وشهرة بها يُسْتَعْنَى بِهَا عَنْ بَسْطِ الْقَوْلِ.

سمعت من لفظ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَلَامَةِ رُكْنِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَوَيْعِ قَالَ: «مَاتَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَلَمْ يَتْرِكْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِثْلَهُ». وَحَسْبُكَ بِهَذَا الْقَوْلُ مِنْ هَذَا الْإِمَامِ، قَالُوا^(١): وَكَانَ عِلْمُهُ أَرْجَحَ مِنْ عَقْلِهِ!

وقد تقدَّم من أخباره ووقائعه ما يُغْنِي عَنْ الْإِعَادَةِ وَالْإِطَالَةِ، وَكَانَتْ مَدَّةُ اعْتِقَالِهِ مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ سَادِسَ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَعَشْرِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ، وَإِلَى حِينِ وَفَاتِهِ: سِتِّينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -.

ولما توفي أُفْرِجَ عَنْ أَخِيهِ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ، وَكَانَ قَدْ اعْتُقِلَ مَعَهُ، فَلَمَّا مَاتَ صَارَ يُخْرَجُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ اعْتِقَالِهِ إِلَى تَرْبَةِ أَخِيهِ، وَيُقِيمُ بِهَا إِلَى عَشِيَةِ النَّهَارِ فَيَعُودُ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَيَبِيتُ فِيهَا، وَكَانَ النَّائِبُ غَائِبًا فِي الصَّيْدِ فَلَمَّا عَادَ إِلَى دِمَشْقَ أُفْرِجَ عَنْهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ -.

(١) قاله شمس الدين الجزري، وتبعه من بعده، وهو قول مردول!

البداية والنهاية^(١)

للعلامة/ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤)

سنة (٦٦١)

قال الشيخ شمس الدين الذهبي: وفي هذه السنة وُلد شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شهاب الدين عبد الحلیم بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني، بحرّان. يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وست مئة. (٢٥٥/١٣).

سنة (٦٦٦)

وفيها ولد الشيخ شرف الدين عبد الله ابن تيمية أخو الشيخ تقي الدين ابن تيمية. (٢٦٨/١٣)

سنة (٦٦٧)

... وفيها خرج أهل حرّان منها وقدموا الشام. وكان فيهم شيخنا العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية صحبة أبيه، وعمره ست سنين وأخواه زين الدين عبد الرحمن وشرف الدين عبد الله، وهما أصغر منه (٢٦٩/١٣).

سنة (٦٨٢)

توفي فيها المحدث الفقيه الشافعي محمد بن أبي جفوان، إمام بارع

(١) (٢٥٥/١٣ - ٣٧٤، ١٤/٣ - ١٤٦) دار الريان، مصر، ١٤٠٨.

في النحو واللغة.

سمعت شيخنا تقي الدين ابن تيمية، وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول كل منهما للآخر: هذا الرجل قرأ مسند الإمام أحمد وهما يسمعان، فلم يضبطا عليه لحنة متفقاً عليها، وناهيك بهذين ثناء على هذا، وهما هما !! (٣٢٠ / ١٣).

[وفيها] توفي الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحلیم بن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، والد شيخنا العلامة تقي الدين ابن تيمية، مفتي الفرق، الفارق بين الفرق. كَانَ له فضيلة حسنة، ولديه فضائل كثيرة، وكان له كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه، وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقضاة، وبها كَانَ سَكَنُهُ. ثُمَّ دَرَسَ ولده الشيخ تقي الدين بها بعده، في السنة الآتية كما سيأتي. ودُفِنَ بمقابر الصوفية رحمه الله (٣٢٠ / ١٣).

سنة (٦٨٣)

في يوم الاثنين، ثاني المحرم منها، درس الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، بدار الحديث السكرية التي بالقضاة. وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي الشافعي، والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية، والشيخ زين الدين ابن المرحل، وزين الدين بن المنجي الحنبلي. وكان درسًا هائلًا، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده، وكثرة ما استحسنته الحاضرون. وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنّه وصِغَرِهِ، فإنه كَانَ عمره إذ ذاك عشرين سنة وستين.

ثم جلس الشيخ تقي الدين المذكور أيضاً يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قد هُيئَ له لتفسير القرآن العزيز. فابتدأ من أوله في تفسيره. وكان يجتمع عنده الخلق الكثير، والجمُّ الغفير من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة والزهادة والعبادة، وسارت بذكره الركبان في سائر الأقاليم والبلدان. واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة. (٣٢١/١٣).

سنة (٦٩٢)

وكان ممن حجّ في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله. وكان أميرهم الباسطي، ونالهم في معان ريح شديدة جداً مات بسببها جماعة، وحملت الريح جمالاً عن أماكنها. وطارت العمائم عن الرؤوس، واشتغل كل أحد بنفسه (٣٥٢/١٣).

سنة (٦٩٣)

(واقعة عساف النصراني)

كانَ هذا الرَّجل من أهل السويداء، قد شهد عليه جماعة أنّه سبَّ النَّبي ﷺ، وقد استجار عساف هذا بابن أحمد بن حجي أمير آل عليّ، فاجتمع الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث، فدخلوا على الأمير عز الدين أيبك الحموي، نائب السلطنة فكلّماه في أمره فأجابهما إلى ذلك، وأرسل ليحضره فخرجا من عنده، ومعهما خلق كثير من الناس، فرأى الناس عسافاً حين قدم ومعه رجل من العرب فسبّوه وشتّموه، فقال ذلك الرَّجل البدوي: هو خير منكم -يعني النصراني- فرجمهما الناس بالحجارة؛ وأصاب عسافاً ووقعت

خبطة قوية، فأرسل النائب فطلب الشيخين: ابن تَيْمِيَّةَ والفارقي فضربهما بين يديه، ورسم عليهما في العذراوية، وقدم النصراني فأسلم، وعقد مجلس بسببه، وأثبت بَيْنَهُ وبين الشهود عداوة، فحقن دمه، ثُمَّ استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، فاتفق قتله قريباً من مدينة رسول الله ﷺ قتله ابن أخيه هنالك.

وصنف الشيخ تقي الدين ابن تَيْمِيَّةَ في هذه الواقعة كتابه «الصارم المسلول على ساب الرسول ﷺ». (٣٥٥/١٣).

سنة (٦٩٤)

توفي الشيخ الامام الخطيب المدرّس المفتي شرف الدين أبو العبّاس أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة.. المقدسي... ولي القضاء نيابة، والتدريس، والخطابة بدمشق... وأذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء منهم الشيخ الامام العلامة شيخ الإسلام أبو العبّاس بن تَيْمِيَّةَ، وكان يفتخر بذلك ويفرح به، ويقول: أنا أذنتُ لابن تَيْمِيَّةَ بالإفتاء (٣٦١/١٣).

سنة (٦٩٥)

وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان درّس الشيخ الامام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تَيْمِيَّةَ الحرّاني بالمدرسة الحنبلية عوضاً عن الشيخ زين الدين ابن المنجّي [الذي] توفي إلى رحمة الله. ونزل ابن تَيْمِيَّةَ عن حلقة العمداد بن المنجّي لشمس الدين ابن الفخر البعلبكي. (٣٦٤/١٣).

سنة (٦٩٨)

وكان وقع في أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلد محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية، قام عليه جماعة من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي. فلم يحضر. فنودي في البلد في العقيدة التي كَانَ قد سأله عنها أهل حماة المسماة بالحموية. فانتصر له الأمير سيف الدين جاغان. وأرسل يطلب الذين قاموا عنده. فاختم كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون.

فلما كَانَ يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته، وفسر فيه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَکَلِّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين يوم السبت، واجتمع عنده جماعة من الفضلاء، وبحثوا في الحموية، وناقشوه في أماكن منها. فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير.

ثم ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهّدت الأمور، وسكنت الأحوال. وكان القاضي إمام الدين معتقده حسناً ومقصده صالحاً (١٤/٤-٥).

سنة (٦٩٩)

.. هذا؛ وسلطان التتار قد قصد دمشق بعد الوقعة. فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين بن تيمية في مشهد عليّ، واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه وأخذ الأمان منه لأهل دمشق.

فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر، فاجتمعوا به عند الباب. وكلّمه الشيخ تقي الدين كلاماً قوياً شديداً فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين والله الحمد.

ودخل المسلمون ليلتئذٍ من جهة قازان فنزلوا بالبدرائية، وغلقت أبواب البلد سوى باب توما. وخطب الخطيب بالجامع يوم الجمعة ولم يذكر سلطاناً في خطبته، وبعد الصلاة... حضر الفرمان بالأمان وطيف به في البلد. وقرئ يوم السبت ثامن الشهر بمقصورة الخطابة، ونُثر شيء من الذهب والفضة. (٨/١٤).

وفي يوم الاثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قبجق المنصوري فنزل في الميدان. واقترب جيش التتر، وكثُر العيث في ظاهر البلد، وقُتل جماعة، وغلت الأسعار بالبلد جدًّا، وأرسل قبجق إلى نائب القلعة ليسلمها إلى التتر. فامتنع ارجواش من ذلك أشدَّ الامتناع. فجمع له قبجق أعيان البلد فكلّمه أيضاً، فلم يجبههم إلى ذلك، وصمّ على ترك تسليمها إليهم وبها عين تطرف. فإنَّ الشَّيخ تقي الدين بن تَيْمِيَّة أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك: لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشَّام فإن الله حفظ لهم هذا الحصن والمعقل الذي جعله الله حرزاً لأهل الشَّام التي لاتزال دارَ إيمانٍ وسنةٍ حتى ينزل بها عيسى بن مريم. (٩/١٤).

ولما نُكب دير الحنابلة في ثاني جمادى الأولى قتلوا [أي التتار] خلقاً من الرجال، وأسروا من النساء كثيراً، ونال قاضي القضاة تقي الدين أذى كثير. ويُقال إنهم قتلوا من أهل الصالحية قريباً من أربعمئة وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير. ونُهب كتب كثيرة من الرباط الناصري والضيائية، وخزانة ابن البزوري. وكانت تُباع وهي مكتوب عليها الوقفية...

وخرج الشَّيخ ابن تَيْمِيَّة في جماعة من أصحابه يوم الخميس

العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتر. وعاد بعد يومين، ولم يتفق اجتماعه به. حجه عنه الوزير سعد الدين، والرشيد مشير الدولة المسلماني ابن يهودي... (١٤/٩ - ١٠).

وفي ثامن رجب طلب قبجق القضاة والأعيان فحلفهم على المناصحة للدولة المحمودية - يعني قازان - فحلفوا له. وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مخيم بولاي فاجتمع به، في فكاك مَنْ كَانَ معه من أسارى المسلمين. فاستنقذ كثيرًا منهم من أيديهم. وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد. (١٤/١١).

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر. وفرح الناس بذلك، وكان يُخطب لقازان بدمشق وغيرها في بلاد الشام مائة يوم سواء.

وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، وأصحابه على الخمرات والحانات، فكسروا آنية الخمر، وشققوا الظروف، وأراقوا الخمر. وعزّروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش. وفرح الناس بذلك. (١٤ / ١٢).

وفي يوم الجمعة العشرين منه [شوال] ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان. وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد نيّتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسروهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم. [فقد] وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرًا منهم.

فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤسائهم إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرّر عليهم أموالاً كثيرة يحملونها إلى بيت المال وأقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند، ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله. (١٤/١٣).

سنة (٧٠٠)

في مستهلّ صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام، وأنهم عازمون على دخول مصر. فانزعج الناس لذلك، وازدادوا ضعفاً على ضعفهم، وطاشت عقولهم وألبابهم، وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة. فبلغت المحارة^(١) إلى مصر خمسمائة، وبيع الجمل بألف، والحصار بخمسمائة. وبيعت الأمتعة والثياب والغلات بأرخص الأثمان. وجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع وحرّض الناس على القتال. وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك. ونهى عن الإسراع في الفرار، ورغب في إنفاق الأموال في الذّب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأن ما يُنفق في أجرة الهرب، إذا أنفق في سبيل الله كان خيراً. وأوجب جهاد التتر حتّى في هذه الكرّة. وتابع المجالس في ذلك. ونودي في البلاد: لا يُسافر أحد إلّا بمرسوم وورقة. فتوقف الناس عن السير، وسكن جأشهم. (١٤/١٥-١٦).

(١) في المطبوع: المحارة! والمحارة: شبه الهودج.

واستهل جمادى الأولى والناس على خُطة صعبة من الخوف، وتأخر السلطان واقترب العدو، وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في مستهل هذا الشهر - وكان يوم السبت - إلى نائب الشام في المرح. فثبتهم، وقوى جأشهم، وطيب قلوبهم، ووعدهم النصر والظفر على الأعداء. وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوِقَبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾، وبات عند العسكر ليلة الأحد، ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والأمراء أن يركب على البريد إلى مصر يستحث السلطان على المجيء.

فساق وراء السلطان. وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدركه إلا وقد دخل القاهرة وتفارط الحال. ولكنه استحشهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة. وقال لهم فيما قال: «إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن».

ولم يزل بهم حتى جرّدت العساكر إلى الشام.

ثم قال لهم: «لو قُدِّر أنكم لستم حُكّام الشام ولا ملوكه، واستنصركم أهله وجب عليكم النصر. فكيف وأنتم حُكّامه وسلاطينه، وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم؟».

وقوى جأشهم، وضمن لهم النصر هذه الكرّة. فخرجوا إلى الشام، فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحاً شديداً، بعد أن كانوا يأسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم... (١٤/١٦).

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع

والعشرين من جُمادى الأولى على البريد، وأقام بقلعة مصر ثمانية أيام يحثهم على الجهاد والخروج إلى العدو، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج. (١٧/١٤).

سنة (٧٠١)

وفي هذا الشهر [شوال] عُقد مجلس لليهود الخيابة، وألزموا بأداء الجزية أسوة أمثالهم من اليهود. فأحضروا كتابًا معهم يزعمون أنه من رسول الله ﷺ بوضع الجزية عنهم. فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل لما فيه من الألفاظ الركيكة، والتواريخ المخبطة، واللحن الفاحش. وحاققهم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وبين لهم خطأهم وكذبهم. وأنه مزور مكذوب. فأناوبوا إلى أداء الجزية، وخافوا أن تُستعاد منهم الشئون الماضية.

قلتُ: وقد وقفت أنا - أي المؤلف - على هذا الكتاب، فرأيتُ فيه شهادة سعد بن معاذ عام خير. وقد توفي سعد قبل ذلك بنحو من ستين. وفيه: وكتب على بن بو طالب!! وهذا لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين عليّ (٢٠/١٤).

وفي هذا الشهر [شوال] ثار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين ابن تيمية وشكوا منه أنه يُقيم الحدود، ويعزّر، ويخلق رؤوس الصبيان، وتكلّم هو أيضًا فيمن يشكو منه ذلك، وبين خطأهم. ثم سكنت الأمور (٢٠/١٤).

سنة (٧٠٢)

وفي جُمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن

الشَّيْخُ تَقِيَّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ، والقاضي شمس الدين ابن الحريري، وجماعة من الأمراء والخواص الذين بباب السلطنة يُناصحون التتر ويكاتبونهم، ويريدون تولية قبجق على الشَّام، وأن الشَّيْخ كمال الدين بن الرَّمْلَكَاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم، وكذلك كمال الدين بن العطار. فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أنَّ هذا مفتعل. ففحص عن واضعه فإذا هو فقير، كَانَ مجاوراً بالبيت الَّذي كَانَ بجوار محراب الصَّحابة، يُقال له اليعفوري، وآخر معه يُقال له أحمد القباري. وكانا معروفين بالشرِّ والفضول. ووُجد معهما مسوِّدة هذا الكتاب. فتحقَّق نائب السلطنة ذلك، فعزَّرا تعزيراً عنيفاً. ثُمَّ وُسِّطَا بعد ذلك، وقُطعت يد الكاتب الَّذي كتب لهما هذا الكتاب وهو التاج المناديلي (٢٣/١٤).

وفي ثامن عشر [شعبان] قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين... ثُمَّ قدمت بعدهم طائفة أخرى... فقويت القلوب واطمأنَّ كثير من الناس. ولكن الناس في جَفَلٍ عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي، وتقهر الجيش الحلبي والحموي إلى حمص ثُمَّ خافوا أَنَّ يدهمهم التتر فجاءوا فنزلوا المرج... وجلس القضاة بالجامع وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامَّة على القتال.

وتوجَّه الشَّيْخُ تَقِيَّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ إلى العسكر الواصل من حماة، فاجتمع بهم في القُطَيْفَةِ، وأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم. وكان الشَّيْخُ تَقِيَّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه الكرَّة منصورون. فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. وكان يتأوَّل في ذلك أشياء في كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾. (٢٤/٢٥-٢٥).

وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو ؟ فإنهم يظهرهم الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته ثم خالفوه. فقال الشيخ تقي الدين: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية. ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما. وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة. فتفطن العلماء والناس لذلك. وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني فتشجع الناس في قتال التتار، وقويت قلوبهم ونياتهم والله الحمد. (٢٥/١٤).

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شعبان خرجت العساكر الشامية فخيّمت على الجسورة من ناحية الكسوة، ومعهم القضاة...

فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكسوة...

وخرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة، وصحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه. فظنوا أنه إنما خرج هاربًا، فحصل اللوم من بعض الناس وقالوا: أنت منعنا من الجفل وها أنت هارب من البلد. فلم يرد عليهم. (٢٥/١٤).

... وفي يوم الاثنين رابع الشهر [رمضان] رجع الناس من الكسوة إلى دمشق، فبشروا الناس بالنصر.

وفيه دخل^(١) الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومعه أصحابه من الجهاد

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب: «قفل» ليناسب السياق.

ففرح الناسُ به، ودعوا له، وهنأوه بما يَسَّرَ الله على يديه من الخير. وذلك أنَّه ندبه العسكر الشامي أن يسير إلى السلطان يستحثُّه على السير إلى دمشق، فسار إليه، فحثَّه على المجيء إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر. فجاء هو وإياه جميعًا. فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال، فقال له الشيخ: السُّنة أن يقف الرَّجل تحت راية قومه. ونحن من جيش الشَّام لا نقف إلاَّ معهم. وحرَّض السلطان على القتال، وبشَّره بالنصر، وجعل يحلف بالله الَّذي لا إله إلاَّ هو إنكم منصورون عليهم في هذه المَرَّة. فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله. فيقول إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا. وأفتى الناس بالفِطر مدة قتالهم، وأفطر هو أيضًا وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه في يده، ليعلمهم أنَّ إفطارهم ليتقوا على القتال أفضل، فيأكل الناس. وكان يتأوَّل في الشاميين قوله ﷺ «إنكم ملاقوا العدوَّ غدًا، والفطر أقوى لكم». فعزم عليهم في الفطر عام الفتح. كما في حديث أبي سعيد الخدري. (٢٧/١٤).

في ترجمة ابن دقيق العيد قال: وقد اجتمع به الشيخُ تقيُّ الدين بن تيمية، فقال له تقي الدين ابن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه: ما أظن بقي يُخلق مثلك. (٢٩/١٤).

... وعين نائب السلطنة الشامية البرانية، ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي، وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين ابن تيمية. (٣٠/١٤).

سنة (٧٠٤)

في رجب أحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دلقًا كبيرًا متسعًا جدًّا يسمَّى المجاهد إبراهيم القطان. فأمر الشيخ

بتقطيع ذلك الدلق، فتناهبه الناسُ من كلّ جانب، وقطعوه حتّى لم يدعوا فيه شيئاً. وأمر بحلق رأسه، وكان ذا شعر، وقلم أظفاره وكانت طوالاً جدّاً. وحفّ شاربه المُسبل على فمه المخالف للسنة. واستتابه من كلام الفُحش، وأكل ما يغيّر العقل من الحشيشة، وما لا يجوز من المحرّمات وغيرها.

وبعده استحضر الشَّيخ محمّد الخبّاز البلاسي، فاستتابه أيضاً عن أكل المحرّمات، ومخالطة أهل الذمّة. وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلّم في تعبير المنامات ولا في غيرها بما لا علم له به.

وفي هذا الشهر بعينه راح الشَّيخ تقيّ الدين بن تيمّيّة إلى مسجد النارنج وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تُزار ويُنذر لها. فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها. فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرّها عظيماً وبهذا وأمثاله حسدوه، وأبرزوا له العداوة، وكذلك بكلامه في ابن عربي وأتباعه فحسّد على ذلك وعُودي، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم، ولا بالي، ولم يصلوا إليه بمكروه، وأكثر ما نالوا منه: الحبس، مع أنه لم ينقطع في بحث، لا بمصر ولا بالشام، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين، وإنما أخذوه وحبسوه بالجاء - كما سيأتي - وإلى الله إياب الخلق وعليه حسابهم. (٣٦/١٤).

وفي مستهلّ ذي الحجة ركب الشَّيخ تقيّ الدين ابن تيمّيّة، ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين، ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان، فاستتابوا خلقاً منهم، وألزمهم بشرائع الإسلام، ورجع مؤيّداً منصوراً. (٣٧/١٤).

سنة (٧٠٥)

في ثانية [المحرم] خرج نائب السلطنة بمن بقي من الجيوش الشامية. وقد كَانَ تقدّم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تَيْمِيَّة في ثاني المحرم. فساروا إلى بلاد الجُرْد والرفض والتيامنة. فخرج نائب السلطنة الأفرام بنفسه بعد خروج الشَّيْخ لغزوهم، فنصرهم الله عليهم، وأبادوا خَلْقًا كثيرًا منهم ومن فرقته الضالّة، ووطئوا أراضي كثيرة من ضَيْع بلادهم. وعاد نائب السلطنة إلى دمشق في صحبته الشَّيْخ ابن تَيْمِيَّة والجيش. وقد حصل بسبب شهود الشَّيْخ هذه الغزوة خيرٌ كثير. وأبان الشَّيْخ علمًا وشجاعة في هذه الغزوة، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسدًا له وغمًا. (٣٨/١٤).

ما جرى للشَّيْخ تقي الدين ابن تَيْمِيَّة

مع الأحمدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأبلق وحضر الشَّيْخ تقي الدين بن تَيْمِيَّة، فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أَنَّ يكف الشَّيْخ تقي الدين إمارته عنهم، وأن يسلم لهم حالهم، فقال لهم الشَّيْخ: هذا ما يمكن. ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة، قولاً وفعلًا، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه. فأرادوا أَنْ يفعلوا شيئًا من أحوالهم الشيطانية الَّتِي يتعاطونها في سماعاتهم، فقال الشَّيْخ: تلك أحوال شيطانية باطلة، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان، ومن أراد منهم أَنْ يدخل النار فليدخل أولاً إلى الحمام وليغسل جسده غسلًا جيدًا ويدلكه بالخل والأشنان ثمَّ يدخل بعد ذلك إلى النار إِنْ كَانَ

صادقًا. ولو فرض أنَّ أحدًا من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل فإنَّ ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته، بل حاله من أحوال الدجاجلة المخالفة للشريعة إذا كَانَ صاحبها على السنة، فما الظن بخلاف ذلك! فابتدر شيخ المنيع الشيخ صالح وقال: نحن أحوالنا إِنَّمَا تنفق عند التتر ليست تنفق عند الشرع. فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد، ثُمَّ اتفق الحال على أَنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه. وصنف الشيخ جزءًا في طريقة الأحمدية، وبين فيه أحوالهم ومسالكتهم وتخييلاتهم، وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب، وأظهر الله السنة على يديه وأحمد بدعتهم والله الحمد والمنة.

أول المجالس الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية

وفي يوم الاثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء وفيهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر، وقرئت عقيدة الشيخ تقي الدين «الواسطية»، وحصل بحث في أماكن منها، وأخرت مواضع إلى المجلس الثاني، فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر الشهر المذكور وحضر الشيخ صفى الدين الهندي، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلامًا كثيرًا، ولكن ساقيته لا طمت بحرًا!! ثُمَّ اصطلحوا على أَن يكون الشيخ كمال الدين بن الزمِّلَكَاني هو الَّذي يحاqqه من غير مسامحة، فتناظرا في ذلك، وشكر الناس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزمِّلَكَاني وجودة ذهنه وحسن بحثه حيث قاوم ابن تيمية في البحث، وتكلم معه، ثُمَّ انفصل الحال على قبول العقيدة، وعاد الشيخ إلى منزله معظمًا مكرَّمًا.

وبلغني أَنَّ العامة حملوا له الشمع من باب النصر إلى القضاة على جاري عادتهم في أمثال هذه الأشياء، وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في ذلك، كَانَ الباعث على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف، والشيخ نصر المنبجي شيخ الجاشنكير وغيرهما من أعدائه وذلك أَنَّ الشيخ تقي الدين بن تيمية كَانَ يتكلم في المنبجي وينسبه إلى اعتقاد ابن عربي، وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدمه عند الدولة، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الناس له ومحبتهم له وكثرة أتباعه وقيامه في الحق، وعلمه وعمله.

ثمَّ وقع بدمشق خبط كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة، وطلب القاضي جماعة من أصحاب الشيخ وعزَّر بعضهم، ثمَّ اتفق أَنَّ الشيخ جمال الدين المزي الحافظ قرأ فصلاً بالرد على الجهمية من كتاب «أفعال العباد» للبخاري تحت قبة النسر بعد قراءة ميعاد البخاري بسبب الاستسقاء، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صصري، وكان عدو الشيخ فسجن المزي، فبلغ الشيخ تقي الدين فتألم لذلك وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه، وراح إلى القصر فوجد القاضي هنالك، فتقاولا بسبب الشيخ جمال الدين المزي، فحلف ابن صصري لا بد أَن يعيده إلى السجن وإلا عزل نفسه. فأمر النائب بإعادته تطيباً لقلب القاضي فحبسه عنده في القوصية أياماً ثمَّ أطلقه. ولما قدم نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقي الدين ما جرى في حقه وحق أصحابه في غيبته، فتألم النائب لذلك ونادى في البلد أَن لا يتكلم أحد في العقائد، ومن عاد إلى تلك حلّ ماله ودمه ونُهبت داره وحنوته، فسكنت الأمور. وقد رأيت فصلاً من كلام الشيخ تقي الدين

في كيفية ما وقع في هذه المجالس الثلاثة من المناظرات.

ثمَّ عقد المجلس الثالث في يوم سابع شعبان بالقصر، واجتمع الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة. وفي هذا اليوم عزل ابن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين في المجلس المذكور، وهو من الشَّيْخ كمال الدين بن الزُّمْلَكَاني، ثمَّ جاء كتاب السلطان في السادس والعشرين من شعبان فيه إعادة ابن صصري إلى القضاء، وذلك بإشارة المنبجي، وفي الكتاب: إنا كنا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين بن تَيْمِيَّة، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس، وأَنَّه على مذهب السلف وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نسب إليه. ثمَّ جاء كتاب آخر في خامس رمضان يوم الاثنين وفيه الكشف عمَّا كَانَ وقع للشيخ تقي الدين بن تَيْمِيَّة في أيام جاغان، والقاضي إمام الدين القزويني، وأنَّ يحمل هو والقاضي ابن صصري إلى مصر. فتوجها على البريد نحو مصر، وخرج مع الشَّيْخ خلق من أصحابه وبكوا وخافوا عليه من أعدائه، وأشار عليه نائب السلطنة ابن الأفرم بترك الذهاب إلى مصر، وقال له: أنا أكتب السلطان في ذلك وأصلح القضايا. فامتنع الشَّيْخ من ذلك وذكر له أَنَّ في توجهه لمصر مصلحة كبيرة، ومصالح كثيرة. فلما توجَّه لمصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته، حتَّى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة، فيما بين دمشق والكسوة، وهم فيما بين بابل وحزین ومتفرِّج ومتنزَّه ومُزاحم مُتغالٍ فيه.

فلما كَانَ يوم السبت دخل الشَّيْخ تقي الدين غزة، فعمل في جامعها مجلسًا عظيمًا، ثمَّ دخلا معًا إلى القاهرة والقلوبُ معه وبه متعلِّقة. فدخلا مصر يوم الاثنين الثَّاني والعشرين من رمضان، وقيل إنَّهما دخلاها يوم الخميس.

فلما كَانَ يوم الجمعة بعد الصلاة عُقد للشيخ مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة. وأراد أن يتكلم على عادته، فلم يُمكن من البحث والكلام. وانتدب له الشمس ابن عدلان خصمًا احتسابًا، وادّعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنّه يقول: إنّ الله فوق العرش حقيقة، وأنّ الله يتكلم بحرف وصوت. فسأله القاضي جوابه. فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقبل له: أجب، ما جئنا بك لتخطب. فقال: ومنّ الحاكم فيّ؟ فقبل له: القاضي المالكي. فقال: له الشيخ كيف تحكم فيّ وأنت خصمي؟ فغضب غضبًا شديدًا، وانزعج، وأقيم مرسومًا عليه، وحُبس في بُرج أيامًا، ثم نُقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب، هو وأخواه شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن.

وأما ابن صصري فإنه جدد له توقيع بالقضاء بإشارة المنبجي شيخ الجاشنكير حاكم مصر. وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذي القعدة والقلوب له ماقته، والنفوس منه نافرة. وقرىء تقليده بالجامع. وبعده قرىء كتاب فيه الحطُّ على الشيخ تقي الدين ومخالفته في العقيدة، وأن ينادى بذلك في البلاد الشامية، وألزم أهل مذهبه بمخالفته. وكذلك وقع بمصر، قام عليه جاشنكير، وشيخه نصر المنبجي، وساعدهم جماعة كثيرة من الفقهاء والفقراء، وجرت فتن كثيرة منتشرة، نعوذ بالله من الفتن!

وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة، وذلك أن قاضيهما كان قليل العلم مُزجى البضاعة، وهو شرف الدين الحراني، فلذلك نال أصحابهم ما نالهم، وصارت حالهم حالهم. (٤٠ - ٣٨/١٤).

سنة (٧٠٦)

استهلت... والشيخ تقي الدين ابن تيمية مسجون بالجب من قلعة الجبل (٤٢/١٤).

... وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة... ووصل مع البريدي أيضًا كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين ابن الزملاكاني إلى القاهرة. فتوهم من ذلك، وخاف أصحابه عليه، بسبب انتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية. فتلطف به نائب السلطنة، ودارى عنه حتى أعفي من الحضور إلى مصر والله الحمد (٤٣/١٤).

وفي ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين سلار نائب مصر، القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء. فالقضاة: الشافعي والمالكي والحنفي، والفقهاء الباجي والجزري والنمراوي. وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من الحبس. فاشتراط بعض الحاضرين عليه شروطًا بذلك، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة، وأرسلوا إليه ليحضر ليتكلموا معه في ذلك، فامتنع من الحضور وصمم. وتكررت الرسل إليه ست مرّات، فصمم على عدم الحضور، ولم يلتفت إليهم، ولم يعدهم شيئًا، فطال عليهم المجلس. ففترقوا وانصرفوا غير مأجورين!! (٤٤/١٤).

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ تقي الدين من الحبس الذي يقال له الجب. فأرسل في طلبه، فجاء به، فقرأ على الناس. فجعل يشكر الشيخ ويثني عليه وعلى علمه وديانته وشجاعته وزهده. وقال: ما رأيت مثله. وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله، وأنه لم يقبل من أحد شيئًا لا من النفقات السلطانية ولا من الكسوة ولا

من الإدراجات ولا غيرها، ولا تدنّس بشيء من ذلك.

وفي هذا الشهر، يوم الخميس السابع والعشرين منه، طُلبَ أخو الشيخ تقي الدين: شرف الدين وزين الدين من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلّار. وحضر ابن مخلوف المالكي. وطال بينهم كلام كثير. فظهر شرف الدين بالحجة على القاضي المالكي بالنقل والدليل والمعرفة. وخطأه في مواضع ادّعى فيها دعاوى باطلة. وكان الكلام في مسألة العرش ومسألة الكلام، وفي مسألة النزول. (٤٥/١٤).

سنة (٧٠٧)

استهلت... والشيخ تقي الدين ابن تيمية معتقل في قلعة الجبل بمصر (٤٦/١٤).

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة بالشيخ تقي الدين ابن تيمية في دار الأوحدي من قلعة الجبل، وطال بينهما الكلام ثمّ تفرقا قبل الصلاة، والشيخ تقي الدين مصمم على عدم الخروج من السجن.

فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجنّ إليه، فلما خرج أقسم عليه ليأتينّ معه إلى دار سلّار، فاجتمع به بعض الفقهاء بدار سلّار وجرت بينهم بحوث كثيرة، ثمّ فرقت بينهم الصلاة، ثمّ اجتمعوا إلى المغرب وبات الشيخ تقي الدين عند سلّار، ثمّ اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميع النهار، ولم يحضر أحد من القضاة بل اجتمع من الفقهاء خلق كثير، أكثر من

كل يوم، منهم الفقيه نجم الدين بن الرفعة وعلاء الدين الباجي وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعز الدين النمراوي، وشمس الدين بن عدلان وجماعة من الفقهاء، وطلبوا القضاة فاعتذروا بأعذار، بعضهم بالمرض، وبعضهم بغيره، لمعرفتهم بما ابن تيمية منطوق عليه من العلوم والأدلة، وأن أحدا من الحاضرين لا يطيقه، فقبل عذرهم نائب السلطنة ولم يكلفهم الحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم أو بفصل المجلس على خير، وبات الشيخ عند نائب السلطنة. وجاء الأمير حسام الدين مهنا يريد أن يستصحب الشيخ تقي الدين معه إلى دمشق، فأشار سلار باقامة الشيخ بمصر عنده ليرى الناس فضله وعلمه، ويتنفع الناس به ويستغلوا عليه. وكتب الشيخ كتابا إلى الشام يتضمن ما وقع له من الأمور.

قال البرزالي: وفي شوال منها شكا الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين وكلموه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي، فعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال: لا يستغاث إلا الله، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به ويُسْتَفَع به إلى الله. فبعض الحاضرين قال ليس عليه في هذا شيء، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة، فقال القاضي: قد قلت له ما يقال لمثله.

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء إما أن يسير إلى دمشق أو الإسكندرية بشروط أو الحبس، فاختر الحبس، فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزما ما شرط، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبرا لخواطرم، فركب خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال ثم أرسلوا خلفه من الغد بريدا آخر، فردوه وحضر عند قاضي القضاة ابن جماعة وعنده جماعة

من الفقهاء، فقال له بعضهم: إِنَّ الدولة ما ترضى إِلَّا بالحبس، فقال القاضي: وفيه مصلحة له. واستتاب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أَنْ يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال: ما ثبت عليه شيء، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي فتحير، فلما رأى الشَّيْخ توقفهم في حبسه قال أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة. فقال نور الدين الزواوي: يكون في موضع يصلح لمثله. فقبل له: الدولة ما ترضى إِلَّا بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القضاة في المكان الَّذِي كَانَ فيه تقي الدين ابن بنت الأعزَّ حين سُجن، وأذن له أَنْ يكون عنده من يخدمه، وكان ذلك كله بإشارة نصر المنبجي لوجهته في الدولة، فانه كَانَ قد استحوذ على عقل الجاشنكير الَّذِي تسلطن فيما بعد، وغيره من الدولة، والسلطان مقهور معه.

واستمر الشَّيْخ في الحبس يُستفتى ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوي المشكلة الَّتِي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس، فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة. ثُمَّ عُقد للشَّيْخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله، ونزل الشَّيْخ بالقاهرة بدار ابن شقير، وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهاراً. (١٤ / ٤٧ - ٤٨).

سنة (٧٠٨)

استهلت... والشَّيْخ تقي الدين قد أُخرج من الحبس، والناس قد عكفوا عليه زيارة وتعلُّماً واستفتاءً وغير ذلك (١٤ / ٤٩).

سنة (٧٠٩)

وفي ليلة سلخ صفر توجه الشَّيْخ تقي الدين ابن تَيْمِيَّة من القاهرة

إلى الإسكندرية صحبة أمير مقدم، فأدخله دار السلطان وأنزله في برج منها فسيح متسع الأكفاف، فكان الناس يدخلون عليه ويستغلون في سائر العلوم، ثم كَانَ بعد ذلك يحضر الجمعيات ويعمل المواعيد على عادته في الجامع، وكان دخوله إلى الإسكندرية يوم الأحد، وبعد عشرة أيام وصل خبره إلى دمشق فحصل عليه تألم وخافوا عليه غائلة الجاشنكير وشيخه المنبجي، فتضاعف له الدعاء، وذلك أنهم لم يَمَكَّنُوا أحدًا من أصحابه أَنْ يخرج معه إلى الإسكندرية فضاقت له الصدور، وذلك أَنَّهُ تَمَكَّنَ منه عدوُّه نصر المنبجي. وكان سبب عداوته له أَنَّ الشَّيْخَ تقي الدين كَانَ ينال من الجاشنكير ومن شيخه نصر المنبجي، ويقول: زالت أيامه وانتهت رياسته، وقرب انقضاء أجله، ويتكلم فيهما وفي ابن عربي وأتباعه. فأرادوا أَنْ يسيِّروه إلى الإسكندرية كهيئة المنفي، لعل أحدًا من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة، فما زاد ذلك الناس إلا محبة فيه وقُرْبًا منه وانتفاعًا به واشتغالًا عليه، وحُسنًا وكرامة له.

وجاء كتاب من أخيه يقول فيه: إِنَّ الأخ الكريم قد نزل بالشعر المحروس على نية الرباط، فان أعداء الله قصدوا بذلك أمورًا يكيدونه بها ويكيدون الإسلام وأهله، وكانت تلك كرامة في حقنا، وظنوا أَنَّ ذلك يُوَدِّي إلى هلاك الشَّيْخِ فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة وانعكست من كل الوجوه، وأصبحوا وأمسوا وما زالوا عند الله وعند الناس العارفين سود الوجود يتقطعون حشراتٍ وندمًا على ما فعلوا، وانقلب أهل الشعر أجمعين إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له، وفي كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقرُّ به أعيُنُ المؤمنين، وذلك شجىً في حلوق الأعداء، واتفق أَنَّهُ وجد بالاسكندرية إبليس قد باض فيها وفرخ وأضل بها فرق السبعينية والعربية فمزق الله بقدمه عليهم

شملهم، وشتت جموعهم شَذَرَ مَذَرَ، وهتك أستارهم وفضحهم، واستتاب جماعة كثيرة منهم، وتَوَبَّ رئيسًا من رؤسائهم، واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم - من أمير وقاض وفقه، ومفتٍ وشيخ وجماعة المجتهدين، إلَّا من شَذَّ من الأعمار الجهال، مع الذلة والصغار - محبة الشيخ وتعظيمه وقبول كلامه والرجوع إلى أمره ونهيه، فَعَلَتْ كلمة الله بها على أعداء الله ورسوله، ولُعِنُوا سرًّا وجهرًا وباطنًا وظاهرًا، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم، وصار ذلك عند نصر المنبجي المقيم المقعد، ونزل به من الخوف والذل ما لا يعبر عنه، وذكر كلامًا كثيرًا.

والمقصود أَنَّ الشيخ تقي الدين أقام بثغر الإسكندرية ثمانية أشهر مقيمًا ببرج متسع مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة، وكان يدخل عليه من شاء، ويتردد إليه الأكابر والأعيان والفقهاء، يقرأون عليه ويستفيدون منه، وهو في أطيب عيش وأشرح صدر.

وفي آخر ربيع الأوَّل عزل الشيخ كمال الدين بن الزمِّلَكَاني عن نظر المارستان بسبب انتماؤه إلى ابن تيمية بإشارة المنبجي، وبأشره شمس الدين عبد القادر بن الخطيري. (٥٢/١٤ - ٥٢).

قال الشيخ علم الدين البرزالي: ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر لم يكن له دأب إلَّا طلب الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الإسكندرية معززًا مكرمًا مُبَجَّلًا، فوجه إليه في ثاني يوم من شوال بعد وصوله بيوم أو يومين، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر وخرج مع الشيخ خلق من الإسكندرية يودعون، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه وتلقاه ومشى إليه في مجلس حفل، فيه

قضاة المصريين والشاميين، وأصلح بينه وبينهم، ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند وكثير من الفقهاء والقضاة منهم من يعتذر إليه ويتصل مما وقع منه، فقال أنا حللت كل من آذاني.

قلت: وقد أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي بتفاصيل هذا المجلس وما وقع فيه من تعظيمه وإكرامه مما حصل له من الشكر والمدح من السلطان والحاضرين من الأمراء، وكذلك أخبرني بذلك قاضي القضاة منصور الدين الحنفي، ولكن أخبار ابن القلانسي أكثر تفصيلاً، وذلك أنه كَانَ إِذْ ذَاكَ قاضي العساكر، وكلاهما كَانَ حاضراً هذا المجلس، ذكر لي: أَنَّ السلطان لما قدم عليه الشيخ تقي الدين ابن تَيْمِيَّةَ نهض قائماً للشيخ أول ما رآه، ومشى له إلى طرف الإيوان واعتنقا هناك هنيئة، ثُمَّ أَخَذَهُ مَعَهُ سَاعَةً إِلَى طَبَقَةٍ فِيهَا شَبَاكٌ إِلَى بَسْتَانٍ فَجَلَسَا سَاعَةً يَتَحَدَّثَانِ، ثُمَّ جَاءَ وَيَدُ الشَّيْخِ فِي يَدِ السُّلْطَانِ، فَجَلَسَ السُّلْطَانُ وَعَنْ يَمِينِهِ ابْنُ جَمَاعَةَ قَاضِي مِصْرَ، وَعَنْ يَسَارِهِ ابْنُ الْخَلِيلِيِّ الْوَزِيرُ، وَتَحْتَهُ ابْنُ صِصْرِي، ثُمَّ صَدَرَ الدِّينُ عَلِيُّ الْحَنْفِيُّ، وَجَلَسَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ عَلَى طَرَفِ طَرَاخَتِهِ، وَتَكَلَّمَ الْوَزِيرُ فِي إِعَادَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِلَى لِبْسِ الْعِمَائِمِ الْبَيْضِ بِالْعَلَائِمِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ التَّزَمُوا لِلدِّيَّانِ بِسَبْعِ مِائَةِ أَلْفٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، زِيَادَةً عَلَى الْحَالِيَةِ، فَسَكَتَ النَّاسُ وَكَانَ فِيهِمْ قُضَاةُ مِصْرَ وَالشَّامِ وَكِبَارُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ مِنْ جَمَلَتِهِمْ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ. قَالَ ابْنُ الْقَلَانِسِيِّ: وَأَنَا فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ إِلَى جَنْبِ ابْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَلَا مِنَ الْقُضَاةِ، فَقَالَ لَهُمُ السُّلْطَانُ: مَا تَقُولُونَ؟ يَسْتَفْتِيهِمْ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، فَجَثَى الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَتَكَلَّمَ مَعَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ،

وردّ على الوزير ما قاله ردًّا عنيفًا، وجعل يرفع صوته والسلطان يتلافاه ويُسكته بترفق وتؤدة وتوقير. وبالعُ الشَّيخ في الكلام وقال مالا يستطيع أحد أن يقول بمثله، ولا بقريب منه، وبالعُ في التشنيع على من يوافق في ذلك. وقال للسلطان: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك تنصر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذا ذكر نعمة الله عليك إذ ردّ مُلكك إليك، وكبت عدوك ونصرك على أعدائك. فذكر أن الجاشنكير هو الذي جدد عليهم ذلك، فقال: والذي فعله الجاشنكير كان من مراسيمك لأنه إنَّما كان نائبًا لك. فأعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك، وجرت فصول يطول ذكرها.

وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين، ودينه وزينته^(١) وقيامه بالحق وشجاعته. وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوي بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضًا، وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحدًا منهم بسوء، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارًا. فقال الشيخ: من آذاني فهو في حلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتَّى حلم عنهم السلطان وصَفَحَ.

(١) كذا بالأصل.

قال: وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تَيْمِيَّةَ حَرَضْنَا عَلَيْهِ فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وعاد إلى بث العلم ونشره، وأقبلت الخلق عليه ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه ويجيبهم بالكتابة والقول، وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه فقال: قد جعلت الكل في حلّ، وبعث الشَّيْخَ كتابًا إلى أهله يذكر ما هو فيه من نعم الله وخيره الكثير، ويطلب منهم جملة من كتب العلم الَّتِي له ويستعينوا على ذلك بجمال الدين المزني، فإنه يدري كيف يستخرج له ما يريده من الكتب الَّتِي أشار إليها، وقال في هذا الكتاب: والحق كل ماله في علو وازدياد وانتصار، والباطل في انخفاض وسفول واضمحلال، وقد أذلَّ الله رقاب الخصوم، وطلب أكابرهم من السلم ما يطول وصفه، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الإسلام والسنة، وما فيه قمع الباطل والبدعة، وقد دخلوا تحت ذلك كله وامتنعنا من قبول ذلك منهم، حتَّى يظهر إلى الفعل، فلم نثق لهم بقول ولا عهد، ولم نجبهم إلى مطلوبهم حتَّى يصير المشروط معمولاً، والمذكور مفعولاً، ويظهر من عز الإسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات الَّتِي تمحو سيئاتهم، وذكر كلامًا طويلًا يتضمن ما جرى له مع السلطان في قمع اليهود والنصارى وذلهم، وتركهم على ما هم عليه من الذلة والصغار والله سبحانه أعلم. (٥٧/١٤-٥٧).

سنة (٧١٠)

استهلت... والشيخ تقي الدين بن تَيْمِيَّةَ مقيم بمصر معظمًا مكرَّمًا (٥٩/١٤).

سنة (٧١١)

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها... وقد انتقل الأفرم إلى نيابة طرابلس بإشارة ابن تيمية على السلطان بذلك. (٦٣-٦٢/١٤).

وفي هذا الشهر [جمادى الأولى] قرّر على دمشق ألف وخمس مئة فارس. ولكل فارس خمس مئة درهم، وضربت على الأملاك والأوقاف. قتّال الناس من ذلك تألماً عظيماً. وسعوا إلى الخطيب جلال الدين [القزويني] فسعى إلى القضاة، واجتمع الناس بكرة يوم الاثنين ثالث عشر الشهر، واحتفلوا بالإجماع، وأخرجوا معهم المصحف العثماني والأثر النبوي والسناجق الخليفة. ووقفوا في الموكب. فلما رأهم كراي [نائب السلطنة بدمشق] تغيّظ عليهم وشم القاضي والخطيب. وضرب مجد الدين التونسي، ورسم عليهم، ثم أطلقهم بضمان وكفالة قتّال الناس من ذلك كثيراً. فلم يمهل الله إلا عشرة أيام، فجاءه الأمر فجأة فعزل، وحُبس. ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً. ويقال إنّ الشيخ تقي الدين بلغه ذلك الخبر عن أهل الشام فأخبر السلطان بذلك فبعث من فوره فمسكه شرّ مسكة... (البداية ١٤/٦٤).

سنة (٧١٢)

وفي ثامن شوال دقت البشائر بدمشق بسبب خروج السلطان من مصر لأجل ملاقات التتر، وخرج الركب في نصف شوال وأميرهم حسام الدين لاجين الصغير، الذي كان والي البر، وقدمت العساكر المصرية أرسالاً، وكان قدوم السلطان ودخوله دمشق ثالث عشرين شوال، واحتفل الناس لدخوله ونزل القلعة وزينت البلد وضربت البشائر، ثم انتقل بعد ليلتذ إلى القصر وصلى الجمعة بالجامع بالمقصورة وخلع على الخطيب،

وجلس في دار العدل يوم الاثنين، وقدم وزيره أمين الملك يوم الثلاثاء عشري الشهر، وقدم صحبة السلطان الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية إلى دمشق يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة وكانت غيبته عنها سبع سنين، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه وسُرُّوا بقدومه وعافيته ورؤيته، واستبشروا به حتى خرج خلق من النساء أيضًا لرؤيته. وقد كَانَ السلطان صحبه معه من مصر فخرج معه بنية الغزاة، فلما تحقق عدم الغزاة وأن التتر رجعوا إلى بلادهم فارق الجيش من غزة وزار القدس وأقام به أيامًا، ثم سافر على عجلون وبلاد السواد وزُرْع، ووصل دمشق في أول يوم من ذي القعدة، فدخلها فوجد السلطان قد توجه إلى الحجاز الشريف في أربعين أميرًا من خواصه يوم الخميس ثاني ذي القعدة، ثم إِنَّ الشَّيْخ بعد وصوله إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازمًا لاشغال الناس في سائر العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة والاجتهاد في الأحكام الشرعية، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم، وله اختيارات كثيرة مجلدات عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقول الصَّحابة والسلف (٦٩/١٤).

سنة (٧١٤)

وفي المحرم استحضر السلطان إلى بين يديه: الفقيه نور الدين عليّ البكري، وهم بقتله، وشفع فيه الأمراء، فنفاه، ومنعه من الكلام في الفتوى والعلم، وكان قد هرب لما طلب من جهة الشَّيْخ تقي الدين ابن تيمية فهرب واختفى، وشُفِع فيه أيضًا... (٧٢/١٤).

[وفيها] توفيت الشیخة الصالحة... أم زینب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح... (وذكر من فضلها)، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية فاستفادت منه...

وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يُثني عليها، ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيرًا من «المغني» أو أكثره وأَنَّ كَانَ يستعدُّ لها من كثرة مسائلها، وحُسن سؤالاتها وسرعة فهمها. (٧٥-٧٤/١٤).

سنة (٧١٥)

[توفي فيها] الحكيم الفاضل البارع بهاء الدين عبد السيد الطيب... أسلم على يدي شيخ الإسلام ابن تيمية، لما بين له بطلان دينهم وما هم عليه، وما بذلوه من كتابهم وحرّفوه من الكلم عن مواضعه -رحمه الله- (٧٨-٧٧/٤).

سنة (٧١٦)

توفي الشيخ الصدر بن الوكيل، وهو العلامة أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام مفتي المسلمين زين الدين عمر بن مكي بن عبد الصمد المعروف بابن المرحل وبابن الوكيل، شيخ الشافعية في زمانه... وكان ينصب العداوة للشيخ ابن تيمية، ويُناظره في كثير من المحافل والمجالس. وكان يعترف للشيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة ويُثني عليه، ولكنه كَانَ يجاحف عن مذهبه وناحيته وهواه، ويُنافح عن طائفته. وقد كَانَ شيخ الإسلام ابن تيمية يثني عليه وعلى علومه وفضائله، ويشهد له بالإسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة، وكان يقول: كَانَ مخلطًا على

نفسه، متبعًا مراد الشيطان منه، يميل إلى الشهوة والمحاضرة...
(٨٣/١٤).

... [وتوفيت] الشيخة الصالحة ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرّانية، والدّة الشَّيْخ تقيّ الدين ابن تَيْمِيَّة. عمرت فوق السبعين سنة. ولم ترزق بنتًا قط. توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال ودُفنت بالصوفية، وحضر جنازتها خلق كثير وحجّمٌ غفير. رحمها الله (٨١/١٤).
سنة (٧١٧)

في صفر شُرِع في عمارة الجامع الَّذِي أنشأه ملك الأمراء تنكز نائب الشَّام ظاهر باب النصر تجاه حكر السَّمّاق، على نهر بانياس بدمشق. وتردّد القضاة والعلماء في تحرير قبلته، فاستقرّ الحال في أمرها على ما قاله الشَّيْخ تقيّ الدين ابن تَيْمِيَّة في يوم الأحد الخامس والعشرين منه، وشرعوا في بنائه بأمر السلطان ومساعدته لنائبه في ذلك (٨٣/١٤).

وفي التاسع عشر منه [شوال] درّس ابن الرَّمْلَكَاني بالعدراوية عوضًا عن ابن سلام. وفيه درّس الشَّيْخ شرف الدين ابن تَيْمِيَّة بالحنبلية عن إذن أخيه له بذلك بعد وفاة أخيهما لأُمهما بدر الدين قاسم بن محمّد بن خالد. ثمّ سافر الشَّيْخ شرف الدين إلى الحج. وحضر الشَّيْخ تقيّ الدين الدرس بنفسه، وحضر عنده خلق كثير من الأعيان وغيرهم حتّى عاد أخوه، وبعد عوده أيضًا. (٨٥/١٤).

وفي ذي القعدة يوم الأحد درس بالصمصامية... الفقيه نور الدين علي بن عبدالبصير المالكي، وحضر عنده القضاة والأعيان وممن حضر عنده الشَّيْخ تقيّ الدين ابن تيمية وكان يعرفه من اسكندرية. (٨٥/١٤).

سنة (٧١٨)

قال الشيخ علم الدين: وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ الامام العلامة تقي الدين ابن تيمية، وأشار عليه في ترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق، فقبل الشيخ نصيحته، وأجاب إلى ما أشار به، رعاية لخاطره وخواطر الجماعة المفتين.

ثم ورد البريد في مستهل جمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدين من الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق. وانعقد بذلك مجلس. وانفصل الحال على ما رسم به السلطان. ونودي به في البلد.

وكان قبل قدوم المرسوم قد اجتمع بالقاضي ابن مسلم الحنبلي جماعة من المفتين الكبار، وقالوا له أن ينصح الشيخ في ترك الإفتاء في مسألة الطلاق، فعلم الشيخ نصيحته، وأنه إنما قصد بذلك ترك ثوران فتنة وشر. (٨٩/١٤).

سنة (٧١٩)

ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان اجتمع القضاة وأعيان الفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة، وقرئ عليهم كتاب من السلطان يتضمن منع الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الفتيا بمسألة الطلاق. وانفصل المجلس على تأكيد المنع من ذلك (٩٦/١٤).

سنة (٧٢٠)

وفي يوم الخميس ثاني عشري رجب عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقي الدين ابن تيمية بحضرة نائب السلطنة، وحضر فيه القضاة

والمفتون من المذاهب. وحضر الشيخ، وعاتبوه على العود إلى الإفتاء بمسألة الطلاق. ثم حُبس في القلعة، فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا. ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين كما سيأتي إن شاء الله تعالى. (١٤/١٠٠).

سنة (٧٢١)

وفي يوم عاشوراء خرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية من القلعة بمرسوم السلطان وتوجه إلى داره. وكانت مدة إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا. - رحمه الله -. (١٤/١٠١).

سنة (٧٢٥)

وفي ربيع الأول منع شهاب الدين بن مري البعلبكي من الكلام على الناس بمصر على طريقة الشيخ تقي الدين ابن تيمية وعزره القاضي المالكي بسبب الاستغاثة. (١٤/١٢١).

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر شوال درس الشيخ شمس الدين ابن الأصبهاني بالرواحية بعد ذهاب ابن الزمكاني إلى حلب. وحضر عنده القضاة والأعيان. وكان فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية. وجرى يومئذ بحث في العام إذا خُصّ، وفي الاستثناء بعد النفي، ووقع انتشار وطال الكلام في ذلك المجلس. وتكلم الشيخ تقي الدين كلامًا أبهت الحاضرين. (١٤/١٢٢).

سنة (٧٢٦)

وفي يوم الثلاثاء حادي عشري ربيع الأول بكرة ضربت عنق ناصر ابن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيثي بسوق الخيل على كفره

واستهانته واستهتاره بآيات الله وصحبته الزنادقة كالنجم ابن خلكان، والشمس محمد الباجريقي وابن المعمار البغدادي، وكل فيهم انحلال وزندقة، مشهور بها بين الناس...

قلت: وقد شهدت قتله. وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضراً يومئذ. وقد أتاه وقرّعه على ما كان يصدر منه قبل قتله، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك. (١٤ / ١٢٧).

قال البرزالي: وفي يوم الاثنين عند العصر سادس شعبان اعتقل الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية بقلعة دمشق. حضر إليه من جهة نائب السلطنة تنكز مشد الأوقاف، وابن الخطيري أحد الحجاب بدمشق، وأخبراه أن مرسوم السلطان [الملك الناصر] ورد بذلك وأحضرا معهما مركوباً ليركبه، فأظهر السرور والفرح بذلك، وقال أنا كنتُ منتظراً لذلك، وهذا فيه خيرٌ كثير ومصلحة كبيرة. وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة، وأُخليت له قاعة، وأجري إليها الماء، ورُسم له بالإقامة فيها. وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان، ورُسم له ما يقوم بكفائته.

قال البرزالي: وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قريء بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا. وهذه الواقعة سببها فتيا وُجدت بخطه في السفر، وإعمال المطي إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم - الصلاة والسلام -، وقبور الصالحين.

قال: وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر قاضي القضاة الشافعي في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم. وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه، فيما تقتضيه الشريعة في

أمرهم. وعزّر جماعة منهم على دوابّ، ونودي عليهم، ثمّ أطلقوا. سوى شمس الدين محمّد ابن قَيم الجوزية فإنه حُبس بالقلعة. وسكنت القضية. (١٤ / ١٢٧ - ١٢٨).

وفي يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة درّس بالحنبلية برهان الدين أحمد بن هلال الزرعي الحنبلي، بدلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وحضر عنده القاضي الشافعيّ وجماعة من الفقهاء وشق ذلك على كثير من أصحاب الشيخ تقي الدين، وكان ابن الخطيري الحاجب قد دخل على الشيخ تقي الدين قبل هذا اليوم فاجتمع به وسأله عن أشياء بأمر نائب السلطنة. ثمّ يوم الخميس دخل القاضي جمال الدين بن جملة وناصر الدين مشد الأوقاف، وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة، فكتب ذلك في درج وكتب تحته قاضي الشافعيه بدمشق: قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية إلى أن قال: وإنما المحزن جعله زيارة قبر النبي ﷺ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالإجماع مقطوعاً [بها].

فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الإسلام، فإنّ جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذكر قولين في شدّ الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور: زيارة القبور من غير شدّ رحل إليها مسألة، وشدّ الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شدّ رحل، بل يستحبّها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة في هذه الوجه في الفتيا، ولا قال إنّها معصية، ولا حكى الإجماع على المنع منها، ولا هو جاهل قول الرسول ﷺ «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ولا يخفى عليه خافية،

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٧) . (١٢٨/١٤ - ١٢٩) .

سنة (٧٢٧)

[توفي فيها] الشيخ كمال الدين ابن الزمِّلَكَاني... وله مجلّد في الرد على الشيخ تقي الدين ابن تَيْمِيَّة في مسألة الطلاق... وكان من نيته الخبيثة إذا رجع إلى الشَّام متولِّيًا: أن يؤذي شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، فدعا عليه، فلم يبلغ أمله ومراده، فتوفي... (١٣٧/١٤) .

سنة (٧٢٨)

(وفاة شيخ الإسلام أبي العبَّاس تقي الدين أحمد ابن تَيْمِيَّة قدس الله روحه) .

قال الشيخ علم الدين البرزالي في «تاريخه»: وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الإمام العالم العَلَم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العبَّاس أحمد ابن شيخنا الامام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم محمَّد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تَيْمِيَّة الحَرَّاني ثمَّ الدَّمشقي، بقلعة دمشق بالقاعة التي كَانَ محبوسًا بها، وحضر جمعٌ كثير إلى القلعة، وأُذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل،، وقرأوا القرآن وتبركوا برويته وتقبيله، ثمَّ انصرفوا، ثمَّ حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك، ثمَّ انصرفن، واقتصرن على من يغسله، فلما فرغ من غسله أُخرج. ثمَّ اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع، وامتأل الجامع

أيضاً وصحنته والكلاسة وبابُ البريد وبابُ الساعات إلى باب اللبّادين والفوّارة، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك، ووضعت في الجامع، والجند قد احاطوا بها يحفظونها من النَّاس من شدة الزحام، وصُلِّي عليه أولاً بالقلعة، تقدم في الصلاة عليه أولاً الشَّيخ مُحَمَّد بن تمام، ثُمَّ صُلِّي عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر، وقد تضايف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره، ثُمَّ تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرُّحَابُ والأزِقَّةُ والأسواق بأهلها وَمَنْ فيها، ثُمَّ حُمِلَ بعد أن صُلِّي عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد، واشتدَّ الزحام، وعَلَّت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم، وذهبت التُّعَالُ من أرجل الناس وقباقيهم ومناديل وعمائم، لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدَّم وتارة يتأخر، وتارة يقف حتَّى تمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلّها، وهي شديدة الزحام، كل باب أشد زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدَّة الزحام فيها، لكن كَانَ معظم الزحام من الأبواب الأربعة: باب الفرج الَّذي أخرجت منه الجنازة، وباب الفرديس، وباب النصر، وباب الجابية. وعَظُم الأمرُ بسوق الخيل وتضايف الخلق وكثُر الناس، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصلاة هناك أخوه زين الدين عبدالرحمن، فلما قُضيت الصلاة حُمِلَ إلى مقبرة الصوفية فُدِّنَ إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله رحمهما الله.

وكان دفنه قبل العصر بيسير، وذلك من كثرة من يأتي ويصلي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم، وأغلق الناس

حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا مَنْ هو عاجز عن الحضور، مع الترحم والدعاء له، وأَنَّه لو قدر ما تخلف، وحضر نساء كثيرات بحيث حُزِرْنَ بخمسة عشر ألف امرأة، غير اللاتي كُنَّ على الأسطحة وغيرهن، الجميع يترحمن ويبكين عليه فيما قيل. وأما الرجال فحُزِرُوا بستين ألفاً إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف. وشرب جماعة الماء الذي فَضُلَ من غسله، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غُسل به، ودُفع في الخيط الذي كَانَ فيه الزئبق الذي كَانَ في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً، وقيل: إِنَّ الطاقة التي كانت على رأسه دُفع فيها خمس مئة درهم. وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير، وتضرع، وخُتِمَتْ له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد، وتردّد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون!! ورؤيت له منامات صالحة كثيرة، ورثاه جماعة بقصائد جمة.

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأوّل بحران سنة إحدى وستين وست مئة، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وابن عبد، والشيخ شمس الدين الحنبلي، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين ابن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب بن المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وأبي بكر الهروي، والكمال عبدالرحيم، والفخر عليّ، وابن شيان، والشرف ابن القواس، وزينب بنت مكّي، وخلق كثير سمع منهم الحديث وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث، وكتب الطّباق والأثبات، ولازم السماع بنفسه مدة سنين، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه، ثمّ اشتغل بالعلوم، وكان ذكياً كثير المحفوظ، فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به، عارفاً بالفقه،

فيقال إنه كَانَ أعرف بفقهِ المذاهب من أهلها الَّذِينَ كانوا في زمانه وغيره، وكان عالمًا باختلاف العلماء، عالمًا في الأصول والفروع والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم الثقلية والعقلية، وما قُطِع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذلك الفن فنه، ورآه عارفًا به متقنًا له، وأما الحديث فكان حامل رأيته حافظًا له مميّزًا بين صحيحه وسقيمِه، عارفًا برجاله، متضلّعًا من ذلك، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع، كمل منها جملة، وبيّضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها، وجملة كبيرة لم يُكْمَلها، وجملة كملها ولم تُبيّض إلى الآن. وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره، مثل القاضي الخويّ، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، والقاضي الحنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري، وابن الزمّلكاني وغيره. ووجدت بخط ابن الزمّلكاني أنّه قال: اجتمعت فيه شروطُ الاجتهاد على وجهها، وأنّ له اليد الطولى في حسن التّصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جَلَّتْ عن الحَضَرِ
هو حجةٌ لِلْهِ قَاهِرَةٌ هو بيننا أعجوبة الدهرِ
هو آيةٌ في الخلق ظاهرةٌ أنوارها أربّت على الفجرِ

وهذا الثناء عليه، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة. وكان بيني وبينه مودة وصحبة من الصغر، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة. وله فضائل كثيرة، وأسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبه مرات، وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضع،

وهذا الكتاب. ولما مات كنت غائبًا عن دمشق بطريق الحجاز، ثم بلغنا خبر موته بعد وفاته بأكثر من خمسين يومًا لما وصلنا إلى تبوك، وحصل التأسف لفقدته رحمه الله تعالى. هذا لفظه في هذا الموضع من «تاريخه».

ثم ذكر الشيخ علم الدين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبي بكر بن أبي داود وعظمها، وجنازة الامام أحمد ببغداد وشهرتها، وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: سمعت أبا عبد الرحمن الصوفي يقول: حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني، فلما بلغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا وقال: سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول: سمعتُ عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز. قال: ولا شك أنَّ جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقي الدين رحمه الله توفي ببلده دمشق، وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته، وانتهاوا إليها. هذا مع أنَّ الرَّجل مات بالقلعة محبوسًا من جهة السلطان، وكثير من الفقهاء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة، مما ينفر منها أهل الأديان، فضلًا عن أهل الإسلام، وهذه كانت جنازته.

قال: وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكور، فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها، وتكلم به الحراس على الأبرجة، فما أصبح الناس إلّا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه، حتّى من الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئًا،

ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة، وكان نائب السلطنة تنكز قد ذهب يتصيد في بعض الأمكنة، فحارت الدولة ماذا يصنعون، وجاء الصباح شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزاه فيه، وجلس عنده، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية، فجلسوا عنده ليكون ويشنون.

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه

وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي رحمه الله، وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته، وعلى رأسه عمامة بعذب مغروزة، وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه. وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبدالرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمةً وشرعا في الحادية والثمانين، فانتبهنا فيها إلى آخر اقتربت الساعة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾. [القمر/ ٥٤-٥٥]. فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عبدالله بن المحب، وعبدالله الزرعي الضرير - وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما - فابتدأ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى .

ثم شرعوا في غسل الشيخ، وخرجت إلى مسجد هُناك، ولم يدعوا عنده إلا مَنْ ساعد في غسله، منهم شيخنا الحافظ المزي وجماعة من كبار الصالحين الأخيار، أهل العلم والإيمان، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم، ثم ساروا به إلى

الجامع، فسلكوا طريق العمادية على العادلية الكبيرة، ثمَّ عطفوا على باب الناطفانيين، وذلك أنَّ سويقة باب البريد كانت قد هُدمت لتُصلح، ودخلوا بالجنائز إلى الجامع الأموي، والخلائق فيه بين يدي الجنائز وخلفها وعن يمينها وشمالها ما لا يحصي عدَّتْهم إلا الله تعالى، فصرخ صارخ وصاح صائح: هكذا تكون جنائز أئمة السُّنة! فتباكى الناس وضجَّوا عند سماع هذا الصارخ. ووُضع الشيخُ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف، بل مرصوصين رصًّا لا يتمكَّنُ أحدٌ من السجود إلَّا بكُلْفَةٍ، جُوءا الجامع وبرًا الأزقة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، ونوى خلقُ الصيام لأنهم لا يتفرغون في هذا اليوم لأكل ولا لشرب، وكثر الناسُ كثرةً لا تُحَدُّ ولا توصف. فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السُّدَّة خلاف العادة، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلَّى عليه إمامًا، وهو الشيخ علاء الدين الخراط، ثمَّ خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا، واجتمعوا بسوق الخيل، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية، والناس في بكاء وتهليل في مخافتة كل واحد بنفسه، وفي ثناء وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين وَيَقْلُنَ: هذا العالم.

وبالجملة كَانَ يومًا مشهودًا لم يُعهد مثله بدمشق إلَّا أَنْ يكون في زمن بني أُمَيَّة حين كَانَ الناس كثيرين. وكانت دار الخلافة. ثمَّ دُفن عند أخيه قريبًا من أذان العصر على التحديد، ولا يمكن أحدًا حصر مَنْ حضر الجنائز، وتقريب ذلك أَنَّهُ عبارة عمن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره، ولم يتخلف من الناس الا القليل من الصُّغار والمخدرات،

وما علمتُ أحدًا من أهل العلم إلاَّ النفر اليسير تخلف عن الحضور في جنازته، وهم ثلاث أنفس: وهم ابن جملة، والصدر، والقحفازي، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته من الناس خوفًا على أنفسهم، بحيث أنهم علموا متى خرجوا قُتلوا وأهلكهم الناس، وتردد شيخنا الإمام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الأيام الثلاثة، وكذلك جماعة من علماء الشافعية، وكان برهان الدين الفزاري يأتي راكبًا على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله.

وعُملت له ختمات كثيرة، ورؤيت له مناماتٌ صالحة عجيبة، ورثي بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدًا. وقد أفردت له تراجمٌ كثيرة، وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم، وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وكرمه ونصحه وزهاده وعبادته وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة وصفاته الكبار والصغار، التي احتوت على غالب العلوم ومفرداته في الاختيارات التي نصَّرها بالكتاب والسنة وأفتى بها.

وبالجملة؛ كَانَ رحمه الله من كبار العلماء وممن يخطيء ويصيب، ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطأه أيضًا مغفور له كما في «صحيح البخاري»: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» فهو مأجور. وقال الإمام مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلاَّ صاحب هذا القبر.

وسنفرد له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى. (١٤ / ١٤١ - ١٤٥).

العلامة / الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (٧٧٩)

- تذكرة النبيه في دولة المنصور وبنيه
- دُرّة الأسلاك في دولة الأتراك

تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ فِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ وَبَنِيهِ^(١)

وفي ذي القعدة منها؛ توفي شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين، أبي المحاسن عبدالحليم بن الشيخ مجد الدين، أبي البركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرّاني الحنبلي، عن سبع وستين سنة، بقلعة دمشق المحروسة معتقلاً، وشيّع جنازته خلق كثير أقلّ ما حُزروا بستين ألفاً، كان تغمّده الله برحمته سحاباً يسحب ذيله على الطالب والوافد، وعُباباً لا تكدره دلاء الصادر والوارد، وبحراً زاخراً في التّقلّيات، وحبراً متلفعاً بحبرات العقلّيات، وإماماً في معرفة الكتاب والسّنة، وهُماماً لا يميل إلى حلاوة من المنة، ذا ورع زائد، وزهد فرّعه في روض الرّضى مائد، وسخاء وشجاعة، وعزلة وقناعة، وتصانيف مشهورة، وفتاوى أعلامها منشورة، ومعارف موادّها وافية، وإعراض عن الدنيا بالجملة الكافية، لا يكثر بنصرتها وبهجة نضارها، ولا يلتفت إلى المنقوش من درهمها ودينارها، يصدع بالحقّ، ويتكلّم فيما جلّ ودقّ.

ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويثابر على إقامة الحقّ والحدّ، إن شكر وإن لم يشكر، اجتمعت فيه شروط الاجتهاد، وبلغ من اجتناء ثمر أفنان الفنون غاية المراد.

وكان من العلوم بحيث يُقضى له في كلّ علم بالجميع

(١) (١/١٨٥-١٨٨) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ورثاه جماعة، وقال الشيخ زين الدين عمر بن الوردي:

عَثَا فِي عَرْضِهِ قَوْمٌ سِلَاطُ	لَهُمْ مِنْ نَثْرِ جَوْهَرِهِ التَّقَاطُ
تَقِيُّ الدِّينِ أَحْمَدُ خَيْرُ حَبِرٍ	خُرُوقُ الْمَعْضَلَاتِ بِهِ تَخَاطُ
تَوْفِيٌّ وَهُوَ مَجْبُوسٌ فَرِيدٌ	وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الدُّنْيَا انْبِسَاطُ
وَلَوْ حَضَرُوهُ حِينَ قَضَى لَأَلْفَوْا	مَلَائِكَةَ النُّعِيمِ بِهِ أَحَاطُوا
فِي اللَّهِ مَاذَا ضَمَّ لِحَدٍّ	وَيَا اللَّهَ مَا غَطَى الْبَلَاطُ
هُمْ حَسَدُوهُ لَمَّا لَمْ يَنَالُوا	مُنَاقِبَهُ فَقَدْ مَكُرُوا وَشَاطُوا
وَكَانُوا عَنْ طَرَائِقِهِ كُسَالَى	وَلَكِنْ فِي أَذَاهُ لَهُمْ نَشَاطُ
وَحَبَسَ الدَّرَّ فِي الْأَصْدَافِ فَخِرَ	وَعِنْدَ الشَّيْخِ بِالسَّجَنِ اغْتِبَاطُ
بَالَ الْهَاشِمِيِّ لَهُ اقْتِدَاءُ	فَقَدْ ذَاقُوا الْمُنُونِ وَلَمْ يَوَاطُوا
إِمَامٌ لَا وِلَايَةَ كَانَ يَرْجُو	وَلَا وَقَفٌ عَلَيْهِ وَلَا رِبَاطُ
وَلَا جَارَاكُم فِي كَسْبِ مَالٍ	وَلَمْ يُعْهَدْ لَهُ بِكُمْ اخْتِلَاطُ
سَيَظْهَرُ قَصْدُكُمْ يَا حَابِسِيهِ	وَنِيَّتُكُمْ إِذَا نُصِبَ الصَّرَاطُ
فَهَاوٍ مَاتَ عَنْكُمْ وَاسْتَرَحْتُمْ	فَعَاطُوا مَا أَرَدْتُمْ أَنْ تُعَاطُوا
وَحَلُّوا وَاعْقَدُوا مِنْ غَيْرِ رَدٍّ	عَلَيْكُمْ وَانطَوَى ذَاكَ الْبَسَاطُ

من نظم الشيخ تقي الدين بن تيمية أبياتاً قالها في قوله ﷺ: «ثلاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ» الحديث:

عليك بخوف الله في السرِّ والجهر وبالقصد للإنفاق في العسر واليسر
وبالعدل إن تغضب وإن تك راضيًا فهن ثلاث منجيات من الشرِّ
وإياك والشُّح المطاع ولا تكن بمتَّبِع الأهوا فتراجع بالخسر
وعَدَّ عن الإعجاب بالنفس إنه ختام الثلاث المُهلكات لدى الحشر
وكتب الإمام العلامة كمال الدين محمد بن الزَّمَلَكاني على بعض
مصنَّفاته:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلَّت عن الحصرِ
هو حجةٌ لله قاهرةٌ هو بيننا أعجوبة العصرِ
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجرِ
وقال فيه الإمام أبو حَيَّان أبياتًا منها:

قام ابن تيمية في نصرِ شرعتنا مقام سيِّد تيمٍ إذ عصت مُضَر
فأظهر الحقَّ إذ آثاره درَسَتْ وأحمد الشرَّ إذ طارت له الشررُ
كنا نُحدِّث عن حبرٍ يجيء لنا أنت الإمام الذي قد كان يُنتظر
وقال الشيخ سعد الدين سعد الله بن عبدالأحد بن بُخَيْخِ الحرَّاني فيه
من أبيات:

سناك تقيِّ الدين أبهى وأنورُ وأشرق من شمسِ النهارِ وأشهرُ
ومجدك أسمى أن يُقاسَ بمثله وأعظمُ مما في النفوسِ وأكبرُ

وعرف ثناك المندلي له شذا
 وعلمك أقسام العلوم بأسرها
 وصبرك في ذات الإله على الأذى
 وأمرك بالمعروف طهر وقتنا
 فياليت علمي والمناقب جمّة
 وماذا عسى يثني عليك مبالغ
 فدم واثقا بالله معتصما به
 سليما من الآفات في ظل نعمة
 ألد من المسك الذكي وأعطر
 أدلته توهي الخصوم وتبهر
 أنالك ما ترجو وما تتخير
 فلم يبد في أياامك الغر منكر
 لأي سجايك الجميلة نشكر
 بمدح وهل يهدى إلى البحر جوهر
 وعاضدك الشرع الشريف المطهر
 من الله صافي وردها لا يكدر

دَرَّةُ الْأَسْلَاقِ فِي دَوْلَةِ الْأَتْرَاقِ^(١)

وفيهما توفي شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرّاني الحنبلي.

سحاب يسحب ذيله على الطالب والوافد، وعُباب لا تكدره دلاء الصّادر والوارد، وبحر زاخر في النقليات، وحبر ماهر في حفظ عقايل العقليّات، وإمام في معرفة الكتاب والسنة، وهمام لا يميل إلى حلاوة من المنة.

كان ذا ورع زائد، وزهد فرعه في روضة الرضى مائد.

وسخاءً وشجاعة، وعزلة وقناعة، وتصانيف مشهورة، وفتاوى أعلامها منشورة، ومعارف موادها وافية، وإعراض عن الدنيا بالجملة الكافية، لا يكثرث بنصرتها وبهجة نضارها، ولا يلتفت إلى المنقوش من درهمها ودينارها.

يصدع بالحق، ويتكلم فيما جلّ ودقّ، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويثابر على إقامة الحدود إن شكر وإن لم يشكر.

(١) (ق/ ١٣٠ - ١٣١ ب). نسخة ترخان والدة (٢٣٣) أنحفنا بصورة منها د/ عبد الرحمن العثيمين.

اجتمعت فيه شروط الاجتهاد، وبلغ من اجتناء ثمر أفنان الفنون غاية المراد.

وكان من العلوم بحيث يُقضى له في كُلِّ علمٍ بالجميع
من نظمه في قوله ﷺ: «ثلاثٌ مُنْجيات وثلاثٌ مُهْلِكَات» الحديث:
عليك بخوف الله في السرِّ والجهر وبالقصد للإنفاق في العسر واليسر
وبالعدل إن تغضب وإن تك راضيًا فهن ثلاث منجيات من الشرِّ
وإياك والشُّح المطاع ولا تكن بمتبع الأهوا فتراجع بالخسر
وعدُّ عن الإعجاب بالنفس إنه ختام الثلاث المهلكات لدى الحشر
كتب قاضي القضاة، كمال الدين أبو المعالي محمد بن الزمِّلَكَاني
على بعض مصنفاته:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلَّت عن الحصر
هو حجةٌ لله قاهرةٌ هو بينا أعجوبة العصر
هو آيةٌ للخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر
وفيه يقول العلامة أثير الدين أبو حيَّان الأندلسي من أبيات:

قام ابن تيمية في نصر شِرْعَتنا مقام سيد تيم إذ عصَّت مضرُّ
فأظهر الحقَّ إذ آثاره درَسَتْ وأحمد الشرَّ إذ طارت له الشرُّرُ
كنا نُحدِّث عن حبرٍ يجيء لنا أنت الإمام الذي قد كان يُنتظر

وفيه يقول الشيخ سعد الدين سعد الله بن عبدالأحد بن بختيار من أبيات:

سناك تقي الدين أبهى وأنور	وأشرق من شمس النهار وأشهر
ومجداك أسمى أن يقاس بمثله	وأعظم مما في النفوس وأكبر
وعزف ثناك المندلي له شذا	ألذ من المسك الذكي وأعطر
وعلمك أقسام العلوم بأسرها	أدلته توهي الخصوم وتبهر
وصبرك في ذات الإله على الأذى	أنالك ما ترجو وما تتخير
وأمرك بالمعروف طهر وقتنا	فلم يبد في أيامك الغر منكر
فياليت علمي والمناقب جمّة	لأي سجايك الجميلة نشكر
وماذا عسى يثني عليك مبالغ	بمدح وهل يُهدى إلى البحر جوهر
فدُم واثقا بالله معتصما به	وعاضدك الشرع الشريف المطهر
سليما من الآفات في ظل نعمة	من الله صافي عيشها لا يكدر
ورثاه الإمام زين الدين أبو حفص	عمر بن الوردى بقصيدة، منها:
عشا في عرضه قوم سلاط	لهم من نثر جوهره التقاط
تقي الدين أحمد خير حبر	خروق المعضلات به تخاط
توفي وهو محبوس فريد	وليس له إلى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا	ملائكة النعيم به أحاطوا

فيالله ماذا ضمَّ لحدِّ ويالله ما غطَّى البلاطُ
 هم حسدوه لَمَّا لم ينالوا مناقبه فقد مكروا وشاطوا
 وكانوا عن طرائقه كسالى ولكن في أذاه لهم نشاطُ
 وحبس الدُّر في الأصداف فخر وعند الشيخ بالسجن اغتباطُ
 بآل الهاشمي له اقتداء فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
 إمام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رِبَاطُ
 ولا جاراكم في كسب مالٍ ولم يُعهد له بكم اختلاطُ
 سيظهر قصدكم يا حابسيه ونيتكم إذا نُصب الصُّراطُ
 فهاهو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تُعاطوا
 وحلوا واعقدوا من غير ردِّ عليكم وانطوى ذاك البساطُ

وكانت وفاته بقلعة دمشق مُعْتَقَلًا، عن سبع وستين سنة، وشيع
 جنازته خلق كثير، أقل ما حزرُوا بستين ألفًا.

وهو من مشايخ والدي في الحديث، تغمَّده الله برحمته.

تُخْفَةُ النَّظَارِ فِي غَرَائِبِ الْأَمْصَارِ وَعَجَائِبِ الْأَسْفَارِ

المعروف بـ «رَحْلَةُ ابْنِ بَطُوطَةَ»^(١)

لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الطَّنْجِي

المعروف بابن بطوطة (٧٧٩)

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة: تقي الدين ابن تيمية، كبير الشأن، يتكلم في الفنون، إلا أن في عقله شيئاً! وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم، ويعظمهم على المنبر، وتكلم مرة بأمر أنكره الفقهاء، ورفعوه إلى الملك الناصر؛ فأمر بإشخاصه إلى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي^(٢)، وقال: إن هذا الرجل قال: كذا، وعدّد ما أنكر على ابن تيمية، وأحضر العقود بذلك، ووضعها بين يدي قاضي القضاة، وقال قاضي القضاة لابن تيمية: ماتقول؟ قال: لا إله إلا الله، فأعاد عليه فأجاب بمثل قوله، فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواماً، وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه «بالبحر المحيط» في نحو أربعين مجلداً.

(١) ٣١٦/١ - ٣١٧، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧، تحقيق عبدالهادي التازي، ذكر العلامة حمد الجاسر أن هذه الطبعة أفضل طبعات الكتاب، وله عليها بعض الملاحظات نشرها في جريدة الرياض.

(٢) جمال الدين وليس شرف الدين كما عند ابن بطوطة، والقصد إلى محمد بن سليمان بن يوسف البربري الزواوي المالكي. توفي في جمادى الآخرة سنة ٧١٧. الدرر الكامنة ٦٨/٤، الدارس في تاريخ المدارس ص ١٢ - ١٥.

ثم إن أمته تعرضت للملك الناصر وشكت إليه، فأمر بإطلاقه، إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية، وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا^(١)، ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال، ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته، وظهر على رأسه شاشية حرير، فأنكروا عليه لباسها، واحتملوه إلى دار عز الدين بن مُسلم قاضي الحنابلة، فأمر بسجنه وعزره بعد ذلك، فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره، ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين تنكيز - وكان من خيار الأمراء وصلحائهم - فكتب إلى الملك الناصر بذلك وكتب عقداً شرعياً على ابن تيمية بأمر منكرة منها: أن المطلق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه إلا طلاقة واحدة، ومنها: أن المسافر الذي ينوي سفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيباً لا يقصر الصلاة، وسوى ذلك مما يشبهه، وبعث العقد إلى الملك الناصر؛ فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة، فسُجنَ بها حتى مات في السجن.

* * *

(١) هذا بهتان عظيم، فابن بطوطة دخل دمشق في التاسع من رمضان سنة ٧٢٦، وكان شيخ الاسلام آنذاك في السجن، فكيف رآه يعظ الناس يوم الجمعة على المنبر؟ وقد كتب بعض العلماء في الرد على هذه الفرية، منهم: الشيخ محمد بهجة البيطار في مجلة «العالم الإسلامي» س ١: ج ٧-٨ (١٩٤٠) ص ٣٩٤ - ٣٩٩، والشيخ محمد راغب الطباخ في مجلة المجمع العلمي بدمشق مج ١٧: ج ٣-٤ (١٩٤٢) ص ١٣٢ - ١٣٤، والشيخ محمد عطاء الله الفوجياني في مجلة رحيق مج ٣ (١٩٥٩) ص ٥١١-٥١٨. وغيرهم.

الذيلُ على طبقاتِ الحَنَابِلَةِ^(١)

للعَلَّامة / زين الدين أبي الفرج عبدالرَّحمن بن أحمد
ابن رجب الحنبلي (٧٩٥)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر
بن محمَّد ابن تَيْمِيَّةَ الحَرَّاني، ثمَّ الدَّمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد
المحدِّث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. تقي الدين أبو العبَّاس،
شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تُغْنِي عن الإطناب في ذكره
والإسهاب في أمره.

ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأوَّل سنة إِحدى وستين وستمائة
بحران.

وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق، عند استيلاء التتر على البلاد،
سنة سبع وستين.

فسمع الشَّيْخ بها من ابن عبدالدايم، وابن أبي اليسر، وابن عبد،
والمجد ابن عساكر، ويحيى بن الصيرفي الفقيه، وأحمد بن أبي الخير
الحداد، والقاسم الإربلي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والمسلم
ابن علان، وإبراهيم بن الدرجي وخلق كثير.

(١) ٣٨٧/٢ - ٤٠٨ تحقيق محمد حامد الفقي.

وَعُنِيَ بالحديث. وسمع «المسند» مرات، والكتب الستة، ومُعْجَم الطَّبْرَانِيِّ الكبير، ومالا يُخْصَى من الكتب والأجزاء. وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره. فأخذ الفقه والأصول. عن والده، وعن الشَّيْخ شمس الدين بن أَبِي عمر، والشَّيْخ زين الدين بن المنجِّي. وبرع في ذلك، وناظر. وقرأ في العربية أيامًا على سليمان بن عبد القوي، ثمَّ أخذ كتاب سيوييه، فتأمله ففهمه. وأقبل على تفسير القرآن الكريم، فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، وردَّ على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل العشرين أيضًا، وأمدّه الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبُطْء النسيان، حتَّى قال غير واحد: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يحفظ شيئًا فينساه.

ثمَّ توفي والده الشَّيْخ شهاب الدين، المتقدم ذكره، وكان له حينئذٍ إحدى وعشرين^(١) سنة. فقام بوظائفه بعده، فدرس بدار الحديث السكرية في أول سنة ثلاث وثمانين وستمئة.

وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي، والشَّيْخ تاج الدين الفزاري، وزين الدين بن المرَّحَل. والشَّيْخ زين الدين بن المنجِّي، وجماعة، وذكر درسًا عظيمًا في البسملة. وهو مشهور بين الناس، وعظَّمه الجماعة الحاضرون، وأثنوا عليه ثناء كثيرًا.

قال الذَّهَبِيُّ: وكان الشَّيْخُ تاج الدين الفزاري يبالغ في تعظيمه الشَّيْخَ تقي الدين، بحيث إنَّه علَّق بخطه درسه بالسَّكْرِيَّة.

ثمَّ جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع، لتفسير القرآن العظيم، وشرع من أول القرآن. فكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر، وبقي يفسر في سورة نوح، عدة سنين أيام الجمع.

وفي سنة تسعين: ذكر على الكرسي يوم الجمعة شيئاً من الصفات، فقام بعض المخالفين، وسعوا في منعه من الجلوس، فلم يمكنهم ذلك.

وقال قاضي القضاة شهاب الدين الخُوَّيِّي: أنا على اعتقاد الشَّيْخ تقي الدين، فعوتب في ذلك. فقال: لأنَّ ذهنه صحيح، ومواده كثيرة. فهو لا يقول إلَّا الصحيح.

وقال الشَّيْخ شرف الدين المقدِّسي: أنا أرجو بركته ودعائه، وهو صاحبي، وأخي. ذكر ذلك البرزالي في «تاريخه».

وشرع الشَّيْخ في الجمع والتصنيف، من دون العشرين، ولم يزل في علوِّ وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره.

قال الذَّهَبِيُّ في «معجم شيوخه»^(١): أحمد بن عبد الحليم - وساق نسبه - الحرَّاني، ثمَّ الدَّمَشقي، الحنبلي أبو العبَّاس، تقي الدين، شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويراً

(١) لعله المعجم الكبير له، وهو غير المطبوع.

إلهيًّا، وكرمًا ونصحًا للأمة، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر. سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرج، ونظر في الرجال والطبقات، وحصل مالم يحصله غيره. وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال، وخاطر إلى مواقع الإشكال مبال، واستنبط منه أشياء لم يُسبق إليها. وبرع في الحديث وحفظه، فقلَّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث، معزِّوًا إلى أصوله وصحابه، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل. وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنَّه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده. وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، وتعليلاً واختلافاً. ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلِّمين، وردَّ عليهم، ونَبَّه على خطئهم، وحذَّر منهم ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين. وأوذى في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتَّى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكَبَت أعداءه، وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته، وأحى به الشَّام، بل والإسلام، بعد أن كَاد ينثلم، بتثبيت أولي الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي في خيلائهم، فظُنَّت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشْرَبَّ النفاق وأبدى صفحته. ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله، وأنَّه ما رأى مثل نفسه.

وقد قرأت بخط الشَّيخ العلامة شيخنا كمال الدين بن الزَّمْلَكَاني، ما كتبه سنة بضع وتسعين تحت اسم «ابن تَيْمِيَّة» كَان إِذَا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع: أنَّه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أنَّ

أحدًا لا يعرفه مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا منه في مذاهبهم أشياء، ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أو غيرها - إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

وقال الذهبي في «معجمه المختص»: كَانَ إمامًا متبحرًا في علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإدراك، سيال الفهم، كثير المحاسن، موصوفًا بفرط الشجاعة والكرم، فارغًا عن شهوات المأكَل والملبس والجماع، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه. والعمل بمقتضاه.

قلت^(١): وقد عرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين، ومشیخة الشيوخ، فلم يقبل شيئًا من ذلك. قرأت ذلك بخطه.

قال الذهبي ذكره أبو الفتح اليعمري الحافظ - يعني ابن سيد الناس - في جواب سؤالات أبي العباس ابن الدميّاطي الحافظ، فقال: أَلْفَيْتُهُ مِمَّنْ أَدْرَكَ مِنَ الْعُلُومِ حَظًّا. وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته. برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه.

وقد كتب الذهبي في «تاريخه الكبير»^(٢) للشيخ ترجمة مطولة، وقال

(١) القائل ابن رجب.

(٢) لعله يقصد «سير أعلام النبلاء» وترجمة الشيخ من «السير» ساقطة من المخطوط. وما في «ذيل تاريخ الاسلام» لايوافق النقل هنا.

فيها: وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه، الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجيب في استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

وقال: ولما كان معتقلاً بالإسكندرية التمس منه صاحب سبته أن يجيز لأولاده، فكتب لهم في ذلك نحواً من ست مئة سطر، منها سبعة أحاديث بأسانيدها، والكلام على صحتها ومعانيها، وبحث وعمل ما إذا نظر فيه المحدث خضع له في صناعة الحديث. وذكر أسانيده في عدة كتب. وثبته على العوالي. عمل ذلك كله من حفظه، من غير أن يكون عنده ثبّت أو من يراجعه.

ولقد كان عجيباً في معرفة علم الحديث. فأما حفظه متون الصحاح وغالب متون السنن والمسند: فما رأيت من يُدانيه في ذلك أصلاً.

قال: وأما التفسير فمسلم إليه. وله من استحضار الآيات من القرآن - وقت إقامة الدليل بها على المسألة - قوة عجيبة. وإذا رآه المقرئ تحير فيه. ولفرط إمامته في التفسير، وعظم اطلاعه، يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويوهي أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحداً، موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث. ويكتب في اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصولين، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل: نحواً من أربعة كرايس أو أزيد.

قلت: وقد كتب «الحموية» في قعدة واحدة. وهي أزيد من ذلك.

وكتب في بعض الأحيان في اليوم ما يبيض منه مجلد.

وكان رحمه الله فريد دهره في فهم القرآن، ومعرفة حقائق الإيمان. وله يد طولى في الكلام على المعارف والأحوال، والتميز بين صحيح ذلك وسقيمه، ومعوجه وقويمه.

وقد كتب ابن الزمِّلَكَاني بخطه على كتاب «إبطال التحليل» للشيخ ترجمة الكتاب واسم الشيخ، وترجم له ترجمة عظيمة، وأثنى عليه ثناء عظيما.

وكتب أيضًا تحت ذلك:

ماذا يقولُ الواصفونَ له وصفاته جَلَّتْ عن الحصر
هو حَجَّةُ الله قَاهِرَةٌ هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آيةٌ للخلقِ ظَاهِرَةٌ أنوارها أربثُ على الفجرِ

وللشيخ أثير الدين أبي حيان الأندلسي النحوي - لما دخل الشيخ مصر واجتمع به - ويقال: إِنَّ أبا حيان لم يقل أبياتًا خيرًا منها ولا أفحل:

لَمَّا رَأَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرْدٌ مَالَهُ وَزَرُ
عَلَى مُحَيَّاهُ مِنْ سَيِّمَاتِ الْأُولَى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ الْقَمَرُ
حَبْرٌ تَسْرُبَلُ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَازَفُ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدَّرَرُ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَضْرِ شَرَعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُ
فَظَهَرَ الدِّينَ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشَّرَّ إِذْ طَارَتْ لَهُ الشَّرَرُ

يامن تحدّث عن علم الكتاب أصحّ هذا الإمام الذي قد كان يُنتظر

وحكى الذهبي عن الشيخ: أنَّ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قال له - عند اجتماعه به وسماعه لكلامه -: ما كنت أظن أنَّ الله بقي يخلق مثلك.

وما وجد في كتاب كتبه العلامة قاضي القضاة أبو الحسن السبكي إلى الحافظ أبي عبدالله الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين المذكور: أما قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحرهِ، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف. والمملوك يقول ذلك دائماً. وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجلّ. مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق، والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى. وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان.

وكان الحافظ أبو الحجاج المزّي يبالغ في تعظيم الشيخ والثناء عليه، حتّى كان يقول: لم يُر مثله منذ أربعمئة سنة.

وبلغني من طريق صحيح عن ابن الزمّلكاني: أنَّه سئل عن الشيخ فقال: لم ير من خمسمئة سنة، أو أربعمئة سنة - الشك من الناقل. وغالب ظنه: أنَّه قال: من خمسمئة سنة - أحفظ منه.

وكذلك كان أخوه الشيخ شرف الدين يبالغ في تعظيمه جدّاً، وكذلك المشايخ العارفون، كالقدوة أبي عبدالله محمّد بن قوام. ويحكى عنه أنَّه كان يقول: ما أسلمت معارفنا إلّا على يد ابن تيمية.

والشيخ عماد الدين الواسطي كَانَ يعظمه جدًّا، وتلمذ له، مع أَنَّهُ كَانَ أَسَنَ مِنْهُ. وكان يقول: قد شَارَفَ مقام الأئمة الكبار، ويناسب قيامه في بعض الأمور قيام الصديقين.

وكتب رسالة إلى خواص أصحاب الشَّيْخ يوصيهم بتعظيمه واحترامه، ويعرِّفهم حقوقه، ويذكر فيها: أَنَّهُ طاف أعيان بلاد الإسلام، ولم ير فيها مثل الشَّيْخ علمًا وعملاً، وحالًا وخلقًا واتباعًا، وكرمًا وحلمًا في حق نفسه، وقيامًا في حق الله تعالى، عند انتهاك حرماته. وأقسم على ذلك بالله ثلاث مرات.

ثُمَّ قال: أَصْدَقُ النَّاسِ عَقْدًا، وَأَصْحَبُهُمْ عِلْمًا وَعِزْمًا، وَأَنْفَذَهُمْ وَأَعْلَاهُمْ فِي انتصار الحق وقيامه، وَأَسْخَاهُمْ كَفًّا، وَأَكْمَلَهُمْ اتِّبَاعًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إِلَّا هَذَا الرَّجُلَ، بحيث يشهد القلب الصحيح: أَنَّ هَذَا هُوَ الْإِتِّبَاعُ حَقِيقَةً.

ولكن كَانَ هُوَ وجماعة من خواص أصحابه ربما أنكروا من الشَّيْخ كلامه في بعض الأئمة الأكابر الأعيان، أو في أهل التخلي والانقطاع ونحو ذلك.

وكان الشَّيْخ رحمه الله لا يقصد بذلك إِلَّا الْخَيْرَ، والانتصار للحق إن شاء الله تعالى.

وطوائف من أئمة أهل الحديث وحفاظهم وفقهائهم: كانوا يحبون الشَّيْخ ويعظمونه، ولم يكونوا يحبون له التوغل مع أهل الكلام ولا الفلاسفة، كما هو طريق أئمة أهل الحديث المتقدمين، كالشافعي

وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم، وكذلك كثير من العلماء من الفقهاء والمحدثين والصالحين كرهوا له التفرد ببعض شذوذ المسائل التي أنكرها السلف على من شذ بها، حتى إن بعض قضاة العدل من أصحابنا منعه من الإفتاء ببعض ذلك.

قال الذهبي: وغالب حظُّه على الفضلاء والمتزهدة فبحق، وفي بعضه هو مجتهد، ومذهبه توسعة العذر للخلق، ولا يكفر أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه.

قال: ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبدَّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يُداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أذاه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمان الله.

فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله، فإنه دائم الابتهاال، كثير الاستغاثة والاستعانة به، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يُدمنها بكيفية وجمعية. وله من الطرف الآخر محبوبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته: فيها تضرب الأمثال، وبعضها يشبه أكابر الأبطال.

ولقد أقامه الله تعالى في نوبة قازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع، ودخل وخرج، واجتمع بالملك - يعني قازان - مرتين، وبَقَطْلوشاه، وبُولاي. وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجراءته على المغول.

وله حدة قوية تعتريه في البحث، حتَّى كأنه ليث حَرَب. وهو أكبر من أن ينه مثلي على نعوته. وفيه قلة مداراة، وعدم تَوَدَّة غَالِبًا، والله يغفر له. وله إقدام وشهامة، وقوة نفس توقعه في أمور صعبة، فيدفع الله عنه.

وله نظم قليل وسط. ولم يتزوج، ولا تسرَّى، ولا له من المعلوم إلا شَيْء قليل. وأخوه يقوم بمصالحه، ولا يطلب منهم غداء ولا عشاء في غالب الوقت.

وما رأيت في العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم، لا يذكره، ولا أظنه يدور في ذهنه، وفيه مروءة، وقيام مع أصحابه، وسعي في مصالحهم. وهو فقير لا مال له. وملبوسه كآحاد الفقهاء: فَرَجِيَّة، ودِلَق، وعمامة تكون قيمة ثلاثين درهماً، ومداس ضعيف الثمن. وشعره مقصوص.

وهو رُبَّ القامة، بعيد ما بين المنكبين، كأن عينيه لسانان ناطقان، ويصلي بالناس صلاة لا يكون أطول من ركوعها وسجودها. وربما قام لمن يجيء من سفر أو غاب عنه، وإذا جاء فربما يقومون له، الكل عنده سواء، كأنه فارغ من هذه الرسوم ولم ينحن لأحد قط، وإنما يسلم ويصافح ويتسم. وقد يعظم جلسه مرة، ويُهَيِّئُهُ في المحاورة مرات.

قلت: وقد سافر الشيخ مرة على البريد إلى الديار المصرية يستنفر السلطان عند مجيء التتر سنة من السنين، وتلا عليهم آيات الجهاد، وقال: إن تخليتم عن الشام ونصرة أهله والذّب عنهم، فإن الله تعالى يقيم لهم من ينصرهم غيركم، ويستبدل بكم سواكم. وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾.

وبلغ ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد - وكان هو القاضي حينئذ - فاستحسن ذلك، وأعجبه هذا الاستنباط، وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هذا الكلام.

وأما محن الشيخ: فكثيرة، وشرحها يطول جدًا.

وقد اعتقله مرة بعض نواب السلطان بالشام قليلاً؛ بسبب قيامه على نصراني سبّ الرسول ﷺ، واعتقل معه الشيخ زين الدين الفارقي، ثم أطلقهما مكرمين.

ولما صنف المسألة «الحموية» في الصفات: شنع بها جماعة، ونودي عليها في الأسواق على قصبة، وأن لا يستفتى، من جهة بعض القضاة الحنفية. ثم انتصر للشيخ بعض الولاة، ولم يكن في البلد حينئذ نائب، وضرب المنادي وبعض من معه، وسكن الأمر.

ثم امتحن سنة خمس وسبعمئة بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان، فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ، وسأله عن ذلك؛ فبعث الشيخ من أحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرأوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه، وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه

عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعاً، ومنهم من قاله كرهاً.

وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: إِنَّمَا قَصَدْنَا بَرَاءةَ سَاحَةِ الشَّيْخِ، وَتَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَصْرِيِّينَ دَبَرُوا الْحِيلَةَ فِي أَمْرِ الشَّيْخِ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْبَحْثُ مَعَهُ، وَلَكِنْ يَعْقَدُ لَهُ مَجْلِسٌ، وَيُدَّعَى عَلَيْهِ، وَتَقَامُ عَلَيْهِ الشَّهَادَاتُ. وَكَانَ الْقَائِمُونَ فِي ذَلِكَ مِنْهُمْ: بَيْبَرُ الْجَاشَنْكِيرِ، الَّذِي تَسَلَّطَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَنَصَرَ الْمَنْبِجِيَّ، وَابْنُ مَخْلُوفٍ قَاضِي الْمَالِكِيَّةِ، فَطُلِبَ الشَّيْخُ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَعُقِدَ لَهُ ثَانِي يَوْمَ وَصُولِهِ - وَهُوَ ثَانِي عَشْرِينَ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِمِائَةٍ - مَجْلِسٌ بِالْقَلْعَةِ، وَادُّعِيَ عَلَيْهِ عِنْدَ ابْنِ مَخْلُوفٍ قَاضِي الْمَالِكِيَّةِ، أَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ، وَأَنَّهُ يَشَارُ إِلَيْهِ بِالْإِشَارَةِ الْحَسِيَّةِ.

وَقَالَ الْمُدْعَى: أَطْلُبُ تَعْزِيرَهُ عَلَى ذَلِكَ، التَّعْزِيرَ الْبَلِيغَ - يُشِيرُ إِلَى الْقَتْلِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ - فَقَالَ الْقَاضِي: مَا تَقُولُ يَا فُقَيْهٍ؟ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَسْرِعْ مَا جِئْتَ لِتَخْطُبَ، فَقَالَ: أُمْنَعُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ الْقَاضِي: أَجِبْ، فَقَدْ حَمَدْتَ اللَّهَ تَعَالَى. فَسَكَتَ الشَّيْخُ، فَقَالَ: أَجِبْ. فَقَالَ الشَّيْخُ لَهُ: مَنْ هُوَ الْحَاكِمُ فِيَّ؟ فَأَشَارُوا: الْقَاضِي هُوَ الْحَاكِمُ، فَقَالَ الشَّيْخُ لِابْنِ مَخْلُوفٍ: أَنْتَ خَصْمِي، كَيْفَ تَحْكُمُ فِيَّ؟ وَغَضِبَ، وَمَرَّاهُ: أَنِّي وَإِيَّاكَ مُتَنَازِعَانِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ، فَكَيْفَ يَحْكُمُ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ عَلَى الْآخَرِ فِيهَا، فَأَقِيمَ الشَّيْخُ وَمَعَهُ أَخُوهُ، ثُمَّ رَدَّ الشَّيْخُ، وَقَالَ: رَضِيتُ أَنْ تَحْكُمَ فِيَّ، فَلَمْ يُمْكِنْ مِنَ الْجُلُوسِ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَخَاهُ الشَّيْخَ شَرَفَ الدِّينَ ابْتَهَلَ، وَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ خُرُوجِهِمْ، فَمَنْعَهُ الشَّيْخُ، وَقَالَ لَهُ: بَلْ قُلْ: اللَّهُمَّ هَبْ لَهُمْ نُورًا يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى الْحَقِّ.

ثمَّ حبسوا في بُرْجٍ أيَّامًا، ونقلوا إلى الجُبِّ ليلة عيد الفطر، ثمَّ بعث كتاب سلطاني إلى الشَّام بالحط على الشَّيخ، وإلزام الناس - خصوصًا أهل مذهبه - بالرجوع عن عقيدته، والتهديد بالعزل والحبس، ونودي بذلك في الجامع والأسواق، ثمَّ قرئ الكتاب بسُدَّة الجامع بعد الجمعة، وحصل أذى كثير للحنابلة بالقاهرة، وحبس بعضهم، وأخذ خطوط بعضهم بالرجوع. وكان قاضيهم الحرَّاني قليل العلم.

ثمَّ في سلخ رمضان سنة ست: أحضر سلاّر - نائب السلطان بمصر - القضاة والفقهاء، وتكلم في إخراج الشَّيخ، فاتفقوا على أنَّه يشترط عليه أمور، ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه من يحضره، وليتكلموا معه في ذلك، فلم يجب إلى الحضور، وتكرر الرسول إليه في ذلك ست مرات، وصمم على عدم الحضور، فطال عليهم المجلس، فانصرفوا من غير شيء.

ثمَّ في آخر هذه السنة وصل كتاب إلى نائب السلطنة بدمشق من الشَّيخ، فأخبر بذلك جماعة ممن حضر مجلسه، وأثنى عليه، وقال: ما رأيت مثله، ولا أشجع منه. وذكر ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله تعالى، وأنَّه لا يقبل شيئًا من الكسوة السلطانية، ولا من الإدراج السلطاني، ولا تدنس بشيء من ذلك.

ثمَّ في ربيع الأوَّل من سنة سبع وسبعمائة دخل مهنا بن عيسى أمير العرب إلى مصر، وحضر بنفسه إلى السجن، وأخرج الشَّيخ منه، بعد أن استأذن في ذلك، وعُقد للشَّيخ مجالس حضرها أكابر الفقهاء، وانفصلت على خير.

وذكر الذهبي والبرزالي وغيرهما: أنَّ الشَّيخ كتب لهم بخطه مجملًا

من القول وألفاظًا فيها بعض ما فيها، لما خاف وهُدِّد بالقتل، ثمَّ أُطلق وامتنع عن المجيء إلى دمشق. وأقام بالقاهرة يقرئ العلم، ويتكلم في الجوامع والمجالس العامة ويجتمع عليه خلق.

ثمَّ في شوال من السنة المذكورة: اجتمع جماعة كثيرة من الصوفية، وشكوا من الشَّيخ إلى الحاكم الشَّافعيّ، وعقد له مجلس لكلامه في ابن عربي وغيره، وادعى عليه ابن عطاء بأشياء، ولم يُثبت منها شيئًا، لكنه اعترف أنّه قال: لا يستغاث بالنبي ﷺ، استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به، فبعض الحاضرين قال: ليس في هذا شيء.

ورأى الحاكم ابن جماعة: أنّ هذا إساءة أدب، وعَنَّه على ذلك، فحضرت رسالة إلى القاضي: أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في ذلك، فقال القاضي: قد قلت له ما يقال لمثله.

ثمَّ إنّ الدولة خيروه بين أشياء، وهي الإقامة بدمشق، أو بالاسكندرية، بشروط، أو الحبس، فاختر الحبس. فدخل عليه أصحابه في السفر إلى دمشق، ملتزمًا ما شرط عليه، فأجابهم، فأركبوه خيل البريد، ثمَّ ردوه في الغد، وحضر عند القاضي بحضور جماعة من الفقهاء، فقال له بعضهم: ما ترضى الدولة إلّاّ بالحبس. فقال القاضي: وفيه مصلحة له، واستناب التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع، وقال: ما ثبت عليه شيءٌ، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي، فتحير، فقال الشَّيخ: أنا أمضي إلى الحبس، وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال الزواوي المذكور: فيكون في موضع يصلح لمثله، فقبل له: ما ترضى الدولة إلّاّ بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القاضي وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس،

وأذن أن يكون عنده من يخدمه . وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنبجي .

واستمر الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس ، ويزورونه ، وتأتيه الفتاوي المشككة من الأمراء وأعيان الناس .

وكان أصحابه يدخلون إليه أولاً سرّاً ، ثمّ شرعوا يتظاهرون بالدخول عليه ، فأخرجوه في سلطنة الششنكير الملقب بالمظفر ، إلى الإسكندرية على البريد ، وحبس فيها في برج حسن مضى متسع ، يدخل عليه من شاء ، ويمنع هو من شاء ، ويخرج إلى الحمام إذا شاء . وكان قد أخرج وحده ، وأرجف الأعداء بقتله وتفريقه غير مرة ، فضاقت بذلك صدور محبيه بالشام وغيره ، وكثر الدعاء له ، وبقي في الإسكندرية مدة سلطنة المظفر .

فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة وتمكن ، وأهلك المظفر ، وحمل شيخه نصر المنبجي ، واشتدت موجدة السلطان على القضاة لمداخلتهم المظفر ، وعزل بعضهم : بادر بإحضار الشيخ إلى القاهرة مكرماً في شوال سنة تسع وسبعمائة ، وأكرمه السلطان إكراماً زائداً ، وقام إليه ، وتلقاه في مجلس حفل ، فيه قضاة المصريين والشاميين ، والفقهاء وأعيان الدولة . وزاد في إكرامه عليهم ، وبقي يساره ويستشيره سويعة ، وأثنى عليه بحضورهم ثناء كثيراً ، وأصلح بينه وبينهم . ويقال : إنّه شاوره في أمرهم به في حق القضاة ، فصرفه عن ذلك ، وأثنى عليهم ، وأن ابن مخلوف كان يقول : ما رأينا أفتى من ابن تيمية ، سعيّا في دمه . فلما قدر علينا عفا عنا .

واجتمع بالسلطان مرة ثانية بعد أشهر ، وسكن الشيخ بالقاهرة ، والناس يترددون إليه ، والأمراء والجند ، وطائفة من الفقهاء ، ومنهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع .

قال الذهبي: وفي شعبان سنة إحدى عشرة: وصل النبأ أنَّ الفقيه البكري - أحد المبغضين للشيخ - استفرد بالشيخ بمصر، ووثب عليه، وبتش بأطواقه، وقال: احضر معي إلى الشرع، فلي عليك دعوى، فلما تكاثر الناس انملص، فطلب من جهة الدولة، فهرب واختفى.

وذكر غيره: أنَّه ثار بسبب ذلك فتنة، وأراد جماعة الانتصار من البكري فلم يمكنهم الشيخ من ذلك.

واتفق بعد مدة: أنَّ البكري همَّ السلطان بقتله، ثمَّ رسم بقطع لسانه؛ لكثرة فضوله وجراءته، ثمَّ شفَّع فيه، فنفي إلى الصعيد، ومنع من الفتوى بالكلام في العلم. وكان الشيخ في هذه المدة يقرئ العلم، ويجلس للناس في مجالس عامة.

قدم إلى الشام هو وإخوته سنة اثنتى عشرة بنية الجهاد، لما قدم السلطان لكشف التتر عن الشام. فخرج مع الجيش، وفارقهم من عسقلان، وزار البيت المقدس.

ثمَّ دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق سبع سنين، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسُرَّ الناس بمقدمه، واستمر على ما كان عليه أولاً، من إقراء العلم، وتدريسه بمدرسة السكرية، والحنبلية، وإفتاء الناس ونفعهم.

ثمَّ في سنة ثمان عشرة: ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير، وعُقد له مجلس بدار السعادة، ومنع من ذلك، ونودي به في البلد.

ثمَّ في سنة تسع عشرة عُقد له مجلس أيضًا كالمجلس الأوَّل،

وقرىء كتاب السلطان بمنعه من ذلك، وعوتب على فتياه بعد المنع، وانفصل المجلس على تأكيد المنع.

ثمَّ بعد مدة عُقد له مجلس ثالث بسبب ذلك، وعوتب وحبس بالقلعة. ثمَّ حبس لأجل ذلك مرة أخرى. ومنع بسببه من الفتيا مطلقاً، فأقام مدة يفتي بلسانه، ويقول: لا يسعني كتم العلم.

وفي آخر الأمر: دبروا عليه الحيلة في مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، وألزموه من ذلك التنقص بالأنبياء، وذلك كفر، وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء، وهم ثمانية عشر نفساً، رأسهم القاضي الأخنائي المالكي وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهرًا. وبها مات رحمه الله تعالى.

وقد بين رحمه الله: أنَّ ما حكم عليه باطل بإجماع المسلمين من وجوه كثيرة جدًا، وأفتى جماعة بأنه يخطئ في ذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم، ووافقه جماعة من علماء بغداد، وغيرهم. وكذلك ابنا أبي الوليد شيخ المالكية بدمشق أفتيا: أنَّه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلاً، وأنَّه نقل خلاف العلماء في المسألة، ورجح أحد القولين فيها.

وبقى مدة في القلعة يكتب العلم ويصنفه، ويرسل إلى أصحابه الرسائل، ويذكر ما فتح الله به عليه هذه المرة من العلوم العظيمة، والأحوال الجسيمة.

وقال: قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، كَان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، ثمَّ إِنَّهُ مُنِع من

الكتابة، ولم يُترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق، فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة والذكر.

قال شيخنا أبو عبدالله ابن القيم: سمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، ونور ضريحه، يقول: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مِنْ لَمْ يَدْخُلَهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ. قال: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جئتني وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي، لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان في حبسه في القلعة يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة - أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير - ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده، وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله.

وقال مرة: المحبوس من حُبِسَ قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة، وصار داخل سورها نظر إليه، وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَمْ يَأْتِ بِأَطْنَمٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

قال شيخنا: وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كَانَ فِيهِ مِنَ الْحَبْسِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْإِرْجَافِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَطْيَبُ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا، وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا، وَأَسْرَهُمْ نَفْسًا، تَلُوحُ نَضْرَةُ النِّعَمِ عَلَى وَجْهِهِ وَكُنَّا إِذَا اشْتَدَّ بِنَا الْخَوْفَ وَسَاءَتْ بِنَا الظُّنُونُ، وَضَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ: أَتَيْنَاهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَرَاهُ، وَنَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَيَذْهَبُ عَنَّا ذَلِكَ كُلُّهُ، وَيَنْقَلِبُ انْشِرَاحًا وَقُوَّةً وَيَقِينًا وَطَمَآنِينَةً. فسبحان من أشهد

عباده جنته قبل لقائه! وفتح لهم أبوابها في دار العمل! فأتاهم من رَوْحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها اهـ.

وأما تصانيفه رحمه الله: فهي أشهر من أن تُذكر، وأعرف من أن تُنكر. سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار. قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحدًا حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعدِّ المعروف منها، ولا ذكرها.

ولنذكر نبذة من أسماء أعيان المصنفات الكبار: كتاب «الإيمان» مجلد، كتاب «الاستقامة» مجلدان، «جواب الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية» أربع مجلدات، كتاب «تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» في ست مجلدات كبار، كتاب «المحنة المصرية» مجلدان، «المسائل الاسكندرانية» مجلد، «الفتاوى المصرية» سبع مجلدات.

وكل هذه التصانيف ما عدا كتاب «الإيمان» كتبه وهو بمصر في مدة سبع سنين صنفها في السجن. وكتب معها أكثر من مائة لَفَّة ورق أيضًا، كتاب «درء تعارض العقل والنقل» أربع مجلدات كبار. والجواب عما أورده الشيخ كمال الدين ابن الشريشي على هذا الكتاب، نحو مجلد، كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» أربع مجلدات. «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» مجلدان. «شرح أول المحصل للرازي» مجلد. «شرح بضعة عشر مسألة من الأربعين للرازي» مجلدان. «الرد على المنطق» مجلد كبير. «الرد على البكرى في مسألة الاستغاثة» مجلد. «الرد على أهل كسروان الروافض» مجلدان. «الصفدية». «جواب من قال: إِنَّ معجزات الأنبياء قوى

نفسانية» مجلد. «الهلاونية» مجلد. «شرح عقيدة الأصبهاني» مجلد.
«شرح العمدة» للشيخ موفق الدين. كتب منه نحو أربع مجلدات.
«تعليقة على المحرر» في الفقه لجده عدة مجلدات. «الصارم المسلول
على شاتم الرسول» مجلد. «بيان الدليل على بطلان التحليل» مجلد.
«اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» مجلد.
«التحرير في مسألة حفير» مجلد. في مسألة من القسمة، كتبها اعتراضاً
على الخوي في حادثة حكم فيها. «الرد الكبير على من اعترض عليه
في مسألة الحلف بالطلاق» ثلاث مجلدات، كتاب «تحقيق الفرقان بين
التطليق والأيمان» مجلد كبير. «الرد على الأخنائي في مسألة الزيارة»
مجلد.

وأما القواعد المتوسطة والصغار وأجوبة الفتاوى: فلا يمكن الإحاطة
بها، لكثرتها وانتشارها وتفرقها. ومن أشهرها «الفرقان بين أولياء
الرَّحْمَن وأولياء الشيطان» مجلد لطيف. «الفرقان بين الحق والباطلان»
مجلد لطيف. «الفرقان بين الطلاق والأيمان» مجلد لطيف. «السياسة
الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» مجلد لطيف. «رفع الملام عن
الأئمة الأعلام» مجلد لطيف.

ذكر نبذة من مفرداته وغرائب

اختار ارتفاع الحدث بالمياه المتعصرة، كماء الورد ونحوه، واختار
جواز المسح على النعلين، والقدمين، وكل ما يحتاج في نزعه من
الرَّجُل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى، فإنه يجوز عنده المسح
عليه مع القدمين.

واختار أنَّ المسح على الخفين لا يتوقف مع الحاجة، كالمسافر

على البريد ونحوه، وفعل ذلك في ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد ويتوقف مع إمكان النزع وتيسره.

واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها.

واختار جواز التيمم لخشية فوات الوقت في حق غير المعذور، كمن أخر الصلاة عمدًا حتى تضايق وقتها. وكذا من خشي فوات الجمعة والعيدين وهو محدث. فأما من استيقظ أو ذكر في آخر وقت الصلاة: فإنه يتطهر بالماء ويصلي، لأن الوقت متسع في حقه.

واختار أنَّ المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال في البيت، أو شقَّ عليها النزول إلى الحمام وتكرره: أنها تتيمم وتصلي.

واختار أن لا حدَّ لأقلِّ الحيض ولا لأكثره، ولا لأقلِّ الطهر بين الحيضتين، ولا لسن الإياس من الحيض. وأنَّ ذلك راجع إلى ما تعرفه كل امرأة من نفسها، واختار أنَّ تارك الصلاة عمدًا: لا يجب عليه القضاء، ولا يشرع له، بل يكثر من النوافل، وأنَّ القصر يجوز في قصر السفر وطويله، وأنَّ سجود التلاوة لا يشترط له طهارة.

ذكر وفاته

مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثمَّ مرض بضعة وعشرين يومًا، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلَّا موته.

وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشري ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرس على الأبراج، فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أعلم به في منامه، وأصبح الناس، واجتمعوا حول القلعة حتَّى أهل الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين الَّتِي من شأنها أن تُفتح أوَّل النهار. وفتح باب القلعة.

وكان نائب السلطنة غائباً عن البلد، فجاء الصاحب إلى نائب القلعة، فعزاه به وجلس عنده، واجتمع عند الشَّيْخ في القلعة خلق كثير من أصحابه، ييكون ويشنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبدالرحمن: أَنَّهُ ختم هو والشَّيْخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين، فانتها إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾.

فشرع حينئذ الشَّيْخان الصالحان: عبدالله بن المحب الصالحي، والرُّزَّعِي الضَّرِير. وكان الشَّيْخ يحب قراءتهما - فابتدءا من سورة الرَّحْمَنِ حتَّى ختما القرآن. وخرج الرجال، ودخل النساء من أقارب الشَّيْخ، فشاهدوه ثمَّ خرجوا، واقتصروا على من يغسله، ويساعد على تغسيله، وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم، كالْمَزِّي وغيره، ولم يفرغ من غسله حتَّى امتلأت القلعة بالرجال وما حولها إلى الجامع، فصلى عليه بدركات القلعة: الزاهد القدوة محمَّد بن تمام. وضجَّ الناس حينئذ بالبكاء والثناء، وبالدعاء والترحم.

وأخرج الشَّيْخ إلى جامع دمشق في الساعة الرابعة أو نحوها. وكان قد امتلأ الجامع وصحنه، والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات إلى الميادين والفوارة. وكان الجمع أعظم من جمع الجمعة، ووضع الشَّيْخ

في موضع الجنائز، مما يلي المقصورة، والجند يحفظون الجنازة من الزحام، وجلس الناس على غير صفوف، بل مرصوصين، لا يتمكن أحد من الجلوس والسجود إلاً بكلفة. وكثر الناس كثرة لا توصف.

فلما أذن المؤذن الظهر أقيمت الصلاة على السدة، بخلاف العادة، وصلوا الظهر، ثم صلوا على الشيخ. وكان الإمام نائب الخطابة علاء الدين ابن الخراط لغية القزويني بالديار المصرية، ثم ساروا به، والناس في بكاء ودعاء وثناء، وتهليل وتأشيف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يدعين ويبكين أيضاً. وكان يوماً مشهوداً، لم يعهد بدمشق مثله، ولم يتخلف من أهل البلد وحواضره إلا القليل من الضعفاء والمخدرات، وصرخ صارخ: هكذا تكون جنائز أئمة أهل السنة. فبكى الناس بكاء كثيراً عند ذلك.

وأخرج من باب البريد، واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم، وصار النعش على الرؤوس، يتقدم تارة، ويتأخر أخرى. وخرج الناس من أبواب الجامع كلها وهي مزدحمة. ثم من أبواب المدينة كلها، لكن كَانَ الْمُعْظَم من باب الفرج، ومنه خرجت الجنازة، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل.

وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبدالرحمن.

ودفن وقت العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله بمقابر الصوفية، وحُزِر الرجال بستين ألفاً وأكثر، إلى مائتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألفاً، وظهر بذلك قول الإمام أحمد «بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز».

وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردد الناس إلى زيارة قبره إيامًا كثيرة، ليلاً ونهاراً، ورُئيت له منامات كثيرة صالحة. وورثاه خلق كثير من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى، وأقطار متباعدة، وتأسّف المسلمون لفقده. رضي الله عنه ورحمه، وغفر له.

وُصِّلِي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة، حتّى في اليمن والصين. وأخبر المسافرون: أنّه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم الجمعة «الصلاة على ترجمان القرآن».

وقد أفرد الحافظ أبو عبدالله بن عبدالهادي له ترجمة في مجلّدة، وكذلك أبو حفص عمر بن علي البزار البغدادي في كرايس. وإنما ذكرناها هنا على وجه الاختصار ما يليق بتراجم هذا الكتاب.

وقد حدّث الشيخ كثيراً. وسمع منه خلق من الحفاظ والأئمة من الحديث ومن تصانيفه، وخرّج له ابن الواني أربعين حديثاً حدّث بها.

ذيل التقييد لمعرفة رواة الشُّنن والمسانيد^(١)

لتقي الدين محمّد بن أحمد الفاسي (٨٣٢)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسّلام بن عبدالله بن أبي القاسم، واسمه الخضر بن محمّد بن الخضر بن عليّ بن عبدالله الحرّاني، ثمّ الدّمشقي، الشّيخ تقي الدين أبو العبّاس ابن الشّيخ شهاب الدين ابن الشّيخ مجد الدين، المعروف بابن تيّميّة.

سمع على أمين الدّين القاسم بن أبي بكر الإربلي «صحيح مسلم» وعلى الشّيخ تاج الدين الفزاري، وعلي بن بَلْبَان، ويوسف بن أبي نصر الشقاري^(٢) المجلدة الأولى من «صحيح البخاري» نسخة السّمساطية، والمجلدة الثانية منه، والمجلدة الثالثة، والمجلدة الرابعة، والسادسة بقراءة الصّفي العراقي سنة اثنتين وثمانين وستمائة.

وكان واسع المعرفة بالتفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربية، وغير ذلك، موصوفاً بالاجتهاد.

مات سنة ثمان وعشرين وسبع مئة مسجوناً بقلعة دمشق.

وسمع من ابن عبدالدّائم، وابن أبي اليسر، وغيرهم.

وحدّث، سمع منه الحافظان البرزالي، والذهبي.

(١) (٢/ ٧٢-٧٣) مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة (ط: ١)

١٤١٨، تحقيق محمد صالح المراد.

(٢) في بعض المصادر: «الشقاري».

التَّبَيَانُ لِبَدِيعَةِ الْبَيَانِ^(١)

للعلامة / محمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي (٨٤٢)

ثُمَّ فَتَى تَيْمِيَّةَ حَرَائِي ذَكَرَهُمْ كَلَامُهُ الْمَعَانِي

حَرَائِي: نسبة إلى حران مدينة مشهورة بين الموصل والشام والروم، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، قيل: سميت بهاران أخى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وهو والد لوط - عليه السلام - لأنه أول من بناها، ثُمَّ عُرِبَتْ فُقِيلَ: حران، وذكر قوم فيما حكاه ياقوت في «معجم البلدان»: أنها أول مدينة بنيت في الأرض بعد الطوفان، فُتِحَتْ فِي أَيَّامِ عُمَرَ - رضي الله عنه - على يدي عِيَاضِ بْنِ غَنْمِ بْنِ زَهْرٍ الْفَهْرِيِّ - رضي الله عنه - صُلْحًا فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ، وَنَزَلَهَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ - رضي الله عنهم، وخرج منها أئمة، ذكر غالبهم أبو عروبة الحَرَائِي فِي «تَارِيخِهِ»، وَكَذَلِكَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْحَرَائِي فِي «تَارِيخِهِ»، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَرَائِي.

وقولي: (ذَكَرَهُمْ) أَي: أَعْلَمَهُمْ، (وَالْمَعَانِي) جَمْعُ مَعْنَى، وَهُوَ مُرَادُ الْكَلَامِ، وَفِي الْحَاءِ وَالذَّالِ وَالْكَافِ^(٢): رَمَزَ وَفَاةَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْمَذْكُورِ بِلا خِلَافٍ.

(١) راجعنا نسختين من الكتاب، إحداهما عليها خط المؤلف، ميكروفيلم رقم (٧٩٨) بجامعة أم القرى، والثانية - وفيها زيادات - نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية برقم (٥٦١ - تاريخ) [ق/ ١٥١ - ١٥٢ ب].

(٢) يعني هذه الحروف في البيت المتقدم، وقيمتها العددية على حساب الجُمَّل = (٧٢٨) فالحاء = ٨، والذال = ٧٠٠ والكاف = ٢٠.

وهو: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن إبراهيم بن علي بن عبدالله الثُميري^(١) الحَرَاني ثم الدَّمشقي، أبو العبَّاس، ابن تَيْمِيَّة الإمام شيخ الإسلام أستاذ الحفاظ، علم الأئمة الأيقاظ، المنعوت بتقي الدين.

ذكر أبو عبدالله بن محمد بن النجار مؤرِّخ المحدثين في (تَيْمِيَّة) المعوَّل في شهرته عليها^(٢) أنَّ أمَّ جده محمد بن الخضر كانت واعظة تسمَّى تَيْمِيَّة، فنُسب إليها، وقيل: حجَّ جدُّه المذكور فمرَّ على درب تَيْمَاء المشهور، فخرج عليه من خباء جارية طفلة سنية، فلما رجع رأى زوجته، وكانت حاملاً قد وضعت بنتاً، فقال لها: يا تَيْمِيَّة يا تَيْمِيَّة! فلزمه هذا الاسم لقباً مذكوراً، وصار لذريته من بعده علماً مشهوراً، ومن زعم أنَّ أمهم من وادي التيم فقد تقوَّل، وليس بصحيح ما عليه عوَّل.

ولد أبو العبَّاس بحرَّان يوم الاثنين عاشر ربيع الأوَّل، وقيل: ثاني عشره، وعلى الأوَّل المعوَّل. سنة إحدى وستين وست مئتين، وأوَّل سماعه من ابن عبدالدَّائم في سنة سبع وستين، ثمَّ برع في التفسير والفقه وأصوله والعربية، ولم يصل عمره إلى العشرين.

ثمَّ سمع من خلق من الأعيان، منهم: إسماعيل بن أبي اليسر، ويحيى بن أبي منصور بن الصيرفي، والمسلم بن علان.

حدَّث عنه خلق منهم: الدَّهَبِيُّ والبرزالي وأبو الفتح ابن سيد النَّاس وحدثنا عنه جماعة من شيوخنا الأكياس.

(١) ووافقه على هذه النسبة العلامة: العدوي في كتابه «الزيارات»، انظره في هذه المجموعة.

(٢) كذا بالأصلين، والأولى: عليه.

وقال الذَّهَبِيُّ في عَدِّ مصَنَّفاته المَجُودَة: وما أُبعدَ أَنَّ تصانيفه إلى الآن تبلغ خمس مئة مجلدة، وأثنى عليه الذَّهَبِيُّ وخلق بثناء حميد، منهم: الشَّيْخُ عماد الدين الواسطي العارف، والعلامة تاج الدين عبدالرَّحمن الفزاري، وكمال الدين أبو المعالي محمَّد بن الزَّمَلْكَاني، وأبو الفتح ابن دقيق العيد، وحسبه من الثناء الجميل، قول أستاذ أئمة الجرح والتعديل: أَبِي الحجاج المَزِّي الحافظ الجليل، قال عنه: ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه.

وترجمه بالاجتهاد وبلوغ درجته، والتمكن في أنواع من العلوم وفنون: ابن الزَّمَلْكَاني، والذَّهَبِيُّ، والبرزالي، وابن عبدالهادي وآخرون. وقال الذَّهَبِيُّ - بعد أن أشار إلى بعض ما كَانَ فيه، وما كَانَ يحويه من العلوم ويدريه: وهو أعظم من أن تصفه كلمي، وَيُنبَّه على شَأْوه قلمي؛ فإنَّ سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل أن توضع في مجلدين.

وذكر وفاته في كتابه «الدول الإسلامية»، وقال: وشيَّعه خلق أقلّ ما حُزروا بستين ألفًا، ولم يخلف بعده من يقاربه في العلم والفضل. انتهى. وقيل: كَانَ من حضر جنازته أكثر من مئتي ألف إنسان، لأنَّ أهل دمشق حضروه إلَّا نفرًا قليلًا، ومن عجز عن الإتيان، وكان بين الحاضرين بكاءً عظيم، وتضرع إلى الله تعالى وأذكار. وتردد النَّاس إلى قبره بالصوفية الليل والنهار، ورُئِيََتْ له منامات حسنة خطيرة، ورثاه جماعة بقصائد كثيرة.

قال أبو عبدالرَّحمن السلمي: حضرت جنازة أَبِي الفتح القوَّاس الزاهد مع الشَّيْخ أَبِي الحسن الدارقطني، فلما بلغ إلى ذلك الجمع الكثير أقبل علينا فقال: سمعتُ أبا سهل بن زياد القطان يقول: سمعت ابن أحمد

ابن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز.

أنبأنا شيخنا الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن عبدالله السعدي قال: أنشدنا الحافظ الكبير أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الذَّهَبِيِّ لنفسه يرثي شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية -رحمة الله تعالى عليه-:

يا موتُ خُذْ من أردت أو فدع	مَحَوْتَ رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الإسلام وانفصمت	عُرَى التَّقَى فاشتفى أولوا البِدْعِ
غِيَّت بحرًا مفسرًا جبالًا	حبرًا تقيًا بجانب الشَّبعِ
فإن يحدث فمسلم ثقة	وإن يُناظر فصاحب «اللمع»
وإن يخض نحو سيبويه يُقَهْ ^(١)	بكلِّ معنى في الفنِّ مخترع
وصار عالي الإسناد حافظه	كشعبة أو سعيد الضبعي
والفقه فيه فكان مجتهدًا	وذا جهاد عارٍ من الجزع
وجوده الحاتمي مشتهر	وزهده القادري في الطمع ^(٢)
أسكنه الله في الجنان ولا	زال عليًا في أجمل الخَلَعِ
مع مالك والإمام أحمد والن	عمان والشافعي والخَلِيعِ ^(٣)
مضى ابن تيمية وموعده	مع خصمه يوم نفخة الفرع

(١) في نسخة: يُقَد.

(٢) كذا، وفي «العقود»: «الطبع».

(٣) في العقود: «النخعي».

العلامة أحمد بن علي المقرئزي (١٨٤٥)

- ١ - المقفّى الكبير
- ٢ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
- ٣ - السلوك لمعرفة دول الملوك

المقفى الكبير^(١)

ابن تيمية

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم [بن] محمد بن تيمية، تقي الدين، أبو العباس، المنعوت «شيخ الإسلام» ابن الإمام شهاب الدين أبي المحاسن، ابن العلامة مجد الدين أبي البركات، الحراني الأصل، الدمشقي المنشأ والدار والوفاة.

ولد بحرّان يوم الاثنين عاشر ربيع الأوّل سنة إحدى وستين وستّائة. وقدم مع والده وأهله دمشق في سنة سبع وستين وستّائة. وسمع من ابن عبد الدائم وطبقته. ثمّ طلب بنفسه قراءةً وسماعاً من خلق كثير، وقرأ بنفسه الكتب، وكتب الطّباق والأثبات، ولازم السّماع مدة سنين فبلغت شيوخه نحو [مئتي]^(٢) شيخ. واشتغل بالعلوم، وكان من أذكى الناس، كثير الحفظ، قليل النسيان، قلّما حفظ شيئاً فَنسيه، إلى أن صار إماماً في التفسير وعلوم القرآن، عارفاً بالفقه واختلاف [العلماء]، بارعاً في الأصولين، والنحو وما يتعلق به، واللغة، والمنطق، وعلم الهيئة، والجبر والمقابلة، وعلم الحساب، وعلم أهل الكتابين وأهل البدع، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، حتّى أنّه ما تكلم معه فاضل في فنّ من الفنون إلّا ظنّ أنّ ذلك الفنّ قُتِه. وصار حُفظةً

(١) (١/٤٥٤-٤٨٣) دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط: ١) ١٤١١.

(٢) في الأصل: مئة، والتصويب من المصادر.

للحديث، مُميّزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا برجاله وعلمه، مُتضلعًا من ذلك، مع التبخر في علم التاريخ.

ومات أبوه في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين بدمشق. وفي يوم الاثنين ثامن المحرم سنة ثلاث وثمانين، ذُكر الشيخ تقي الدين للدرس موضع والده، بدار الحديث من القضاة، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين، والشيخ تاج الدين الفزاري، وزين الدين ابن المرحّل، وزين الدين ابن المنجّي / وجماعة. وفي يوم الجمعة عاشر صفر، جلس بجامع دمشق على المنبر لتفسير القرآن الكريم مكان والده، وابتدأ من أول الفاتحة.

وفي يوم الجمعة رابع شهر ربيع الآخر سنة تسعين وستمئة، ذكر على كرسيه شيئًا من الصفات، فشنع عليه نور الدين بن مصعب، وساعده الفقير المعتقد نجم الدين محمد الحريري، وصدر الدين ابن الوكيل، وجماعة. ومَشَوْا إلى الشيخين شرف الدين المقدسي وزين الدين الفارقاني، ومنعوه من الجلوس فلم يمتنع، وجلس في الجمعة الثانية. وقال قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد الخويّ حاكم دمشق: أنا على عقيدة الشيخ تقي الدين فعوتب على ذلك. فقال: لأنّ ذهنه صحيح، ومواده كثيرة، فلا يقول إلّا الصحيح.

ثم إنَّ القاضي شرف الدين المقدسي قال: أنا أرجو بركته ودُعاءه، وهو صاحبي وأخي.

واجتمع به وجيه الدين ابن المنجّي، وزين الدين الخطيب، فتبرأ من القضية، وعتب ولده صدر الدين، فسكن الأمر بعد ذلك.

وتوجه إلى الحج في سنة اثنتين وتسعين وعاد. فلما كان في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين، دخل هو والشيخ زين الدين الفارقي إلى الأمير عز الدين أيك الحموي نائب دمشق وكلماه في أمر النصراني الذي سب النبي ﷺ، فأجابهما إلى إحضاره، وخرج الناس. فرأوا عساف بن أحمد بن حجي الذي أجار النصراني، فكلّموه في أمره، وكان معه رجل من العرب، فقال للناس عن النصراني: إنه خير منكم! فرجموه بالحجارة. وهرب عساف. فأحضر النائب لما بلغه ذلك، ابن تيمية والفارقاني وأحرق بهما، وأمر بهما فضربا، وحُبسوا في العذراوية، وضرب عدة من العامة وحبس منهم ستة نفر، وضرب والي البلد جماعة وعلقهم. وسعى النائب في إثبات العداوة بين النصراني وبين من شهد عليه، ليخلصه. فخاف النصراني عاقبة هذه الفتنة وأسلم. فعقد النائب عنده مجلسا حضره قاضي القضاة وجماعة من الشافعية، وأفتوا بحقن دم النصراني، بعد الإسلام. وطلب الفارقاني فوافقهم، وطلب ابن تيمية وطيب خاطره وأطلقه.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان سنة خمس وتسعين، درس ابن تيمية بالمدرسة الحنبلية عوضا عن زين الدين ابن المنجي. وفي شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين، قام جماعة من الشافعية عليه، لكلامه في الصفات. ووقعت بأيديهم فتياه الحموية، فردوا عليه وانتصبوا لعناده. ووافقهم القاضي جلال الدين الحنفي. وأمر بإطلاق النداء على إبطال العقيدة الحموية، فنودي بذلك. فانتصر له الأمير سيف الدين طوغان المشد، وطلب الذين قاموا عليه، وضرب المنادي، وجماعة ممن كانوا معه. وفي يوم الجمعة ثالث عشره، جلس على عادته وتكلم على قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَآتَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾، [القلم: ٤]. وحضر عنده من

الغد قاضي القضاة إمام الدين القزويني، وقرئت العقيدة الحموية بحضور جماعة، وحُوقِقَ على ما فيها فأجاب بما عنده وانفصل المجلس فسكنت القضية.

وفي شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة، خرج من دمشق في جماعة إلى غازان متملك التتر لما قدم إلى الشام، وكان قد نزل تلّ راهط. فلم يمكنه الوزير [سعد الدين] من لقاء غازان فعاد. ثمَّ إنَّه توجه إليه ثانيًا واجتمع به وكلمه بغلظة، فكفَّ الله يدَ غازان عنه وذلك أنَّه قال لترجمان الملك غازان: قل للقان: أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاض، وإمام، وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا، فغزوتنا. وأبوك وجدك هولاء كانوا كافرين، وما عملاً الذي عملت، عاهدا فوقيا. وأنت عاهدت فغدرت، وقُلْتَ فما وفيت! - ومرَّ في مثل هذه المحاسبة، وقد حضر قضاة دمشق وأعيانها. فقدم إليهم غازان طعامًا فأكلوا، إلَّا ابن تيمية. ف قيل له: لم لا تأكل؟

فقال: كيف آكلُ من طعامكم، وكله ممَّا نهبتُم من أغنام الناس وقطعتُم من أشجار الناس؟

ثمَّ إنَّ غازان طلب منه الدعاء. فقال في دعائه: اللهم، إنَّ كنتَ تعلمُ أنَّه إنَّما قاتلَ لتكون كلمةُ الله هي العليا، وجهادًا في سبيلك، فأَيُّده وانصُرْه. وإنَّ كانَ للملك والدنيا والتكاثر، فافعل به واصنع! - يدعو عليه، وغازان يؤمِّن على دعائه، وقضاة دمشق قد خافوا القتل وجمعوا ثيابهم خوفًا أن يبطشَ به غازان فيصيبهم من دمه. فلما خرجوا قال قاضي القضاة ابن الصصري لابن تيمية: كدت تُهلكنا معك. ونحن ما نصحبُك من هنا!

فقال: وأنا لا أصحبكم!

فانطلقوا غُصْبَةً وتأخَّر ابن تَيْمِيَّة في خاصَّة من معه. فلم يبق أحدٌ من الحرَّاس والأمراء حتَّى أتوه من كلِّ جهةٍ وتلاحقوا به ليتبرَّكوا برؤيته. فما وصل دمشق إلَّا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، ودخلوا. وأمَّا القضاة فخرج عليهم جماعة فجرَّدوهم من ثيابهم، ودخلوا المدينة عُراءً.

فلَمَّا عاد غازان إلى بلاده، ركب ابن تَيْمِيَّة البريد إلى مهتأ بن عيسى واستحضره إلى الجهاد. وركب بعده إلى القاهرة واستنْفَرَ السلطان. وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره. ولَمَّا جاء السلطان إلى شَفْحَب لاقاه وجعل يشجِّعه ويثبته. فلَمَّا رأى السلطان كثرة التَّار قال: يا لخالد بن الوليد!

فقال له: لا تَقُل هذا. بل قل: يا الله! واستغث بالله ربَّك ووَحِّدْهُ وحده تُنْصِرْ، وقل: يا مالك يوم الدين، إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين! - وما زال يطلُّ تارة على الخليفة المستكفي بالله، وتارة على الملك الناصر محمَّد بن قلاوون ويُهَدِّثُهُما ويربط جأشَهُما، حتَّى جاء نصر الله والفتح. وقال للسلطان: أنت منصور فائت!

فقال له بعض الأمراء: قل: إن شاء الله!

فقال: إن شاء الله، تحقيقًا، لا تعليقًا! - فكان كما قال.

ولَمَّا أعيدت الخطبة بجامع دمشق - بعد رحيل غازان - للملك الناصر محمَّد بن قلاوون في يوم الجمعة سابع عشري شهر رجب من السنة المذكورة، دار [ابن تَيْمِيَّة] بنفسه على ما جُدِّد من الخمَّارات، وأراق خمورها وكسر أوانيها وشقَّ ظروفها، وعزَّر الخمَّارين هو

وجماعته. وكان الناس يمشون معه، وهو يدور على الجماعات ويقرأ عليهم سورة القتال وآيات الجهاد وأحاديث الغزو والرباط والحرس، ويحثهم على ذلك.

فلما عاد التتار إلى حلب في سنة سبعمائة، وانجفل الناس منهم - وكان قد خرج عسكر ورجع - ركب ابن تيمية خيل البريد إلى مصر فدخل قلعة الجبل في اليوم الثامن من خروجه من دمشق، وذلك في شهر جمادى الأولى، وحض على الجهاد في سبيل الله وأغلظ في القول. واجتمع بالسلطان وأركان الدولة. وأنزل بالقلعة ورُتب له في كل يوم دينار ومحفة^(١)، وبعث إليه السلطان بقجة قماش. فلم يقبل من ذلك شيئاً. ثم عاد إلى دمشق وقد حرّض الدولة على قتال التتار.

فلما كان أول ذي القعدة سنة إحدى وسبعمائة، قام عليه جماعة وسألوا الأمير أيبك الأفرم نائب دمشق منعه مما يتعاطاه من التعزير وإقامة الحدود. وكان قد حلق رؤوساً وضرب جماعة. ثم سكنت القضية.

وفي شهر رجب سنة ثلاث وسبعمائة، أحضر ابن تيمية إبراهيم القطان صاحب الدلق الكبير، وقصّ أظفاره وشعره المفتل وشاربه المسبل، وأمره بترك الصياح والفحش وأكل الحشيشة وترك لباس الدلق الكبير، وفتقه، وكان فيه قطع كثيرة من بسط وعبي. وفي سابع عشر أحضر الشيخ محمد البلاسي فتاب على يده، وأشهد عليه بترك المحرمات واجتنابها، وأنه لا يخالط أهل الذمة ولا يتكلم في تعبير

(١) كذا بالأصل.

الرؤيا ولا في شيء من العلوم بغير معرفة. وكتب عليه بذلك مكتوبًا.

وفي يوم الاثنين سادس عشره، حضر، ومعه عدة من الحجارين، وقطع الصخرة التي بجوار مصلى دمشق حتى زالت، وأراح الناس من أمرها، فإنها كانت تزار وينذرها الناس ويتبركون بها.

وفي محرم سنة خمس وسبعمائة توجه مع الأفرم إلى جبل كسروان وغزا أهله وشد في وسطه السيف والتركاش وأفتى بقتالهم، وعاد وقد انتصر عليهم.

وفي جمادى الأولى اجتمع عند الأفرم جماعة من الفقراء الأحمدية الرفاعية، وحضر ابن تيمية. وأراد الفقراء إظهار شيء من أحوالهم. فقال: لا يسع أحدًا الخروج عن الشريعة بقول ولا فعل. (وقال) هذه حيل يتحيلون بها في دخول النار وإخراج الزبد من الخلق. ومن أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ثم يلكه بالخل وبعد ذلك يدخل النار. ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا. - وكان جمعًا كبيرًا. فقال الشيخ الصالح شيخ المنيع: نحن أحوالنا تنفق عند التثار، وما تنفق عند أهل الشرع.

وانفصل المجلس على أنهم يخلعون أطواق الحديد، وأن من خرج عن الكتاب والسنة تضرب رقبة. وكتب ابن تيمية عقيب هذه الواقعة جزءًا في حال الأحمدية ومبدأ أمرهم وأصل طريقتهم، وما فيهم من الخير والشر.

وكان قد ظهر الشيخ نصر الدين المنبجي بمصر، واستولى على أرباب الدولة حتى شاع أمره. ف قيل لابن تيمية: إنه اتحادي وإنه ينصر

مذهب ابن العربي وابن سبعين. فكتب إليه نحو ثلاثمائة سطر ينكر عليه. فتكلم نصر المنبجي مع قضاة مصر في أمره، وقال: هذا مبتدع، وأخاف على الناس من شره! - فحسن القضاة للأمراء طلبه إلى القاهرة وأن يعقد له مجلس بدمشق. فلما كان في يوم الاثنين ثامن شهر رجب، طلب ابن تيمية والفقهاء إلى القصر الأبلق عند الأفرم. وسأله عن العقيدة فأحضر عقيدته الواسطية وقرئت في المجلس، وبحث معه فيها، وانفصل المجلس ولم يكمل قراءتها. ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثاني عشره بعد الصلاة، وحضر الشيخ صفي الدين الهندي وأقاموه [ه] للبحث معه. ثم أقاموا الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني فحقيقه وبحث معه من غير مسامحة، فرضوا ببحثه وأثنوا على فضائله وانفضوا، والأمر قد انفصل.

فاتفق بعد ذلك أن بعض قضاة دمشق عزّر شخصاً من أصحاب ابن تيمية وطلب جماعة ثم أطلقوا، فوقع هرج في البلد. وكان الأفرم قد خرج للصيد، فقرأ في يوم الاثنين ثاني عشري رجب المذكور الشيخ جمال الدين المزيّ فصلاً في الرد على الجهمية من كتاب: «أفعال العباد» للبخاري، تحت [قبة] النسر فغضب بعض الفقهاء لذلك وقالوا: نحن المقصودون بهذا! - ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي. فطلبه ورسم عليه. فقام ابن تيمية وأخرج المزيّ من الحبس بنفسه، وخرج إلى القصر واجتمع هناك بقاضي القضاة وأثنى على المزيّ. فغضب القاضي وأعاد المزيّ إلى الحبس فبقي أياماً. فرسم الأفرم فنودي في البلد بمنع الكلام في العقائد، ومن تكلم فيها حلّ دمه وماله ونُهبت داره وحانوته.

وعقد في تاسع شعبان مجلس ثالث بالقصر لابن تيمية، فرضي

الجماعة بالعقيدة، وعزل قاضي القضاة نجم الدين نفسه بسبب كلام سمعه من ابن الزملكاني. ثمَّ وردت ولايته من مصر.

فقام نصر المنبجي بالقاهرة وقال لقاضي القضاة زين الدين بن مخلوف المالكي: قل للأمرء بأن ابن تَيْمِيَّة يُخْشَى على الدولة منه، كما جرى لابن تومرت في بلاد المغرب.

فحدّثهم بذلك حتّى تَخَيَّلُوا منه. فورد كتاب السلطان بإحضار ابن تَيْمِيَّة وإحضار قاضي القضاة نجم الدين ابن الصصري إلى مصر. فمانع الأفرم نائب دمشق وقال: قد عُقد له مجلسان بحضرتي وحضره القضاة والفقهاء، وما ظهر عليه شيء.

فقال له الرسول: أنا لك ناصح. وقد قال عنه الشيخ نصر المنبجي إِنَّه يجمع الناس عليك ويعقد البيعة لغير السلطان.

فخاف النائب وبكى^(١) منه.

فتوجّها في ثاني عشر شهر رمضان على البريد. فلما دخل ابن تَيْمِيَّة مدينة غزّة عمل بجامعها مجلسًا.

وتوجّه إلى قلعة الجبل وقد كتب الأفرم معه كتابًا إلى السلطان، وكتب معه محضر فيه خطوط عدّة من القضاة وكبار الصلحاء والعلماء يصفون ما جرى في المجلسين بدمشق، وأنّه لم يثبت عليه فيهما شيء، ولا منع من الإفتاء. فلم يلتفت إلى ذلك.

وقصد ابن تَيْمِيَّة أن يعقد بالقلعة مجلسًا، وأراد أن يتكلم فلم يمكن

من الكلام على عادته، وحبس في البرج أيتامًا. ثم نُقِلَ إلى الحبّ ليلة عيد الفطر، هو وأخواه.

وأكرم قاضي القضاة نجم الدين وخُلع عليه، وأعيدَ إلى دمشق، ومعه كتاب قرىء بدمشق يتضمن مخالفة ابن تيمية في العقيدة وإلزام الناس بذلك، خصوصًا أهل مذهبه، والوعيد بالعزل والحبس. ونودي بذلك في البلاد الشامية.

وكثر المتعصبون على ابن تيمية بالقاهرة، وأوذى الحنابلة، وحبس تقي الدين عبد الغني ابن الشيخ شرف الدين الحنبلي. وألزم سائر الحنابلة بالرجوع عن عقيدة ابن تيمية، وشنع عليه. وأشار القضاة على رفيقهم قاضي القضاة شرف الدين أبي محمد عبد الغني بن يحيى بن محمد الحرّاني بموافقة الجماعة، فوافق وألزم جماعة من أهل مذهبه بذلك وأخذ خطهم. ومرّ على الحنابلة ما لم يجر عليهم مثله. وكان ذلك كله بقيام الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، تعصبًا للشيخ نصر المنبجي.

وفي أوائل شهر ربيع الأول سنة ست وسبعمائة، اعتُقِلَ شرف الدين محمد بن بُخَيْخ الحرّاني، أحد أصحاب ابن تيمية، بقلعة الجبل، بعد أن اجتمع بالأمير سلار والأمير بيبرس وتكلّم عندهما كلامًا طويلاً. واستمرّ في الحبس إلى سادس شعبان فأطلقه الأمير سلار.

وفي سلخ شهر رمضان جمع الأمير سلار القضاة، ما خلا الحنبلي، والجزري، والنمراوي، وتكلّم في إخراج ابن تيمية. فقال الفقهاء والقضاة: بشرط أن يلتزم أمورًا، منها الرجوع عن بعض العقيدة.

وبعثوا إليه ليحضر فلم يوافق على الحضور، وتكرّر إليه الرسول مرّاتٍ، وهو مصمّم على عدم الحضور، فانصرفوا من غير شيء.

فلما كان في ثامن عشري ذي الحجة منها، ورد كتاب ابن تيمية من الجبّ على الأفرم يخبره بحاله. فأثنى الأفرم على علمه وشجاعته وقال: إنّه ما قبل شيئاً من الكسوة السلطانية ولا من الأمراء، ولم يأخذ شيئاً، قلّ ولا جلّ.

فلما كان في صفر سنة سبع وسبعمئة اجتمع قاضي القضاة بدر الدين محمّد بن جماعة الشافعيّ بالشيخ تقي الدين ابن تيمية في دار الأمير الأوحديّ بكرة الجمعة رابع عشره بقلعة الجبل، وطال بينهما الكلام، وتفرّقا قبل الصلاة.

وفي سؤال شكّا الشيخ كريم الدين الآمليّ شيخ الصوفية بالقاهرة، وابن عطاء وجماعة نحو الخمسمائة نفس، من ابن تيمية وكلامه في ابن العربيّ الصوفيّ وغيره، إلى أمراء الدولة. فردّوا الأمر في ذلك إلى ابن جماعة. فعقد له مجلس، وأدعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت منها شيء. لكنّه اعترف بأنّه قال: لا يُستغاث بالنبي ﷺ استغاثةً بمعنى العبادة، ولكن يُتوسّلُ به. فقال بعض الحاضرين: ليس في هذا شيء.

ورأى ابن جماعة أنّ هذا إساءةٌ إِدْبٍ وعَنَفه على ذلك، فحضرت رسالةٌ إليه أنّ يعمل في ابن تيمية ما تقتضيه الشريعة في ذلك فقال: قد قلتُ له ما يقال لأمثاله.

فلم يقنعهم ذلك. وخيروا ابن تيمية بين الإقامة بدمشق أو الإسكندرية بشرط الحبس، فاختر الحبس.

ودخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق، ملتزمًا ما شرط، فأجابهم، وركب البريد ليلة الثامن عشر من شوال وسار. فأرسل إليه من الغد بريد آخر رده إلى عند ابن جماعة، وقد اجتمع الفقهاء. قال بعضهم: ما ترضى الدولة إلا بالحبس.

فقال ابن جماعة: وفيه مصلحة له.

فاستتاب شمس الدين التونسي المالكي، وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع وقال: ما ثبت عليه شيء.

فأذن لنور الدين الزواوي المالكي، فتحرّر فقال ابن تيمية: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة.

فقال الزواوي: فيكون في موضع يصلح لمثله.

فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بالحبس.

فأرسل إلى حبس القاضي. وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعزّ لما حبس. وأذن له أن يكون عنده من يخدمه. وكان هذا جميعه بإشارة الشيخ نصر المنبجي.

فاستمر في الحبس، يُستفتى، ويزوره الناس، وتأتيه الفتاوي الغربية المشكّلة من الأمراء والأعيان، إلى ليلة الأربعاء العشرين من شوال [فـ] طُلب أخواه زين الدين وشرف الدين، فوجد زين الدين ورُسم عليه، وحُبس عند الشيخ تقي الدين.

فلم يزالا إلى أن قدم مهتأ بن عيسى أمير العرب إلى السلطان. فدخل على الشيخ وهو بالسجن، في أوائل ربيع الأول سنة تسع

وسبعمائة، وزاره، وأخرجه بعدما استأذن في ذلك.

فخرج يوم الجمعة ثالث عشره إلى دار النيابة بالقلعة. وحضر الفقهاء وحصل بينهم وبينه بحث كبير إلى وقت الصلاة. ثم عادوا إلى البحث حتى دخل الليل، ولم ينفصل الأمر.

ثم اجتمعوا بمرسوم السلطان يوم الأحد خامس عشره مجموع النهار، وحضر أكثر الفقهاء، فيهم نجم الدين ابن الرفعة، وعلاء الدين التاجي، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعز الدين النصراوي، وشمس الدين ابن عدلان، ولم يحضر القضاة. وطلبوا فاعتذروا. وانفصل المجلس، وبات ابن تيمية عند النائب. فأشار الأمير سلاّر بتأخيره أيتاماً ليرى الناس فضله ويجتمعوا به. فعقد له مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بين القصرين.

ثم أخرج من القاهرة [إلى] الإسكندرية [و] معه أمير، ولم يمكن أحد من جماعته أن يسافر معه. ودخل إليها ليلاً وحُبس في برج. ثم توجه إليه أصحابه واجتمعوا به. فأقام إلى ثامن شوال. وطلب فسار إلى القاهرة، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة رابع عشره فأكرمه وتلقاه في مجلس حفل فيه القضاة والفقهاء، وأصلح بينهم وبينه.

ونزل إلى القاهرة فسكن بجانب المشهد الحسيني، وتردد الفقهاء والأمراء والأجناد وطوائف الناس إليه.

فلما كان في العشر الأوسط من شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة، ظفر به أحد المتعصّبين عليه في مكان خال، فأساء عليه الأدب. وعلم بذلك أصحابه فحضر إليه كثير من الجند وتحذّثوا

بالانتصار له، فأبى ذلك ومنعهم منه.

ثمَّ خرج إلى دمشق مع العسكر قاصداً الغزاة، وتوجّه إلى القدس وسار على عجلون وزرع، فدخل دمشق في أوّل ذي القعدة - وقد غاب عنها أكثر من سبع سنين - ومعه أخواه وجماعة من أصحابه. فخرج إليه خلق كثير، وسُرّوا به سروراً كبيراً.

وفي يوم الأربعاء العشرين من شوال سنة ستّ عشرة وسبعمائة، توفيت والدته سِتُّ النعم بنت عبد الرحمن بن عليّ بن عبدوس الحرّانية بدمشق، ودُفنت بمقابر الصوفيّة. وكان مولدها في سنة خمس وعشرين وستّمائة تقريباً. وولدت تسعة أولاد من الذكور، ولم ترزق بنتاً.

وفي يوم الخميس منتصف شهر ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وسبعمائة اجتمع قاضي القضاة شمس الدين الحنبليّ بالشيخ تقيّ الدين، وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق، فقبل إشارته.

فلَمَّا كَانَ مستهلّ جمادى الأولى منها، ورد البريد من مصر، ومعه مرسوم السلطان بمنعه من ذلك، وفيه: «من أفتى بذلك نكل به». وتوَدّي بذلك في البلد.

فلَمَّا كَانَ يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبعمائة، جُمع الفقهاء والقضاة عند الأمير تنكز نائب الشّام، وقُرى عليهم كتاب السلطان، وفيه فصل يتعلّق بالشيخ تقيّ الدين بسبب فتياه في مسألة الطلاق. فعوتب على فتياه بعد المنع، وانفضّ المجلس على توكيد المنع.

ثمَّ عقد له مجلس في يوم الخميس ثاني عشري شهر رجب سنة

عشرين وسبعمائة بدار السعادة من دمشق، وعأودوه في فتيا الطلاق وحاققوه عليها وعاتبوه بسببها. ثمَّ إنهم حبسوه بقلعة دمشق فأقام بها إلى يوم الاثنين يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين. فأخرج بعد العصر بمرسوم السلطان وتوجَّه إلى منزله، فكانت مدَّة سجنه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً.

وفي يوم الاثنين بعد العصر، السادس من شعبان سنة ستٍ وعشرين، اعتقل بقلعة دمشق بعدما حضر إليه الأمير بدر الدين أمير مسعود ابن الخطير الحاجب، بمرسوم السلطان بذلك، ومعه مركوب. فأظهر السرور وقال: أنا كنت منتظراً لذلك، وهذا فيه خير كثير! - وركب وهو معه إلى القلعة فأخلت له دار، وأجري له فيها الماء، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان، ورُسِم له بما يقوم بكفايته. وكان سبب هذه الكائنة فتوى وُجدت بخطه في المنع من السفر وإعمال المطيِّ إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وفتوى في أنَّ الطلاق الثلاث بكلمة يُردُّ إلى واحدة.

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان، أمر قاضي القضاة جلال الدين القزويني بحبس جماعة من أصحابه بسجن الحكم. وكان ذلك بإشارة تنكز نائب الشام. وعزَّر جماعة على دوابٍ ونودي عليهم، ثمَّ أطلقوا إلَّا شمس الدين ابن قيم الجوزية، فإنه حُبِس بالقلعة.

وفي يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، أخرج ما كان قد اجتمع عند ابن تيمية بالمكان الذي هو فيه معتقل بقلعة دمشق من الكتب والكراريس والأوراق، ومن دواة وأقلام، ومُنِع من الكتابة وقراءة الكتب وتصنيف شيء من العلوم ألبتة. وحُمِلت

في مستهل شهر رجب من القلعة إلى مجلس الحكم، فوضعت بخزانة في المدرسة العادلية وكانت أكثر من ستين مجلدًا وأربع عشرة ربطة كراريس. فنظر القضاة والفقهاء فيها، وتفرقت في أيديهم. وكان سبب هذا أنه وجد له جوابٌ عمّا ردّه عليه القاضي المالكي بديار مصر، وهو زين الدين ابن مخلوف، فأعلم السلطان بذلك فشاور القضاة فأشاروا بهذا.

ولم يزل بالقلعة حتى مات يوم الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. فحضر جمع كبير إلى القلعة، وأذن لبعضهم في الدخول وغُسل وصلي عليه بالقلعة. ثم حُمِلَ على أصابع الرجال، وأتوا بنعشه من القلعة إلى الجامع الأموي. وحالما أذن لصلاة الظهر، صلى الإمام الشافعي، من غير أن ينتظر صلاة المشهد على العادة. ثم صلي عليه، وتوجهوا به إلى مقابر الصوفية. فما وصلوا به إليها حتى أذن للعصر. وأراد جماعة أن يخرجوا من باب الفرج أو باب النصر فلم يقدروا من شدة الزحام وحُمِلَ على الأيدي والرؤوس والأصابع. وكان الناس يُلْقون عمائمهم على النعش ويجرّونها إليهم طلبًا للتبرك بذلك!! وحُزِرَ مَنْ صلى عليه من الرجال فكانوا ستين ألفًا، وخمسة آلاف امرأة. وقيل أكثر من ذلك. وكان في عنقه خيط عُمل بالزئبق لأجل القمل وطرده، فاشترى بجملة مال.

وكتب بخطه من التصانيف والتعاليق المفيدة، والفتاوي المشبعة، في الأصول، والفروع، والحديث، وردّ البدع بالكتاب والسنة، شيئًا كثيرًا يبلغ عدة أحمال. فمما كمل منها:

- كتاب الصارم المسلول على منتقص الرسول ﷺ.

- كتاب تبطيل التحليل .

- وكتاب اقتضاء السُّراط المستقيم .

- وكتاب [في الردّ على] تأسيس التقديس [للرازي]، في عدّة مجلّدات .

- وكتاب الردّ على طوائف الشيعة، أربع مجلّدات، وكتاب دفع الملام عن الأئمة الأعلام، وكتاب السياسة الشرعيّة، وكتاب التصوّف، وكتاب مناسك الحجّ، وكتاب الكلم الطيّب . ومسائل كثيرة جدًّا يقوم منها عدّات كثيرة من المجلّدات .

وأكثر مصنّفاته مسوّدات لم تُبيّضْ، وأكثر ما يوجد منها الآن بأيدي الناس قليل من كثير . فإنّه أُحرقَ منها شيءٌ كثير، ولا قوّة إلّا بالله .

ومع ذلك قال القاضي^(١) الذهبيّ: ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كرّاس وأكثر . - وفُسّر كتاب الله تعالى مدّة سنين من صدره أيّام الجُمع .

ولمّا ولي مشيخة دار الحديث بعد والده، وهو شابّ، وحضره الأعيانُ وأثنوا عليه وعلى فضائله وعلومه قال الشّيخ إبراهيم الرّقّيّ: الشّيخ تقيّ الدين يؤخذ عنه ويُقلّد في العلوم . فإنّ طال عمره ملأ الأرض علمًا وهو على الحقّ . ولا بدّ أن يعاديه الناسُ فإنّه وارثُ علم النبوة . وقال كمال الدين ابن الزمكانيّ: لقد أعطي ابن تيميّة اليد الطولى في حسن التّصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين . وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد! - ثمّ كتب على بعض

(١) كذا بالأصل .

تصانيفه هذه الأبيات من نظمه :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جَلَّتْ عن الحَضِرِ
هو حَجَّةُ اللَّهِ قَاهِرَةٌ هو بَيْنَنَا أعجوبة الدهرِ
هو آيَةٌ في الخَلْقِ ظَاهِرَةٌ أنوارها أُرْبَتْ على الفجرِ
ثمَّ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا وَغَلَبَتْ عَلَى ابْنِ الزَّمْلَكَانِي أَهْوِيتهُ فَمَالَ عَلَيْهِ
مَعَ مَنْ مَالَ.

وقال قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد ابن دقيق العيد لما
اجتمع به عند حضوره إلى القاهرة في سنة سبعمائة : رأيت رجلاً كلَّ
العلوم بين عينيه ، يأخذ ما يريد ويدع ما يُريد .

وحضر عنده العلامة أثير الدين أبو حيان فقال عنه : ما رأت عيناى
مثله ، ومدحه في المجلس بقوله :

لَمَّا أَتَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرْدٌ مَالَهُ وَزَرُ
عَلَى مُحَيَّاهُ مِنْ سَيِّمَاتِ الْأَلَى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ الْقَمَرُ
حَبْرٌ تَسْرُبَلُ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَاذَفُ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدُّرَرُ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَضْرٍ شَرِيعَتَنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُ
فَظْهَرَ الْحَقُّ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشَّرُّ إِذْ طَارَتْ لَهُ الشَّرَرُ
كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ حَبْرٍ يَجِيءُ فَهَآ أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ
ثمَّ دَارَ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ جَرَى فِيهِ ذِكْرُ سَيَبُويَه . فَتَسَرَّعَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِيهِ

بمَقُول نافرِه عليه أبو حَيَّان وقاطعه بسببه، ثمَّ عاد أكثرَ الناس له ذمًّا، واتخذَه ذنبًا لا يُغفر.

وكان قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس ابن صصري لا يسمح لمناظريه في بلوغ مرادهم من ضرره ويقول: ما لي ولهُ؟^(١)

وحكى أبو حفص عمر بن عليّ بن موسى البزاز البغداديّ قال: حدّثني الشيخ المقرئ تقيّ الدين عبد الله بن أحمد بن سعيد قال: مرضت بدمشق مرضة شديدة فجاءني ابن تيمية فجلس عند رأسي وأنا مُثَقِّل بالحمى والمرض. فدعا لي وقال: قُمْ، جاءت العافية! - فما كَانَ إِلَّا [أَن] قام وفارقني، وإذا بالعافية قد جاءت وشُفِيتْ لوقتي.

وقال فيه الإمام الأوحّد القاضي الرئيس كاتب الأسرار شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمريّ: هو البحر من أيّ النواحي جتته، والبدرُ من أيّ الضواحي أتيته. جرت آباؤه لِشأو ما قنع به، ولا وقف طليحًا مريحًا من تعبِه، طلبًا لا يرضى بغاية، ولا تُقضى له نهاية. رضع ثديّ العلم منذ فُطِمَ، وطلع وجهُ الصباح ليحاكيه فلطم، وقطع الليل والنهار دائبين، واتَّخذ العلم والعمل صاحبين، إلى أنْ نُسي السلفُ بهُداة، وأناى الخلف عن بلوغ مداه:

وَنَقَفَ اللهُ أَمْرًا بَاتَ يَكْلُوهُ يَمْضِي حُسَامَاهُ فِيهِ السِّيفُ وَالْقَلَمُ

بِهَمَّةٍ فِي الثَّرِيَّا أَثَرُ أَخْمَصِهَا وَعَزْمَةٌ لَيْسَ مِنْ عَادَتِهَا السَّأَمُ

على أنّه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور، ونسأت منه

(١) كذا هنا، وينظر «مسالك الابصار» ففيه ما يخالف ما هنا.

عظماء على المشاهير الشهور، فأحیی معالم بيته القديم إذ درس، وجنى من فننه الرطيب ما غرس. وأصبح في فضله آيةً إلا أنه آية الحرس. عرضت له الكدى فدحرجها، وعارضته البحار فضحضحها، ثم كان أمة وحده، وفردًا حتى نزل لحدّه، أحمل من القرناء كلّ عظيم، وأحمد من أهل الفناء كلّ قديم، ولم يكن منهم إلا من يجفل عنه إجفال الظليم، ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم:

مَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَّا مِثْلَمَا بَعْضُ الْحَصَا الْيَاقُوتَةُ الْحَمْرَاءُ

جاء في عصرٍ مأهولٍ بالعلماء، مشحونٍ بنجوم السماء، تَمُوجُ في جانبيه بحورٌ خضارم، وتطيرُ بين خافقيه سُورٌ قشاعم، وتُشرقُ في أنديته بُدورٌ دُجّة، وصدورٌ أسّنة، وتثارُ جنودٌ رَعيل، وتَجَارُ أسودُ غَيْل، إلا أنّ صَبَاحَهُ طَمَسَ تلك النجوم، وبَخرَهُ طَمَّ على تلك الغيوم، ففَاءَتْ سُمُرَتُهُ على تلك التَّلَاع، وأطلَّت قَسُورَتُهُ على تلك السَّبَاع، ثمَّ عُبِّتْ له الكتائبُ فحَطَّم صفوفها، وخطَّم أنوفها، وابتلعَ غديرُهُ المَطْمِئُ جَدَاوِلَهَا، واقتلعَ طَوْدُهُ المُرْجَحِجُ جَنَادِلَهَا، وأخمدت أنفاسهم ريحُه، وأكمدت شراراتهم مصابيحُه:

تَقَدَّمَ رَاكِبًا فِيهِمْ إِمَامًا وَلَوْلَاهُ لَمَا رَكِبُوا وَرَاءَا

فَجَمَعَ أَشْتَاتَ الْمَذَاهِبِ، وَشَتَاتَ الْمَذَاهِبِ، وَنَقَلَ عَنْ أئِمَّةِ الإجماعِ فَمَنْ سِوَاهُمْ مَذَاهِبَهُمُ الْمُخْتَلَفَةَ وَاسْتَخْضَرَهَا، وَمِثْلَ صُورِهِمُ الذَّاهِبَةَ وَأَخْضَرَهَا، فَلَوْ شَعَرَ أَبُو حَنِيفَةَ بِزَمَانِهِ وَمَلَكَ أَمْرَهُ لَأَذْنَى عَصْرَهُ إِلَيْهِ مُقَرَّبًا، أَوْ مَالِكٌ لِأَجْرَى وَرَاءَهُ أَشْهَبَهُ وَلَوْ كَبَا، أَوْ الشَّافِعِيُّ لَقَالَ: لَيْتَ هَذَا كَانَ لِلْأَمِّ وَلَدًا، أَوْ: لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ أَبَا، أَوْ الشَّيْبَانِيُّ ابْنُ حَنْبَلٍ لَمَا لَامَ عِذَارَهُ إِذَا غَدَا مِنْهُ لَفَرَطِ الْعَجَبِ أَشْيَاءَ، لَا بَلْ دَاوُدُ الظَّاهِرِيُّ

وسنان الباطني لظننا تحقيقه من مُتَحَلِّهِ، وابنُ حَزْمٍ والشَّهْرَسْتَانِي لِحَشَرِ
كُلِّ مِنْهُمَا ذِكْرَهُ أُمَّةٌ فِي نَحْلِهِ، وَالْحَاكِمُ التَّيْسَابُورِي وَالْحَافِظُ السَّلْفِي
لِأَضَافِهِ هَذَا إِلَى اسْتِدَارِكِهِ وَهَذَا إِلَى رَحْلِهِ.

تَرَدُّ [إِلَيْهِ] الْفَتَاوِي وَلَا يَرُدُّهَا، وَتَفِدُّ عَلَيْهِ فَيُجِيبُ عَلَيْهَا بِأَجُوبَةٍ كَأَنَّهُ
كَانَ قَاعِدًا لَهَا يُعِدُّهَا:

أَبَدًا عَلَى طَرَفِ اللِّسَانِ جَوَابُهُ فَكَأَنَّمَا هِيَ دَفْعَةٌ مِنْ صَيِّبٍ

يَغْدُو مُسَاجِلُهُ بَغْرَةً صَافِحٍ وَيَرُوحُ مُعْتَرِفًا بِذَلَّةٍ مُذْنِبٍ

وَلَقَدْ تَضَافَرَتْ عَلَيْهِ غُصْبُ الْأَعْدَاءِ فَالْجَمُوعَا إِذْ هَدَرَ فَخْلُهُ، وَأَفْجَحُوا
إِذْ زَمَزَمَ لِيَجْنِي الشَّهْدَ نَحْلُهُ، وَرَفَعَ إِلَى السُّلْطَانِ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ وَرُمِي
بِالْكِبَائِرِ، وَتَرَبُّصَتْ بِهِ الدَّوَائِرُ، وَسُعِيَ بِهِ لِيُؤْخَذَ بِالْجَرَائِرِ، وَحَسَدَهُ مَنْ
لَمْ يَتَلَّ سَعْيَهُ وَكَثُرَ فَارْتَابَ، وَنَمَّ فَمَا زَادَ عَلَى أَنَّهُ اغْتَابَ.

وَأَزْعَجَ مِنْ وَطْنِهِ تَارَةً إِلَى مِصْرَ ثُمَّ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَتَارَةً إِلَى
مَحْبَسِ الْقَلْعَةِ بِدِمَشْقَ، وَفِي جَمِيعِهَا يُودَعُ أَخْبِيَّةَ الشُّجُونِ، وَيُلْدَغُ بِزُبَانِي
الْمُنُونِ، وَهُوَ عَلَى عِلْمٍ يُسْطَرُّ صُحْفُهُ، وَيَدْخِرُ تُحْفَهُ، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الشَّيْءِ إِلَّا أَنْ يُصْنَفَهُ، وَيُقَرَّطَ بِهِ وَلَوْ سَمِعَ أَمْرِي وَاحِدٍ وَيُسْتَفَّهُ، حَتَّى
تَسْتَهْدِي أَطْرَافُ الْبِلَادِ طُرْفَهُ، وَتَسْتَطْلِعَ ثَنَايَا الْأَقَالِيمِ شُرْفَهُ، إِلَى أَنْ خَطَفَتْهُ
آخِرَ مَرَّةٍ مِنْ سِجْنِهِ عُقَابُ الْمَنَايَا، وَجَذَبَتْهُ إِلَى مَهَوَاتِهَا قَرَارَةُ الرِّزَايَا.

وَكَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ قَدْ مُنِعَ الدَّوَاةَ وَالْقَلَمَ، [وُطْبِعَ عَلَى قَلْبِهِ] مِنْهُ طَابِعُ
الْأَلَمِ، فَكَانَ مَبْدَأُ مَرَضِهِ وَمُنْشَأُ عَرَضِهِ، حَتَّى نَزَلَ قِفَارَ الْمَقَابِرِ، وَتَرَكَ
قِفَارَ الْمَنَابِرِ، وَحَلَّ سَاحَةَ تُرْبِهِ وَمَا يُحَادِرُ، وَأَخَذَ رَاحَةً قَلْبِهِ مِنَ اللَّائِمِ
وَالْعَادِرِ، فَمَاتَ لَا بَلَّ حَيٍّ، وَعُفِرَ قَدْرُهُ لِأَنَّ مِثْلَهُ مَا رُمِي.

وكان يومٌ دَفِنَه يَوْمًا مشهودًا ضاقت به البلدُ وظواهرُها، وتذُكَّرتُ به أوائلُ الرِّزايا وأواخرُها، ولم يكن أعظم منها مُنْذُ مِثْنِ سِنِينَ جنازة رُفِعَتْ على الرِّقَابِ، ووُطِئَتْ في زِحَامِهَا الأعقابُ، وسارَ مرفوعًا على الرُّءوسِ، متبوعًا بالنفوسِ، تَحْدُوهُ العِبَرَاتُ، وتَتَّبِعُهُ الزَّفَرَاتُ، وتقولُ له الأُممُ: لا فُقِدَتْ مِن غائبٍ، ولأَقلامه النافعة: لا أَبْعَدُكُنَّ اللهُ مِن شَجَرَاتِ.

وكان في مَدَدٍ ما يؤخذ عليه في مقالهِ ويُنْبَذُ في حُفْرَةِ اعتقالهِ، لا تَبْرُدُ له غُلَّةٌ في الجمعِ بينه وبين خُصَمَائِهِ بالمناظرة، والبحثِ حيث العيونُ ناظرة، بل يَبْدُرُ حاكمٌ فيحكمُ باعتقالهِ، ويمنعه من الفتوى، أو بأشياءٍ من نوع هذه البلوى، لا بعد إقامة بَيِّنَةٍ ولا تقدُّمِ دعوى، ولا ظهورِ حُجَّةٍ بالدليل، ولا وضوحِ مُحجَّةٍ للتأميل، وكان يَجِدُ لهذا ما لا يُزَاح فيه ضَرَرُ شَكْوَى، ولا يُطْفَأُ ضَرَمُ عَدْوَى:

وكلُّ امرئٍ حازَ المكارمَ محسود

كضرائِرِ الحسناءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وبُغْضًا إنه لَدَمِيمٌ

كل هذا لتبريزه في الفضلِ حيثُ قَصَّرتِ النُّظَرَاءُ، وتَجَلَّيْنِه كالمصباحِ إذ أَظْلَمَتِ الآرَاءُ، وقيامِه في دفعِ حُجَّةِ التَّارِ، واقتحامِه وسيوفُهم تتدَقَّقُ لُجَّةَ البدارِ، حتَّى جَلَسَ إلى السُّلطانِ محمودِ غازانِ حيثُ تَجَمَّ الأُسْدُ في آجَامِها، وتسَقُطُ القلوبُ في دواخِلِ أجسامِها، وتَجِدُ النارُ فتورًا في ضَرَمِها، والسيوفُ فَرَقًا في قَرَمِها، خوفًا من ذلك السَّيْعِ المغتالِ، والنمروذِ المختالِ، والأجلِ الَّذي لا يُدْفَعُ بحيلةٍ مُحْتالِ، فجلَسَ إليه وأومأَ بيده إلى صدرِه، وواجهَه ودرأَ في نَحْرِهِ، فَطَلَبَ منه الدُّعَاءَ، فرفعَ يديه ودعَا، دُعَاءَ مُنْصَفٍ أَكْثَرُهُ عليه، وغازانُ يَوْمُنُ على دعائه وهو مُقْبِلٌ إليه. ثُمَّ كَانَ على هذه المواجهة القبيحة، والمشاتمة الصريحة،

أعظم في صدرِ غازانَ والمُغل من كلِّ من طلعَ معه إليهم، وهم سلف العلماء في ذلك الصِّدر، وأهلُ الاستحقاقِ لرفعَةِ القَدَر.

هذا مع ماله من جهادٍ في الله لم تُفزعْه فيه ظللُ الوشيح، ولم يُجزعْه فيه ارتفاعُ النشيح، مواقفُ حروبٍ بأشرها، وطوائفُ ضروبٍ بأعسرها، وبوارقُ صِفاحٍ كآسرها، ومضايقُ رِماحٍ حآسرها، وأصنافُ خُصومٍ لُدِّ اقْتَحَمَ معها الغمراتِ، وواكلها مختلفُ الثَّمراتِ، وقَطَعَ جدالها قُوًى لسانه، وجَلَدَها شَبَا سِنانه، قامَ بها وصابرُها، وبُليَ بأصاغرِها وقاسى أكابرُها، وأهلُ بَدَعٍ قامَ في دِفَاعِها، وجَاهَدَ في حَطِّ يَفَاعِها، ومخالفةِ مِلَلٍ بَيَّنَ لها خطأ التَّأويلِ، وسَقَمَ التَّعليلِ، وأسَكَّتْ طَنِينَ الدُّبابِ في خياشيمِ رؤوسهم بالأضاليلِ، حتَّى ناموا في مراقِدِ الخَضُوعِ، وقاموا وأرجلُهم تَتَساقَطُ للوقوعِ، بأدِلَّةٍ أَقْطَعَ من السيوفِ، وأجمعَ من السُّجُوفِ، وأجلى من فَلَقِ الصُّباحِ، وأجلبَ من فَلَقِ الرِّماحِ:

إِذَا وَتَّبَتْ فِي وَجهِ خَطْبٍ تَمَزَّقَتْ عَلَى كَتِفِهِ الدَّرْعُ وَانْتَشَرَ السَّرْدُ

إِلَّا أَنَّ سَابِقَ الْمَقْدُورِ أَوْقَعَهُ فِي خَلَلِ الْمَسَائِلِ، وَخَطَلَ خَطَأً لَا يَأْمَنُ فِيهِ مَعَ الْإِكْثَارِ قَائِلٌ، وَأُظْثَهُ - وَاللَّهُ يُغْفِرُ لَهُ - عُجِّلَتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا الْمَقَاصَّةُ، وَأَخَذَ نَصِيْبَهُ مِنْ بَلَوَاهَا عَامَّةً وَلَهُ خَاصَّةً، وَذَلِكَ لِحِطَّةٍ عَلَى بَعْضِ سَلَفِ الْعُلَمَاءِ، وَحَلَّهُ لِقَوَاعِدَ كَثِيرَةٍ مِنْ نَوَامِيسِ الْقَدَمَاءِ، وَقِلَّةٍ تَوْفِيرِهِ لِلْكُبَرَاءِ، وَكَثْرَةِ تَكْفِيرِهِ لِلْفُقَرَاءِ، وَتَزْيِيفِهِ لَغَالِبِ الْأَرَاءِ، وَتَقْرِيبِهِ لَجَهْلَةِ الْعَوَامِّ وَأَهْلِ الْمِرَاءِ، وَمَا أَفْتَى بِهِ آخَرًا فِي مَسْأَلَتِي الزِّيَارَةِ وَالطَّلَاقِ، وَإِذَاعَتِهِ لِهَمَا حَتَّى تَكَلَّمَ فِيهِمَا مِنْ لَا دِينَ لَهُ وَلَا خَلَقَ، فَسَلَطَ وَبَالَ الْأَعْدَاءِ عَلَى سَلِيطِهِ، وَأَطْلَقَ أَيْدِيَ الْعِتْدَاءِ فِي تَفْرِيطِهِ، وَلَقَّمَ نَارَهُمْ سَعْفَهُ، وَأَرَى أَقْسَاطَهُمْ شَرْفَهُ، فَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ مَاتَ عَرَضُهُ مِنْهُوبًا، وَعَرَضُهُ مَوْهُوبًا، وَصَفَاتُهُ

تَتَصَدَّعُ، وَرُفَاتُهُ لَا تَتَجَمَّعُ، وَلَعَلَّ هَذَا لَخَيْرٍ أُرِيدَ بِهِ، وَأُرِيغَ لَهُ بِحُسْنِ مُنْقَلَبِهِ.

وكان تعمُّده للخلاف، وتَقْصُّده لغير طريقِ الأسلاف، وتقويته للمسائل الضعاف^(١)، وتعويضه عن رؤوس السَّعاف، تُغَيِّرُ مكانته من خاطر السلطان، وتُسَبِّبُ له التغرُّبَ عن الأوطان، وتُنْقِذُ إليه سهام الألسنة الرواشق، ورماح الطعن في يد كلِّ ماشق، فلهذا لم يَزَلْ مُنْغَصًّا عليه طولَ مُدَّتِهِ، لَا تَكَادُ تَنْفَرُجُ عنه جوانبُ شِدَّتِهِ.

هذا مع ما جَمَعَ من الورع، وإلى ما فيه من العُلَى، وما حازَه بحذافيرِ الوجود من الجود: كانت تأتيه القناطيرُ المقنطرةُ من الذهب والفضة، والخيَلُ المُسَوِّمةُ والأنعام والحرث، فيهبه بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، لا يأخذ منه شيئاً إلَّا ليهبه، ولا يحفظه إلَّا ليُذهبه، كُلُّهُ في سبيل البرِّ، وطريق أهل التواضع لا أهل الكِبَرِ.

لم يَمِلْ به حُبُّ الشهوات، ولا حُبُّ إِيَّاهِ من ثلاثِ الدنيا غير الصلاة.

ولقد نافست ملوك جَنَكِرْ خان عليه، ووجَّهت دسائسَ رُسُلِها إليه، وبعثت تجدُّ في طلبه، فنُوسِيَتْ عليه لأُمُورٍ أعظمُها خوفُ تَوْبِهِ، وما زال على هذا ومثله إلى أَنْ صَرَعه أَجَلُهُ، وَأَتَاهُ بَشِيرُ الْجَنَّةِ يَسْتَعِجِلُهُ، فانتقل إلى الله والظنُّ به أَنَّهُ لَا يُخْجَلُهُ.

(قال) وحكي عن شجاعته في مواقف الحرب نوبةً شَفْحَب، ونوبة كسروان، ما لم يسمع إلَّا عن صناديد الرجال، وأبطال اللقاء، وأحلاس الحرب، تارةً يياشر القتال وتارةً يحرض عليه.

(١) انظر ما سبق، من التعليق على هذا الكلام في «مسالك الأبصار».

(قال) وكان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يُحصى فينفقه جميعه آلافاً ومئين، لا يلمس منه درهماً ولا ينفقه في حاجة له. وكان يعود المرضى، ويشيع الجنائز، ويقوم بحقوق الناس، ويتألف القلوب، ولا ينسب إلى باحث لديه مذهباً، ولا يحفظ لمتكلم عنده زلة، ولا يتشهى طعاماً ولا يمتنع عن شيء منه، بل هو مع ما حضر لا يتجهم مرآه، ولا يتكدر صفوه ولا يسأم عفوه، (قال) ورُئيت له منامات صالحة.

ورثاه جماعات من الناس بالشام ومصر والعراق والحجاز والعرب من آل فضل.

(قال) ورثته بقصيدة لي، وهي:

أهكذا بالدجاجي يُحجب القمر	ويُحبس النوء حتى يذهب المطر؟
أهكذا تُمنع الشمسُ المنيرة عن	منافع الأرض أحياناً فتستتر؟
أهكذا الدهر ليلاً كله أبداً	فليس يُعرف في أوقاته سحر؟
أهكذا السيف لا تمضي مضاربهُ	والسيف في الفتك ما في عزمه خور؟
أهكذا القوس تُرمى بالعراء وما	تُصمي الرمايا وما في باعها قصر؟
أهكذا يترك البحرُ الخضمُ ولا	يلوى عليه، وفي أصدافه الدرر؟
أهكذا يتقي الدين قد عِثت	أيدي العدى وتعدى نحوه الضرر؟
ألا بن تيمية تُرمى سهامُ أذى	من الأنام ويدهمى الناب والظفر؟
بذ السوابق ممتدَّ العبادة لا	يناله مللٌ فيها ولا ضجر

ولم يكن مثله بعد الصحابة في
طريقه كان يمشي قبل مشيته
فرد المذاهب في أقوال أربعة
لما بنوا قبله عليا مذاهبهم
مثل الأئمة قد أحيى زمانهم
إن يرفعوهم جميعا رفع مبتدا
أمثله بينكم يلقى بمضيعة
يكون وهو أمانى لغيركم
والله لو أنه في غير أرضكم
مثل ابن تيمية ينسى بمحبسه
مثل ابن تيمية ترضى حواسده
مثل ابن تيمية في السجن معتقل
مثل ابن تيمية يرمى بكل أذى
مثل ابن تيمية تذوى خمائله
مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى
مثل ابن تيمية يمضي وما عبت
مثل ابن تيمية يمضي وما نهلت
علم عظيم وزهد ماله خطر
بها أبو بكر الصديق أو عمر
جاؤوا على أثر الشباق وابتدروا
بنى وعمر منها مثل ما عمروا
كأنه كان فيهم وهو منتظر
فحقه الرفع أيضا إنه خبر
حتى يطيح له عمدا دم هدر
تنوبه منكم الأحداث والغير
لكان منكم على أبوابه زمر
حتى يموت ولم يكحل به بصر
بحبسه ولكم في حبسه عذر
والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر
وليس يجلى قذى منه ولا نظر
وليس يلقط من أفنائه الزهر
وما ترق لها الآصال والبكر
بمسكه العاطر الأردن والطرر
له سيوف ولا خطية سمر

ولا تجارى له خيلٌ مسومةٌ
 ولا تحفّ به الأبطالُ دائرةً
 ولا تعبّس حربٌ في مواقفه
 حتّى يقومَ هذا الدين من ميلٍ
 بل هكذا السلفُ الأبرارُ ما برحوا
 تأسّ بالأنبياء الطّهر كم بلغتْ
 في يوسف في دخول السجن منقبةً
 ما أهملوا أبداً بل أهملوا لمدى
 أيذهب المنهل الصافي وما نُقعت
 مضى حميداً ولم يعلق به ضرٌّ
 طوّد من الحِلْم لا تُرقى له قُننٌ
 بحرٌّ من العلم قد فاضت بقيّته
 ياليت شعري هل في الحاسدين له
 هل فيهمُ لحديث المصطفى أحدٌ
 هل فيهم من يضمّ البحث في نظرٍ
 هلاًّ جمعتُم له من قومكم ملاً
 قولوا لهم: قال هذا فابحثوا معه
 وجوهُ فرسانها الأوضح والغررُ
 كأنهم أنجمٌ في وسطها قمرُ
 يوماً ويضحك في أرجائه الظفرُ
 ويستقيم على منهاجه البشرُ
 يُبلى اصطبارهم جهداً وهم صبرُ
 فيهم مضرةٌ أقوام وكم هُجروا
 لمن يكابدُ ما يلقي ويصطبرُ
 والله يُعقبُ تأييداً ويتصرُّ
 به الظماء ويَبقى الحمأة الكدرُ؟
 وكلّهم ضرٌّ في الناس أو وذرُ
 كأنما الطودُ من أحجاره حجرُ
 فغاضت الأبحرُ العظمى وما شعروا
 نظيره في جميع القوم إن ذكروا
 يميّزُ النقدَ أو يُروى له خبرُ؟
 أو مثله من يضمّ البحث والنظرُ؟
 كفعل فرعونَ مع موسى لتعتبروا؟
 قدّامنا وانظروا الجهال إن قدروا

تَلْقِي الْأَبَاطِيلَ أَسْحَارُ لَهَا دَهْشٌ
فَلَيْتَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ الرَّهْطِ مِنْ مَلَأٍ
وَلَيْتَهُمْ أَدْعَنُوا لِلْحَقِّ مِثْلَهُمْ
يَا طَالَمَا نَفَرُوا عَنْهُ مَجَانِبَةً
هَلْ فِيهِمْ صَادِحٌ بِالْحَقِّ مِقْوَلُهُ
رَمَى إِلَى نَحْرِ غَازَانٍ مُوَاجِهَةً
بَتَلٌ رَاهِطٌ وَالْأَعْدَاءُ قَدْ غَلَبُوا
وَشَقَّ فِي الْمَرْجِ وَالْأَسْيَافِ مَسْلُطَةٌ
هَذَا وَأَعْدَاؤُهُ فِي الدَّوْرِ أَشْجَعُهُمْ
وَبَعْدَهَا كَسْرَوَانٌ وَالْجِبَالُ وَقَدْ
وَأَسْتَحْصَدُ الْقَوْمَ بِالْأَسْيَافِ جَهْدُهُمْ
قَالُوا: قَبْرَنَاهُ، قَلْنَا: إِنَّ ذَا عَجَبٌ
وَلَيْسَ يَذْهَبُ مَعْنَى مِنْهُ مَتَّقَدٌ
لَمْ يَبْكِهِ نَدَمًا مِنْ لَا يَصُبُّ دَمًا
لَهْفِي عَلَيْهِ أَبَا الْعَبَّاسِ كَمْ كَرَمٌ
سَقَى ثَرَاكَ مِنَ الْوَسْمِيِّ صَبِيهُ
وَلَا يَزَالُ لَهُ بَرْقٌ يَغَاذِلُهُ
فِيْلَقْفُ الْحَقِّ مَا قَالُوا وَمَا سَحَرُوا
حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ فِي شَأْنِهِ عِبَرٌ
فَأَمَّنُوا كُلَّهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا كَفَرُوا
وَلَيْتَهُمْ نَفَعُوا فِي الضِّيمِ أَوْ نَفَرُوا
أَوْ خَائِضٌ لِلْوَغَى وَالْحَرْبِ تَسْتَعِرُّ؟
سِهَامُهُ مِنْ دَعَاءِ عَوْنِهِ الْقَدَرُ
عَلَى الشَّامِ وَطَارَ الشَّرُّ وَالشَّرُّ
طَوَائِفُ كُلِّهَا أَوْ بَعْضُهَا التَّتَرُ
مِثْلَ النِّسَاءِ بِظِلِّ الْبَابِ مُسْتَتِرٌ
أَقَامَ أَطْوَادَهَا وَالطَّوْدُ مَنْفَطِرٌ
وَطَالَمَا بَطَلُوا طَغَوَى وَمَا بَطَرُوا
حَقًّا أَلِّلْكُوكِبَ الدَّرِيِّ قَدْ قَبِرُوا؟
وَأِنَّمَا تَذْهَبُ الْأَجْسَامُ وَالصُّورُ
تَجْرِي بِهِ دِيمًا تَهْمِي وَتَنْهَمِرُ
لَمَّا قَضَيْتَ قَضَى مِنْ عَمْرِهِ الْعُمُرُ
وَزَانَ مَغْنَاكَ قَطْرٌ كُلَّهُ قَطْرُ
حَلَوُ الْمَرَاشِفِ فِي أَجْفَانِهِ حُورُ

لِفَقْدِ مِثْلِكَ يَا مَنْ مَا لَهُ مِثْلُ
يَا وَارِثًا مِنْ عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ نُهَى
يَا وَاحِدًا لَسْتُ أُسْتَشْنِي بِهِ أَحَدًا
يَا عَالِمًا بِنَقُولِ الْفَقْهِ أَجْمَعِهَا
يَا قَامَعَ الْبِدْعِ اللَّاتِي تَجَنَّبَهَا
وَمُرْشِدَ الْفِرْقَةِ الضَّلَالِ نَهَجَهُمْ
أَلَمْ تَكُنْ لِلنَّصَارَى وَالْيَهُودِ مَعًا
وَكَمْ فَتَى جَاهِلٍ غَرَّ أَمْنَتَ لَهُ
مَا أَنْكَرُوا مِنْكَ إِلَّا أَنَّهُمْ جَهِلُوا
قَالُوا بِأَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ مَسْأَلَةً
غَلِطْتَ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَخْطَأْتَ وَاحِدَةً
وَمَنْ يَكُونُ عَلَى التَّحْقِيقِ مَجْتَهِدًا
أَلَمْ تَكُنْ بِأَحَادِيثِ النَّبِيِّ إِذَا
حَاشَاكَ مِنْ شُبِّهِ فِيهَا وَمِنْ شُبِّهِ
عَلَيْكَ فِي الْبَحْثِ أَنْ تَبْدِيَ غَوَامِضَهُ
قَدَّمْتَ لِلَّهِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ
هَلْ كَانَ مِثْلُكَ مِنْ يَخْفَى عَلَيْهِ هَدَى

تَأْسَى الْمَحَارِبِ وَالْآيَاتُ وَالسُّورُ
أُورِثْتَ قَلْبِي نَارًا وَقَدْهَا الْفِكْرُ
مِنْ الْأَنَامِ وَلَا أُبْقِي وَلَا أَذْرُ
أَعْنِكَ تَحْفَظُ زَلَّاتٌ كَمَا ذَكَرُوا؟
أَهْلُ الزَّمَانِ، وَهَذَا الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
مِنْ الطَّرِيقِ فَمَا حَارُّوا وَلَا سَهَرُوا
مَجَادِلًا، وَهُمْ فِي الْبَحْثِ قَدْ حَصَرُوا
رُشْدَ الْمَقَالِ فَزَالَ الْجَهْلُ وَالْغَرَرُ
عَظِيمَ قَدْرِكَ لَكِنْ سَاعَدَ الْقَدْرُ
وَقَدْ تَكُونُ، فَهَلَّا مِنْكَ تُغْتَفَرُ؟
أَمَّا أَجَدْتَ إِصَابَاتٍ فَتَعْتَذِرُ؟
لَهُ الثَّوَابُ عَلَى الْحَالَيْنِ، لَا الْوَزْرُ
سُئِلْتَ تَعْرِفُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ؟
كِلَاهُمَا مِنْكَ لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ
«وَمَا عَلَيْكَ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ»
وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ، ذَمُّوكَ أَوْ شَكَرُوا
وَمِنْ سَمَائِكَ تَبْدُو الْأَنْجُمُ الرَّهْرُ

وكيف تحذر من شيءٍ تزلّ به أنت التقيّ فماذا الخوفُ والحذر؟

وقال زين الدّين عمر بن الوردي يرثيه:

عَثَا في عرضه قومٌ سِلَاطُ	لهم من نثر جواهره التقاطُ
تقي الدّين أحمد خيرُ حبرٍ	خُروق المعضلات به تُخاطُ
توفّي وهو محبوسٌ فريدٌ	وليس له إلى الدنيا انبساطُ
ولو حضروه حين قضى لألفوا	ملائكة النعيم به أحاطوا
فيالله ماذا ضمَّ لحدّ	وياالله ما غطّى البلاط
هم حسدوه لمّا لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كُسالى	ولكن في أذاه لهم نشاط
وحَبَسُ الدُّرِّ في الأصداغ فخر	وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداء	فقد ذاقوا المنون وما تواطوا
إمام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رِباط
ولا جَارَاكُم في كسبِ مالٍ	ولم يُعْهَد له بكمُ اختلاطُ
سيظهر قصدكم يا حابسيه	ونيتكم إذا نُصب الصراط
فهاهو مات عنكم واسترحتم	فعاطوا ما أردتم أن تُعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير رد	عليكم وانطوى ذاك البساط

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار^(١)

[قال بعد كلامه على أبي الحسن الأشعري]:

لم يبقَ اليومَ مذهبٌ يخالفه إلا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل - رضي الله عنه - فانهم كانوا على ما كان عليه السلف؛ لا يرون تأويل ما ورد من الصفات.

إلى أن كان بعد السبع مئة من سني الهجرة: اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني؛ فتصدى للانتصار لمذهب السلف، وبالغ في الرد على مذهب الأشاعرة، وصدع بالنكير عليهم، وعلى الرافضة وعلى الصوفية؛ فافترق الناس فيه فريقان:

فريق يقتدي به، ويعول على أقواله، ويعمل برأيه، ويرى أنه شيخ الإسلام، وأجل حفاظ أهل الملة الإسلامية.

وفريق يبذعه ويضلله، ويؤذي عليه باثباته الصفات، وينتقد عليه مسائل منها ماله فيه سلف، ومنها ما زعموا أنه فرق فيه الإجماع، ولم يكن له فيه سلف.

وكانت له ولهم خطوب كثيرة، وحسابه وحسابهم على الله الذي

(١) (٣٥٨/٢ - ٣٥٩) دار الطباعة المصرية، تصحيح الشيخ قطة العدوي (١٢٧٠).

لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وله إلى وقتنا هذا عدة
أتباع بالشام، وقليل بمصر.

* * *

السلوك لمعرفة دول الملوك^(١)

ومات في هذه السنة من الأعيان شيخ الإسلام تقي الدين أبو
العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن
محمد بن تيمية الحراني، بدمشق ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة،
في سجنه بالقلعة؛ ومولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول، سنة إحدى
وستين وست مئة.

* * *

(١) ٣٠٤/٢ تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٧١.

مختصر ذيل طبقات الحنابلة^(١)

للشيخ / أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي (٨٤٦)

«أحمد بن عبدالحليم».

(تنبيه): لم نثبت الترجمة هنا؛ لأنها بنصها من «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب، أصل هذا الكتاب، فقد أثبتنا المُنْتَصِرَ كما هي في الأصل لم يُغَيَّرَ فيها شيئاً، وقد ذكر (المؤلف) في مقدمة مُنْتَصِرِهِ هذا أن بعض التراجم يثبتها كما هي = فهذا من ذاك.

* * *

(١) ق/٩٨ - ١٠٤، نسخة مكتبة عمومية بايزيد رقم ٥١٣٥، بعضها بخط المؤلف وبعضها بخط عز الدين الكناني، أتحننا بصورة من هذه الترجمة الشيخ العلامة عبدالرحمن العثيمين.

الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢)

١ - الدرر الكامنة

٢ - تقریظه للرد الوافر لابن ناصر الدين

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة^(١)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن
تيمية الحرّاني ثمّ الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس بن شهاب
الدين بن مجد الدين .

ولد في عاشر ربيع الأوّل سنة (٦٦١) وتحوّل به أبوه من حرّان سنة
(٦٦٧) فسمع من ابن عبدالدائم والقاسم الإربلي والمسلم بن علان وابن
أبي عمر والفخر في آخرين، وقرأ بنفسه ونسخ «سنن أبي داود»، وحصل
الأجزاء، ونظر في الرجال والعلل، وتفقه وتمهر وتميز وتقدّم، وصنّف
ودرّس وأفتى وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة
الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف
والخلف .

وأول ما أنكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الأول سنة (٦٩٨)
قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية وبحثوا معه ومُنِعَ من
الكلام، ثمّ حضر مع القاضي إمام الدّين القزويني؛ فانتصر له، وقال هو
وأخوه جلال الدين: من قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عزّرناه .

ثمّ طلب ثاني مرة في سنة (٧٠٥) إلى مصر فتعصب عليه بيبرس
الجاشنكير وانتصر له سلار، ثمّ آل أمره أنْ حُبِسَ في خزانة البنود مدة،

(١) (١/١٤٤-١٦٠) طبعة المستشرق كرنكو .

ثمَّ نقل في صفر سنة (٧٠٩) إلى الإسكندرية، ثمَّ أفرج عنه وأُعيد إلى القاهرة ثمَّ أُعيد إلى الإسكندرية، ثمَّ حضر الناصر من الكرك فأطلقه، ووصل إلى دمشق في آخر سنة (٧١٢). وكان السَّبب في هذه المحنة: أن مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما وقع إليه من أمور تُنكر في ذلك، فعقد له مجلس في سابع رجب، وسئل عن عقيدته، فأملى منها شيئاً ثمَّ أحضروا العقيدة التي تُعرف بالواسطية فقرأ منها، وبحثوا في مواضع ثمَّ اجتمعوا في ثاني عشره، وقرروا الصَّفي الهندي يَبْحث معه، ثمَّ أخروه وقَدَّموا الكمال الزمِّلَكَاني، ثمَّ انفصل الأمر على أنَّه شهد على نفسه أنَّه شافعي المعتقد، فأشاع أتباعه أنَّه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحداً من أتباع ابن تَيْمِيَّة إلى الجلال القزويني نائب الحكم بالعدلية فعزَّره وكذا فعل الحنفي باثنين منهم.

ثمَّ في ثاني عشري رجب قرأ المَزِّي فصلاً من كتاب «أفعال العباد» للبخاري في الجامع فسمعه بعض الشافعية فغضب، وقالوا: نحن المقصودون بهذا ورفعوه إلى القاضي الشَّافعي فأمر بحبسه، فبلغ ابن تَيْمِيَّة فتوجَّه إلى الحبس فأخرجه بيده، فبلغ القاضي فطلع إلى القلعة فوافاه ابن تَيْمِيَّة فتشاجرا بحضرة النَّائب، واشتط ابن تَيْمِيَّة على القاضي لكون نائبه جلال الدِّين آذى أصحابه في غيبة النَّائب، فأمر النَّائب من ينادي: أن من تكلم في العقائد فعل كذا به، وقصد بذلك تسكين الفتنة.

ثمَّ عقد لهم مجلس في سلخ رجب وجرى فيه بين ابن الزمِّلَكَاني وابن الوكيل مباحثة، فقال ابن الزمِّلَكَاني لابن الوكيل: ما جرى على الشَّافعية قليل حتَّى تكون أنت رئيسهم، فظن القاضي نجم الدين بن صصري أنَّه عناء، فعزل نفسه وقام فأعانه الأمراء، وولاه النَّائب وحكم الحنفي بصحة الولاية، ونفذها المالكي، فرجع إلى منزله وعلم أنَّ

الولاية لم تصح، فصمم على العزل فرسم النائب لنوابه بالمباشرة إلى أن يرد أمر السلطان.

ثمَّ وصل بريدي في أواخر شعبان بعوده، ثمَّ وصل بريدي في خامس رمضان بطلب القاضي والشيخ وأن يرسلوا بصورة ما جرى للشيخ في سنة (٦٩٨). ثمَّ وصل مملوك النائب وأخبر أنَّ الجاشنكير والقاضي المالكي قد قاما في الإنكار على الشيخ، وأن الأمر اشتدَّ بمصر على الحنابلة حتَّى صفع بعضهم.

ثمَّ توجه القاضي والشيخ إلى القاهرة ومعهما جماعة فوصلا في العشر الأخير من رمضان، وعقد مجلس في ثالث عشره بعد صلاة الجمعة، فادَّعى على ابن تيمية عند المالكي فقال: هذا عدوي ولم يُجب عن الدَّعوى، فكرَّر عليه فأصرَّ فحكم المالكي بحبسه، فأقيم من المجلس وحبس في برج، ثمَّ بلغ المالكي أنَّ النَّاس يترددون إليه فقال: يجب التَّضييق عليه إن لم يُقتل وإلا فقد ثبت كفره، فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجبِّ، وعاد القاضي الشافعي إلى ولايته ونُودي بدمشق: من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلَّ دمه وماله خصوصًا الحنابلة، فنودي بذلك وقرئ المرسوم وقرأها ابن الشَّهاب محمود في الجامع، ثمَّ جمعوا الحنابلة من الصَّالحة وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي، وذكر ولد الشيخ جمال الدِّين ابن الظاهري في كتاب كتبه لبعض معارفه بدمشق أنَّ جميع من بمصر من القضاة والُشيوخ والفقراء والعلماء والخواص يحطُّون على ابن تيمية، إلَّا الحنفي فإنه يتعصَّب له، وإلَّا الشافعي فإنه ساكت عنه.

وكان من أعظم القائمين عليه الشيخ نصر المنبجي لأنه كان بلغ

ابن تَيْمِيَّةَ أَنَّهُ يَتَعَصَّبُ لابن العربي فكتب إليه كتابًا يُعَاتِبُهُ على ذلك، فما أعجبه لكونه بالغ في الحطُّ على ابن العربي وتكفيره، فصار هو يحطُّ على ابن تَيْمِيَّةَ ويغري به ببيرس الجاشنكير، وكان ببيرس يفرط في محبة نصر ويعظمه، وقام القاضي زين الدِّين ابن مخلوف قاضي المالكية مع الشَّيْخ نصر وبالع في أذية الحنابلة، واتفق أنَّ قاضي الحنابلة شرف الدِّين الحرَّاني كَانَ قليل البضاعة في العلم، فبادر إلى إجابتهم في المعتقد واستكتبوه خطه بذلك، واتفق أنَّ قاضي الحنفية بدمشق، وهو شمس الدِّين ابن الحريري انتصر لابن تَيْمِيَّةَ، وكتب في حقه محضرًا بالثناء عليه بالعلم والفهم، وكتب فيه بخطه ثلاثة عشر سطرًا من جملتها أَنَّهُ منذ ثلاثمائة سنة ما رأى النَّاس مثله، فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الحريري، فعُزِلَ وقرر عوضه شمس الدِّين الأذرعي، ثُمَّ لم يلبث الأذرعي أَن عُزِلَ في السنة المقبلة.

وتعصَّب سلال لابن تَيْمِيَّةَ وأحضر القضاة الثلاثة الشَّافعي والمالكي والحنفي وتكلَّم معهم في إخراجهم فاتفقوا على أَنَّهُمْ يشترطون فيه شروطًا، وأن يرجع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه مرَّات فامتنع من الحضور إليهم واستمر، ولم يزل ابن تَيْمِيَّةَ في الجب إلى أَن شفع فيه مهتًا أمير آل فضل فأخرج في ربيع الأول في الثالث وعشرين منه، وأُحْضِرَ إلى القلعة، ووقع البحث مع بعض الفقهاء، فكتب عليه محضر بأنَّه قال: أَنَا أَشْعَرِي، ثُمَّ وجد خطه بما نصه: الَّذِي أَعْتَقَدُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَعْنَى قَائِمٌ بِذَاتِ اللَّهِ، وهو صفة من صفات ذاته القديمة، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ليس على ظاهره، ولا أعلم كُنْهَ المراد به، بل لا يعلمه إِلَّا اللَّهُ، والقول في النزول كالقول في الاستواء. وكتبه

أحمد بن تَيْمِيَّة^(١). ثُمَّ أَشْهَدُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ تَابَ مِمَّا يَنَافِي ذَلِكَ مُخْتَارًا، وَذَلِكَ فِي خَامِسَ عَشْرِي ربيع الأول سنة (٧٠٧) وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم، وسكن الحال وأُفرج عنه وسكن القاهرة.

ثُمَّ اجتمع جمع من الصوفية عند تاج الدّين ابن عطاء، فطلعوا في العشر الأوسط من شوال إلى القلعة، وشكوا من ابن تَيْمِيَّة أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي حَقِّ مَشَايِخِ الطَّرِيقِ، وَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَسْتَغَاثُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَاقْتَضَى الْحَالُ أَنْ أَمُرَ بِتَسْيِيرِهِ إِلَى الشَّامِ، فَتَوَجَّهَ عَلَى خَيْلِ الْبَرِيدِ...^(٢) وَكُلَّ ذَلِكَ وَالْقَاضِي زَيْن الدّين ابن مخلوف مشغول بنفسه بالمرض، وقد أشرف على الموت وبلغه سفر ابن تَيْمِيَّة فراسل النائب، فردّه من بلييس وادعي عليه عند ابن جماعة، وشهد عليه شرف الدّين ابن الصابوني، وقيل إِنَّ علاء الدّين القونوي أَيْضًا شَهِدَ عَلَيْهِ؛ فَاعْتَقَلَ بِسَجْنِ بَحَارَةِ الدَّيْلَمِ فِي ثَامِنَ عَشْرِ شَوَالٍ إِلَى سَلْخِ صَفَرِ سَنَةِ (٧٠٩). فَنَقَلَ عَنْهُ أَنَّ جَمَاعَةً يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ فِي نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ فَأَمَرَ بِنَقْلِهِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، فَنَقَلَ إِلَيْهَا فِي سَلْخِ صَفَرٍ، وَكَانَ سَفَرُهُ صَحْبَةَ أَمِيرٍ مُقَدَّمٍ، وَلَمْ يُمْكِنْ أَحَدًا مِنْ جِهَتِهِ مِنَ السَّفَرِ مَعَهُ، وَحَبَسَ بِبَرْجٍ شَرْقِيٍّ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَمْنَعُوا مِنْهُ، فَتَوَجَّهَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ، وَكَانَ مَوْضِعُهُ فَسِيحًا، فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ وَيَقْرَءُونَ عَلَيْهِ وَيُبْحَثُونَ مَعَهُ. قَرَأَتْ ذَلِكَ فِي «تَارِيخِ الْبَرْزَالِيِّ».

(١) سَبَقَ مِثْلُ هَذَا عِنْدَ النُّوَيْرِيِّ وَالدُّوَادَارِيِّ، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ رَجَبٍ بِقَوْلِهِ: «وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَالبَرْزَالِيُّ وَغَيْرُهُمَا: أَنَّ الشَّيْخَ كَتَبَ لَهُمْ بِخَطِّهِ مُجْمَلًا مِنَ الْقَوْلِ، وَأَلْفَاظًا فِيهَا بَعْضُ مَا فِيهَا؛ لَمَّا خَافَ وَهَدَّدَ بِالْقَتْلِ!» اهـ «الجامع»: ٤١٢ - ٤١٣، ثُمَّ عَادَ إِلَى عَدَمِ الْمَلَائِنَةِ - فِي أَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ - كَمَا فِي «رِسَالَةِ الْغِيَانِيِّ»، وَمَوْقِفُهُ مَعَ «النَّاصِرِ»، وَجَمِيعِ سِيرَتِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنَ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

(٢) بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ.

فلم يزل إلى أن عاد الناصر إلى السلطنة فشفع فيه عنده، فأمر بإحضاره، فاجتمع به في ثامن عشر شوال سنة تسع، فأكرمه، وجمع القضاة وأصلح بينه وبين القاضي المالكي، فاشتراط المالكي أن لا يعود، فقال له السلطان: قد تاب.

وسكن القاهرة وتردد الناس إليه إلى أن توجه صحبة الناصر إلى الشام بنية الغزاة في سنة (٧١٢) وذلك في شوال، فوصل دمشق في مستهل ذي القعدة فكانت مدة غيبته عنها أكثر من سبع سنين، وتلقاه جمع عظيم فرحاً بمقدمه، وكانت والدته إذ ذاك في قيد الحياة.

ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة (٧١٩) بسبب مسألة الطلاق، وأكد عليه المنع من الفتيا، ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة عشرين، ثم حبس بالقلعة، ثم أخرج في عاشوراء سنة (٧٢١).

ثم قاموا عليه مرة أخرى في شعبان سنة (٧٢٦) بسبب مسألة الزيارة، واعتقل بالقلعة، فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨). قال الصلاح الصفدي: كَانَ كَثِيرًا مَا يَنْشُد:

تموتُ النفوسُ بأوصابِها ولم تدرِ عوَادُها ما بها
وما أنصَفَتْ مهجَةٌ تشكي أذاها إلى غيرِ أحبابِها
وكان يُنشد كثيرًا:

مَنْ لَمْ يُقَدِّ وَيُدَسَّ فِي خَيْشُومِهِ رَهْجُ الْخَمِيسِ فَلَنْ يَقُودَ خَمِيسًا
وأنشد له على لسان الفقراء:

والله ما فَقَرْنَا اختيَارُ وإنَّما فَقَرْنَا اضْطِرَارُ

جماعةً كُلُّنا كُسَالَى وأكلُنا مالَهُ عِارٌ
تسمعُ مِنَّا إذا اجتمعنا حقيقةً كُلُّها فِشَارٌ

وسرد أسماء تصانيفه في ثلاثة أوراق كبار، وأورد فيه من أمداح أهل عصره كابن الزمِّلَكَاني قبل أن ينحرف عليه، وكأبي حيَّان كذلك وغيرهما، قال: ورثاه محمود بن عليّ الدقوقي ومجير الدِّين ابن الخياط وصفي الدِّين عبدالمؤمن البغدادي وجمال الدِّين ابن الأثير وتقي الدِّين محمَّد بن سليمان الجعبري وعلاء الدِّين بن غانم وشهاب الدِّين ابن فضل الله وزين الدِّين ابن الوردي وجمع جمٍّ وأورد لنفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة.

قال الذَّهَبِيُّ ما ملخصه: كَانَ يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجَّح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه.

قال: وما رأيتُ أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه كأن السُّنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه. وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه. هذا مع ما كَانَ عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذِّ النفس، ولعلَّ فتاويه في الفنون تبلغ ثلثمائة مجلد بل أكثر، وكان قوَّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم.

ثمَّ قال: ومن خالطه وعرفه ؛ فقد ينسبني إلى التقصير فيه، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه، وقد أوديت من الفريقين ؛ من

أصحابه وأضداده، وكان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه وكان عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحًا سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم.

قال: ولم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجُّهه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مُخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كَانَ مع سعة علمه، وفرط شجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لحرَمات الدِّين، بشرًا من البشر تعتريه حدة في البحث، وغضب وشظف للخصم؛ تزرع له عداوة في النفوس وإلاَّ لو لَاطَفَ خصومه لكان كلمة إجماع؛ فَإِنَّ كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بشفوفه مقرّون بدور خطئه وأنَّه بحر لا ساحل له، وكثر لا نظير له، ولكن ينقمون عليه أخلاقًا وأفعالًا وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك.

قال: وكان محافظًا على الصلاة والصوم، معظَّمًا للشرائع ظاهرًا وباطنًا لا يؤتى من سوء فهم فَإِنَّ له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم فَإِنَّه بحر زخار، ولا كَانَ متلاعبًا بالدين ولا ينفرد بمسائله بالتشهي ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن وينظر أسوة من تقدمه من الأئمة، فله أجر على خطئه، وأجران على إصابته.

إلى أن قال: تمرّض أيامًا بالقلعة بمرض جد إلى أن مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة وصلي عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل، وأقل ما قيل في عددهم أنَّهم خمسون ألفًا.

قال الشهاب ابن فضل الله: لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في سنة سبع مئة نزل عند عمي شرف الدين، وحض أهل المملكة على

الجهاد فأغلظ القول للسلطان والأمراء، ورتّبوا له في مقرّ إقامته في كل يوم ديناراً ومخفقة^(١) طعام فلم يقبل شيئاً من ذلك، وأرسل له السلطان بقجة قماش فردّها، قال: ثمّ حضر عنده شيخنا أبو حيان فقال: ما رأيت عيناى مثل هذا الرجل، ثمّ مدحه بأبيات ذكر أنّه نظمها بديها وأنشده إياها.

لَمَّا أَتَانَا تَقِيّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرْدٌ مَالَهُ وَزَرُّ
عَلَى مُحَيَّاهُ مِنْ سَيِّمَاتِ الْأَلَى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ الْقَمَرُ
حَبْرٌ تَسْرَبَلَ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَاذَفُ مِنْ أُمُوجِهِ الدُّرُّ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَضْرٍ شَرَعَتْنَا مَقَامَ سَيِّدٍ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ
وَأَظْهَرَ الْحَقُّ إِذْ آثَارُهُ انْدَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشَّرُّ إِذْ طَارَتْ لَهُ شَرُّ
كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ حَبْرٍ يَجِيءُ فَهَآ أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ

ثمّ دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول في سيبويه فنافره أبو حيان وقطعه بسببه، ثمّ عاد ذاماً له وصيّر ذلك ذنباً لا يغفر، قال^(٢): وحجّ ابن المحب سنة (٣٤) فسمع من أبي حيان أناشيد فقرأ عليه هذه الأبيات فقال: قد كشطتها من «ديواني» ولا أذكره بخير، فسأله عن السبب في ذلك فقال: ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه فقال: يفشر سيبويه، قال أبو حيان: وهذا لا يستحق الخطاب، ويقال إنّ ابن تيمية قال له: ما كان سيبويه نبي النّحو، ولا كان معصوماً بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً ما تفهمها أنت،

(١) كذا هنا، وتقدم في «مسالك الأبصار»: «دينار ومحفية وبقجة قماش».

(٢) هذا القول ليس للشهاب بن فضل الله.

فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره «البحر» بكل سوء، وكذلك في مختصره «النهر»^(١).

ورثاه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة، وترجم له ترجمة هائلة تُنقل من «المسالك» إن شاء الله، ورثاه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية، وقال جمال الدين السُّرمري في «أماليه»: ومن عجائب ما وقع في الحفظ من أهل زماننا: أَنَّ ابن تَيْمِيَّةَ كَانَ يَمِرُ بِالْكِتَابِ مُطَالَعَةً مَرَّةً فَيَنْتَقِشُ فِي ذَهْنِهِ وَيَنْقُلُهُ فِي مَصَنَّفَاتِهِ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، وَقَالَ الْاِقْشَهْرِيُّ فِي «رَحْلَتِهِ» فِي حَقِّ ابْنِ تَيْمِيَّةَ بَارِعٌ فِي الْفَقْهِ وَالْأَصْلِينَ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ وَفَنُونَ أُخَرُ، وَمَا مِنْ فَنٍّ إِلَّا لَهُ فِيهِ يَدٌ طُولَى، وَقَلَمُهُ وَلِسَانُهُ مُتَقَارِبَانِ.

قال الطوفي: سمعته يقول: من سألني مستفيدًا حَقَّقْتُ لَهُ، وَمَنْ سَأَلَنِي مُتَعَنِّتًا نَاقَضْتُهُ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَطِعَ فَأَكْفَى مُؤْنَتَهُ.

وذكر تصانيفه وقال في كتابه «إبطال الحيل»: عظيم النفع، وكان يتكلَّم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يورده في عدَّة مجالس كأنَّ هذه العلوم بين عينيه يأخذ منها ما يشاء ويذر، ومن ثَمَّ نُسِبَ أَصْحَابُهُ إِلَى الْغُلُوِّ فِيهِ وَاقْتَضَى لَهُ ذَلِكَ الْعُجْبُ بِنَفْسِهِ! حَتَّى زُهِيَ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ! وَاسْتَشْعَرَ أَنَّهُ مُجْتَهِدٌ فَصَارَ يَرُدُّ عَلَى صَغِيرِ الْعُلَمَاءِ وَكَبِيرِهِمْ قَدِيمَهُمْ وَحَدِيثَهُمْ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَمْرِ فَخَطَّاهُ فِي شَيْءٍ، فَبَلَغَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمَ الرَّقِيَّ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَاعْتَذَرَ وَاسْتَغْفَرَ، وَقَالَ فِي

(١) لم نجد ذمَّه لشيخ الإسلام في «البحر» وهو في «النهر» في مواضع!

حق عليّ: أخطأ في سبعة عشر شيئاً ثمّ خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين، وكان لتعصّبه لمذهب الحنابلة يقع في الأشاعرة حتّى أنّه سبّ الغزالي، فقام عليه قوم كادوا يقتلونه^(١). ولما قدم غازان بجيوش التتر إلى الشّام خرج إليه وكلّمه بكلام قوي فهمّ بقتله^(٢) ثمّ نجا واشتهر أمره من يومئذ.

واتفق [أن] الشّيخ نصّر المنبجي كآن قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيرس الجاشنكير فيه فبلغه أنّ ابن تيميّة يقع في ابن العربي لأنّه كان يعتقد أنّه مستقيم وأنّ الذي ينسب إليه من الاتحاد أو الإلحاد من قصور فهم من ينكر عليه، فأرسل ينكر عليه وكتب إليه كتاباً طويلاً ونسبه وأصحابه إلى الاتحاد الذي هو حقيقة الإلحاد، فعظّم ذلك عليهم وأعانه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد مغيرة وقعت منه في مواعيده وفتاويه فذكروا أنّه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال: كنزولي هذا فنسب إلى التجسيم^(٣)، ورده على من توسّل بالنبي ﷺ أو استغاث فأشخص من دمشق في رمضان سنة خمس وسبعمائة فجرى عليه ما جرى وحبس مراراً فأقام على ذلك نحو أربع سنين أو أكثر وهو مع ذلك يشغل ويفتي إلى أن اتفق أنّ الشّيخ نصرًا قام على الشّيخ كريم الدّين الآملي شيخ خانقاه سعيد السعداء فأخرجه من

(١) ما نقله الحافظ هنا عن الاقشيري أو غيره لم نجده في المصادر السابقة! ولم نجد ما يوافق ما ذكر في مؤلفات الشّيخ - رحمه الله -.

(٢) هذا مخالف لما ورد في المصادر، من تعظيم غازان لشّيخ الاسلام وطلب الدعاء منه ...

(٣) هذا ذكره ابن بطوطة في رحلته، وهو غير ثابت تاريخيّاً، وقد نقضه غير واحد من العلماء، ذكرناهم في تعليقنا على «رحلة ابن بطوطة» من هذا الكتاب: ٣٩٨.

الخانقاه، وعلى شمس الدين الجزري فأخرجه من تدريس الشريفة، فيقال: إِنَّ الْأَمَلِي دخل الخلوة بمصر أربعين يوماً فلم يخرج حتى زالت دولة ببيرس وخمل ذكر نصر وأطلق ابن تَيْمِيَّة إلى الشام.

وافترق النَّاس فيه شيعاً فمنهم من نسبته إلى التجسيم لما ذكر في «العقيدة الحموية» و «الواسطية» وغيرهما من ذلك كقوله: إِنَّ الْيَدِ وَالْقَدَمِ وَالسَّاقِ وَالْوَجْهَ صفات حقيقية لله، وأنه مستوٍ على العرش بذاته، ف قيل له: يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال: أَنَا لَا أَسْلَمُ أَنَّ التَّحِيزَ وَالْانْقِسَامَ من خواصِّ الأجسام، فألزم بأنه يقول بتحيز في ذات الله، ومنهم من ينسبه إلى الزندقة لقوله: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُسْتَغَاثُ بِهِ، وأن في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم النَّبِيِّ ﷺ، وكان أَشدَّ النَّاسِ عليه في ذلك النور البكري فإنه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يُعْزَرُ فقال البكري: لَا مَعْنَى لِهَذَا الْقَوْلِ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ تَنْقِيسًا يُقْتَلُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَنْقِيسًا لَا يُعْزَرُ، ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في عليٍّ مَا تَقَدَّمَ، ولقوله: إِنَّهُ كَانَ مَخْذُولًا حَيْثُمَا تَوَجَّهَ وَانْهَ حَاوَلَ الْخِلَافَةَ مَرَارًا فَلَمْ يَنْلُهَا وَإِنَّمَا قَاتَلَ لِلرِّيَاسَةِ لَا لِلدِّيَانَةِ، ولقوله: إِنَّهُ كَانَ يَحِبُّ الرِّيَاسَةَ، وَأَنْ عَثْمَانُ كَانَ يَحِبُّ الْمَالَ، ولقوله: أَبُو بَكْرٍ أَسْلَمَ شَيْخًا [لَا] يَدْرِي مَا يَقُولُ، وعليٍّ أَسْلَمَ صَبِيًّا وَالصَّبِيُّ لَا يَصْحُحُ إِسْلَامُهُ عَلَى قَوْلٍ، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل ومات ما نسبها من الثناء على^(١)... وقصة أبي العاص بن الربيع وما يؤخذ من مفهومها فإنه شنع في ذلك فألزموه بالنفاق لقوله ﷺ: «وَلَا يَبْغُضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»، ونسبه قوم إلى أنه يسعى في الإمامة الكبرى فإنه كَانَ يُلْهَجُ بِذِكْرِ ابْنِ تَوَمَرْتٍ وَيَطْرِيهِ فَكَانَ

(١) كذا في الأصل، والعبارة قلقة.

ذلك مؤكداً لطول سجنه، وله وقائع شهيرة وكان إذا حوقق وألزم يقول:
لم أُرِدْ هذا إنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً^(١).

قال: وكان من أذكياء العالم وله في ذلك أمور عظيمة، منها: أنَّ
محمَّد بن أبي بكر السكاكيني عمل أبياتاً على لسان ذمي في إنكار القدر
وأولها:

أيا علماء الدِّين ذمي دينكم تحير دُلَّوه بأعظم حُجَّة

إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

فوقف عليه ابن تيمية فثنى إحدى رجله على الأخرى وأجاب في
مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتاً أولها:

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم ربَّ العرش باري البرية

وكان يقول: أنا فاقرت في الأقفاص^(٢).

وقال شيخ شيوخنا الحافظ أبو الفتح اليعمري في ترجمة ابن تيمية:
حداني - يعني المزي - على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدِّين
فألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً،
إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرِك
غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر

(١) جميع ما نقله الحافظ عن الآقشهرى في «رحلته» مخالف لكل ترجمات الشيخ،
ونحن نستغرب من الحافظ استرواحه لهذه الأخبار التي لا أساس لها من الصحة،
واعتماده على الآقشهرى مع نفوذه بها.

(٢) كذا في الأصل، ونسخة: «ناقرت».

بالمِلَلِ والنَّحْلِ لَمْ يُرْ أَوْسَعُ مِنْ نَخْلِهِ فِي ذَلِكَ وَلَا أَرْفَعُ مِنْ دَرَايَتِهِ، بَرَزَ فِي كُلِّ فَنٍّ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ، وَلَمْ تَرَ عَيْنَ مَنْ رَأَاهُ مِثْلَهُ وَلَا رَأَتْ عَيْنُهُ مِثْلَ نَفْسِهِ، كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي التَّفْسِيرِ فَيَحْضُرُ مَجْلِسَهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ، وَيَرِدُونَ مِنْ بَحْرِهِ الْعَذْبِ النَّمِيرُ، يَرْتَعُونَ مِنْ رِيْعِ فَضْلِهِ فِي رَوْضَةِ وَغْدِيرٍ، إِلَى أَنْ دَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ دَاءُ الْحَسَدِ، وَأَكْبَ أَهْلُ النَّظَرِ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَنْتَقِدُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْمَعْتَقَدِ، فَحَفِظُوا عَنْهُ فِي ذَلِكَ كَلَامًا، أَوْسَعُوهُ بِسَبَبِهِ مَلَامًا، وَفَوْقُوا لِتَبْدِيعِهِ سِهَامًا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ خَالَفَ طَرِيقَهُمْ، وَفَرَّقَ فَرِيقَهُمْ، فَنَازَعَهُمْ وَنَازَعُوهُ، وَقَاطَعَ بَعْضَهُمْ وَقَاطَعُوهُ، ثُمَّ نَازَعَ طَائِفَةً أُخْرَى يَنْتَسِبُونَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَى طَرِيقَةٍ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى أَدَقِّ بَاطِنٍ مِنْهَا وَأَجْلَى حَقِيقَةٍ، فَكَشَفَ تِلْكَ الطَّرَائِقَ، وَذَكَرَ [لَهَا] - عَلَى مَا زَعَمَ - بَوَائِقَ، فَأَضَتْ إِلَى الطَّائِفَةِ الْأُولَى مِنْ مَنَازِعِهِ، وَاسْتَعَانَتْ بِذَوِي الضُّغْنِ عَلَيْهِ مِنْ مَقَاطِعِهِ، فَوَصَلُوا بِالْأَمْرَاءِ أَمْرَهُ، وَأَعْمَلُ كُلِّ مِنْهُمْ فِي كُفْرِهِ فِكْرَهُ، فَارْتَبَوْا مُحَاضِرَ، وَأَلْبَوْا الرُّوَيْضَةَ لِلْسَّعْيِ بِهَا بَيْنَ الْأَكَابِرِ، وَسَعَوْا فِي نَقْلِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْمَمْلَكَةِ بِالذِّيَارِ الْمِضْرِيَةِ فَنَقِلَ، وَأَوْدَعَ السَّجْنَ سَاعَةً حُضُورَهُ وَاعْتَقَلَ، وَعَقَدُوا لِإِرَاقَةِ دَمِهِ مَجَالِسَ، وَحَشَدُوا لِذَلِكَ قَوْمًا مِنْ عُمَّارِ الزَّوَايَا وَسَكَّانِ الْمَدَارِسِ، مَا بَيْنَ مُجَاطِلٍ فِي الْمُنَازَعَةِ، وَمَخَاتِلٍ بِالْمَخَادَعَةِ، وَمُجَاهِرٍ بِالتَّكْفِيرِ مَبَارِزَ بِالْمَقَاطِعَةِ، يَسُومُونَهُ رَيْبَ الْمُنُونِ، وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ.

وَلَيْسَ الْمُجَاهِرُ بِكُفْرِهِ بِأَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْمُجَاطِلِ، وَقَدْ دَبَّتْ إِلَيْهِ عِقَارِبُ مَكْرِهِ، فَارْتَدَّ اللَّهُ كَيْدَ كُلِّ فِي نَحْرِهِ، وَنَجَاهُ عَلَى يَدٍ مِنْ اضْطِفَافِهِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ.

ثُمَّ لَمْ يَخُلْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ فِتْنَةٍ بَعْدَ فِتْنَةٍ، وَلَمْ يَنْتَقِلْ طَوِيلَ عَمْرِهِ مِنْ مَحَنَةٍ [إِلَّا] إِلَى مَحَنَةٍ، إِلَى أَنْ فُوضَ أَمْرُهُ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ فَتَقَلَّدَ مَا تَقَلَّدَ مِنْ

اعتقاله، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله، وإلى الله ترجع الأمور، وهو مطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وكان يومه مشهودًا، ضاقت بجنازته الطريق، وانتابها المسلمون من كل فج عميق، يتقربون بمشهده يوم يقوم الأشهاد، ويتمسكون بسريه حتى كسروا تلك الأعواد.

قال الذَّهَبِيُّ مترجمًا له في بعض الإجازات: قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدلّ وهو دون البلوغ، وبرّع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين، وصنّف التّصانيف، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه، وتصانيفه نحو أربعة آلاف كُرّاسة وأكثر.

وقال في موضع آخر: وأمّا نقله للفقه ومذاهب الصّحابة والتابعين فضلًا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير.

وفي موضع آخر: وله باع طويل في معرفة أقوال السلف، وقلّ أن تذكر مسألة إلاّ ويذكر فيها مذاهب الأئمة، وقد خالف الأئمة الأربعة في عدة مسائل صنّف فيها واحتجّ لها بالكتاب والسنة، ولما كان معتقلًا بالإسكندرية التمس منه صاحب سبّته أن يجيز له بعض مروياته؛ فكتب له جملة من ذلك في عشرة أوراق بأسانيده من حفظه بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر من يكون، وأقام عدة سنين لا يفتي بمذهب معيّن.

وقال في موضع آخر: [كان] بصيرًا بطريقة السلف، واحتج له بأدلة وأمور لم يُسبق إليها وأطلق عبارات أحجم عنها غيره حتّى قام عليه خلق من العلماء بالمصريين فبدّعوه وناظروه، وهو ثابت لا يدهن ولا

يحابي بل يقول الحق إذا أداه إليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته، فجرى بينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية، ورموه عن قوس واحدة ثم نجاه الله تعالى. وكان دائم الابتغال كثير الاستغاثة قوي التوكل رابط الجأش، له أوراد وأذكار يُذمنها قلبية وجمعية.

وكتب الذّهبيّ إلى السبكي يُعاتبه بسبب كلام وقع منه في حقّ ابن تيمية فأجابه ومن جملة الجواب: وأما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كلّ من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجلّ، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق، والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان.

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين العلائي في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء الدين عبدالله بن محمد بن خليل ما نصه: وسمع بهاء الدين المذكور على الشيخين: شيخنا وسيدنا وإمامنا فيما بيننا وبين الله تعالى شيخ التحقيق السالك بمن اتبعه أحسن طريق ذي الفضائل المتكاثرة والحجج القاهرة التي أقرت الأمم كافة أنّ هممها عن حصرها قاصرة ومتعنا الله بعلومه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الإمام العالم الرباني والحبر البحر القطب النوراني إمام الأئمة بركة الأمة علامة العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدين أوجد علماء الدين شيخ الإسلام حجة الأعلام قدوة الأنام برهان المتكلمين قانع المبتدعين سيف المناظرين بحر العلوم كنز المستفيدين ترجمان القرآن أعجوبة الزمان فريد العصر والأوان: تقي الدين إمام المسلمين حجة الله على العالمين اللاحق

بالصالحين والمشبه بالماضين مفتي الفرق ناصر الحق علامة الهدى
عمدة الحفاظ فارس المعاني والألفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة
أبو العباس ابن تيمية.

وقرأت بخط الشيخ برهان الدين محدث حلب قال: اجتمعت بالشيخ
شهاب الدين الأذرعي سنة (٧٧٩) لما أردت الرحلة إلى دمشق فكتب
لي كتباً إلى الياصوفي والحسباني وابن الجابي وابن مكتوم وجماعة
الشافعية إذ ذاك فحصل لي منهم تعظيم، وذكر لي في ذلك المجلس
الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأثنى عليه، وذكر شيئاً من كراماته، وذكر
أنه حضر جنازته، وأن الناس خرجوا من الجامع من كل باب، وخرجت
من باب البريد فوقعت سرموزتي فلم أستطع أن أستعيدها وصرت أمشي
على صدور الناس، ثم لما فرغنا ورجعت لقيت السرموزة وذلك من
بركة الشيخ رحمه الله.



تقريظه على الرد الوافر^(١)

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وقفت على هذا التأليف النافع، والمجموع الذي هو للمقاصد التي جُمع لأجلها جامع. فتحققت سعة اطلاع الإمام الذي صنفه. وتصلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلماء وشرفه.

وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس. وتلقيه بشيخ الإسلام في عصره باقٍ إلى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غداً كما كَانَ بالأمس. ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره. أو تجنب الإنصاف. فَمَا أَغْلَطَ من تعاطى ذلك وأكثر عثاره. فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بِمَنِّهِ وفضله.

ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل إلا ما نبّه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه: أَنَّهُ لم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين. وأشار إلى أَنَّ جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جداً شهدها مئات ألوف. ولكن لو كَانَ بدمشق من الخلائق نظير من كَانَ ببغداد أو أضعاف ذلك. لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته. وأيضاً فجميع من كَانَ ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد. وكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم. بخلاف ابن تيمية فكان أمير البلد حين مات غائباً. وكان أكثر من بالبلد من الفقهاء قد تعصبوا عليه حتَّى مات محبوساً

(١) ساقه في «الجواهر والدرر»: ٧٣٤/٢ - ٧٣٦، وهو ملحق بآخر الرد الوافر، طبعة المكتب الإسلامي.

بالقلعة. ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتأسف عليه إلا ثلاثة أنفس. تأخروا خشية على أنفسهم من العامة. ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته، لا بجمع سلطان ولا غيره، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «أنتم شهداء الله في الأرض».

ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مراراً بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع، وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق، ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا حكم بسفك دمه، مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة، حتى حبس بالقاهرة ثم بالإسكندرية، ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده، ووصفه بالسخاء والشجاعة، وغير ذلك من قيامه في نُصرة الإسلام والدعاء إلى الله تعالى في السر والعلانية.

فكيف لا ينكر على من أطلق: أنه كافر؟ بل من أطلق على من سماه شيخ الإسلام: الكفر، وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك. فإنه شيخ في الإسلام بلا ريب. والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي. ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه، ومع ذلك فهو بشرٌ يخطيء ويصيب، فالذي أصاب فيه وهو الأكثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه لا يُقلد فيه، بل هو معذور، لأن أئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه. حتى كان أشد المتعصبين عليه، والقائمين في إيصال الشر إليه، وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني يشهد له بذلك. وكذلك الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره.

ومن أعجب العجب، أن هذا الرجل كان أعظم الناس قياماً على

أهل البدع من الروافض، والحلولية، والاتحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فيا قرّة أعينهم إذا سمعوا بكفره، ويا سرورهم إذا رأوا من يكفره من أهل العلم^(١) !!

فالواجب على من تلبّس بالعلم، وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة، أو من السنة من يوثق به من أهل النقل، فيفرد من ذلك ما يُنكر، فيُحذّر منه على قصد النصح، ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك، كدأب غيره من العلماء الأنجاء.

ولو لم يكن للشيخ تقي الدّين من المناقب إلّا تلميذه الشهير الشّيخ شمس الدّين ابن قيم الجوزية، صاحب التّصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف، لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته.

فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم، والتميز في المنطوق والمفهوم، أئمة عصره من الشافعية وغيرهم! فضلاً عن الحنابلة.

فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء: الكفر، أو على من سماه شيخ الإسلام، لا يُلتفت إليه، ولا يعول في هذا المقام عليه، بل يجب رده عن ذلك، إلى أن يراجع الحق، ويدعن للصواب.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قاله وكتبه أحمد بن عليّ بن محمّد بن حجر الشافعي، عفا الله عنه، وذلك في يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الأوّل عام خمسة وثلاثين وثمان مئة حامداً لله، ومصلياً على رسوله محمّد وآله ومسلماً.

(١) في نسخة: «من يكفر من لا يكفره» ١.

العلامة / بدر الدين محمود العيني (٨٥٥)

- ١ - عَقْدُ الْجَمَانِ.
- ٢ - تَقْرِيطُهُ لِلرَّدِّ الْوَافِرِ لِابْنِ نَاصِرِ الدِّينِ.

عَقْدُ الْجُمَان^(١)

ابن تَيْمِيَّةَ

هو الشَّيْخُ الإمام العالم العلامة تقي الدِّين أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ الْحَنْبَلِيِّ.

كَانَ إِمَامًا فَاضِلًا بَارِعًا ذَا فَنُونٍ كَثِيرَةٍ، وَلَا سِيَّمَا عِلْمَ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالفقه الأصولين، وَكَانَ سَيِّفًا صَارِمًا عَلَى الْمُبْتَدِعِينَ، وَكَانَتْ لَهُ مَوَاعِيدُ^(٢) حَسَنَةٌ، وَأَوْقَاتٌ طَيِّبَةٌ، وَكَانَ عَلَى مَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْوَرَعِ، وَخَشُونَةِ الْعَيْشِ، وَالْقَنَاعَةِ، وَالْكَفِّ عَنْ حَطَامِ الدُّنْيَا، وَلَهُ تَصَانِيفٌ مَشْهُورَةٌ فِي عُلُومِ شَتَّى.

وَكَانَ كَثِيرَ الذِّكْرِ وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ، وَكَانَ أَمَّارًا لِلْمَعْرُوفِ نَهَاءً عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ ذَا هِمَّةٍ وَشَجَاعَةٍ وَإِقْدَامٍ، وَجَرَى لَهُ حِكَايَاتٌ كَثِيرَةٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلِ الطَّلَاقِ وَنَحْوِهِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا فِي أَثْنَاءِ السَّنِينَ الْمَاضِيَةِ، فَالْحَالُ حَالُهُ إِلَى أَنْ اعْتَقِلَ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ، وَتَوَفَّى فِيهَا فِي الثَّلَاثِ الْأَخِيرِ مِنْ لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ الْمُسْفِرِ صَبَاحُهَا عَنْ عَشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَكَانَ مَرَضُهُ مَدَّةَ سَبْعَةِ عَشْرِ يَوْمًا،

(١) نسخة طوب قابي برقم ١٧/٢٩١١، بخط المؤلف، (١٧/ ق ٤٢ب-٤٣أ).

(٢) في الأصل: «مواعيده»!

وصلَّى عليه بباب القلعة الشيخ محمد بن تمام، ثمَّ صلَّوا عليه في الجامع، ثمَّ دفن في مقابر الصوفية إلى جانب أخيه الشيخ شرف الدين.

ومولده في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة بحرَّان، وقدم مع والده إلى دمشق، ثمَّ أخذ العلوم من مشايخ كثيرة، قال ابن كثير: ويوم مات غلق جميع أسواق دمشق، وامتأَّ الجامع أكثر من يوم الجمعة، وحضر الأمراء والحجاب وحملوه على رؤوسهم، وخرجوا به من باب الفرج، وامتدَّ الخلق إلى مقابر الصوفية، وختموا على قبره ختمات، وبات أصحابه على قبره ليلي.

وكتب قاضي القضاة كمال الدين بن الزمَّلكاني على بعض مصنفاته:

ماذا يقول الواصفون له وصفائه جَلَّتْ عن الحَضِرِ
هو حُجَّةٌ لِلْقَاهِرَةِ هو بيننا أعجوبة العَصْرِ
هو آيةٌ لِلخَلْقِ ظَاهِرَةٌ أنوارها أربث على الفَجْرِ
وفيه يقول العلامة أثير الدين أبو حيَّان من أبيات:

قامَ ابنُ تَيْمِيَّةٍ في نَصْرِ شَرِيعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ
فأَظْهَرَ الحَقُّ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ وأَخَمَدَ الشَّرُّ إِذْ طَارَتْ لَهُ الشَّرُّ
كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ حَبْرٍ يَجِيءُ فَهَآ أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ

ورثاه الإمام زين الدين عمر ابن الوردی بقصيدة منها:

عشا في عِرضه قومٌ سِلاط لهم من نثر جواهره التقاطُ

تقي الدين أحمد خير خبر خُروق المعضلات به تُخاط
توفي وهو محبوسٌ فريدٌ وليس له إلى الدنيا انبساطُ
ولو حضروه حين قَضَى لألفوا ملائكة التَّعِيم به أحاطوا
في الله ماذا ضمَّ لحدِّ ويالله ما غطى البَلَاطُ
هم حسدوه لَمَّا لم ينالوا مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى ولكن في أذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الأصداف فخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداءً فقد ذاقوا المنون ولم تواطوا
إمام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رِبَاط
ولا جاراكم في كسب مالٍ ولم يُعهد له بكم اختلاط
سيظهر قصدكم يا حابسيه ونيتكم إذا نُصب الصراط
فهاهو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تُعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير ردٍ عليكم وانطوى ذاك البساط

تقريظه للرد الوافر لابن ناصر الدين^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن أضوع زهر تفتق عنه أكماس ألسن الأنام. وأبدع ذكر يعبق منه طيب الأفهام، حمد من أجرى ماء التبيان في عود اللسان. لحمل ثمار المعاني والبيان، وكشف ضبابة الأوهام بشموس الحقائق، وأبان ما في القلوب بأقمار الدقائق، وأشرع أسنة الخواطر والأفكار، بأيدي أنوار البصائر والأبصار، إلى ثغر العلوم والأخبار، وأقلع عنا بنسائم ألطافه عجاجة الظنون والشكوك، ووقع لنا مناشير الصدق في السلوك، وأراحنا في ركوب أعناق الكلام، من العثرات والملام، وأزاحنا عن مقالات لا يُقال فيها العثار، ومحالات يستحيل فيها الإعذار، اللهم صلّ على صاحب الوحي والرسالة، المخلوق من طينة الفصاحة والبسالة، الذي أصعدته ذرى الملكوت وأعطيته الكتاب، وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب، محمد المصطفى المستأثر بالشفاعة يوم الحساب، وعلى آله الذين استأسدوا في رياض نبوته، وأصحابه الذين تقلدوا بسيف النصر في دعوته، وعلى علماء الأمة الذين استظهروا على صدمات الدهر وصولته بنزع ألسنتهم من تفويق سهام الطعن إلى أغراض العصبية، وإقلاع أسنة خوضهم في أعراض الأنفس الأبية، فلذلك صاروا أنجمًا للاهتداء، وبدورًا للاقتداء، فأجدر بهم أن يفوه لهم بمشايع الإسلام، وأنصار شرائع خير الأنام.

(١) ملحق بآخر «الرد الوافر» طبعة المكتب الإسلامي.

وبعد ؛ فَإِنَّ مؤلف كتاب «الرد الوافر» قد جد في هذا التّصنيف البديع الزاهر وجلا بمنطقه السحار، الرد على من تفوه بالإكفار، علماء الإسلام، والأئمة الأساطين الأعلام، الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدار في رياض النعيم، واستنشقوا رياح الرحمة من رب كريم، فمن طعن في واحد منهم، أو نقل غير صحيح قيل عنهم، فكانمّا نفخ في الرماد، أو اجتنى من خرط القتاد، وكيف يحل لمن يتسمّ بالإسلام، أو يتسمّ بِسِمَةِ من علم أو فهم أو إفهام، أن يكفر من قلبه عن ذلك سليم بهيج، واعتقاده لا يكاد إلى ذلك يهيج، ولم يورِ زُنْد طبعه في القريض، لم يزل يجد العذب مرًا كالمریض، والعائب لجهله شيئًا بيدي صفحة معاداته، ويتخبّط خبط العشواء في محاوراته، وليس هو إِلَّا كالجُعل باشتام الورد يموت حتف أنفه، وكالخفّاش يتأذى ببهور سناء الضوء لسوء بصره وضعفه، وليس لهم سجية نقادة، ولا رَوِيَّة وقّادة، وماهم إِلَّا صلقع بلقع سلقع، والمكفر منهم صلّعة ابن قلمعة، وهيان بن بيان، وهي ابن بيّ، وضل ابن ضل، وضلال بن التلال.

ومن الشائع المستفيض أَنَّ الشَّيْخ الإمام العالم العلامة تقي الدين ابن تَيْمِيَّة من شَمِّ عرانيين الأفاضل، ومن جم براهين الأمائل، الَّذِي كَانَ له من الأدب مآدب تغذي الأرواح، ومن نخب الكلام له سلافة تهز الأعطاف المراح، ومن يانع ثمار أفكار ذوي البراعة. طبعه المفلق في الصناعة، الخالية عن وصمة الفجاجة والبشاعة، وهو الكاشف عن وجوه مخدرات المعاني نقابها، والمفترع عرائس المباني بكشف جلبابها، وهو الذاب عن الدين طعن الزنادقة والملحدين، والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين، وللمأثورات من الصّحابة والتابعين.

فمن قال: هو كافر!! فهو كافر حقيق!! ومن نسبته إلى الزندقة!! فهو زنديق!!

وكيف ذاك وقد سارت تصانيفه في الآفاق، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق، ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألة الزيارة والطلاق: إلا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق، والمجتهد في الحالتين مأجور مثاب، وليس فيه شيء مما يلام أو يعاب. ولكن حملهم على ذلك حسدهم الظاهر، وكيدهم الباهر، وكفى للحاسد ذمًا آخر سورة الفلق في احتراقاته بالفلق، ومن طعن في واحد ممن قضى نحبه منهم، أو نقل غير ما صدر عنهم، فكأنما أتى بالمحال، واستحق به سوء النكال. وهو الإمام الفاضل البارع التقى النقي الوارع الفارس في علمي الحديث والتفسير، والفقه والأصولين بالتقرير والتحريز، والسيف الصارم على المبتدعين، والحبر القائم بأمر الدين، والأمار بالمعروف والنهي عن المنكر. ذو همة وشجاعة وإقدام فيما يردع ويزجر، كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة، خشن العيش والقناعة، من دون طلب الزيادة، وكانت له المواعيد الحسنة السنية، والأوقات الطيبة البهية، مع كفه عن حطام الدنيا الدنية، وله المصنفات المشهورة المقبولة، والفتاوي القاطعة غير المعلولة. وقد كتب على بعض مصنفاته قاضي القضاة كمال الدين ابن الرَّمْلَكَاني رحمه الله تعالى:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جَلَّتْ عن الحَضَرِ
هو حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ هو بيننا أعجوبة الدَّهْرِ

وقد عرفت ترجمة ابن الرَّمْلَكَاني.

وهو: الإمام أبو المعالي كمال الدين محمَّد ابن الإمام علاء الدين أبي الحسن علي بن كمال الدين أبي محمَّد عبدالواحد بن عبدالكريم بن خلف بن نبهان الأنصاري، الشهير بابن الرَّمْلَكَاني الشَّافعي، أخذ النحو

عن بدر الدين بن مالك، والفقه عن الشيخ تاج الدين عبدالرحمن،
والأصول عن قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي.

وكان كثير الفضل سريع الإدراك يتوقد ذكاء وفطنة، وأجمع الناس
على فضله، وانتهت إليه رئاسة المذهب في عصره، وتولى قضاء حلب
وأقام بها إلى حين طلب إلى مصر.

ومات بمدينة بليس يوم الأربعاء السادس عشر من رمضان، من
سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وحمل من بليس إلى القرافة، ودفن
بالقرب من قبر قاضي القضاة إمام الدين القزويني، بجوار قبة الإمام
الشافعي - بظاهر القاهرة - رحمهم الله تعالى، وكان قد طُلب ليتولى
قضاء دمشق ومن شعره:

سواكم بقلبي لا يحِلُّ ولا يحلو كما أنه من حُبِّكم قط لا يخلو
حللتُم غُرَى صَبْرِي وحلَّلتُم دمي وحرَّمتُمُ وصلي فلذَّ ليَّ القتل
إلى غير ذلك من الأبيات.

ولما قدم إلى حلب حاكمًا، نزل بمشهد الفردوس ظاهرها، فقال
الأديب شمس الدين محمَّد بن يوسف الدمشقي:

يا حاكم الحُكَّام يا مَنْ به قد شرفت رتبته الفاخره
ومن سقى الشهباء مُذ حلها بحار علم ونَدَى زاخره
نزلت بالفردوس فابشر به دارك في الدنيا وفي الآخره
وكتب إليه الشيخ جلال الدين القلانسي أبياتًا كذلك، وكذلك

الشيخ جمال الدين ابن نباتة المصري، ثم رثاه بقصيدة يطول ذكر ذلك ها ههنا.

أفلا تكفي شهادة هذا الحبر لهذا الإمام، حيث أطلق عليه: حجة الله في الإسلام، ودعواه أنَّ صفاته الحميدة لا يمكن حصرها، ويعجز الواصفون عن عدّها وزبرها.

فإذا كَانَ كذلك كيف لا يجوز إطلاق: شيخ الإسلام عليه؟ أو التوجه بذكره إليه؟ وكيف يسوغ إنكار المعاند الماكر الحاسد؟ وليت شعري ما متمسك هذا المكابر، المجازف الجاهل المجاهر، وقد عُلِمَ أنَّ لفظة الشيخ لها معنيان؛ لغوي، واصطلاحي،

فمعناه اللغوي: الشيخ من استبان فيه الكبر.

ومعناه الاصطلاحي: الشيخ من يصلح أن يتلمذ له.

وكلا المعنيين موجود في الإمام المذكور، ولا ريب أنَّه كَانَ شيخًا لجماعة من علماء الإسلام، ولتلازمة من فقهاء الأنام، فإذا كَانَ كذلك كيف لا يطلق عليه: شيخ الإسلام؟ لأن من كَانَ شيخ المسلمين يكون شيخًا للإسلام، وقد صرح بإطلاق ذلك عليه قضاة القضاة الأعلام، والعلماء الأفاضل أركان الإسلام، وهم الذين ذكرهم مؤلف كتاب «الرد الوافر» في رسالته التي أبدع فيها بالوجه الظاهر، وقد استغينا بذكره عن إعادته، فالواقف عليه يتأمله، والناظر فيه يتقبله.

وأما مَا جَرَّيَات هذا الإمام فكثيرة في مجالس عديدة، فلم يظهر في ذلك لمعانيده فيما ادَّعِيَ به عليه برهان، غير تنكيدات رسخت في القلوب من ثمرات الشنآن، وقصارى ذلك أنَّه حبس بالظلم والعدوان،

وليس في ذلك ما يعاب به ويشان، وقد جرى على جلة من التّابعين الكبار، من قتل وقيد وحبس وإشهار، وقد حبس الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، ومات في الحبس فهل قال أحدٌ من العلماء: إنّه حبس حقًا.

وحُبِسَ الإمام أحمد رضي الله عنه، وقُيِّدَ لما قال قولاً صدقًا.
والإمام مالك رضي الله عنه ضُربَ ضربًا مؤلمًا شديدًا بالسياط.
والإمام الشّافعيّ رضي الله عنه، حمل من اليمن إلى بغداد بالقيّد والاحتياط.

وليس بدع أن يجري على هذا الإمام ما جرى على هؤلاء الأئمة الأعلام.

وكان آخر حبسه بقلعة دمشق، وتوفي فيها في الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفر صباحها عن عشرين من ذي القعدة، من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وكان مرضه سبعة عشر يومًا، وصلى عليه بباب القلعة الشّيخ محمّد بن تمام، ثمّ صلوا عليه في الجامع الأموي، ثمّ دفن في مقابر الصوفية إلى جانب أخيه الشّيخ شرف الدين.

ومولده في عاشر ربيع الأوّل سنة إحدى وستين وستمائة بحران، وقدم مع والده إلى دمشق.

ووقت الصلاة عليه امتلأ الجامع أكثر من يوم الجمعة، وحضرت الأمراء والحجاب وحملوه على رؤوسهم وخرجوا به من باب الفرج، وامتد الخلق إلى مقابر الصوفية، وختموا على قبره ختمات، وبات أصحابه على قبره ليليّ عديدة. ورثاه الإمام زين الدين عمر ابن الوردي.

رحمه الله بقصيدة منها قوله :

عشا في عرضه قومٌ سِلاط	لهم من نثر جوهرة التقاتُ
تقي الدين أحمد خير خبر	خروق المعضلات به تُخاطُ
توفي وهو محبوسٌ فريدٌ	وليس له إلى الدنيا انبساطُ
ولو حضروه حين قضى لألفوا	ملائكة التَّعيم به أحاطوا
فيالله ماذا ضمَّ لحدًا!	وياالله ما غطى البلاطُ!
هم حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كُسالى	ولكن في أذاه لهم نشاط
وحبسُ الدُّر في الأصداغ فخر	وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداءٌ	فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
إمام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رِباط
ولا جاراكم في كسب مالٍ	ولم يُعهد له بكم اختلاط
سيظهر قصدكم يا حابسيه	ونيتكم إذا نُصب الصراط
فهاهو مات عنكم واسترحتم	فعاطوا ما أردتم أن تُعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير ردٍّ	عليكم وانطوى ذاك البساط

والإمام زين الدين هذا كَانَ علامة متقنًا في العلوم. ومجيدًا في
المنثور والمنظوم. وله الأشعار الرائقة، والمقاطيع الفائقة، وكان ماهرًا

في العربية درس وأعاد وأفتى، وله مؤلفات مفيدة منها: «نظم الحاوي الصغير».

مات بحلب في سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

وفيه يقول الإمام العالم العلامة أثير الدين أبو حيان:

قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَصْرِ شَرِيعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ
فَظَهَرَ الْحَقُّ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشَّرُّ إِذْ طَارَتْ لَهُ الشَّرَرُ
كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ حَبْرٍ يَجِيءُ فَهَآ أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ

فإذا كَانَ هذا الإمام بهذا الوصف بشهادة هذا العلامة، وبشهادة غيره من العلماء الكبار، فماذا يترتب على من يطلق عليه: الزندقة أو ينبذه بالكفر؟ ولا يصدر هذا إلا عن غبي جاهل، أو مجنون كامل.

فالأول: يعزر بغاية التعزير، ويُشَهَّرُ في المجالس بغاية التشهير، بل يؤبد في الحبس إلى أَنْ يحدث التوبة، أو يرجع عن ذلك بأحسن الأوبة.

والثاني: يداوى بالسلاسل والأصفاد، والضرب الشديد بلا أعداد، وهذا كله من فساد أهل هذا الزمان، وتواني ولاية الأمور عن إظهار العدل والإحسان، وقطع دابر المفسدين، واستئصال شأفة المدبرين، حيث يتصدى جاهل يدعي أَنَّهُ عالم، بثلب أعراض علماء المسلمين، ولا سيما الَّذِينَ مضوا إلى الحق بالحق، وبه كانوا عادلين.

وهذا الإمام مع جلالة قدره في العلوم، نقلت عنه على لسان جم غفير من الناس، كرامات ظهرت منه بلا التباس، وأجوبة قاطعة عند

السؤال منه، عن المعضلات، من غير توقف منه بحالة من الحالات.

ومن جملة ما سئل عنه وهو على كرسيه، يعظ الناس والمجلس غاص بأهله، في رجل يقول: ليس إلا الله. ويقول: الله في مكان، هل هو كفر أو إيمان؟

فأجاب على الفور: من قال: إِنَّ اللَّهَ بذاته في كل مكان، فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين، بل هو مخالف للملثل الثلاث، بل الخالق سبحانه وتعالى بائن من المخلوقات ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، بل هو الغني عنها، البائن بنفسه منها. ولقد اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة وسائر أئمة الدين، أَنَّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ليس معناه أَنَّهُ مختلط بالمخلوقات وحالٌ فيها، ولا أَنَّهُ بذاته في كل مكان، بل هو سبحانه وتعالى مع كل شيء بعلمه وقدرته ونحو ذلك، فالله سبحانه وتعالى مع العبد أينما كان، يسمع كلامه، ويرى أفعاله، ويعلم سره ونجواه، رقيب عليهم مهيمن عليهم، بل السماوات والأرض وما بينهما كل ذلك مخلوق لله، ليس الله بحالٌ في شيء منها سبحانه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته، ولا أفعاله، بل يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تكليف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، فلا تمثل صفاته بصفات خلقه، ومذهب السلف: إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل.

وقد سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به

واجب، والسؤال عنه بدعة.

فهذا الإمام كما رأيت عقيدته، وكاشفت سريرته، فمن كَانَ على هذه العقيدة كيف ينسب إليه الحلول والاتحاد، أو التجسيم أو ما يذهب إليه أهل الإلحاد؟

أعاذنا الله وإياكم من الزيغ والضلال والعناد، وهدانا إلى سبيل الخير والرشاد، إِنَّهُ على كُلِّ شيءٍ قدير، وبالإجابة جدير.

حرره مُنَمَّقًا فقير رحمة ربه الغني، أبو محمَّد محمود بن أحمد العيني، عامله الله بلطفه الخفي والجلي. بتاريخ الثاني عشر من ربيع الأول، عام (٨٣٥) بالقاهرة المحروسة.

* * *

تقريظ العلامة صالح بن عمر البلقيني (٨٦٨)

«للرد الوافر» لابن ناصر الدين^(١)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد سيد السادات، من أهل الأرضين والسموات، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ويسّر والطف واختم بخير.

وقفت على هذا التصنيف الجامع، والمنتقى البديع للسامع، وعملت بشروط الواقفين من استيفاء النظر، فوجدته عقدًا منظمًا بالدرر، يفوق عقود الجُمان، ويزري بقلائد العقيان، ويضوع مسك الثناء على جامع مدى الزمان، وقال لسان الحال في حقه: ليس الخبر كالعيان، وكيف لا وهو مشتمل على مناقب عالم زمانه، والفائق على أقرانه، والذاب عن شريعة المصطفى باللسان والقلم، والمناضل عن الدين الحنيفي وكم أبدى من الحكم، صاحب المصنفات المشهورة، والمؤلفات الماثورة، الناطقة بالرد على أهل البدع والإلحاد، القائلين بالحلول والاتحاد، ومن هذا شأنه كيف لا يلقب بشيخ الإسلام؟ وينوه بذكره بين العلماء الأعلام؟ ولا عبرة بمن يرميه بما ليس فيه، أو ينسبه بمجرد الأهواء لقول غير وجهه، فلم يضره قول الحاسد والباغي، والجاحد والطاغي.

وما ضرَّ نور الشمس إن كان ناظرًا إليه عيونٌ لم تزل دهرها عُمية

(١) ملحق بآخر الرد الوافر.

غير أَنَّ الحسد يحمل صاحبه على اتباع هواه، وأن يتكلم فيمن يحسده بما يلقاه: لله دَرُّ الحسدِ ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله.

وما أحق هذا العالم بقول القائل:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا عِلْمَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ

وقال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ» أو قال: «العشب» أعاذنا الله من حسد يسد باب الإنصاف، ويصد عن جميل الأوصاف.

وكيف يجوز أن يكفر من لقب هذا العالم بشيخ الإسلام، ومذهبنا: أَنَّ من كفر أخاه المسلم بغير تأويل فقد كفر، لأنَّه سَمَى الإسلام كفرًا.

ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في ترجمة أبيه الشيخ تقي الدين السبكي في ثناء الأئمة عليه، بأن الحافظ المزني لم يكتب بخطه لفظة شيخ الإسلام إلَّا لأبيه، وللشيخ تقي الدين ابن تيمية، وللشيخ شمس الدين ابن أبي عمر.

فلولا أَنَّ ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل، ما قرن ابن السبكي أباه معه في هذه المنقبة، ولو كَانَ ابن تيمية مبتدعًا أو زنديقًا ما رضي أن يكون أبوه^(١) قرينًا له.

نعم قد نسب الشيخ تقي الدين ابن تيمية لأشياء أنكرها عليه معاصروه وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألتين: الزيارة، والطلاق، وأفرد كلا منهما بتصنيف، وليس في ذلك ما يقتضي كفره

(١) في الأصل: أباه.

ولا زندقته أصلاً، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر - يعني النبي ﷺ - والسعيد من عُدَّتْ غلطاته، وانحصرت سقطاته.

ثم إنَّ الظن بالشيخ تقي الدين أنَّه لم يصدر منه ذلك تهوراً وعدواناً - حاشا لله - بل لعله لرأي رآه وأقام عليه برهاناً، ولم نقف إلى الآن بعد التتبع والفحص على شيء من كلامه يقتضي كفره ولا زندقته، إنما نقف على رده على أهل البدع والأهواء، وغير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلو مرتبته في العلم والدين، وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وصح أنَّ رسول الله ﷺ قال: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا» وفي رواية: «حق كبيرنا».

وكيف يجوز أن يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن فيه ذلك؟ وقد صح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يرمي رجل رجلاً رجلاً بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

ثم كيف يجوز الإقدام على سب الأموات بغير حق وهو محرم، [و] صح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا».

وكيف يجوز أذى المؤمن بغير حق والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

وصح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

فالواجب على من أقدم على رمي هذا العالم بما ليس فيه، الرجوع إلى الله والإقلاع عما صدر منه، ليحوز الأجر الجزيل بالقصد الجميل، وإن اطلع على أمر يحتمل التأويل بغير دليل، وإن صح عنده أمر جازم عنه يقتضي إنكاره فينكره قاصداً النصيحة، ولا يهضم مقام الرجل مطلقاً مع شهرته بالعلم والفضل والتصانيف والفتاوي التي سارت بها الركبان، والله يحفظنا من الخطأ والخطل، ويحمينا من الزيغ والزلل، آمين والحمد لله رب العالمين.

وكتب في اليوم المبارك الموافق ليوم ولادة النبي ﷺ يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وثمانمائة.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى عفو ربه صالح بن عمر البلقيني الشافعي، لطف الله تعالى به.

العلامة / جمال الدين يوسف بن تغري بَرّدي (٨٧٤)

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي
- الدليل الشافي
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي^(١)

ابن تَيْمِيَّةَ

أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن عليّ بن عبد الله، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العبّاس بن أبي المحاسن شهاب الدين ابن أبي البركات مجد الدين الحرّاني الأصل والمولد، الدّمشقي الدار والوفاة، الحنبلي، المعروف بابن تَيْمِيَّةَ، الإمام العلامة، الحافظ الحجة، فريد دهره، ووحيد عصره.

مولده بحران يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم دمشق مع والده سنة تسع وستين، وسمع الحديث من أحمد بن عبد الدائم، ومجد الدين بن عساكر، وابن أبي اليسر، وأكثر من أصحاب حنبل، وأبي حفص ابن طَبْرَزَد، وغيرهم. وقرأ واشتغل وانتقى، وبرع في علوم الحديث، وانتهت إليه الرئاسة في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ودرس وأفتى، وتصدر للإقراء والإفادة عدة سنين، وفسر، وصنف التّصانيف المفيدة. وكان صحيح الذهن، ذكياً، إماماً متبحّراً في علوم الديانة، موصوفاً بالكرم، مقتصداً في المأكل والملبس، وكان عارفاً بالفقه، واختلافات العلماء، والأصليين، والنحو، إماماً في التفسير وما يتعلق به، عارفاً باللغة، إماماً في المعقول والمنقول، حافظاً للحديث، مميزاً بين صحيحه وسقيمه.

أثنى عليه جماعة من أعيان علماء عصره، مثل الشيخ تقي الدين بن دقيق

(١) (١/٣٥٨-٣٦٢) الهيئة العامة المصرية.

العبد، والقاضي شهاب الدين الخويي، والشيخ شهاب الدين بن النحاس.

قال القاضي كمال الدين ابن الزمّلكاني: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

ثمّ جرت له محن في مسألة الطلاق الثلاث، وشدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، وحبب للناس القيام عليه، وحُبِسَ مرّات بالقاهرة والإسكندرية ودمشق، وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق، مع أنّه حصل له في [بعضها] تعظيم من الملك الناصر محمّد بن قلاوون، وأطلق وتوجه إلى دمشق فأقام بها إلى أن ورد مرسوم شريف من السلطان في شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة بأن يجعل في قلعة دمشق في قاعة حسنة، فأقام فيها مدة مشغولاً بالتصنيف، ثمّ بعد مدة منع من الكتابة والمطالعة، وأخرجوا ماعنده من الكتب، ولم يتركوا عنده دواة ولا قلمًا ولا ورقة.

ومما وقع له قبل حبسه أنّه بحث مع بعض الفقهاء، فكتب عليه محضر بأنه قال: أنا أشعري، ثمّ أخذ خطه بما نصه: أنا أعتقد أنّ القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ليس على ظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلمه إلّا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء، وكتبه أحمد بن تيمية، ثمّ أشهدوا عليه جماعة أنّه تاب مما ينافي ذلك مختارًا، وشهد عليه بذلك جمع من العلماء وغيرهم^(١). انتهى.

قلت: وعلم الشيخ تقي الدين وفضله معروف لا يحتاج إلى التطويل في ذكره. وقد أثنى عليه جماعة من أكابر العلماء، من ذلك ما كتبه

(١) سبق التعليق على هذا في «الدرر الكامنة»: ٤٧١.

القاضي كمال الدين بن الزمِّلَكَاني على كتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» تأليف ابن تَيْمِيَّةَ مالفظه: تأليف الشَّيْخ الإمام العالم العلامة، الأوحد، الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة، إمام الأئمة، قدوة الأمة علامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين، بركة الإسلام، حجة الأعلام، برهان المتكلمين، قانع المبتدعين، محي السنة، ومن عَظُمَتْ به لله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة، واستبانَت ببركته وهديه المحجَّة، تقي الدين ابن تَيْمِيَّةَ، ثمَّ قال:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلَّت عن الحصرِ

هو حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ هو بينا أعجوبة الدهرِ

هو آيةٌ للخلق ظاهرةٌ أنوارها أربت على الفجرِ

انتهى باختصار [منه]^(١)، ولما كتب له ذلك كَانَ عمره إذ ذاك نحو الثلاثين سنة.

ولم يزل الشَّيْخ تقي الدين المذكور مُخْتَفِظًا به في قلعة دمشق إلى أن توفي بها في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ودفن من الغد بمقابر الصوفية، وحضر جنازته خلق كثير.

قال الحافظ أبو عبدالله الذَّهَبِيُّ: شيعه نحو من خمسين ألفًا، وحمل على الرؤوس، انتهى.

ومصنفاته تزيد على مائتي مصنف، استوعبها الشَّيْخ صلاح الدين خليل بن أبيك في تاريخه «الوافي بالوفيات»، رحمه الله تعالى.

(١) في الأصل: «نسبه»؟.

الدَّلِيلُ الشَّافِي مِنَ الْمَنْهَلِ الصَّافِي^(١)

لأبي المحاسن بن تغري بردي (٨٧٤)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر
ابن علي، الحافظ الحجة تقي الدين أبو العباس بن تيمية، الحراني
الدمشقي الحنبلي، ولد بحرّان في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل
سنة إحدى وستين وست مئة، ومات في قلعة دمشق مُعْتَقَلًا بها - في
ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة، ودُفِنَ
من الغد.

* * *

(١) (٥٦/١) مركز البحث العلمي، وإحياء التراث بمكة المكرمة، تحقيق فهم شلتوت.

النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي مُلُوكِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ^(١)

لِلْعَلَّامَةِ / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري
بَرُذِي (٨٧٤)

فيها (أي سنة ثمان وعشرين وسبعمئة) توفي: شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تَيْمِيَّةَ، الحَرَّانِي الدَّمَشْقِي، الحنبلي بدمشق، في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة في سجنه بقلعة دمشق.

ومولده في يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وكان سُجِنَ بقلعة دمشق لأُمُور حَكِينَاها في غير هذا المكان.

وكان إمام عصره بلا مدافعة في الفقه، والحديث، والأصول، والنحو، واللُّغة، وغير ذلك.

وله عدّة مصنفات مفيدة يضيق هذا المحلّ عن ذكر شيء منها.

أثنى عليه جماعة من العلماء، مثل الشَّيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد، والقاضي شهاب الدِّين الخوي، والقاضي شهاب الدِّين ابن النحاس.

وقال القاضي كمال الدِّين بن الرَّمْلَكَاني المَقْدَم ذكره: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها. ثم جرت له محنٌ في مسألة الطلاق الثلاث،

(١) (١٩٦/٧ - ١٩٧) دار الكتب العلمية ١٤١٣.

وشدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، وحُبِّبَ للناس القيام عليه،
وحُبِسَ مرات بالقاهرة والإسكندرية ودمشق.

وعُقِدَ له مجالس بالقاهرة، ودمشق، مع أنّه حصل له في بعضها
تعظيم من الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأُطلق، وتوجّه إلى دمشق
وأقام بها، إلى أن ورد مرسوم شريف في سنة ست وعشرين وسبعمئة؛
بأن يُجعل في قلعة دمشق في قاعة، فجُعل في قاعة حسنة، وأقام بها
مشغولاً بالتصنيف والكتابة.

ثمّ بعد مدة منع من الكتابة والمطالعة، وأخرجوا ما عنده من الكتب،
ولم يتركوا عنده دواة، ولا قلمًا، ولا ورقة.

ثمّ ساق ابن الزمّلكاني كلامًا طويلًا الأليق الإضراب عنه.

* * *

المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد^(١)

للعلامة: برهان الدّين إبراهيم بن مفلح (٨٨٤)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسّلام بن أبي القاسم^(٢) الخضر بن محمد بن تيمية الحرّانيّ، ثمّ الدّمشقيّ، الإمام الفقيه المُجتهد الحافظ المُفسّر الزّاهد، أبو العبّاس تقيّ الدّين، شيخ الإسلام، وعلمُ الأعلام. ولِدَ يومَ الاثنين عاشر ربيع الأوّل سنة إحدى وستّين وستمائة بحرّان. قدّم به والده وبإخوته إلى دمشق عند استيلاء التّتر على البلاد. وسمع من ابن عبدالدّائم، وابن أبي اليسر، والمجد بن عساكر، والقاسم الإربلي، والشيخ شمس الدّين بن أبي عُمر، وخلق كثير، سمع «المُسند» مرّات، والكتب السّنة، و «مُعْجَم الطّبراني» وما لا يُحصى. وكتبَ بخطّه جملةً من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صِغَرِه، وأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدّين بن أبي عمر، والشيخ زين الدّين ابن المنجى، وبرعَ في ذلك وناظرَ وقرأ العرَبِيَّةَ على ابن عبدالقوى، ثمّ أخذ «كتاب سيبويه» فتأمّله وفهمه، وأقبل على تفسّير القرآن العظيم، فبرز فيه وأحكم الفرائض والحساب، والجبر والمُقابلة وغير ذلك من العلوم، ونظر في علم الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله، وردّ على رؤسائهم وأكابرهم، وتأهّل للفتوى والتّدريس وله دون العشرين سنة،

(١) (١٣٢/١ - ١٣٩) مكتبة الرشد (ط، ١)، ١٤١٠، تحقيق د/ عبدالرحمن العثيمين.

(٢) في المطبوعة: «بن» بين القاسم والخضر، والصواب حذفها.

وأمدّه الله تعالى بكثرة الكتب، وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وكان بَطْنِيَّ النَّسِيَّانِ حَتَّى ذَكَرَ جَمَاعَةٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحْفَظُ شَيْئًا فَيَنْسَاهُ.

وتوفى والده الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ وَكَانَ عَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَقَامَ بِوُظَائِفِهِ وَدَرَسَ بَدَارَ الْحَدِيثِ الشُّكْرِيَّةِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ قَاضِي الْقَضَاةِ بِهَاءِ الدِّينِ بْنِ الرَّكِّيِّ^(١)، وَالشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ^(٢) الْفَزَارِيُّ، وَالشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ ابْنُ الْمُرَحَّلِ، وَالشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ ابْنُ الْمُنَجِّى وَذَكَرَ دَرَسًا عَظِيمًا فِي الْبَسْمَلَةِ، وَعَظَّمَهُ الْجَمَاعَةُ الْحَاضِرُونَ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ ثَنَاءً كَثِيرًا.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: وَكَانَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ يَبَالِغُ فِي تَعْظِيمِهِ بِحَيْثُ إِنَّهُ عَلِقَ بِخَطِّهِ دَرْسَهُ بِالشُّكْرِيَّةِ. ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَ وَالِدِهِ بِالْجَامِعِ يَفْسِّرُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَشَرَعَ مِنْ أَوَّلِهِ، وَكَانَ يُورَدُ مِنْ حِفْظِهِ فِي الْمَجْلِسِ نَحْوُ كِرَاسِينَ أَوْ أَكْثَرَ، وَبَقِيَ يَفْسِّرُ فِي سُورَةِ نُوحٍ عِدَّةَ سِنِينَ، وَفِي وَقْتِ ذِكْرِ يَوْمِ جُمُعَةٍ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ فَقَامَ بَعْضُ الْمُخَالَفِينَ وَسَعَوْا فِي مَنْعِهِ فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ ذَلِكَ.

وَقَالَ قَاضِي الْقَضَاةِ شِهَابُ الدِّينِ الْخُوَيْيُّ: أَنَا عَلَى اعْتِقَادِ الشَّيْخِ تَقَى الدِّينِ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: لِأَنَّهُ ذَهَنَهُ صَحِيحٌ وَمَوَادَّهُ كَثِيرَةٌ، فَهُوَ لَا يَقُولُ إِلَّا الصَّحِيحَ.

وَكَانَ أَعْجُوبَةً زَمَانِهِ فِي الْحِفْظِ وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ مَشَايِخِ حَلَبٍ قَدِمَ دِمَشْقَ لِيَنْظُرَ إِلَى حِفْظِ الشَّيْخِ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ الْآنَ يَحْضُرُ، فَلَمَّا

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ: «شَهَابُ الدِّينِ بْنِ الْمَزْكِيِّ»! وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصَادِرِ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعَةِ: «شَهَابُ الدِّينِ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصَادِرِ.

حضر ذكر له أحاديث فحفظها من ساعته، ثم أُملى عليه عدة أسانيد انتخبها ثم قال: اقرأ هذا فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ الحلبي وهو يقول: إن عاش هذا الفتى ليكونَ له شأنٌ عظيمٌ فإنَّ هذا لم يُر مثله، وقال الشيخُ شرف الدين: أنا أرجو بركته ودعاءه ؛ وهو صاحبي وأخى. ذكر ذلك البرزاليُّ في «تاريخه».

ثمَّ شرع في الجَمع والتَّصنيف من العشرين، ولم يزل في علوِّ وازدياد في العلم والقدرِ إلى آخر عُمره. قال الحافظُ المِزِّي: ما رأيتُ مثله، ولا رأى هو مثل نفسه. وذكره الذهبيُّ في «مُعْجَم شُيُوخِهِ»، ووصفه بأنَّه شيخُ الإسلام، وفريدُ عصره علماً ومعرفةً وشجاعةً وذكاءً ونصحاً للأُمَّة [و] أَمراً بالمعروفِ ونَهياً عن المُنكرِ إلى غير ذلك من الصِّفاتِ الحَمِيدَةِ، والأخلاقِ المَرْضِيَّةِ.

وقال الشيخُ كمالُ الدِّين ابن الرَّمْلَكَاني: كَانَ ابن تَيْمِيَّةَ إِذَا سُئِلَ عَنْ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ ظَنَّ الرَّائِي وَالسَّامِعَ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ ذَلِكَ الْفَنِّ، وَحَكَمَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْرِفُهُ مِثْلُهُ، وَكَانَ الْفُقَهَاءُ مِنْ سَائِرِ الطَّوَائِفِ إِذَا جَالَسُوهُ اسْتَفَادُوا مِنْهُ فِي مَذَاهِبِهِمْ أَشْيَاءَ، وَلَا يُعْرِفُ أَنَّهُ نَازِرٌ أَحَدًا فَانْقَطَعَ مَعَهُ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ سِوَاءَ كَانَ مِنَ عُلُومِ الشَّرْعِ أَوْ غَيْرِهَا إِلَّا فَاقَ فِيهِ أَهْلُهُ وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْجَاهِدِ عَلَى وَجْهِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ ابْنِ رَجَبٍ: وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ قَضَاءُ الْحَنَابِلَةِ قَبْلَ التَّسْعِينَ وَمِشِيخَةِ الشُّيُوخِ فَلَمْ يَقْبَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ كَتَبَ ابْنُ الرَّمْلَكَاني بِخَطِّهِ عَلَى كِتَابِ «إِبْطَالِ الْحَيْلِ» تَرْجَمَةَ الْكِتَابِ، وَاسْمَ الشَّيْخِ وَتَرْجَمَ لَهُ تَرْجَمَةً عَظِيمَةً وَأَثْنَى عَلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا وَكَتَبَ تَحْتَهُ بِخَطِّهِ:

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ وَصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْحَصْرِ

هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ هُوَ بَيِّنَةٌ أُعْجُوبَةُ الدَّهْرِ
هُوَ آيَةٌ لِلخَلْقِ ظَاهِرَةٌ أَنْوَارُهَا أَرْبَتْ عَلَى الْفَجْرِ

وَحَكَى الذَّهَبِيُّ، عَنِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِ بِهِ وَسَمَاعِهِ لِكَلَامِهِ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَقِيَ يَخْلُقُ مِثْلَكَ. وَقَدْ كَتَبَ الْعَلَّامَةُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ إِلَى الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ فِي أَمْرِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ: فَالْمَمْلُوكُ يَتَحَقَّقُ أَنَّ قَدْرَهُ وَزَخَارَةَ بَحْرِهِ وَتَوْسَعَهُ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، وَفَرَطَ ذِكَاثُهُ وَاجْتِهَادُهُ بَلَّغَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْمَبْلُغِ الَّذِي يَتَجَاوِزُهُ الْوَصْفُ، وَالْمَمْلُوكُ يَقُولُ ذَلِكَ دَائِمًا، وَقَدْرُهُ فِي نَفْسِي أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلٌّ، مَعَ مَا جَمَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى [لَهُ] مِنَ الزَّهَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالذِّيَانَةِ وَنُصْرَةِ الْحَقِّ وَالْقِيَامِ فِيهِ لَا لَغَرَضٍ سِوَاهُ، وَجَرِيهِ عَلَى سَنَنِ السَّلَفِ وَأَخْذِهِ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَأْخِذِ الْأَوْفَى، وَغَرَابَةِ مِثْلِهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، بَلِ [مِنْ] أَزْمَانٍ.

وَلِلشَّيْخِ أَثِيرِ الدِّينِ أَبِي حَيَّانِ الْأَنْدَلَسِيِّ التَّحَوِي لَمَّا دَخَلَ الشَّيْخُ إِلَى مِصْرَ وَاجْتَمَعَ بِهِ قَالَ أَبْيَاتًا لَمْ يَقُلْ خَيْرًا مِنْهَا وَلَا أَفْحَلَ:

لَمَّا رَأَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرْدٌ مَالَهُ وَزَرُ
عَلَى مُحْيَاةٍ مِنْ سِنِمَا الْأُولَى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ الْقَمَرُ
حَبْرٌ تَسْرِبَلٌ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَاذَفُ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدَّرَرُ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَضْرٍ شَرِيعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ
فَاطَهَرَ الْحَقَّ إِذَا آثَارُهُ دَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشُّرْكَ إِذْ طَارَتْ لَهُ شَرَرُ
يَا مَنْ يُحَدِّثُ عَنْ عِلْمِ الْكِتَابِ أَصْحُ هَذَا الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ

وأما مناظرته للخصوم وإفحامهم وقطعهم لديه فهو ظاهر، وكتبه التي صنفها فهي أشهر من أن تذكر وتعرف فإنها سارت مسير الشمس في الأقطار وامتلات بها البلاد والأمصار، وقد جاوزت حد الكثرة فلا يمكن أحدا حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعددها. وله اختيارات غريبة جمعها بعضهم في مجلد لطيف. ووقع له أمور وأحوال قام عليه فيها المعاند والحاسد إلى أن وصل الحال به أن وُضِعَ في قلعة دمشق في مقام أبي الدرداء رضي الله عنه سنة ست وعشرين في شعبان إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض أياما ولم يعلم أكثر الناس مرضه. وتوفي سحر ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. وذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرس، واجتمع الناس، ولم تفتح الأسواق المعتادة بالفتح أول النهار، واجتمع عنده خلق يبكون ويشنون خيرا، وأخبرهم أخوه زين الدين عبدالرحمن أنهما ختما في القلعة ثمانين ختمة، والحادية والثمانين انتهى فيها إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْتَّائِبِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ ۝٥١﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٠﴾.

وابتداً عنده جماعة في القراءة من سورة الرحمن إلى ختمه. ولم يُفرغ من غسله حتى امتلأ أكثر القلعة بالرجال فصلّى عليه بدركاتها الشيخ الزاهد محمد بن تمام، وضج الناس، ثم خرجوا به إلى جامع دمشق، وكثر الجمع حتى يقال: إنه فاق جميع الجمع، ثم وضع عند موضع الجنائز حتى صليت الظهر، ثم صلى عليه نائب الخطيب علاء الدين الخراط لغيبة القزويني، ثم خرجوا به من باب الفرج، وكثر الزحام وخرج الناس من غالب أبواب البلد، ثم صلى عليه أخوه زين الدين عبدالرحمن بسوق الحيل، ودفن وقت صلاة العصر بالصوفية إلى جانب أخيه شرف الدين. وحُزِرَ الرجال بستين ألفاً وأكثر، والنساء بخمسة

عشر ألفاً، وظهرَ بذلك قولُ الإمام^(١): *يَتَنَاوِيْنَهُمُ الْجَنَائِزُ*. وختم له ختمات كثيرة، وتردد النَّاسُ إلى قبره، ورُئِيَ له منامات^(٢) حسنة، وتأسف النَّاسُ لفقده رضي الله عنه.

* * *

(١) أي: الإمام أحمد.

(٢) في المطبوعة «مقامات»!

دستورُ الأعلام بمعارف الإسلام^(١)

لمحمد بن عمر ابن عَزَم التميمي التونسي المكي (٨٩١)

ابن تيمية (٧٢٨) الحرَّاني الحنبلي، شيخ الإسلام وصاحب
التصانيف الكثيرة، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام.

* * *

(١) ق ٢٨ أ (نسخة مكتبة خدا بخش خان بياتنه ٢٣٧٦).

طبقات الحفاظ^(١)

للعامة جلال الدين السيوطي (٩١١)

ابن تَيْمِيَّةَ

الشَّيْخُ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارِع، شيخ الإسلام، عَلمُ الزُّهَاد، نادرة العصر، تقي الدين أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَد بن المفتي شهاب الدين عبدالحليم بن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام ابن عبد الله بن أَبِي القاسم الحرَّاني، أحد الأعلام.

ولد في ربيع الأوَّل سنة إحدى وستين وستمائة، وسمع ابن أبي اليسر وابن عبد الدائم وعدة، وعُني بالحديث، وخرَّج وانتقى، وبرَّع في الرجال وعلل الحديث وفقهه، وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك. وكان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد.

ألف ثلاثمائة مجلدة، وامْتُحِنَ وأوذِيَ مراراً. مات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة.

* * *

(١) (ص/ ٥١٦-٥١٧) مكتبة وهبه، القاهرة ١٣٩٣، تحقيق علي محمد عمر.

صدق الأخبار^(١)

للمؤرخ/ حمزة بن أحمد الغربي

المعروف بابن سباط^(٢) (٩٢٦)

وفي هذه السنة^(٣) ثاني عشرين ذي القعدة توفي الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخاشع القدوة العارف تقي الدين، أحمد ابن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبدالحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني الدمشقي بقلعة دمشق في القاعة التي كان محبوباً بها، وغسلوه وكفنوه وأخرجوه من القلعة، وصلى عليه بباب القلعة الشيخ محمد بن تمام، أتوا به إلى الجامع، وغلق جميع الأسواق بدمشق، وامتأل الجامع أكثر من يوم الجمعة، وحضروا^(٤) الأمراء والحجّاب، وصلوا عليه صلاة الظهر، وحملوه^(٥) الناس على رؤسهم وأخرجوه من القلعة إلى باب الفرج، وبعض الناس من باب الفراديس، ومن باب النصر، ومن باب

(١) ٦٤٦/٢ - ٦٤٧ مطبعة جرس برس، بطرابلس ط. الأولى (١٤١٣) تحقيق د. عمر

عبد السلام تدمري.

(٢) ويقال: أسباط، وقيل: شباط، انظر الأعلام: ٢/٢٧٦ ومقدمة تحقيق «تاريخه».

(٣) (٧٢٨).

(٤) على لغة أكلوني البراغيث.

(٥) كسابقه.

الجابية، وامتدَّ العالم إلى سوق الخيل إلى مقبرة الصوفية، ودفن إلى جانب قبر أخيه الشيخ شهاب الدين، وانصرف الناس متأسِّفين عليه، وختموا على قبره الختمات.

وكان مولده بحران عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، سمع الحديث، واشتغل في العلوم، وحَصَّل في أسرع وقت مالا يحصله غيره في سنين^(١) كثيرة، وعلوم شتى^(٢)، وكان كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة.

* * *

(١) كذا، والصواب: «سني».

(٢) كذا، والصواب: «وعلوماً شتى».

الدارس في تاريخ المدارس^(١)

للعلامة/ عبدالقادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ)

في يوم الاثنين ثاني المحرم منها^(٢): درّس الشَّيْخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو العبَّاس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تَيْمِيَّةَ الحَرَاني بدار الحديث السكرية التي بالقصاعين، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين يوسف بن الزكي الشَّافعي، والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية، والشيخ زين الدين بن المرَّحَل والشيخ زين الدين المنجِّي الحنبلي وكان درسًا [مائلًا] حافلًا - يعني في البسملة - كما ذكره ابن مفلح في «طبقاته»، وقد ذكره^(٣) الشَّيْخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده وكثرة ما استحسَّنه الحاضرون. وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره، فانه كَانَ إِذْ ذَاكَ عمره عشرين سنة وستين، ثُمَّ جلس الشَّيْخ تقي الدين المذكور أيضًا يعني مكان والده بالجامع كما ذكره ابن كثير يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قد هيء له لتفسير القرآن العزيز، فابتدأ من أوله في تفسيره، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير، من كثرة ما كَانَ يورد من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة والزَّهَّادة والعبادة، سارت بذكره الركبان في سائر الأقاليم والبلدان واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة.

(١) (٧٥-٧٧) مجمع اللغة العربية بدمشق، تحقيق جعفر الحُسَيْنِي.

(٢) أي سنة ٦٨٣.

(٣) كذا، ولعله: زبره.

زاد ابن مفلح في «طبقاته» وأَنَّهُ كَانَ يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر، وبقي يُفسّر في سورة نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام عدة سنين. وأطال في ترجمته كثيرًا، وشهرته تغني عن الاطّباب في ذكره والإشهار في أمره.

ولد يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وستين وستمائة بحرّان، وقدم مع أهله سنة سبع وستين وستمائة إلى دمشق فسمع بها من ابن عبدالدّائم والمجد بن عساكر وابن أبي الخير والقاسم الإربلي والمسلم بن علان وإبراهيم بن الدرجي وابن أبي اليسر وخلق كثير، وأقبل على العلوم في صغره فأخذ الفقه والأصول عن والده والشيخ شمس الدين بن أبي عمر والشيخ شمس الدين بن المنجّي وبرع في ذلك وقرأ في العربية أيامًا على ابن عبدالقوي، ثمّ أخذ «كتاب سيويه» وتأملّه ففهمه وأقبل على تفسير القرآن العزيز فبرز فيه، وأحكم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم، ونظر في علم الكلام وبرز في ذلك على أهله، وردّ على رؤسائهم وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، وأمدّه الله تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الفهم وبطء النسيان، وعُني بالحديث أتمّ عناية ونسخ الأجزاء، ودار على الشيوخ وخرج وانتقى وبرع في الرجال وعلل الحديث.

وكان كثير المحاسن، فارغًا عن شهوات المأكّل والملبس والجماع. لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه، عرض عليه قضاء [القضاة] قبل التسعين^(١) ومشیخة الشيوخ فلم يقبل شيئًا من ذلك، وامتنحَ وأوذي مرات وحبس بقلعة مصر والقاهرة وبالإسكندرية وبقلعة دمشق مرتين،

(١) أي: وست مئة. وعمره دون الثلاثين.

وصنف التّصانيف الحسنة الّتي هي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، وحدث بدمشق ومصر والشّعر، وسمع منه خلق من الحفاظ والأئمة من الحديث ومن تصانيفه، وخرّج له ابن الواني أربعين حديثاً حدث بها، وقد أفرد له الحافظ أبو عبدالله بن عبدالهادي ترجمة في مجلّدة وكذلك أبو حفص البزار البغدادي في كرايس.

ومات بدمشق في القلعة معتقلاً سحر ليلة الاثنين عشرين ذي الحجة أو ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ثمّ جُهِزَ وأُخْرِجَ إلى جامع البلد وكان الجمع أعظم من جمع الجُمع، حُزِرَ الرجال بستين ألفاً وأكثر، والنساء بخمسة عشر ألفاً. صلى عليه أخوه زين الدين عبدالرحمن بسوق الخيل بعد خروج جنازته من باب الفرج، ودفن بمقابر الصوفية إلى جانب أخيه الشرف وهو عبدالله ورُئِيََتْ له منامات حسنة.

العلامة / مجير الدين عبدالرحمن العليمي الحنبلي (٩٢٨)

- المنهج الأحمد في ذكر أصحاب الإمام أحمد
- الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد

المنهج الأحمد في ذكر أصحاب الإمام أحمد^(١)

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني.

نزىل دمشق، الشيخ الإمام العالم المحقق الحافظ المجتهد المحدث المفسر القدوة الزاهد، نادرة العصر، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، علامة الزمان، تقي الدين أبو العباس ابن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن ابن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره.

ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة بحران، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، وكانوا قد خرجوا من حران مهاجرين بسبب جور التتار واستيلائهم على البلاد، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب؛ فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة، وابتهلوا إلى الله تعالى واستغاثوا به، فنجوا وسلموا، وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين وست مئة.

فسمع الشيخ بها من جماعة منهم: الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وخلق كثير، وعني بالحديث، وسمع «المُسند» مرات، و«الكتب الستة». و«معجم الطبراني الكبير» وما لا يحصى من الكتب والأجزاء. وقرأ

(١) (٥/٢٤-٤٤) مؤسسة الرسالة، (ط، ١ - ١٤١٦).

بنفسه، وكتب بخطه جملةً من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والشيخ زين الدين بن المنجى، وبرع في ذلك، وناظر، وقرأ في العربية أياماً على ابن عبد القوي، ثم أخذ «كتاب سيبويه» فتأمله ففهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، وردَّ على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفنون، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل العشرين أيضاً، وأمدّه الله بكثرة الكتب، وسُرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبطء النسيان.

ثم توفي والده وكان له حينئذٍ إحدى وعشرين سنة، فقام بوظائفه بعده فدرّس «بدار الحديث السكرية» في أول سنة ثلاثٍ وثمانين وست مئة، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي، والشيخ تاج الدين الفزاري، وزين الدين بن المرحّل، والشيخ زين الدين ابن المنجى وجماعة، وذكر درساً عظيماً في البسملة، وهو مشهور بين الناس، وعظّمه الجماعة الحاضرون، وأثنوا عليه ثناءً كثيراً، ثم جلس بالجامع أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم، وشرع الشيخ في الجمع والتصنيف من دون العشرين، ولم يزل في علوّ وازدياد من العلوم والقدر، ورزقه الله شجاعةً وذكاءً وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وكان له شدةٌ استحضر وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوي الصحابة والتابعين، بحيث إنّه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده، وكان إذا سئل عن فن من العلم ظنّ الرائي والسماع أنّه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن

أحدًا لا يعرفه مثله، . وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم أشياء، ولا يُعرف أنَّه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أو غيرها - إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وكان إمامًا متبحرًا فارغًا عن شهوات المآكل والملابس والجماع، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه، وقد عرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين، ومشيخة الشيوخ، فلم يقبل شيئًا من ذلك، وكان ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد يستوعب الشئ من الآثار حفظًا.

إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرِك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنحل والمِلل لم يُر أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه.

وكان له خبرة تامّة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والتازل، والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر مرتبته ولا يقاربه، وهو عجب في استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى «الكتب الستة» و«المُسند» فلقد كان عجبًا في معرفة الحديث، وكان يكتب في اليوم والليلة نحوًا من أربعة كراريس أو أزيد.

وكتب «الحموية» في قاعدة واحدة، وهي أزيد من ذلك، وكتب في بعض الأحيان في اليوم ما يبيض منه مجلد، وكان - رحمه الله - فريد دهره في فهم القرآن ومعرفة حقائق الإيمان، وله يدٌ طولى في الكلام على المعارف والأحوال والتمييز بين صحيح ذلك وسقيمه ومعوجه

وقويمه، وقد ترجمه الشيخ الإمام العلامة القاضي البارع مجموع الفضائل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله كاتب السر بالديار المصرية والشامية في «تاريخه» الذي ذكر فيه البلاد وما فيها من الأعيان والمشاهير والعلماء والأماثل فذكر اسمه ثم قال: هو البحر من أي النواحي جتته، والبدر من أي الضواحي رأيته، جرت آباؤه لشأوا ما قنع به، ولا وقف عنده طليحا مريحا من تعب، طلبا لا يرضى بغاية، ولا يقضى له بنهاية. رضع ثدي العلم منذ فطم، وطلع الصباح ليحاكيه فطم، وقطع الليل والنهار دائبين، واتخذ العلم والعمل صاحبين، إلى أن أنسى السلف بهداه، وأتأى الخلف عن بلوغ مداه.

وَنَقَفَ اللَّهُ أَمْرًا بَاتَ يَكْلُوهُ يَمْضِي حُسَامَاهُ فِيهِ السِّيفُ وَالْقَلَمُ

بِهَمَّةٍ فِي الثَّرِيَّا أَثَرُ أَحْمَصِهَا وَعَزْمَةٌ لَيْسَ مِنْ عَادَتِهَا السَّأْمُ

على أنه من بيت نشأ منه علماء في سالف الدهور، ونسأت منه عظماء على المشاهير الشهور، فأحيا معالم بيته القديم إذ درس، وجنى من فنه الرطب ما غرس، وأصبح في فضله آية إلا أنه آية الحرس، عرضت له الكدى فزحزحها، وعارضته البحار فضخضحها، ثم إنه كان أمة وحده، وفردا حتى نزل لخدمته. أحمّل من القرآن كل عظيم، وأحمّد من أهل الفناء كل قديم، ولم يكن منهم إلا من يُجفل عنه إجمال الظليم، ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم.

مَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَّا مِثْلَمَا بَعْضُ الْحَصَا الْيَاقُوتَةُ الْحَمْرَاءُ

جاء في عصر ما هول بالعلماء، مشحون بنجوم السماء، يموّج في جانبيه بحور خضارم، ويطيّر بين خافقيه سُور قشاعم، وتشرق في أنديته

بُدُورُ دُجْنَةٍ، وَصُدُورُ أَسِنَّةٍ، وَيَتَّارُ جُنُودُ رَعِيلٍ، وَتَزَارُ أَسُودُ غَيْلٍ، إِلَّا أَنَّ صَبَاحَهُ طَمَسَ تِلْكَ النُّجُومَ، وَبَخَرَهُ طَمَّ تِلْكَ الْغُيُومَ، فَقَاءَتْ سُمُرَتُهُ عَلَى تِلْكَ التَّلَاعِ، وَأَطْلَتْ قَسُورَتُهُ عَلَى تِلْكَ السَّبَاعِ، ثُمَّ عُبِّتْ لَهُ الْكَتَائِبُ فَحَطَّمْ صَفُوفَهَا، وَخَطَّمْ أُنُوفَهَا، وَابْتَلَعَ غَدِيرُهُ الْمَطْمِثُ جَدَاوِلَهَا، وَاقْتَلَعَ طَوْدُهُ الْمُزْجَجِ جَنَادِلَهَا، وَأَخْمَدَتْ أَنْفَاسُهُمْ رِيحُهُ، وَأَكْمَدَتْ شَرَارَاتِهِمْ مَصَابِيحُهُ:

تَقْدَمَ رَاكِبًا فِيهِمْ إِمَامًا وَلَوْلَاهُ لَمَا رَكِبُوا وَرَاءًا

فَجَمَعَ أَشْتَاتَ الْمَذَاهِبِ، وَشَتَاتَ الْمَذَاهِبِ. وَنَقَلَ عَنْ أُمَّةِ الْإِجْمَاعِ فَمَنْ سِوَاهُمْ مَذَاهِبُهُمُ الْمُخْتَلَفَةَ وَاسْتَخْضَرَهَا، وَمَثَلَ صُورَهُمُ الذَّاهِبَةَ وَأَخْضَرَهَا، وَلَوْ شَعَرَ أَبُو حَنِيفَةَ بِزَمَانِهِ وَمَلَكَ أَمْرَهُ لِأَذْنَى إِلَيْهِ عَصْرُهُ مُقْتَرِبًا، وَمَالِكٌ لِأَجْرَى وَرَاءَهُ أَشْهَبُهُ وَلَوْ كَبَا، أَوْ الشَّافِعِيُّ لِقَالَ: لَيْتَ هَذَا كَانَ لِي الْأَمِّ وَلَدًا وَلَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ أَبًا، أَوْ الشَّيْبَانِيُّ ابْنُ حَنْبَلٍ لَمَا لَامَ عِذَارَهُ إِذَا غَدَا مِنْهُ لَفَرَطِ الْعَجَبِ أَشْيَاءً.

لَا بَلْ دَاوُدُ الظَّاهِرِيُّ، وَسِنَانُ الْبَاطِنِيُّ لَظَنَّا تَحْقِيقَهُ مِنْ مُتَّحِلِهِ، وَابْنُ حَزْمٍ وَالشَّهْرِسْتَانِيُّ لِحَشَرَ كُلُّ مِنْهُمَا ذِكْرَهُ أُمَّةً فِي نَحْلِهِ، وَالْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ وَالْحَافِظُ السَّلْفِيُّ لِأَضَافِهِ هَذَا إِلَى «اسْتِدَارِكِهِ» وَهَذَا إِلَى «رَحْلِهِ»، تَرَدُّ إِلَيْهِ الْفَتَاوَى وَلَا يَرُدُّهَا، وَتَقَدُّ عَلَيْهِ فَيُجِيبُ عَنْهَا بِأَجْوِبِهِ، كَأَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا لَهَا يُعِدُّهَا.

أَبْدَا عَلَى طَرَفِ اللِّسَانِ جَوَابَهُ فَكَأَنَّمَا هِيَ دَفْعَةٌ مِنْ صَيِّبٍ

يَغْدُو مُسَاجِلُهُ بَغْرَةً صَافِحٍ وَيَرْوَحُ مُعْتَرِفًا بِذَلَّةٍ مُذْنِبٍ

وَلَقَدْ تَضَافَرَتْ عَلَيْهِ عُصَبُ الْأَعْدَاءِ فَأُقْحِمُوا إِذْ هَدَرَ فَخْلُهُ، وَأُفْحِمُوا

إِذْ زَمَزَمَ لِيَجْنِي الشَّهْدَ نَحْلُهُ، وَرَفَعَ إِلَى السُّلْطَانِ غَيْرَ مَا مَرَّةً، وَرُمِيَ
بِالْكِبَائِرِ، وَتُرْبُصَتْ بِهِ الدَّوَائِرُ، وَسُعِيَ بِهِ لِيُؤْخَذَ بِالْجَرَائِرِ، وَحَسَدَهُ مَنْ
لَمْ يَنْلِ سَعْيِهِ وَكَثُرَ فَارْتَابَ، وَنَمَّ وَمَا زَادَ عَلَى أَنَّهُ اغْتَابَ، وَأُزْعِجَ مَنْ
وَطْنِهِ تَارَةً إِلَى مِصْرَ، وَتَارَةً إِلَى الإسْكَندَرِيَّةِ، وَتَارَةً إِلَى مَجْلِسِ الْقَلْعَةِ
بِدِمَشْقَ، وَفِي جَمِيعِهَا يُودَعُ أَخِيَّةُ الشُّجُونِ، وَيُلْدَغُ بَزَنَابِي الْمُنُونِ، وَهُوَ
عَلَى عِلْمٍ يُسْطَرُّ صُحُفُهُ، وَيَذْخِرُ تُحَفُهُ، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْءِ [إِلَّا أَنْ
يَصْنِفَهُ] وَيُقَرِّطُ بِهِ وَلَوْ سَمِعَ أَمْرِي وَاحِدٍ وَيُشَفِّهُ، حَتَّى تَسْتَهْدِيَ أَطْرَافُ
الْبِلَادِ طُرْفَهُ، وَيَسْتَطْلِعَ ثَنَابَا الْأَقَالِيمِ شُرْفَهُ، إِلَى أَنْ خَطَفَتْهُ آخِرَ مَرَّةٍ مِنْ
سَجْنِهِ عُقَابُ الْمَنَابِي، وَجَذَبَتْهُ إِلَى مَهْوَاتِهَا قَرَارَةُ الرِّزَايَا، وَكَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ
قَدْ مُنِعَ الدَّوَاةَ وَالْقَلَمَ، وَطُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ مِنْهُ طَابِعُ أَلَمٍ، وَكَانَ مَبْدَأُ مَرَضِهِ
وَمُنْشَأُ عَرَضِهِ، حَتَّى نَزَلَ قِفَارَ الْمَقَابِرِ، وَتَرَكَ قِفَارَ الْمَنَابِرِ، وَحَلَّ بِسَاحَةِ
تُرْبِهِ وَمَا يُحَادِرُ، وَأَخَذَ رَاحَةً قَلْبِهِ مِنَ اللَّائِمِ وَالْعَادِرِ.

وقد كتب الشيخ العلامة كمال الدين بن الزملاكانى بخطه على كتاب
«إبطال التحليل» للشيخ ترجمة الكتاب، واسم الشيخ، وترجم له ترجمة
عظيمة، وأثنى عليه ثناءً عظيماً، وكتب أيضاً تحت ذلك:

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ وَصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْحَصْرِ

هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ هُوَ بَيْنَنَا أَعْجُوبَةُ الدَّهْرِ

هُوَ آيَةٌ لِلخَلْقِ ظَاهِرَةٌ أَنْوَارُهَا أَرَبَتْ عَلَى الْفَجْرِ

وللشيخ أثير الدين أبي حيان الأندلسي التَّحْوِي: لَمَّا دَخَلَ الشَّيْخُ
مِصْرَ وَاجْتَمَعَ بِهِ:

لَمَّا رَأَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرْدًا مَالَهُ وَزَرَ

على مُحيّاهُ من سِنِمَا الأَلَى صَحِبُوا خَيْرَ البرِيَّةِ نورٌ دونه القَمَرُ
 حَبْرٌ تَسْرِبَلٌ منه دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَاذِفٌ مِنْ أُمواجه الدُّرُ
 قامَ ابنُ تَيْمِيَّةٍ في نَصْرِ شِرْعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُ
 فأَظْهَرَ الدينَ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ وأَحْمَدَ الشُّرْكَ إِذْ طَارَتْ لَهُ شَرُّ
 يامن تَحَدَّثَ عن عِلْمِ الكِتَابِ أَصْحُ هَذَا الإِمَامِ الَّذِي قَدْ كان يُنْتَظَرُ

وحكى الذَّهَبِيُّ: أَنَّ الشَّيْخَ تَقِي الدِّينِ بن دَقِيق العِيد قال للشَّيْخ تَقِي
 الدِّينِ بن تَيْمِيَّةٍ عِنْد اجْتِماعِهِ بِهِ وَسَماعِهِ لِكلامِهِ: ما كُنْتَ أَظُنُّ أَنَّهُ بَقِيَ
 يُخَلِّقُ مِثْلَكَ.

وكان المشايخ يعظّمونه تعظيمًا زائدًا، وكان الشَّيْخ عماد الدِّين
 الواسطي يتلمذ له مع أَنَّهُ كَانَ أَسَنَّ مِنْهُ، وكان يقول: قد شارَفَ مقامَ
 الأئمة الكبار، ويناسب قيامه في بعض الأمور قيام الصديقين.

ولكن كَانَ هو وجماعةٌ من خواص أصحابه ربّما أنكروا من الشَّيْخ
 كلامه في بعض الأعيان من العلماء، أو في أهل التخلّي والانقطاع
 ونحو ذلك. وكان الشَّيْخ - رحمه الله - لا يقصد بذلك إِلَّا الخير
 والانتصار للحقّ - إن شاء الله تعالى.

وطوائف من أئمة أهل الحديث حفاظهم وفقهائهم كانوا يحبُّون الشَّيْخ
 ويعظّمونه، ولم يكونوا يحبُّون له التَّوَعُّلَ مع أهل الكلام والفلاسفة،
 كما هو طريقة أئمة أهل الحديث المتقدِّمين، كالشافعي وأحمد وإسحاق
 وأبي عبيد، وكذلك كثير من العلماء من الفقهاء والمحدِّثين والصّالحين
 كرهوا له التفرّدَ ببعض شذوذ المسائل الَّتِي أنكرها السلف على من شدَّ

بها، حتَّى إِنَّ بعض قضاة العدل من أصحابنا وهو قاضي القضاة شمس الدِّين بن مُسَلَّم المتقدِّم ذكره منعه من الإفتاء ببعض ذلك كما تقدَّم في ترجمته.

وغالبُ حطَّه على الفضلاء والمتزهِدة فبحق، وبعضُه هو مجتهد فيه، ومذهبه توسعة العذر للخلق، ولا يكفِّر أحداً إلاَّ بعد قيام الحجَّة عليه.

وقد قام على الشَّيخ خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبدَّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابتٌ لا يداهن ولا يحابي، بل يقول ما أدَّاه إليه اجتهاده وحدةُ ذهنه وسعة دائرته، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رمَّوه فينجيه الله، فإنَّه كَانَ دائم الابتهاال، كثير الاستعانة، قويَّ التوكل، وكان له عصبه يحبُّونه من العلماء والصُّلحاء والجند والأمرء والتجار والكبراء والعامَّة.

وأما شجاعته فيها تُضرب الأمثال، وبيعُها يتشبه أكابر الأبطال، ولقد أقامه الله تعالى في نوبة غَازَان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام، وقعد، وطلع، وخرج، واجتمع بالملك غازان مرتين وبخطلوشاه وبُولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجراته، وله حدة قوية تعتريه في البحث، حتَّى كأنه لَيْث حربٍ وكان - رحمه الله - فيه قلة مداراة، وعدم تَوَدَّة غالباً، وله إقدام وشهامة، وقوة نفس، توقعه في أمور صعبة، فيدفع الله عنه، وله نظم قليل، ولم يتزوَّج ولا تسرَّى، ولا له من المعلوم إلاَّ شيء قليل، وكان كريماً فارغاً عن الدِّينار والدَّرهم، وفيه مرؤة وقيام مع أصحابه، وسعي في مصالحهم، وهو فقير لا مال له، وملبوسه كأحاد الفقهاء فَرَجِيَّة، ودلِق، وعمامة تكون قيمته ثلاثون درهماً، ومداس ضعيف الثمن، وشعره مقصوص، وهو رُبَّ القامة، بعيد ما بين المنكبين،

كَأَنَّ عَيْنِيهِ لِسَانَانِ نَاطِقَانِ وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةً لَا يَكُونُ أَطْوَلَ مِنْ رُكُوعِهَا وَلَا سُجُودِهَا، وَلَمْ يَنْحَنِ لِأَحَدٍ قَطُّ، وَإِنَّمَا يَسْلَمُ وَيَصَافِحُ وَيَبْتَاسِمُ.

وقد سافر مرّةً على البريد إلى الديار المصرية يستنفر السُلطان عند مجيء التتار سنةً من السنين، وتلا عليهم آيات الجهاد، وقال: إِنْ تَخَلَيْتُمْ عَنِ الشَّامِ وَنَصَرْتُمْ أَهْلَهُ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقِيمُ لَهُمْ مِنْ يَنْصُرُهُمْ غَيْرَكُمْ، وَيَسْتَبْدِلُ بِكُمْ سِوَاكُمْ. وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

وبلغ ذلك الشَّيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد - وكان هو القاضي حينئذٍ - فاستحسن ذلك، وأعجبه الاستنباط، وتعجب من مواجهة الشَّيخ للسُلطان بمثل هذا الكلام.

وأما مَحَنُ الشَّيخ: فكثيرة، وشرحها يطول، وقد نقلها المؤرخون ودَوَّنوها، وقد اعتقله مرّةً بعضُ نواب السُلطان بالشَّام قليلاً، بسبب قيامه على نَصْرَانِي سَبَّ الرِّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتقل معه الشَّيخ زين الدين الفارقي، ثُمَّ أُلْقِيَا مَكْرَمِينَ، وقد شُنِعَ عَلَيْهِ غَيْرَ مَرَّةٍ بسبب أحاديث الصِّفَات.

ثُمَّ امْتَحَنَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِمِائَةٍ بِالسُّؤَالِ عَنْ مَعْتَقَدِهِ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ؟ فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشَّيخ، وسأله عن ذلك، فبعث الشَّيخ فأحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرأوها في ثلاثة مجالس، وحقَّقُوهُ، وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك على أَنَّ هَذِهِ عَقِيدَةُ سُنِّيَّةٍ سَلَفِيَّةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ طَوْعًا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَه كَرْهًا، ثُمَّ اعْتَصَبَ

جماعة من المصريين منهم ببيرس الشُّنكير الذي تسلطن بعد ذلك وغيره من الفقهاء منهم نصر المنبجي وابن مخلوف قاضي المالكية، وطلب الشيخ على البريد إلى القاهرة، وعقد له ثاني يوم وصوله - وهو ثاني عشري رمضان سنة خمس وسبع مئة مجلس بالقلعة، ادَّعى عليه بدعاوى عند ابن مخلوف قاضي المالكية، فاستخصم الشيخ ابن مخلوف القاضي، ولم يثبت عليه ما يُوجب التَّعزير ولا غيره، ثمَّ حبس هو وأخوه شرف الدِّين في برج أَيْامًا، ويقال: إِنَّ أخاه شرف الدين ابتهل ودعا الله عليهم، فمنعه الشيخ، وقال له: بل قل: اللهم هب لهم نورًا يهتدون به. وحصل أذى كثيرٌ للحنابلة بالقاهرة، واستمرَّ الشيخ في السَّجن، وهو متوجه إلى الله تعالى، لا يقبل شيئًا من الكُسوة السُّلطانية، ولا تَدَسُّ بشيء من ذلك.

ثمَّ في ربيع الأوَّل سنة سبع وسبع مئة أخرج الشيخ من السَّجن، وعقد له مجالس حضرها أكابر الفقهاء، وانفصلت على خير، ثمَّ أطلق وامتنع من المجيء إلى دمشق، وأقام بالقاهرة يقرئ العلم ويتكلم في الجوامع والمجالس العامة، ويجتمع عليه خلق، ثمَّ حصل بينه وبين جماعة من الصُّوفية تنازع، وعقد له مجلس لكلامه في ابن عربي، وادَّعى عليه بأشياء لم يثبت شيء منها، فطلب من بعض القضاة الحكم عليه بالحبس، فلم يتوجَّه عليه الحكم بذلك، فاختار الشيخ أَنْ يحبس فأرسل إلى حبس القاضي وأجلس في الموضع الَّذي أجلس فيه القاضي تقي الدِّين ابن بنت الأعزِّ لَمَّا حبس.

وكل ذلك بسعي نصر المنبجي، واستمرَّ الشيخ في الحبس يستفتي، ويقصده النَّاسُ ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكَّلة من الأمراء وأعيان النَّاس، ثمَّ أخرجوه في سلطنه ببيرس الشُّنكير الملقب بالمظفر إلى الإسكندرية على البريد، وحبس بها في برج حسن متَّسع مضيء، يدخل

عليه من شاء ويمنع هو من شاء، ويخرج إلى الحمام إذا شاء. وبقي في الإسكندرية مدة سلطنة المظفر، وكانت أحد عشر شهرًا، فلما عاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون وكان دخوله إلى القاهرة وجلوسه على سرير ملكه بعد العصر من نهار الأربعاء مستهل شوال سنة تسع وسبع مئة، وتمكن، وأهلك المظفر، وخمد شيخه نصر المنبجي، واشتد غضب السلطان على القضاة لمداخلتهم المظفر وعزل بعضهم، بادر بإحضار الشيخ إلى القاهرة مكرماً في شوال سنة تسع وسبع مئة وأكرمه إكراماً زائداً وقام إليه وتلقاه في مجلس حفل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء وأعيان الدولة، وزاد في إكرامه، وبقي يُسارّه ويستشيره، وأثنى عليه بحضورهم ثناءً كثيراً، وأصلح بينه وبينهم، ويقال: إنّه شاوره في أمرهم به في حق القضاة فصرفه عن ذلك، وأثنى عليهم، وأن ابن مخلوف المالكي كان يقول: ما رأينا أفتى من ابن تيمية، سعينا في دمه فلما قدر علينا عفا.

وسكن الشيخ بالقاهرة، والناس يترددون إليه والأمراء والجند وطائفة من الفقهاء وفيهم من يعتذر إليه ويتنصّل مما وقع، وهو في هذه المدة يقرى العلم، ويجلس للناس مجالس عامة.

ثمّ قدم إلى الشام هو وأخواه سنة اثنتي عشرة بنية الجهاد لما قدم السلطان لكشف التتر عن الشام فخرج مع الجيش، وفارقهم في عسقلان وزار البيت المقدس، ثمّ دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق سبع سنين ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلقٌ كثير لتلقيه، وسرّ الناس بمقدمه، واستمر على ما كان عليه أولاً من إقراء العلم وتدريسه بمدرسة السكرية والحنبلية وإفتاء الناس.

ثمَّ في سنة ثمانى عشرة ورد كتابٌ من السُّلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالكفر، وعقد له مجلس بدار السَّعادة، ومنع من ذلك.

ثمَّ في سنة تسع عشرة عقد له مجلس أيضًا كالأول وانفصل على تأكيد المنع، ثمَّ عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك وحبس بالقلعة ثمَّ حبس لأجل ذلك مرَّةً أخرى، ومنع بسببه من الفتيا مطلقًا فأقام مدة يفتي بلسانه، ويقول: لا يَسْعُنِي كِتْمُ العلم، وفي آخر الأمر تكَلَّموا معه في مسألة المنع من السَّفر إلى قبور الأنبياء والصَّالحين وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهرًا. وبها مات - رحمه الله.

وقد بين أنَّ ما حُكِمَ عليه به باطل بإجماع المسلمين من وجوه كثيرة جدًّا، وأفتى جماعةٌ بأنه مخطئ في ذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم، ووافقه جماعة من علماء بغداد وغيرهم، وكذلك ابن أبي الوليد شيخ المالكية بدمشق أفتيا أنَّه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلًا، وأنَّه نقل خلاف العلماء في المسألة، ورَجَّح أحد القولين فيها، وبقي مدَّة في القلعة يكتب العلمَ ويصنِّفه، ويرسل إلى أصحابه الرسائل، ويذكر ما فتح الله به عليه في هذه المرة من العلوم العظيمة، والأحوال الجسيمة، وقال: قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، مات كثير من العلماء يتمنونها، ثمَّ إنَّه منع من الكتابة، ولم يُترك عنده دواةٌ ولا قلمٌ ولا ورقٌ، فأقبل على التلاوة والتهجُّد والذكر، وقال مرة: ما يصنع أعدائي بي؟. أنا جئتني وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلادى سياحة.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه.

ولَمَّا دَخَلَ الْقَلْعَةَ، وَصَارَ دَاخِلَ سُورِهَا نَظَرَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ
سُورَ لَمْ يَأْبَاطُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

وَكَانَ مَعَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحَبْسِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْإِرْجَافِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
أَطِيبَ النَّاسَ عِشَاءً، وَأَشْرَحَهُمْ صَدْرًا، وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا، وَأَسْرَهُمْ نَفْسًا
- رحمه الله وعفا عنه -.

ذكر بعض تصانيفه: وهي كثيرة جدًا، ولكن نذكر نبذةً من أسماء
أعيان المصنّفات الكبار:

كتاب «الإيمان» مجلد. «الاستقامة» مجلدان. «جواب الاعتراضات
المصرية على الفتاوى الحموية» أربع مجلدات. «بيان تلبيس الجهمية
في تأسيس بدعهم الكلامية» في ستة مجلدات كبار. كتاب «المحنة المصرية»
مجلدان. «المسائل الإسكندرية» مجلد. «الفتاوى المصرية» سبع مجلدات.
كل هذه التصانيف ما عدا كتاب «الإيمان» كتبه وهو بمصر في مدة سبع
سنين، صنّفها في السجن، وكتب معها أكثر من مئة لَفّة ورق أيضًا.

كتاب «درء تعارض العقل والنقل» أربع مجلدات كبار، «الجواب
عما أورده الشيخ كمال الدين الشريشي على هذا الكتاب» نحو مجلد.

وكتاب «منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيع والقدريّة» أربع
مجلدات. «الجوابُ الصّحيح لمن بدّل دين المسيح» مجلدان. «شرح أول
المحصل» للرازي مجلد. «شرح بضعة عشرة مسألة من الأربعين للرازي»
مجلدان. «الرد على المنطق» مجلد كبير. «الرد على البكري في مسألة الاستغاثّة»

مجلد. «الرّد على أهل كسروان الرّوافض» مجلدان. «الصّفدية جواب من قال: إنّ معجزات الأنبياء قوى نفسانية» مجلد. «الهلاوونية» مجلد. «شرح عقيدة الأصبهاني» مجلد. «شرح العمدة للشيخ موفق الدين». كتب منه أربعة مجلدات. «تعليقة على المحرر في الفقه لجده» عدّة مجلدات. «الصّارم المسلول على شاتم الرسول» مجلد. «بيان الدليل على بطلان التحليل» مجلد. «اقتضاء الصّراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» مجلد. «التحرير في مسألة حفير» مجلد في مسألة من القسمة كتبها اعتراضاً على الخوئي في حادثة حكم فيها. «الرّد على من اعترض عليه في مسألة الحلف بالطلاق» ثلاث مجلدات. كتاب «تحقيق الفرقان بين التّطليق والأيمان» مجلد كبير. «الرّد على الأخنائي في مسألة الزيارة» مجلد.

وأما القواعد المتوسطة والصّغار وأجوبة الفتاوى فلا يمكن الإحاطة بها لكثرتها وانتشارها وتفرّقها.

ومن أشهرها «الفرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشيطان» مجلد لطيف. «الفرقان بين الحق والبطلان» مجلد لطيف. «الفرقان بين الطّلاق والأيمان» مجلد لطيف. «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» مجلد لطيف. «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» مجلد لطيف.

ذكر نبذة من مفرداته وغرائب

- اختار ارتفاع الحدث بالمياه المتعصرة، كماء الورّد ونحوه.

- واختار جواز المسح على النّعلين، والقدمين وكل ما يُحتاج في نزع من الرّجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى، فإنه يجوز عنده

المسح عليه مع القدمين.

- واختار أنَّ المسح على الخفين لا يتوقف مع الحاجة كالمسافر على البريد ونحوه، وفعل ذلك في ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد، ويتوقف مع إمكان النزع وتيسره.

- واختار جواز المسح على اللِّفائف ونحوها.

- واختار جواز التَّيَمُّم لخشية فوات الوقت في حق غير المعذور، كمن أخر الصلاة عمدًا حتَّى تضايق وقتها. وكذا من خشي فوات الجمعة والعيدين، وهو محدث، فأما من استيقظ أو ذكر في آخر وقت الصَّلَاة فإنَّه يتطهر بالماء ويصلى لأنَّ الوقت متسع في حقه.

- واختار أنَّ المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال في البيت وشقَّ عليها النزول إلى الحمام وتكرره، أنَّها تَتِمَّم وتُصَلِّي.

- واختار أنَّ لا حَدَّ لأقلِّ الحيض ولا لأكثره، ولا لأقلِّ الطُّهر بين الحيضتين، ولا لسنِّ اليأس من الحيض، وأنَّ ذلك يرجع إلى ما تعرفه كلُّ امرأة من نفسها.

- واختار أنَّ تارك الصَّلَاة عمدًا لا يجب عليه القضاء، ولا يُشرع له، بل يكثر من التَّوافل.

- وأنَّ القصر يجوز في قصر السفر وطويله.

- وأنَّ سجود التَّلاوة لا يشرع له الطُّهارة.

- ومن إنشاد الشَّيخ - رحمه الله - لنفسه قبل موته بأيَّام:

أنا الفقير إلى ربِّ السَّموات أنا المُسِيكين في مجموع^(١) حالاتي
أنا الظُّلوم لنفسي وَهِيَ ظالمتي والخيرُ إن جاءنا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جلبَ منفعةٍ ولا عَنِ النَّفسِ في دفعِ المَضَرَّاتِ
وليسَ لي دونه مولى يدبِّرُني ولا شَفيعٌ إلى ربِّ البرياتِ
إلا بإذنٍ من الرَّحمن خالقنا إلى الشَّفيع كما قد جا في الآياتِ
ولستُ أملكُ شيئاً دونه أبداً ولا شريك أنا في بعض ذرّاتِ
ولا ظهيرَ له كيما أعاونهُ كما يكونُ لأربابِ الولاياتِ
والفقْرُ لي وصفُ ذاتي لازمٌ أبداً كما الغني أبداً وصفٌ له ذاتي
وهذه الحالُ حالُ الخلقِ أجمعيهِ وكلُّهم عنده عبدٌ له آتي
فمن بَغَى مطلباً من دون خالقه فهو الجَهلُ الظُّلومُ المُشرك العاتي
والحمدُ لله ملءَ الكونِ أجمعيهِ ما كان فيه وما من بعده ياتي

وهذه الأبيات متضمنة حسن اعتقاد وافتقار.

ذكر وفاته - رحمه الله -

مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعةً وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته، وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين

(١) في الأصل: جميع.

عشري ذي القعدة، سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة. وذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرسُ على الأبرجة، فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أعلم به في منامه، وأصبح الناس، واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أول النهار. وفتح باب القلعة وكان نائب السلطنة غائباً عن البلد، فجاء الصاحبُ إلى نائب القلعة، فعزاه به، وجلس عنده، واجتمع عند الشيخ في القلعة خلق كثير من أصحابه، يكون ويئونون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبدالرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمةً، وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهايا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

فشرع حينئذ الشيخان الصالحان: عبدالله بن المحب الصالح، والزريع الضير - وكان الشيخ يحبُّ قراءتهما - فابتدأ من سورة ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾﴾ حتى ختما القرآن، وخرج الرجال، ودخل النساء من أقارب الشيخ فشاهدوه، ثم خرجوا واقتصر على من يغسله، ويساعد في تغسله، وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم، كالمزي وغيره، ولم يفرغ من غسله حتى امتلأت القلعة بالرجال وما حولها إلى الجامع، فصلى عليه بدركات القلعة الزاهد القدوة محمد بن تمام، وضج الناس حينئذ بالبكاء والثناء، وبالدهاء والترحم، وأخرج الشيخ إلى جامع دمشق في الساعة الرابعة أو نحوها، وكان قد امتلأ الجامع وصحنه، والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات إلى اللبادين والفوارة، وكان الجمع أعظم من جمع الجمع، ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، والجند يحفظون الجنازة من الزحام، وجلس الناس على غير صفوف، بل مرصوصين، لا يتمكن أحد من الجلوس ولا السجود

إِلَّا بِكَلْفَةٍ، وكثر الناس كثرةً لا توصف، فلما أذن المؤذن بالظهر أقيمت الصَّلَاة على الشَّدة، بخلاف العادة، وصلوا الظُّهر، ثُمَّ صَلَّيَ عَلَى الشَّيْخ، وكان الإمام نائب الخطابة علاء الدين بن الحُرَّاط لغيبة القزويني بالديار المصرية، ثُمَّ سَارُوا بِهِ، وَالنَّاسُ فِي بَكَاءٍ وَدَعَاءٍ وَثَنَاءٍ، وَتَهْلِيلٍ وَتَأْسُفٍ، وَالتَّسَاءُ فَوْقَ الْأَسْطَحَةِ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ يَدْعِينَ وَيَبْكِينَ أَيْضًا، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا لَمْ يَعْهَدْ بِدَمَشْقٍ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَحَاضِرِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمُخَدَّرَاتِ، وَصَرَخَ صَارِخٌ: هَكَذَا تَكُونُ جَنَائِزُ أُمَّةِ السُّنَّةِ. فَبَكَى النَّاسُ بَكَاءً كَثِيرًا عِنْدَ ذَلِكَ؛ وَأَخْرَجَ مِنْ بَابِ الْبَرِيدِ، وَاشْتَدَّ الزَّحَامُ، وَأَلْقَى النَّاسُ عَلَى نَعْشِهِ مَنَادِيلَهُمْ وَعَمَائِمَهُمْ، وَصَارَ التَّعَشُّ عَلَى الرُّؤُوسِ يَتَقَدَّمُ تَارَةً وَيَتَأَخَّرُ أُخْرَى، وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَامِعِ كُلِّهَا، وَهِيَ مَزْدَحِمَةٌ، ثُمَّ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا، لَكِنْ كَانَ الْمَعْظَمُ مِنْ بَابِ الْفَرْجِ، وَمِنْهُ خَرَجَتِ الْجَنَازَةُ، وَبَابُ الْفَرَادِيسِ، وَبَابُ التَّنَصُّرِ، وَبَابُ الْجَابِيَةِ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَتَقَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ هُنَاكَ أَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وَدَفِنَ وَقْتُ الْعَصْرِ أَوْ قَبْلَهَا بِسِيرٍ إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ شَرَفِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَةِ، وَحُزِرَ الرِّجَالُ بِسِتِينَ أَلْفًا، أَوْ أَكْثَرَ إِلَى مَائَتِي أَلْفٍ، وَالنِّسَاءُ بِخَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفًا. وَظَهَرَ بِذَلِكَ قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَيْنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْبَدْعِ يَوْمَ الْجَنَائِزِ».

وَحُتِمَ لَهُ خَتَمَاتٌ كَثِيرَةٌ بِالصَّالِحِيَةِ وَالْمَدِينَةِ، وَتَرَدَّدَ النَّاسُ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً لَيْلًا وَنَهَارًا، وَرُثِيتَ لَهُ مَنَامَاتٌ كَثِيرَةٌ صَالِحَةٌ. وَرِثَاهُ خَلَقَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ بِقِصَائِدٍ كَثِيرَةٍ مِنْ بِلَادَانِ شَتَى وَأَقْطَارِ مِتْبَاعِدَةٍ، وَتَأْسَفُ الْمُسْلِمُونَ لِفَقْدِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَفَرَ لَهُ - وَصُلِّيَ عَلَيْهِ صَلَاةُ الْغَائِبِ فِي غَالِبِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ، حَتَّى فِي الْيَمَنِ وَالصُّيْنِ، وَأُخْبِرَ

المسافرون: أنه تُودي بأقصى الصَّين للصلاة عليه يوم الجمعة: «الصَّلَاةُ على تَرْجُمَانِ القرآن».

وقد أفرد الشَّيْخ الإمام العلامة المتقن المحقِّق بحر العلوم شمس الدين أبو عبدالله محمَّد بن أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد المقدسيِّ الحنبلي - رضي الله عنه وغفر له - للشَّيْخ تقي الدين ترجمةً في مجلد.

وكذلك أبو حفص عمر بن علي البزار البغدادي في كرايس.

وقد حدَّث الشَّيْخ كثيرًا وسمع منه خلق من الحفاظ والأئمة من الحديث ومن تصانيفه.

وقد أنشد الشَّيْخ الحافظ شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهَبِيَّ - رحمه الله تعالى - يرثي الشَّيْخ تقي الدين - رضي الله عنه -:

يا موتُ خُذْ من أرذتِ أو فدَعِ	مَحَوْتَ رَسَمَ العلوم والورَعِ
غَيَّيْتَ بحرًا مفسَّرًا جبالًا	حَبَّرًا تقيًا مجانب الشُّبَعِ
فإن يحدث «فمسلم» ثقةً	وإن يُناظر فصاحبُ «اللُّمَعِ»
وإن يَخُضْ نحو «سيبويه» يَفْهُ	بكلِّ معنى في الفنِّ مخترعِ
وصارَ عالي الإسناد حافظه	كشُعبة أو سعيد الضُّبَعِي
والفقه فيه فكان مجتهدًا	وذا جهادٍ عارٍ من الجَزَعِ
وجوده «الحاتمي» مشتهر	وزُهده «القادري» في الطَّمَعِ
أَسْكَنَهُ الله في الجنان ولا	زال عَلِيًّا في أجمل الخلعِ

مع مالك والإمام أحمد والـ سُعْمَانُ وَالشَّافِعِيُّ وَالنَّخَعِيُّ
 مضى ابن تيمية وموعده مع خصمه يوم نفخة الفزع
 ورثاه أيضا الشيخ زين الدين عمر بن الوردى الشافعي - رحمه الله
 - فقال:

عَثَا فِي عَرْضِهِ قَوْمٌ سِلَاطُ
 تَقِي الدِّينِ أَحْمَدُ خَيْرُ حَبِيرٍ
 تَوَفَّي وَهُوَ مَحْبُوسٌ فَرِيدٌ
 وَلَوْ حَضَرُوهُ حِينَ قَضَى لَأَلْفَوْا
 قَضَى نَحْبًا وَلَيْسَ لَهُ قَرِينٌ
 فَرِيدًا فِي نَدَى كَفٍّ وَعِلْمٍ
 وَكَانَ إِلَى التَّقَى يَدْعُو الْبِرَايَا
 وَكَانَ يَخَافُ إِبْلِيسَ سَطَاهُ
 فَيَاللَّهِ مَاذَا ضَمَّ لِحَدٍّ
 هُمْ حَسَدَوْهُ لَمَّا لَمْ يَنَالُوا
 وَكَانُوا عَنْ طَرَائِقِهِ كُسَالَى
 وَحَبْسُ الدُّرِّ فِي الْأَصْدَافِ فَخْرٌ
 بَالِ الْهَاشِمِيِّ لَهُ اقْتِدَاءٌ
 لَهْمُ مَنْ نَثَرَ جَوْهَرَهُ التَّقَاطُ
 خُرُوقُ الْمَعْضَلَاتِ بِهِ تُخَاطُ
 وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الدُّنْيَا انْبِسَاطُ
 مَلَائِكَةُ النَّعِيمِ بِهِ أَحَاطُوا
 وَلَا لِنَظِيرِهِ لُفَّ الْقِمَاطُ
 وَحُلُّ الْمَشْكَلاتِ بِهِ يُنَاطُ
 وَيَنْهَى فِرْقَةً فَسَقُوا وَلَا طُؤَا
 بُوَعِظَ لِلْقُلُوبِ هُوَ السَّيَاطُ
 وَيَاللَّهِ مَا غَطَّى الْبَلَاطُ
 مَنَاقِبَهُ فَقَدْ مَكَّرُوا وَشَاطُوا
 وَلَكِنْ فِي أَذَاهُ لَهُمْ نَشَاطُ
 وَعِنْدَ الشَّيْخِ بِالسَّجْنِ اغْتِبَاطُ
 فَقَدْ ذَاقُوا الْمَنُونَ وَلَمْ يَوَاطُوا

بنو تيمية كانوا فبانوا نجوم العلم أدركها انهباط
ولكن يا ندامة حابسيه فشك الشرك كان به يماط
ويا فرح اليهود بما فعلتم فإن الضد يعجبه الخطاب
ألم يك فيكم رجل رشيد يرى سجن الإمام فيستشاط
إمام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال ولم يُعهد له بكم اختلاط
فقيم سجنتموه وغظتموه أما لجزا أذيته اشتراط
وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي ففيه لقدر مثلكم انحطاط
أما والله لولا كتم سري وخوف الشر لانحل الرباط
وكنتم أقول ما عندي ولكن بأهل العلم ما حسن اشتطاط
فما أحد إلى الإنصاف يدعو وكلّ في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم يا حابسيه ونيتكم إذا نُصِبَ الصراط
فهاهو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تُعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير ردّ عليكم وانطوى ذاك البساط

الدُّرُّ الْمُنْضَدُ فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَد^(١)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسَّلام بن أبي محمَّد عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمَّد بن الخضر بن عليّ بن عبدالله ابن تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِي.

نزِيلُ دِمَشْقَ، الشَّيْخُ، الْإِمَامُ، الْعَالِمُ، الْمُحَقِّقُ، الْحَافِظُ، الْمُجْتَهِدُ، الْمُحَدِّثُ، الْمُفَسِّرُ، الْقُدْوَةُ، الزَّاهِدُ، نَادِرَةُ الْعَصْرِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، قُدْوَةُ الْأَنَامِ، عَلَامَةُ الزَّمَانِ، تَقِي الدِّينِ، أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ أَبِي الْمُحَاسَنِ بْنِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُجِدِّ الدِّينِ أَبِي الْبَرَكَاتِ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا، وَلَدَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ عَاشِرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتْمِائَةَ بَحْرَّانَ، وَقَدِمَ مَعَ وَالِدِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى دِمَشْقَ مُهَاجِرِينَ بِسَبَبِ جَوْرِ التَّتَارِ فِي أَثْنَاءِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَسِتْمِائَةَ وَصَارَ مِنْ شَأْنِهِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ.

ذكر نبذة من أسماء أعيان تصانيفه الكبار

كتاب «الإيمان» مجلَّدٌ، كتاب «الاستقامة» مجلَّدان، «جواب الاعتراضات المِصْرِيَّةَ عَلَى الْفَتَاوَى الْحَمَوِيَّةِ» أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ، «بَيَانُ تَلْبِيسِ الْجَهْمِيَّةِ فِي تَأْسِيسِ بَدْعِهِمُ الْكَلَامِيَّةِ» فِي سِتِّ مُجَلَّدَاتٍ كِبَارٍ، كِتَابُ «الْمُحَنَّةِ الْمِصْرِيَّةِ» مُجَلَّدان، «الْمَسَائِلُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ» مُجَلَّدٌ «الْفَتَاوَى الْمِصْرِيَّةُ» سَبْعُ مُجَلَّدَاتٍ.

وَكُلُّ هَذِهِ التَّصَانِيفِ مَا عَدَا كِتَابَ «الْإِيمَانِ» كَتَبَهُ وَهُوَ بِمِصْرَ فِي مَدَّةِ

(١) (١/٤٧٦-٤٧٩). مكتبة التوبة، تحقيق د. عبدالرحمن العثيمين (١٤١٢).

سبع سنين صَنَّفَهَا فِي السَّجْنِ . وَكُتِبَ مَعَهَا أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ لَفَّةٍ ^(١) وَرَقَ أَيْضًا ، كِتَابُ «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالثَّقَلِ» أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ كِبَارٍ ، وَ «الْجَوَابُ عَمَّا أَوْرَدَهُ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ» ، نَحْوُ مُجَلَّدٍ ، كِتَابُ «مَنْهَاجُ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي نَقْضِ كَلَامِ الشَّيْعَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ» أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، «الْجَوَابُ الصَّحِيحُ لِمَنْ بَدَلَ دِينَ الْمَسِيحِ» مُجَلَّدَانِ ، «شَرْحُ أَوَّلِ الْمَحْصَلِ» لِلرَّازِيِّ مُجَلَّدٌ ، «شَرْحُ بَضْعَةِ عَشَرَ» ^(٢) مَسْأَلَةٌ مِنَ الْأَرْبَعِينَ لِلرَّازِيِّ مُجَلَّدَانِ ، «الرَّدُّ عَلَى الْمَنْطِقِ» مُجَلَّدٌ كَبِيرٌ ، «الرَّدُّ عَلَى الْبَكْرِيِّ فِي مَسْأَلَةِ الْإِسْتِغَاثَةِ» مُجَلَّدٌ ، «الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ كَسْرَوَانَ الرَّوَافِضِ» مُجَلَّدَانِ ، «الصَّفَدِيَّةُ جَوَابٌ مِنْ قَالَ : أَنَّ مَعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ قَوَى نَفْسَانِيَّةً» مُجَلَّدٌ ، «الْهَلَاوُونِيَّةُ» مُجَلَّدٌ . «شَرْحُ عَقِيدَةِ الْأَصْبَهَانِي» مُجَلَّدٌ ، «شَرْحُ الْعُمْدَةِ» لِلشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ ، كُتِبَ مِنْهُ أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ ، «تَعْلِيقَةٌ عَلَى الْمُحَرَّرِ فِي الْفَقْهِ» لَجَدِّهِ عِدَّةُ مُجَلَّدَاتٍ ، «الصَّارِمُ الْمَسْئُولُ عَلَى شَاتِمِ الرَّسُولِ» مُجَلَّدٌ ، «بَيَانُ الدَّلِيلِ عَلَى بَطْلَانِ التَّحْلِيلِ» مُجَلَّدٌ ، «اِقْتِضَاءُ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي مَخَالَفَةِ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» مُجَلَّدٌ ، «التَّحْرِيرُ فِي مَسْأَلَةِ حَفِيرٍ» مُجَلَّدٌ فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ الْقِسْمَةِ كُتِبَتْهَا اعْتِرَاضًا عَلَى الْخُويِّ فِي حَادِثَةٍ حَكَمَ فِيهَا ، «الرَّدُّ الْكَبِيرُ عَلَى مَنْ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ فِي مَسْأَلَةِ الْحَلْفِ بِالطَّلَاقِ» ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ «تَحْقِيقُ الْفُرْقَانِ بَيْنَ التَّطْلِيقِ» ^(٣) وَالْإِيمَانِ مُجَلَّدٌ كَبِيرٌ ، «الرَّدُّ عَلَى الْأَخْنَائِيِّ فِي مَسْأَلَةِ الزِّيَارَةِ» مُجَلَّدٌ .

وَأَمَّا الْقَوَاعِدُ الْمُتَوَسِّطَةُ وَالصَّغَارُ وَأَجُوبَةُ الْفَتَاوَى فَلَا يُمَكِّنُ الْإِحَاطَةَ بِهَا ، لِكَثْرَتِهَا وَانْتِشَارِهَا وَتَفَرُّقِهَا ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا «الْفُرْقَانُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ» مُجَلَّدٌ لَطِيفٌ ، «الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبُطْلَانِ» مُجَلَّدٌ لَطِيفٌ ،

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : كَفَّةٌ ! .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالصَّوَابُ : بَضْعُ عَشْرَةٍ .

(٣) فِي الْمَطْبُوعَةِ : التَّطْلِيقُ ! .

«الفرقان بين الطلاق والإيمان» مجلّد لطيف، «السياسة الشرعيّة في إصلاح الرّاعي والرّعيّة» مجلّد لطيف، «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» مجلّد لطيف.

وقد حصل للشيخ محنٌ كثيرةٌ، وسُجنَ غيرَ مرّةٍ، ثمَّ في آخر عمره سُجنَ بقلعة دمشق في دولة الملك الناصر محمّد قلاوون فمكثَ في القلعة من^(١) شعبان سنة ستٍّ وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين ثمَّ مرض بضعةً وعشرين يومًا ولم يعلم أكثرُ النَّاسِ بمرضه ولم يفجأهم إلّا موته وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشري القعدة سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة، وذكره مؤدّن القلعة على منارة الجامع وتكلّم به الحرسُ على الأبرجة ثمَّ في صبيحة ذلك اليوم غُسلَ بحضرة جماعة من أكابر الصّالحين وأهل العلم كالمرّي وغيره، وصُلّي عليه بدركات القلعة الزّاهد القدوة محمّد بن تَمّام، وأُخرج إلى جامع دمشق وكان الجمعُ أعظمَ من جمع الجمع، وصُلّي عليه بعد صلاة الطّهر وكان الإمام نائب الخطابة علاء الدّين بن الخراط وأُخرج من باب البريد، واشتدّ الرّحامُ وخرجت الجنازة من باب الفرج، وعظّم الأمرُ بسوق الخيل، وتقدّم في الصّلاة عليه هناك أخوه زين الدّين عبدالرحمن ودُفن وقت العَصْرِ أو قبلها بيسيرٍ إلى جانب أخيه شرف الدّين عبد الله بمقابر الصّوفية، وحُزر الرّجال بستين ألفًا وأكثر، إلى مائتي ألف، والنّساء بخمسة عشر ألفًا، رحمه الله وغفر له، وصُلّي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة، حتّى في اليَمَن والصّين، وأخبر المُسافرون أنّه نودي بأقصى الصّين للصّلاة عليه يومَ جُمعة: الصلاة على ترجمان القرآن - رحمه الله تعالى -.

(١) في المطبوعة: «في»!

طبقات المفسرين^(١)

للعلامة/ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (٩٤٥)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسّلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر ابن محمّد بن تيميّة الحرّاني ثمّ الدّمشقي الحنبلي، الإمام العلامة الفقيه المجتهد الناقد المفسر البارع الأصولي شيخ الإسلام علم الزهاد، نادرة دهره، تقي الدين أبو العبّاس، ابن المفتي شهاب الدين عبدالحليم، ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين، شهرته تُغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره.

ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأوّل سنة إحدى وستين وستمائة بحرّان، وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق، عند استيلاء التّتار على البلاد سنة سبع وستين. فسمع بها من ابن عبدالدّائم، وابن أبي اليُسّر، والمجد بن عساكر، ويحيى بن الصيرفي الفقيه، وابن أبي الخير الحداد، والقاسم الإربليّ، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والمسلم بن علّان، وإبراهيم بن الدرجي؛ وخلق.

وعُني بالحديث، وسمع «المسند» مرّات، والكتب السّنة، و«معجم الطّبراني الكبير»، وما لا يحصى من الكتب والأجزاء.

وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في

(١) (١/٤٦-٥٠) تحقيق علي محمد عمر، مصر ١٣٩٢.

صغره. فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والشيخ زين الدين بن المنجى. وبرع في ذلك. وقرأ في العربية أياماً على ابن عبد القوي، ثم أخذ «كتاب سيويه»، فتأمله ففهمه.

وأقبل على تفسير القرآن الكريم، وبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في علم الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله، ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل.

وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل العشرين أيضاً، وأمدّه الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبطء النسيان، حتّى قال غير واحد: إنّه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه، ثمّ توفي والده وكان له حيثلٌ إحدى وعشرين سنة. فقام بوظائفه بعده، فدرس بدار الحديث السكرية في أول سنة ثلاث وثمانين.

وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي، والشيخ تاج الدين الفزاري، وزين الدين بن المرحّل، والشيخ زين الدين بن المنجى، وجماعة، وذكر درساً عظيماً في البسملّة. وهو مشهور بين الناس، وعظّمه الجماعة الحاضرون، وأثنوا عليه ثناء كثيراً.

قال الذهبي: وكان الشيخ تاج الدين الفزاري يبالغ في تعظيمه، بحيث إنّه علق بخطه درسه بالسكرية، ثمّ جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع، لتفسير القرآن العظيم، وشرع من أول القرآن، وكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر، وبقي

يفسر في سورة نوح عليه السلام، عدة سنين أيام الجُمع. وفي سنة تسعين: ذكر على الكرسي يوم جمعة شيئاً من الصفات، فقام بعض المخالفين، وسعوا في منعه من الجلوس، فلم يمكنهم ذلك.

وقال قاضي القضاة شهاب الدين بن الخُوَيِّ: أنا على اعتقاد الشَّيخ تقي الدين، فعوتب في ذلك. فقال: لأن ذهنه صحيح، ومواده كثيرة. فهو لا يقول إلَّا الصحيح، فقال الشَّيخ شرف الدين المقدسي: أنا أرجو بركته ودعائه، وهو صاحبي وأخي، ذكر ذلك البرزالي في «تاريخه».

وشرع الشَّيخ في الجمع والتصنيف من دون العشرين، ولم يزل في علوِّ وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره.

قال الذهبي في «معجم شيوخه»: برع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميَّال، واستنبط منه أشياء لم يُسبق إليها. وبرع في الحديث وحفظه، فقلَّ من يحفظ ما يحفظه معزواً إلى أصوله وصحابه، مع شدة استحضار له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب، وفتاوي الصَّحابة والتابعين، بحيث إنَّه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده، وأنقن العربية أصولاً وفروعاً وتعليلاً واختلافاً، ونظر في العقلية، وعرف أقوال المتكلمين، ورَدَّ عليهم، ونبه على أخطائهم، وحذَّر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين.

وأوذى في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتَّى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكَبَت أعداءه، وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته، وأحى به الشَّام،

بل الإسلام، بعد أن كاد ينثلم بشيبت أولي الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي في خيلائهم، فظنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشرب النفاق وأبدى صفحته، ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه.

قال الذهبي: وقد قرأت بخط شيخنا العلامة كمال الدين بن الزمكاني، ما كتبه سنة بضع وتسعين تحت اسم «ابن تيمية» كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع: أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله.

وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه أشياء كثيرة، ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علم الشرع أو غيره - إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

وأما تصانيفه رحمه الله فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر. سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتألت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحدًا حصرها، ولا يتسع هذا الكلام، لعد المعروف منها ولا ذكرها. وقد بلغت ثلاثمائة مجلدة.

وكتب بخطه من التصانيف والتعليق المفيدة والفتاوى المشبعة في الأفرع والأصول والحديث ورد البدع بالكتاب والسنة شيئًا كثيرًا، يبلغ عدة أحمال، فمما كمل منها «كتاب الصارم المسلول على منتقص الرسول» و«كتاب تبطيل التحليل» و«كتاب اقتضاء الصراط المستقيم» و«كتاب تأسيس التقديس» في عدة مجلدات، و«كتاب الرد على طوائف الشيعة»

أربع مجلدات. و «كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام» ، و«كتاب السياسة الشرعية»، و «كتاب التصوف»، و «كتاب الكلم الطيب»، و«كتاب مناسك الحج»، وغير ذلك.

وقد امتُحن وأُوذِي مراراً ومات في سحر ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة مُعتقلاً بقلعة الشَّام، وقد وقع أجره على الله.

* * *

كتاب الزيارات^(١)

للقاضي محمود بن محمد العدوي (١٠٣٢)

ابن تيمية

العلامة أحمد بن عبدالحليم بن عبدالله النميري الحرّاني، نسبة إلى حرّان مدينة مشهورة بين الموصل والشام، بينها وبين الرّها يوم وبين الرقة يومان. وذكر قوم فيما حكاه ياقوت في «معجم البلدان» أنها أول مدينة بُنيت في الأرض بعد الطوفان.

الإمام أستاذ الحفاظ وعلم الأئمة الأيقاظ الأصولي المفسّر المجتهد المنعوت بتقي الدين [ابن] العلامة شهاب الدين ابن المجتهد مجد الدين. وشهرته تُغني عن التحديد والإطناب في ذكره.

وُلد بحرّان يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، وقدم إلى دمشق مع أهله سنة سبع وستين وست مئة. مات بقلعة دمشق معتقلاً - قيل على مسألة الزيارة - ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وكانت له جنازة حافلة حُزر الرجال بستين ألفاً، وقيل: بمئتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألفاً، وظهر بذلك ما قال أبو عبدالرحمن السُّلَمي: حضرتُ جنازة أبي الفتح القواس الزاهد [مع] الشيخ أبي الحسن الدارقطني، فلما بلغ [إلى]

(١) (ص/ ٩٤-٩٥) دمشق (١٩٥٦) بالمجمع العلمي.

ذلك الجمع الكثير أقبل علينا فقال: سمعت أبا سهل بن زياد القطّان يقول: إن ابن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز.

ودفن بمقابر الصوفية، و[قبره] مشهور مقصود للزيارة.

* * *

شذرات الذهب في أخبار من ذهب^(١)

للعامة/ أبي الفلاح عبدالحَيّ بن العِماد الحنبلي (١٠٨٩)

وفيه [٧٢٨] شيخ الإسلام تقي الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبدالحليم ابن عبدالسّلام ابن تَيْمِيَّة الحَرّاني الحنبلي، بل المجتهد المطلق.

ولد بحَرّان يوم الاثنين عاشر ربيع الأوّل، سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم به والده وبأخويه عند استيلاء التتار على البلاد إلى دمشق سنة سبع وستين، فسمع الشّيخ بها ابن عبدالدّائم، وابن أبي اليسر، والمجد ابن عساكر، ويحيى بن الصّيرفي، والقاسم الإربلي، والشّيخ شمس الدّين ابن أبي عمر، وغيرهم. وعني بالحديث، وسمع «المسند» مرّات، والكتب السّنة. و «معجم الطّبراني الكبير» وما لا يُحصى من الكتب والأجزاء. وقرأ بنفسه، وكتب بخطّه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشّيخ شمس الدّين بن أبي عمر، والشّيخ زين الدّين بن المُنَجّي، وبرّع في ذلك، وناظر، وقرأ العربية على ابن عبدالقوي. ثمّ أخذ «كتاب سيبويه» فتأمله وفهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، وغير ذلك من العلوم. ونظر في الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، وردّ على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون

(١) (١٤٢/٧ - ١٥٠) دار ابن كثير، دمشق، تحقيق الأرنؤوط.

العشرين سنة. وأفتى من قبل العشرين أيضًا. وأمدّه الله بكثرة الكتب، وسُرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبُطء النسيان، حتّى قال غير واحد: إنّه لم يكن يحفظ شيئًا فينساه، ثمّ توفي والده وله إحدى وعشرون سنة، فقام بوظائفه بعده مدة، فدرّس بدار الحديث الشُّكْرِيَّة المجاورة لحمام نور الدّين الشهيد في البزورية في أول سنة ثلاث وثمانين، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي، والشيخ تاج الدّين الفزاري، وابن المرحّل، وابن المُنَجّي، وجماعة، فذكر درسًا عظيمًا في البسملة، بحيث بهرَ الحاضرين، وأثنوا عليه جميعًا.

قال الذّهبيّ: وكان الشّيخ تاج الدّين الفزاري يُبالغ في تعظيم الشّيخ تقي الدّين، بحيث إنّه علّق بخطّه درسه بالشُّكرية.

ثمّ جلس مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم، وشرع من أول القرآن، فكان يُوردُ في المجلس من حفظه نحو كُرَّاسين أو أكثر. وبقي يُفسّر في سورة نوح عدّة سنين أيام الجُمع.

وقال الذّهبيّ في «معجم شيوخه»: شيخنا، وشيخ الإسلام، وفريد العصر، علمًا، ومعرفةً، وشجاعةً، وذكاءً، وتنويرًا إلهيًا، وكرمًا، ونصحًا للأمة، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر.

سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب، وخرّج، ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصله غيره، وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيالٍ، وخاطر وقادٍ إلى مواضع الإشكال ميّال، واستنبط منه أشياء لم يُسبق إليها، وبرّع في الحديث وحفظه، فقلّ مَنْ يحفظ ما يحفظ من الحديث معزوًّا إلى أصوله وصحابه، مع شدة استحضارٍ له وقت إقامة الدليل. وفاق النَّاس في معرفة الفقه، واختلاف

المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده. وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، وتعليلاً واختلافاً. ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلمين. ورد عليهم، ونبه على خطئهم وحذر، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذى في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتى أعلی الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له. وكبت أعداءه، وهدى به رجالاً كثيرة من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته. وأحيا به الشام، بل الإسلام، بعد أن كاد ينثلم خصوصاً في كائنة التتار، وهو أكبر من أن يُنبّه على سيرته مثلي، فلو حُلِّفُ بين الركن والمقام لحُلِّفُ: أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه مارأى مثل نفسه. انتهى كلام الذهبي.

وكتب الشيخ كمال الدين ابن الزمّلكاني تحت اسم «ابن تيمية»: كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ فَرْقٍ مِنَ الْعِلْمِ ظَنُّ الرَّائِي وَالسَّمْعِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ ذَلِكَ الْفَرْقِ، وَحُكْمُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْرِفُهُ مِثْلُهُ. وَكَانَ الْفَقَهَاءُ مِنْ سَائِرِ الطَّوَائِفِ إِذَا جَالَسُوهُ اسْتَفَادُوا فِي مَذَاهِبِهِمْ مِنْهُ أَشْيَاءَ، وَلَا يُعْرِفُ أَنَّهُ نَازِرٌ أَحَدًا فَانْقَطَعَ مَعَهُ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ سِوَاءِ كَوْنِهِ مِنْ عُلُومِ الشَّرْعِ أَوْ غَيْرِهَا إِلَّا فَاقَ فِيهِ أَهْلُهُ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْاجْتِهَادِ عَلَى وَجْهِهَا.

وكتب الحافظ ابن سيّد الناس في «جواب سؤالات الدّمياطي» في حقّ ابن تيمية: أَلْفَيْتُهُ مِمَّنْ أَدْرَكَ مِنَ الْعُلُومِ حَقًّا، وَكَادَ يَسْتَوْعِبُ الشُّنَنَ وَالْآثَارَ حِفْظًا، إِنْ تَكَلَّمَ فِي التَّفْسِيرِ، فَهُوَ حَامِلٌ رَايَتِهِ، وَإِنْ أَفْتَى فِي الْفَقْهِ فَهُوَ مَدْرِكُ غَايَتِهِ، أَوْ ذَاكِرٌ بِالْحَدِيثِ فَهُوَ صَاحِبُ عِلْمِهِ، وَذُو رَوَايَتِهِ، أَوْ حَاضِرٌ بِالنَّحْلِ وَالْمِلَلِ لَمْ يُزَ أَوْسَعُ مِنْ نَحْلَتِهِ، وَلَا أَرْفَعُ مِنْ دَرَايَتِهِ.

برز في كل فنٍّ على أبناء جنسه، ولم ترَ عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه.

وقال الذهبي في «تاريخه الكبير» بعد ترجمة طويلة: بحيث يصدق عليه أن يُقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

وترجمه ابن الزمكاني أيضًا ترجمة طويلة وأثنى عليه ثناءً عظيمًا، وكتب تحت ذلك:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جَلَّتْ عن الحُصْرِ

هو حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ هو بيننا أعجوبةُ العَصْرِ

هو آيةٌ لِلخَلْقِ ظَاهِرَةٌ أنوارها أربثُ على الفَجْرِ

وللشيخ أثير الدين أبي حيَّان النحوي لما دخل الشيخ مصرَ واجتمع به فأنشد أبو حيَّان:

لَمَّا رَأَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرْدًا مَالَهُ وَزُرُّ

عَلَى مُحَيَّاهُ مِنْ سَيِّمَاتِ الْأَوَّلَى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورُ دُونَهُ الْقَمَرُ

حَبْرٌ تَسْرِبَلُ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَادَفُ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدُّرُّ

قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَصْرِ شِرْعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضَرُّ

فَظَهَرَ الدِّينَ إِذْ آثَارُهُ دَرَسَتْ وَأَخَذَ الشُّرْكَ إِذْ طَارَتْ لَهُ شَرُّ

يَا مَنْ تَحَدَّثُ عَنْ عِلْمِ الْكِتَابِ أَصْحُ هَذَا الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ

يشير بهذا إلى أنه المجدد.

وممن صرَّح بذلك الشيخ عماد الدِّين الواسطي، وقد توفي قبل الشيخ. وقال في حقِّ الشيخ بعد ثناء طويل جميل ما لفظه: فوالله، ثمَّ والله، ثمَّ والله، لم يُرَ تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تَيْمِيَّة، علماً، وعملاً، وحالاً، وخُلُقاً واتباعاً، وكرماً، وحلماً، وقياماً في حقِّ الله عند انتهاك حُرُماته، أصدق النَّاس عقداً، وأصحهم علماً، وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحقِّ وقيامه همةً، وأسخاهم كفاً، وأكملهم اتباعاً لنبيِّه محمَّد ﷺ. ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى الثُّبوة المحمدية وسُننها من أقواله وأفعاله إلَّا هذا الرَّجل، يشهد القلب الصحيح أنَّ هذا هو الاتباع حقيقة.

وقال الشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد، وقد سئل عن ابن تَيْمِيَّة بعد اجتماعه به: كيف رأيته؟ فقال: رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه، يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء، فقليل له: فلم لا تتناظرا؟ قال: لأنَّه يحب الكلام وأحبُّ السَّكوت.

وقال برهان الدِّين بن مُفلح في «طبقاته»: كتب العلامة تقي الدِّين السُّبكي إلى الحافظ الدَّهبي في أمر الشيخ تقي الدِّين ابن تَيْمِيَّة: فالمملوك يتحقق قدره وزخارة بحره وتوسعته في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وأنَّه بلغ من ذلك كل المبلغ الَّذي يتجاوزه الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجلُّ، مع ما جمعه الله تعالى له من الزَّهَّادة، والورع، والدِّيانة، ونصرة الحقِّ، والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السَّلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزَّمان، بل من أزمان. انتهى.

وقال العلامة الحافظ ابن ناصر الدِّين في «شرح بديعته» بعد ثناء جميل

وكلام طويل: حَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ، مِنْهُمْ الذَّهَبِيُّ، وَالْبِرْزَالِيُّ، وَأَبُو الْفَتْحِ
بْنُ سَيِّدِ النَّاسِ، وَحَدَّثَنَا عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِنَا الْأَكْيَاسِ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي عَدِّ مَصْنُفَاتِهِ الْمَجُودَةِ: وَمَا أَبْعَدُ أَنْ تَصَانِفَهُ إِلَى
الْآنَ تَبْلُغُ خَمْسَمِائَةَ مَجْلَدَةٍ.

وَأَثْنَى عَلَيْهِ الذَّهَبِيُّ وَخَلَقَ بِنَاءً حَمِيدًا، مِنْهُمْ الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ الْوَاسِطِيُّ
الْعَارِفُ، وَالْعَلَّامَةُ تَاجُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ، وَابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ،
وَأَبُو الْفَتْحِ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ.

وَحَسْبُهُ مِنَ الثَّنَاءِ الْجَمِيلِ قَوْلُ أَسَاطِئِ أئِمَّةِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ أَبِي
الْحَبَّاجِ الْمِزِّيِّ الْحَافِظِ الْجَلِيلِ، قَالَ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ، وَلَا رَأَى هُوَ
مِثْلَ نَفْسِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَلَا أَتْبَعَ لِهَمَا
مِنْهُ. وَتَرْجَمُهُ بِالِاجْتِهَادِ وَبِلُغَةٍ دَرَجَتِهِ، وَاتَّمَكَّنَ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ:
ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ، وَالذَّهَبِيُّ، وَالْبِرْزَالِيُّ، وَابْنُ عَبْدِ الْهَادِي، وَآخَرُونَ.

وَلَمْ يَخْلَفْ بَعْدَهُ مَنْ يَقَارِبُهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ. انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ
نَاصِرِ الدِّينِ مَلْحَضًا.

وَكَانَ الشَّيْخُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ قَوَّامٍ يَقُولُ: مَا أَسْلَمْتُ
مَعَارِفُنَا إِلَّا عَلَى يَدِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ: كَانَتِ الْعُلَمَاءُ، وَالصُّلَحَاءُ، وَالْجُنْدُ، وَالْأُمَرَاءُ،
وَالْتُّجَّارُ، وَسَائِرُ الْعَامَّةِ تَحِبُّهُ، لِأَنَّهُ مُنْتَصِبٌ لِنَفْعِهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، بِلِسَانِهِ،
وَقَلَمِهِ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ وَغَيْرُهُ: ذَكَرَ نُبْذَةً مِنْ مَفْرَدَاتِهِ وَغَرَائِبِهِ:

اختار ارتفاع الحديث بالمياه المعتصرة كماء الورد ونحوه.

والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير قليلاً
كَانَ أَوْ كَثِيرًا.

والقول بجواز المسح على التعلين والقدمين وكل ما يُحتاج في نزعه
من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى فإنه يجوز المسح عليه
مع القدمين. واختار أن المسح على الخفين لا يتوقت مع الحاجة،
كالمسافر على البريد ونحوه، وفعل ذلك في ذهابه إلى الديار المصرية
على خيل البريد، ويتوقت مع إمكان النزع وتيسره.

واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها.

واختار جواز التيمم لخشية فوات الوقت في حق غير المعذور،
كمن أخر الصلاة عمدًا حتى تضايق وقتها. وكذا من خشي فوات الجمعة
والعيدين وهو مُخْدِتٌ.

واختار أن المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال في البيت وشق عليها
النزول إلى الحمام وتكرره، أنها تيمم وتُصلي.

واختار أن لا حدًّا لأقلِّ الحيض ولا لأكثره، ولا لأقلِّ الطُّهر بين
الحيضتين، ولا لسنِّ الإياس، وأن ذلك يرجع إلى ما تعرفه كل امرأة
من نفسها.

واختار أن تارك الصلاة عمدًا لا يجب عليه القضاء، ولا يشرع له،
بل يكثر من النوافل.

وأن القصر يجوز في قصير السفر وطويله، كما هو مذهب الظاهرية.

واختار القول بأن البكر لا تستبرأ وإن كانت كبيرة، كما هو قول ابن عمر واختاره البخاريّ صاحب «الصحيح».

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء، كما هو مذهب ابن عمر واختيار البخاريّ.

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنّه ليل وكان نهاراً لا قضاء عليه كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم.

والقول بجواز المسابقة بلا محلّ وإن أخرج المتسابقان.

والقول باستبراء المختلعة بحيضة، وكذلك الموطوءة بشبهة، والمطلقة آخر ثلاث تطليقات.

والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين.

وجواز طواف الحائض، ولا شيء عليها إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً.

والقول بجواز بيع الأصل بالعصير، كالزيتون بالزيت، والسّمسم بالسّيرج.

والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلي وغيره كالخاتم ونحوه بالفضة متفاضلاً، وجعل الزايد من الثمن في مقابلة الصّنع والقول.

ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الإفتاء بها محن وقلقل قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق، وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلاً واحدة، وأن الطلاق المحرّم لا يقع، وله في ذلك مؤلفات كثيرة لا

تنحصر ولا تنضب.

وقال ابن رجب: مكث الشيخ معتقلاً في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعة وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته.

وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة، ذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرس على الأبرجة، فتسامع الناس بذلك، وبعضهم علم به في منامه، واجتمع الناس حول القلعة حتى أهل الغوطة والمزج، ولم يطبخ أهل الأسواق، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين، وفتح باب القلعة.

واجتمع عند الشيخ خلق كثير من أصحابه ييكون ويشنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبدالرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين، وانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ﴾ في مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

فشرع حينئذ الشيخان الصالحان عبدالله بن المحب الصالحى، والزريعى الضريع - وكان الشيخ يحب قراءتهما - فابتدأ من سورة ﴿الرَّحْمَنُ﴾ حتى ختما القرآن.

وخرج من عنده من كان حاضراً إلا من يغسله ويساعد على تغسيله، وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم، كالمزى وغيره، وما فرغ من تغسيله حتى امتلأت القلعة وما حولها بالرجال، فصلّى عليه بدركات القلعة الزاهد القدوة محمد بن تمام، وضجّ الناس حينئذ بالبكاء، والثناء، والدعاء بالترحم.

وأُخرج الشيخ إلى جامع دمشق، وصلّوا عليه الطُّهر، وكان يومًا مشهودًا لم يعهد بدمشق مثله، وصرخ صارخ: هكذا تكون جناز أئمة السُّنة، فبكى النَّاس بكاءً كثيرًا، وأُخرج من باب البريد، واشتد الزحام وألقى النَّاس على نعشه مناديلهم! وصار النَّعش على الرؤوس يتقدم تارة ويتأخر أخرى، وخرجت جنازته من باب الفرج، وازدحم النَّاس على أبواب المدينة جميعًا للخروج، وعُظُم الأمر بسوق الخيل، وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه عبدالرحمن، ودفن وقتَ العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدِّين عبدالله بمقابر الصُّوفية. وحُزِرَ من حضر جنازته بمائتي ألف، ومن النساء بخمسة عشر ألفًا. وخُتِمت له ختمات كثيرة، رحمه الله ورضي عنه.



دُرَّةُ الْحِجَالِ فِي غُرَّةِ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ^(١)

لابن القاضي المكناسي (١١٢٥)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن
محمد بن تيمية.

مفتي الشام ومحدثه وحافظه.

كَانَ يَرْتَكِبُ شَوَازَ الْفَتَاوَى!! وَيُزْعَمُ أَنَّهُ مُجْتَهِدٌ مُصِيبٌ^(٢)!! سَمِعَ
مِنْ ابْنِ عَبْدِالدَّائِمِ، وَابْنِ أَبِي الْيُسْرِ، وَابْنِ أَبِي الْخَيْرِ، وَابْنِ عَطَاءٍ، وَابْنِ
عَسَاكِرَ، وَابْنِ الْبَخَارِيِّ فَخْرَ الدِّينِ، وَلَهُ تَأْلِيفٌ.

مولده. سنة ٦٦١ بحرّان، ذكره ابن جابر في شيوخه.

* * *

(١) (٣٠/١) دار التراث والمكتبة العتيقة (١٣٩٠)، تحقيق د/ محمد الأحمد أبو النور.

(٢) تقدّم التعليق عليه في «برنامج ابن جابر».

ديوان الإسلام^(١)

شمس الدين محمد بن عبدالرحمن الغزي (١١٦٧)

الشيخ الإمام العلامة الحبر البحر، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس
الدمشقي الحنبلي، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة التي تزيد على
مئتي مجلد كبار.

توفي بدمشق سنة ثمان وعشرين وسبعمئة.

* * *

(١) (٤٠/٢) دار الكتب العلمية (ط، ١) ١٤١١، تحقيق سيد كسروي حسن.

رسالة في مناقب ابن تيمية والدفاع عنه^(١)

للعلامة/ الشاه ولي الله الدهلوي (١١٧٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مُفِيضِ النِّعَمِ وملهمِ الحِكم، وصلى الله على سيدنا محمد
سيد العرب والعجم، وعلى آله وصحبه عوالي الهمم.

أما بعد، فيقول الفقير ولي الله بن عبدالرحيم عاملهما الله تعالى
بفضله الجسيم: وردت رقيمة كريمة من مخدوم مكرم، لا زال مُعِينًا
للحق والدين، في الفحص عن حال الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية
عامله الله تعالى بفضله، وأي شيء ينبغي أَنْ يعتقده فيه، فوجب الائتمار
بأمره، وإن كنت بمعزل عن مثل ذلك.

والذي أعتقده أنا وأحبُّ أَنْ يعتقده جميع المسلمين في علماء الإسلام
حملة الكتاب والسنة والفقه، الذابين عن عقيدة أهل السنة والحديث،
أنهم عدول بتعديل النبي ﷺ حيث قال: «يحمل هذا الدين من كل طبقة
عدوله»^(٢). وإن كَانَ بعضهم تكلم بما لا يرتضيه هذا المعتقد، إذا كَانَ
قوله غير مردود بنص الكتاب والسنة والإجماع، وكان قوله ذلك محتملاً،
وكان مجال ومساغ للخوض فيه، سواء كَانَ قوله ذلك في أصول الدين،

(١) طبعت قديماً، ثم نشرها الشيخ الفوجياني في المكتبة السلفية بلاهور.

(٢) لفظ الحديث: «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله...».

أو في المباحث الفقهية، أو في الحقائق الوجدانية.

وعلى هذا الأصل اعتقدنا في الشيخ الأجل محيي الدين محمد بن علي بن العربي، وفي الشيخ المجدد أحمد بن عبد الأحد السهرندي أنهما من صفوة عباد الله، ولم نلتفت إلى ما قيل فيهما^(١). وكذلك ابن تيمية، فإننا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله ومعانيه اللغوية والشرعية، وحافظ لسنة رسول الله ﷺ وآثار السلف، عارف بمعانيها اللغوية والشرعية، أستاذ في النحو واللغة، محرر لمذهب الحنابلة فروعه وأصوله، فائق في الذكاء، ذو لسان وبلاغة في الذب عن عقيدة أهل السنة، لم يؤثر عنه فسق ولا بدعة، اللهم إلا هذه الأمور التي ضيق عليه لأجلها، وليس شيء منها إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف. فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العالم، ومن يطبق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره؟ والذين ضيقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى، وإن كان تضيقهم ذلك ناشئاً من اجتهاد، ومشاجرة العلماء في مثل ذلك ما هي إلا كمشاجرة الصحابة فيما بينهم، والواجب في ذلك كف اللسان إلا بخير.

وقد ذكر أنه قال: إن الله تعالى فوق العرش، والتحقيق أن في هذه المسألة ثلاث مقامات:

أحدها: البحث عما يصح إثباته للحق توقيفاً وعمّا لا يصح توقيفاً، والحق في هذا المقام أن الله تعالى أثبت لنفسه جهة الفوق، وأن الأحاديث متظاهرة على ذلك، وقد نقل الترمذي ذلك عن الإمام مالك ونظرائه.

(١) قد ثبت عن ابن عربي القول بالحلول والاتحاد ثبوتاً لاشك فيه، وألف العلماء حول معتقده كتباً عديدة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية والبقاعي وغيرهما. وعلى هذا فلا وجه للتسوية بين ابن عربي وابن تيمية.

وثانيها: أنَّ العقل هل يجوز كون مثل هذا الكلام حقيقةً أو يوجب حمّله على المجاز؟ والحق في هذا المقام أنَّ العقل يوجب أنَّه ليس على ظاهره في نفس الأمر.

وثالثها: أنَّه هل يجب تأويله أو يجوز وقفه على ظاهره من غير تعيين المراد؟ والحق فيه أنَّه لم يثبت في حديث صحيح أو ضعيف أنَّه يجب تأويله ولا أنَّه لا يجوز استعمال مثل تلك العبارات من الأمة.

أخبرني أبو طاهر عن أبيه أنَّه قال: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: لم ينقل عن النَّبي ﷺ ولا عن الصَّحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك يعني المتشابهات ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة] ثمَّ يترك هذا الباب، فلا يميز ما يجوز نسبته إليه تعالى مما لا يجوز، مع حثّه على تبليغ الشاهد الغائب، حتَّى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وما فعل بحضرته، فدلَّ على أنَّهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الَّذي أراده الله تعالى منها وأوجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم، فقد خالف سبيلهم، انتهى.

وهذا الَّذي حقَّقناه هو مذهب الشَّيخ أبي الحسن الأشعري. أقرَّاني أبو طاهر المدني - رضي الله عنه - بخط أبيه أنَّ الشَّيخ أبا الحسن قال في كتابه: «إني على مذهب أحمد في مسألة الصفات وأنَّ الله فوق العرش» وكلام ابن تيمية محمول على المقام الأوَّل والثالث، وإذا رجعنا إلى الوجدان فلا شك أنَّ لله تعالى خصوصية مع العرش كما أنا لا نجد عبارة في انكشاف المسموعات والمبصرات أفصح من السمع والبصر،

والله أعلم بحقائق الأمور.

وقد ذكر عنه أنه منع السفر لزيارة (قبر) النبي ﷺ، ولا يروى كلامه ذلك بدليل صريح صحيح، فإنه لم يمنع الزيارة مطلقاً، بل منع السفر لزيارة القبر بحديث «لا تشدوا الرحال» وبحديث «لا تتخذوا قبري عيداً» فإذا كَانَ لقوله مساعج اجتهادي لا ينبغي أَنْ يشدد عليه ذلك التشدد.

وقد ذكر عنه أنه قد أنكر وجود القطب والغوث والخضر والذي تدعيه الشيعة أنه المهدي، وحق له ذلك فَإِنَّ السني ما دام على شرطه من اعتقاد ما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع والسكوت عما لا يثبت بها يجوز له أَنْ لا يعتقد ذلك، ومن أثبت ذلك من الصوفية، فإنه لم يثبت عن كتاب وسنة، اللهم إِلَّا الكشف، وليس من أدلة الشرع، والذي أفهم من كلامه أنه يريد أَنْ هذا القول مبتدع باطل اعتقاده من حيث الشرع لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» ولو كَانَ قطع بالإنكار لم يستحق التكفير ولا التفسيق أيضاً. وهلهنا دقيقة وهي أنه كم من مسألة لم يدل عليها الشرع لا نفياً ولا إثباتاً، ودل عليها العقل كقولنا: يحصل من ضرب العشرة في العشرة المائة، أو الكشف والوجدان كقولنا المحبة الذاتية ثابتة لِكَمَل من عباد الله وهي ميل الوجود الخاص إلى أصله المطلق من القيود كمثل ميل كل عنصر إلى مقره. وهذه المسائل حقة في الحقيقة ولو اعتقد إنسان أنها من الشرع كَانَ اعتقاده ذلك خطأ ولو أحلها محل الثابت بالشرع فأنكر على من لم يقل بها أو حاول إثباتها على منكريها كإثبات الشرعيات كَانَ خطأ أيضاً.

وقد ذكر عنه أنه أنكر اعتقاد الشيعة في الإمام المحجوب على زعمهم، وحق له أن ينكر ذلك بل الأشاعة كلهم على هذا الإنكار ولا

أعلم أحدًا قال به، وقد ذكر عنه أنه أساء الأدب مع سيدنا عليّ - رضي الله تعالى عنه، وحاشاه من ذلك، وقد طالعت كلامه فوجدت بعضه مسوقًا في مناقضة الشيعة في طعنهم على الخلفاء الثلاثة بأمور تخيلوها نقصًا كما هو مذكور في آخر التجريد. فقام هذا الشيخ يعدّد عليهم أمورًا اعترفوا بها في سيدنا عليّ هي مثلها، كأنه يقول: ليست هذه الأمور نقصًا كما تخيلتم فإنّ مثلها ماثور عن سيدنا عليّ وهو - رضي الله عنه - مرضي عندنا وعندكم، وما هو جوابكم في سيدنا عليّ هو جوابنا في الخلفاء الثلاثة - رضي الله عنهم - وهذا من كمال علمه وقوة مناظرته ومن الاعتراف بفضل سيدنا عليّ - رضي الله عنه - . وعلى هذا الأصل يخرج قول معلوم أنّ الرأي إن لم يكن مذمومًا... الخ وقوله فإنّ الحسين - رضي الله تعالى عنه - لم يعظم إنكار الأمة لقتله كما عظم إنكارهم بقتل عثمان - رضي الله عنه - وقوله فإنّ فضل أبي بكر . الخ، معناه الردّ على الشيعة في طعنهم على الصديق بمنع فذك وأنّه إيذاء لفاطمة - رضي الله تعالى عنها - وقد قال النبي ﷺ: «يؤذيني من آذاها» وحاصله أنّ مثل هذه الأمور مستثنى من مطلق الإيذاء لأنه مما يشرع للشرع. وكذلك قوله: وأما فعل يؤذيني حاشاه أن يشنّع على عليّ وفاطمة - رضي الله تعالى عنها - بل هو على سبيل المناقضة، كأنه قال: تشنيعكم على أبي بكر هو مثل ما يفرض من تشنيع أحد على عليّ وفاطمة، وجوابكم هو جوابنا بعينه وبعضه في مناقضة الشيعة في إثباتهم فضيلة سيدنا عليّ على الخلفاء الثلاثة كما هو مذكور في آخر التجريد أيضًا، فقام هذا الشيخ يثبت للخلفاء الثلاثة مثل ما أثبتوا لسيدنا عليّ أو أفضل منه وليس في التفضيل إساءة أدب فإنّ التفضيل مذهب أهل السنة أجمع حاشاهم أن يسيئوا الأدب معه - رضي الله تعالى عنه - .

أما تفسير آية الطهارة بالإرادة التشريعية دون الإرادة التكوينية فصحيح، ومثله ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] إلى غير ذلك من الآيات.

وبعد؛ فإني أذكر الله عز وجل كل مسلم في هذه المسألة وأمثالها، الله الله أن يسب أحد من المسلمين عالمًا مجتهدًا في أمثال هذه، هذا ما تيسر لي من الجواب وما حملني على الجواب إلا النصح، والله أعلم بحقيقة الأمور.

* * *

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع^(١)

للعلامة / محمد بن عليّ الشوكاني (١٢٥٠)

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحرّاني الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس شيخ الإسلام إمام الأئمة المجتهد المطلق. ولد سنة (٦٦١) إحدى وستين وستمائة، وتحول به أبوه من حرّان سنة (٦٦٧) سبع وستين وستمائة، فسمع من ابن عبد الدايم، والقاسم الإربلي، والمسلم ابن علان، وابن أبي عمر، والفخر ومن آخرين.

قال ابن حجر في «الدرر»: وقرأ بنفسه ونسخ «سنن أبي داود» وحصل الأجزاء. ونظر في الرجال والعلل. وتفقه، وتمهر، وتقدم، وصنف، ودرس، وأفشى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوشع في المنقول والمعقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف انتهى.

وأقول أنا: لا أعلم بعد ابن حزم مثله وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما.

قال الدّهبيّ ما ملخصه: كَانَ يُقْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ إِذَا ذَكَرَ مَسْأَلَةً مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ، وَمَا رَأَيْتَ أَسْرَعَ انْتِزَاعًا لِلآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَسْأَلَةِ الَّتِي

(١) (١/٦٣-٧٣) مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

يوردها منه، ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه. وكانت السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه. وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يُشَقُّ غباره فيه.

هذا؛ مع ما كَانَ عليه من الكرم والشَّجاعة، والفراغ عن ملاذ النفس. ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد، بل أكثر. وكان قوَّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم. ثُمَّ قال: ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه. ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه. وقد أوديت من الفريقين من أصحابه وأضداده.

وكان أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، ربَّعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً سريع القراءة. تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم.

قال: ولم أر مثله في ابتهاله واستعانتته بالله وكثرة توجهه. وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية؛ فإنه كَانَ مع سعة علمه، وفطر شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشراً من البشر، تعتريه حدة في البحث وغضب^(١) وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفوس. ولولا ذلك لكان كلمة إجماع فإن كبارهم خاضعون لعلومه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكثر ليس له نظير. ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً. وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك. قال: وكان محافظاً على الصَّلاة والصَّوم، معظمًا للشرائع ظاهراً وباطناً،

(١) في ذيل تاريخ الإسلام للذهبي: «شظف».

لا يؤتى من سوء فهم ؛ فإنَّ له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم؛ فإنه بحر زاخر ولا كَانَ متلاعبًا بالدين ولا ينفرد بمسائل بالتشهي ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن وينظر أُسوةً من تقدمه من الأئمة. فله أجر على خطاه وأجران على إصابته. انتهى.

ومع هذا فقد وقع له من أهل عصره قلاقل وزلازل. وامتنح مرة بعد أخرى في حياته. وجرت فتن عديدة، والناس قسمان في شأنه: فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه. وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة. ثمَّ يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره وهكذا حال هذا الامام، فإنه بعد موته عرف النَّاس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلاَّ من لا يعتد به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته.

وأول ما أنكر عليه أهل عصره في شهر ربيع الأوَّل سنة (٦٩٨) أنكروا عليه شيئًا من مقالاته فقام عليه الفقهاء وبحثوا معه ومُنِع من الكلام. ثمَّ طلب ثاني مرة سنة (٧٠٥) إلى مصر فتعصب عليه بعض أركان الدولة. وهو (بيرس الجاشنكير) وانتصر له ركن آخر وهو (الأمير سلار) ثمَّ آل أمره أن حبس في خزانة البنود مدة ثمَّ نقل في صفر سنة (٩) إلى الإسكندرية. ثمَّ أفرج عنه وأعيد إلى القاهرة ثمَّ أعيد إلى الإسكندرية. ثمَّ حضر السلطان الناصر من الكرك فأطلقه، ووصل إلى دمشق في آخر

سنة (٧١٢) وكان السبب في هذه المحنة أن مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما رفع إليه من أمور تُنكر في ذلك، فعقد له مجلس في سابع رجب فسئل عن عقيدته، فأملى منها. ثم أحضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقرأ منها. وبحثوا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرروا الصفي الهندي يبحث معه. ثم آخروه وقدموا الكمال الزمِّلَكَاني، ثم انفصل الأمر على أنه أشهد على نفسه أنه شافعي المعتقد فأشاع أتباعه أنه انتصر، فغضب خصومه ورفعوا واحداً من أتباع ابن تيمية إلى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادلية فعزّره، وكذا فعل الحنفي باثنين منهم.

وفي ثاني عشر رجب قرأ المزيّ فصلاً من كتاب «أفعال العباد» للبخاري في الجامع فسمع بعض الشافعية فغضب، وقال: نحن المقصودون بهذا ورفعوه إلى القاضي الشافعي فأمر بحبسه. فبلغ ابن تيمية فتوجه إلى الحبس فأخرجه بيده، فبلغ القاضي، فطلع إلى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب. فأمر النائب من ينادي أن من تكلم في العقائد فُعل به كذا، وقصد بذلك تسكين الفتنة. ثم عقد له مجلس في سلخ شهر رجب، وجرى فيه من ابن الزمِّلَكَاني، وابن الوكيل مباحثة. فقال ابن الزمِّلَكَاني لابن الوكيل: ما جرى على الشافعية قليل، حيث تكون أنت رئيسهم، فظن القاضي ابن صصري أنه يعرض به فعزل نفسه. ثم وصل بريد من عند السلطان إلى دمشق أن يرسلوا بصورة ما جرى في سنة (٦٩٨) ثم وصل مملوك النائب وأخبر أن بيرس والقاضي المالكي قد قاما في الإنكار على ابن تيمية، وأن الأمر قد اشتد على الحنابلة حتى صفع بعضهم. ثم توجه القاضي ابن صصري، وابن تيمية صحبة البريد إلى القاهرة، ومعهما جماعة فوصلا في العشر الأخير من رمضان. وعقد

مجلس في ثاني عشره بعد صلاة الجمعة فادعى على ابن تيمية عند المالكي، فقال: هذا عدوِّي ولم يجب عن الدعوى، فكرر عليه فأصرّ. فحكم المالكي بحبسه، فأقيم من المجلس وحبس في برج. ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه. فقال: يجب التضيق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره. فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الحبّ.

ولقد أحسن المترجم له - رحمه الله - بالتصميم على عدم الإجابة عند ذلك القاضي الجريء الجاهل الغبي، ولو وقعت منه الإجابة لم يبعد الحكم بإراقة دم هذا الإمام الذي سمح الزمان به، وهو بمثله بخيل. ولا سيّما هذا القاضي من المالكية الذي يقال له: ابن مخلوف، فإنه من شياطينهم المتجربين على سفك دماء المسلمين بمجرد أكاذيب وكلمات ليس المراد بها ما يحملونها عليه، وناهيك بقوله: إن هذا الإمام قد استحقّ القتل وثبت لديه كفره، ولا يساوي شعرة من شعراته، بل لا يصلح لأن يكون شسعاً لنعله. وما زال هذا القاضي الشيطان يتطلّب الفرص التي يتوصل بها إلى إراقة دم هذا الإمام فحجبه الله عنه، وحال بينه وبينه والحمد لله ربّ العالمين.

ثمّ بعد هذا نودي بدمشق: أن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله، خصوصاً الحنابلة فنودي بذلك، وقُريء المرسوم، قرأه ابن الشهاب محمود في الجامع ثمّ جمعوا الحنابلة من الصّالحة وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعيّ، وكان من أعظم القائمين على المترجم له الشيخ نصر المنبجي لأنّه كان بلغ ابن تيمية، أنّه يتعصب لابن العربي، فكتب إليه كتاباً يُعاتبه على ذلك فما أعجبه. لكونه بالغ في الحط على ابن العربي وكفره. فصار هو يحط على ابن تيمية ويُغري ببيرس الذي يفرط في محبة نصر وتعظيمه، وقام القاضي المالكي المتقدم

ذكره مع الشيخ نصر وبالع في أذية الحنابلة واتفق أنَّ قاضي الحنابلة كَانَ قليل البضاعة في العلم فبادر إلى اجابتهم في المعتقد واستكتبوا خطّه بذلك.

وافرق أنَّ قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري انتصر لابن تيمية وكتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم، وكتب فيه بخطه ثلاثة عشر سطراً، من جملتها أنّه منذ ثلاث مئة سنة ما رأى النَّاس مثله فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الحريري فعزل وقرر عوضه شمس الدين الأذرعي، ثمَّ لم يلبث الأذرعي أنَّ عَزَلَ في السنة المقبلة.

وتعصب سلار لابن تيمية وأحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلّم معهم في إخراجهم فاتفقوا على أنهم يشترطون فيه شروطاً. وأن يرجع عن بعض العقيدة فأرسلوا إليه مرات. فامتنع من الحضور إليهم، واستمر على ذلك ولم يزل ابن تيمية في الجب إلى أن تشفّع فيه مُهتئاً أمير آل فضل، فأخرج في ربيع الأوّل في الثالث والعشرين منه. وأحضر إلى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء فكتب عليه محضر بأنه قال: أنا أشعري^(١). ثمَّ اجتمع جماعة من الصوفية عند تاج الدين بن عطاء فطلعوا في العشر الأوسط من شوال إلى القلعة وشكوا من ابن تيمية أنّه تكلم في حقّ مشايخ الطريقة، وأنّه قال: لا يُستغاث بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاقتضى الحال أن أمر بتسييره إلى الشّام فتوجه على خيل البريد، وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشغول بالمرض. وقد أشرف على الموت فبلغه سير ابن تيمية، فراسل النائب، فردّه من

(١) سبق التعليق عليه في الدرر الكامنة، والمؤلف ينقل عنه.

نابلس، وادّعى عليه عند ابن جماعة وشهد عليه شرف الدين ابن الصّابوني .
وقيل: إن علاء الدين القونوي شهد عليه أيضًا، فاعتقل بسجن حارة
الدليمة في ثامن عشر شوال، إلى سلخ شهر صفر سنة (٧٠٩) فنقل عنه
أن جماعة يترددون إليه وأنه يتكلم عليهم في نحو ما تقدم، فأمر بنقله
إلى الإسكندرية فنقل إليها في سلخ صفر. وكان سفره صحبة أمير مقدم
ولم يمكن أحد من جهته من السفر معه. وحبس ببرج شرقي. ثم توجه
إليه بعض أصحابه فلم يمنعوا منه، فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة وكان
موضعه فسيحًا، فصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ويبحثون معه .

فلم يزل إلى أن عاد الناصر إلى السلطنة، فشفع فيه عنده فأمر باحضاره
فاجتمع به في ثامن عشر شوال سنة (٧٠٩) فأكرمه وجمع القضاة فأصلح
بينه وبين القاضي المالكي. فاشتراط المالكي أن لا يعود. فقال له السلطان
قد تاب. وسكن القاهرة وتردد الناس إليه إلى أن توجه صحبة الناصر
إلى الشام بنية الغزو سنة (٧١٢) فوصل إلى دمشق. وكانت غيبته منها
أكثر من سبع سنين، وتلقاه جمع كثير فرحًا بمقدمه. وكانت والدته إذ
ذاك حية ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة (٧١٩) بسبب قوله إن الطلاق
الثلاث من دون تخلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة. ثم عقد له مجلس آخر
في رجب سنة (٧٢٠) ثم حبس بالقلعة، ثم أخرج في عاشوراء سنة
(٧٢١) ثم قاموا عليه مرة أخرى في شعبان سنة (٧٢٦) بسبب مسألة
الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الاثنين، لعشرين
من شهر القعدة سنة (٧٢٨) بجامع دمشق. وصار يضرب المثل بكثرة
من حضر جنازته، وأقل ما قيل في عددهم أنهم خمسون ألفًا .

قال ابن فضل الله: لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في
سنة (٧٠٠) حضّ أهل المملكة على الجهاد وأغلظ القول للسلطان

والأمراء. ورتبوا له كل يوم دينارًا وطعامًا فلم يقبل ذلك. ثم قال: حضر عنده شيخنا أبو حيان فقال ما رأت عيناى مثل هذا الرجل، ومدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة منها:

لَمَّا أَتَانَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرَدُّ مَالِهِ وَزَرُّ
عَلَى مُحَيَّاهُ مِنْ سَيِّمَةِ الْأَلَى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورُ دُونِهِ الْقَمَرُ

قال: ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول في سيبويه، فنافره أبو حيان وقطعه، وصير ذلك ذنبًا لا يغفر. وسئل عن السبب، فقال: ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه. فقال: ما كان سيبويه نبي النحو ولا كان معصومًا، بل أخطأ في «الكتاب» في ثمانين موضعًا! ما تفهمها أنت! فكان ذلك سبب مقاطعته إياه، وذكره في تفسيره «البحر» بكل سوء، وكذلك في مختصره «النهر» وقد ترجم له جماعة وبالغوا في الثناء عليه، ورثاه كثير من الشعراء.

وقال جمال الدين السرمري في «أماليه»: ومن عجائب زماننا في الحفظ ابن تيمية كان يمر بالكتاب مرة مطالعة فينقش في ذهنه، وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه، وحكى بعضهم عنه أنه قال: من سألني مستفيدًا حققت له ومن سألني متعنتًا ناقضته، فلا يلبث أن ينقطع فأكفي مؤنته. وقد ترجم له الصفدي وسرد أسماء تصانيفه في ثلاثة أوراق كبار. ومن أنفعها: كتابه في إبطال الحيل فإنه نفيس جدًا، وكتاب «المنهاج في الرد على الروافض» في غاية الحسن، لولا أنه بالغ في الدفع حتى وقعت له عبارات وألفاظ فيها بعض التحامل.

وقد نسب به بعضهم إلى طلب الملك. لأنه كان يلهج بذكر ابن تومرت

ونظرائه، فكان ذلك مولدًا لطول سجنه. وله وقائع مشهورة. وكان إذا حوق وألزم، يقول: لم أرد هذا وإنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً، ولعل ذلك - والله أعلم - أنه يصرّح بالحق فتأباه الأذهان، وتنبو عنه الطباع لقصور الأفهام، فيحوّله إلى احتمال آخر دفعاً للفتنة. وهكذا ينبغي للعالم الكامل، أن يفعل، يقول الحق كما يجب عليه ثم يدفع المفسدة بما يمكنه.

وحكي عنه أنّه لما وصل إليه السؤال الذي وضعه السكاكيني على لسان يهودي وهو:

أيا علماء الدّين ذمّي دينكم تحيّر دُلّوه بأعظم حُجّة

إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

إلى آخرها، فوقف ابن تيمية على هذه الأبيات فثنى إحدى رجليه على الأخرى، وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة^(١) عشر بيتاً أولها:

سؤالك يا هذا سؤال مُعاند مُخاصم ربّ العرش ربّ البريّة

وقال ابنُ سيّد الناس اليعمري في ترجمة ابن تيمية: إنّه برّز في كلّ فنّ على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله؛ ولا رأت عينه مثل نفسه.

وقال الذّهبيّ مترجماً له في بعض الاجازات: قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبرع في العلوم والتفسير وأفتى ودرس، وهو دون العشرين وصنف التّصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة مشايخه. وتصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة وأكثر.

(١) اختلف في عددها، فأقل ما قيل (١٠٢)، وأكثر ما قيل (١٨٤) بيتاً.

وقال: وأما نقله للفقه ومذاهب الصَّحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير. وقال: إنه لا يذكر مسألة إلاً ويذكر فيها مذاهب الأئمة، وقد خالف الأئمة الأربعة في عدة مسائل، صنف فيها واحتجَّ لها بالكتاب والسنة. وقد أثنى عليه جماعة من أكابر علماء عصره فمن بعدهم. ووصفوه بالتفرد، وأطلقوا في نعته عبارات ضخمة وهو حقيق بذلك. والظاهر أنَّه لو سَلِمَ مما عرض له من المحن المسفرقة لأكثر أيامه، المكذرة لذهنه، المشوشة لفهمه، لكان له من المؤلفات والاجتهادات مالم يكن لغيره. قال الصَّفدي: وكان كثيراً ما يُنشد:

تموتُ النفوسُ بأوصابها ولم يذرِ عَوَّادُها ما بها
وما أنصَفَتْ مهجَةٌ تشتكي أذاها إلى غير أربابها
ومما أنشدَ له على لسان الفقراء:

والله ما فقَرُنا اختيارُ وإنما فقَرُنا اضطرارُ
جماعةٌ كُلُّنا كُسالى وأكلنا ماله عيارُ
تَسْمَعُ مِنَّا إذا اجتمعنا حقيقةً كُلُّها فُشارُ

العلامة / صديق حسن خان القنوجي (١٣٠٧)

— أَبْجَدُ الْعُلُومِ
— التَّاجُ الْمَكْلَلُ

أَبْجَدُ الْعُلُومِ^(١)

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العبَّاس، أحمد بن المفتي شهاب الدين عبدالحليم بن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبدالسَّلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تَيْمِيَّةَ الحَرَّاني الحنبلي.

مولده - رحمه الله ورحمنا به^(٢) -، بحرَّان يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، هاجر والده به وبإخوته إلى الشَّام من جَوْر التتر، وعُني الشَّيخ تقي الدين بالحديث، ونسخ جملةً، وتعلَّم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، ثمَّ أقبل على الفقه، وقرأ أيامًا في العربية على ابن عبدالقوي، ثمَّ فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتَّى فهمه، وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كليًّا حتَّى سبق فيه، وأحكم أصول الفقه، كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه وقوة حافظته وإدراكه، ونشأ في تصوُّن تامٍّ، وعفاف وتعبُّد، واقتصاد في الملبس والمأكل.

وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، فيناظر ويفهم الكبار ويأتي بما يتحيرون منه، وأفتى وله أقل من تسع عشرة سنة، وشرع في الجمع والتأليف، ومات والده وله إحدى وعشرون سنة، وبعدَ صيته في العالم فطبَّق ذكره الآفاق وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجُمع على

(١) (٣/ ١٣٠-١٣٨) وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٣٩٨، بعناية عبدالجبار زُكَّار.

(٢) كذا في الأصل، وهو من التوسل الممنوع.

كرسي من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتلعثم، وكذلك الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح يقول في المجلس أزيد من كراسين، ويكتب على الفتوى في الحال عدة أوصال بخط سريع في غاية التعليق والإغلاق.

قال الشيخ العلامة كمال الدين بن الزمّلكاني عَلم الشافعية في خطّ كتبه في حق ابن تيمية: كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ فَنٍ مِنَ الْعِلْمِ ظَنَ الرَّائِي وَالسَّامِعِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ ذَلِكَ الْفَنِّ وَحُكْمَ بَأْنٍ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِثْلَهُ، وَكَانَتِ الْفُقَهَاءُ مِنْ سَائِرِ الطَّوَائِفِ إِذَا جَالَسُوهُ اسْتَفَادُوا فِي مَذَاهِبِهِمْ مِنْهُ أَشْيَاءَ.

قال: ولا يعرف أنّه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كَانَ مِنْ عُلُومِ الشَّرْعِ أَوْ غَيْرِهَا إِلَّا فَاقَ فِيهِ أَهْلَهُ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها. انتهى كلامه.

وكانت له خبرة تامّة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى «الكتب الستة» و«المسند» بحيث يصدق عليه أن يقال: «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث»، ولكن الإحاطة لله غير أنّه يغترف فيه من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي.

أمّا التفسير فسلم إليه، وله في استحضار الآيات للاستدلال قوة عجيبة، ولفرط إمامته في التفسير وعظمة اطلاعه بيّن خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويكتب في اليوم واللييلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصولين أو من الرّدّ على الفلاسفة والأوائل نحوًا من أربعة كراريس، وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلّدة، وله في غير مسألة مصنّف مفرد كمسألة التحليل سماه «بيان الدليل على إبطال التحليل» مجلد وغيرها.

وله مصنف في الرد على ابن مطهر الرافضي الحلي في ثلاث مجلدات كبار سماه «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية».

وتصنيف في الرد على «تأسيس التقديس» للرازي في سبع مجلدات.

وكتاب في الرد على المنطق، وكتاب في «الموافقة بين المعقول والمنقول» في مجلدين، وقد جمع أصحابه من فتاويه ست مجلدات كبار، وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة.

وله مصنف سماه «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية». وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».

وبقي عدة سنين لا يفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرين، وهابوا وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه، وبدعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يدهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أدى إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال.

وجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية.

وكان معظمًا لحرمت الله، دائم الابتغال، كثير الاستعانة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يُدِيمها، وله من الطرف الآخر محبوبون من العلماء والصلحاء والجند والأمراء والتجار والكبراء، وسائر

العامّة تحبه، وبشجاعته تُضرب الأمثال وبيعضها يتشبه أكابر الأبطال، ولقد أقامه الله في نوبة غازان والتقى أعباء الأمر بنفسه واجتمع بالملك مرتين، وبخطلو شاه وبولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغل.

قال القاضي المنشئ شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن فضل الله في ترجمته: جلس الشيخ إلى السلطان محمود غازان حيث تجم الأسد في آجامها، وتسقط القلوب دواخل أجسامها، وتجد النار فتوراً في ضرمها والسيوف فرقاً في قرمها خوفاً من ذلك السبع المغتال والنمروذ المحتال، والأجل الذي لا يدفع بحيلة محتال فجلس إليه وأوماً بيده إلى صدره وواجهه ودرأ في نحره، وطلب منه الدعاء. فرفع يديه ودعا دعاء منصف أكثره عليه، وغازان يؤمن على دعائه.

وكتب ابن الزمّلكاني على بعض تصانيف ابن تيمية هذه الأبيات:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بينا أعجوبة العصر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربّت على الفجر

قال القاضي أبو الفتح بن دقيق العيد: لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد. وحضر عنده شيخ النحاة أبو حيّان وقال: ما رأيت عيناى مثله. وقال فيه على البديهة أبياتاً منها:

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيّد تيم إذ عصت مضر

فأظهر الحقُّ إذ آثارُهُ دَرَسَتْ وأخمدَ الشرُّ إذ طارَتْ له الشرُّ

كُنَّا نُحدِّثُ عن حَبْرٍ يَجِيءُ فَهَـا أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنتَظَرُ

قال ابن الوردي في «تاريخه» بعد ذلك كله: هو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه في العلم، وكان فيه قلَّةُ مداراةٍ وعدمِ تَوَدَّةٍ غالبًا، ولم يكن من رجال الدول ولا يسلك معهم تلك النواميس، وأعان أعداءه على نفسه بدخوله في مسائل كبار لا يحتملها عقول أبناء زماننا ولا علومهم، كمسألة: التكفير في الحلف بالطلاق، ومسألة: أنَّ الطلاق بالثلاث لا يقع إلَّا واحدة، وأنَّ الطلاق في الحيض لا يقع.

وساس نفسه سياسة عجيبة فحبس مراتٍ بمصر ودمشق والإسكندرية، وارتفع وانخفض واستبد برأيه وعسى أن يكون ذلك كفارة له، وكم وقع في صعب بقوة نفسه وخلصه الله، وله نظم وسط، ولم يتزوج ولا تسرَّى ولا كَانَ له من المعلوم إلَّا شيء قليل، وكان أخوه يقوم بمصالحة، وكان لا يطلب منهم غداء ولا عشاء غالبًا، وما كانت الدنيا منه على بال، وكان يقول في كثير من أحوال المشايخ إنها شيطانية أو نفسانية فينظر في متابعة الشَّيْخ الكتاب والسنة فإن كَانَ كذلك فحاله صحيح وكشفه رحمانِي غالبًا وماهو بالمعصوم، وله في ذلك عدة تصانيف تبلغ مجلدات، من أعجب العجب، وكم عوفي من صرع الجنِّي إنسان بمجرد تهديده للجنِّي، وجَرَّتْ له في ذلك فصول ولم يفعل أكثر من أن يتلو آيات ويقول: إن لم تنقطع عن هذا المصروع وإلَّا عملنا معك حكم الشرع وإلَّا عملنا معك ما يرضي الله ورسوله.

وفي آخر الأمر ظفروا له بمسألة السفر لزيارة قبور النبيين، وأنَّ السفر

وشد الرحال لذلك منهبي عنه لقوله ﷺ: لا تُشدُّ الرِّحالَ إلَّا إلى ثلاثة مساجد. مع اعترافه بأنَّ الزيارة بلا شد رحل قريبة، فشنعوا عليه بها، وكتب فيها جماعة بأنه يلزم من منعه شائبة تنقيص للنبوَّة فيكفر بذلك.

وأفتى عدَّة بأنه مخطئٌ بذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم، ووافقه جماعة وكبرت القضية فأعيد إلى قاعة بالقلعة فبقي بضعة وعشرين شهراً، وآل الأمر إلى أن مُنع من الكتابة والمطالعة، وما تركوا عنده كراساً ولا دواة، وبقي أشهراً على ذلك، فأقبل على التلاوة والتهجد والعبادة حتَّى أتاه اليقين، فلم يفجأ الناس إلَّا نعيه وما علموا بمرضه فازدحم الخلق عند باب القلعة وبالجامع زحمة صلاة الجمعة وأرجح، وشيَّعه الخلق من أربعة أبواب البلد، وحمل على الرؤوس، وعاش سبعة وستين سنة وأشهرًا، وكان أسود الرأس قليل شيب اللحية ربعة جهوري الصوت أبيض أعين.

قلت: تنقَّص مرة بعض الناس من ابن تَيْمِيَّة عند القاضي ابن الرَّمْلَكَاني وهو بحلب وأنا حاضر فقال: ومن يكون مثل الشَّيخ تقي الدين في زهده وصبره وشجاعته وكرمه وعلومه، والله لولا تعرضه للسلف لزاحمهم بالمناكب. وهذه نبذة من ترجمة الشَّيخ مختصرة أكثرها من «الدرة اليتيمية في السيرة التيمية» للإمام الحافظ شمس الدِّين محمَّد الذَّهَبِيّ - رحمه الله.

قال ابن الوردي: وفيها أي سنة (٧٢٨) ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة توفي شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة - رضي الله عنه - معتقلاً بقلعة دمشق، وغُسل وكُفن وأُخرج وصُلِّي عليه أولاً بالقلعة الشَّيخ محمَّد بن تمام، ثمَّ بجامع دمشق بعد الظهر، [وأُخرج] من باب الفرج، واشتدَّ

الزحام في سوق الخيل، وتقدّم عليه في الصلاة هناك أخوه، وألقى
الناس عليه مناديلهم وعمائمهم للتبرّك! وتراصّ الناس تحت نعشه،
وحُزرت النساء بخمسة عشر ألفاً، وأما الرجال فقيل: كانوا مائتي ألف.
وكثُر البكاء عليه، وخُتمت له عدة ختم، وتردد الناس إلى زيارة قبره
أياماً، ورؤيت له منامات صالحة ورثاه جماعة. قلت: ورثته أنا بمرثية
على حرف الطاء؛ فشاعت واشتهرت، وطلبها مني الفضلاء والعلماء من
البلاد وهي:

عَثَا فِي عِرْضِهِ قَوْمٌ سِلَاطٌ	لَهُمْ مِنْ نَثْرِ جَوْهَرِهِ التَّقَاطُ
تَقَيَّ الدِّينَ أَحْمَدُ خَيْرُ حَبْرٍ	خُرُوقُ الْمَعْضَلَاتِ بِهِ تُخَاطُ
تَوَفِّيَ وَهُوَ مَحْبُوسٌ فَرِيدٌ	وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الدُّنْيَا انْبِسَاطُ
وَلَوْ حَضَرُوهُ حِينَ قَضَى لَأَلْفَوْا	مَلَائِكَةَ النِّعَمِ بِهِ أَحَاطُوا
قَضَى نَحْبًا وَلَيْسَ لَهُ قَرِينٌ	وَلَا لِنَظِيرِهِ لُفَّ الْقِمَاطُ
فَتَى فِي عِلْمِهِ أَضْحَى فَرِيدًا	وَحُلُّ الْمَشْكَلاتِ بِهِ يُنَاطُ
وَكَانَ إِلَى التَّقَى يَدْعُو الْبَرَايَا	وَيَنْهَى فِرْقَةً فَسَقُوا وَلَا طَوَا
وَكَانَ الْجَنُّ تَفْرُقُ مِنْ سَطَاهُ	بُوعِظَ لِلْقُلُوبِ هُوَ السَّيَاطُ
فِي اللَّهِ مَا قَدْ ضَمَّ لِحَدٍّ	وَيَا اللَّهَ مَا غَطَّى الْبِلَاطُ!
هُمْ حَسَدَوْهُ لَمَّا لَمْ يَنَالُوا	مُنَاقِبَهُ فَقَدْ مَكَّرُوا وَشَاطُوا
وَكَانُوا عَنْ طَرَائِقِهِ كُسَالَى	وَلَكِنْ فِي أَذَاهُ لَهُمْ نَشَاطُ

وَحَبَسُ الدُّرِّ فِي الْأَصْدَافِ فَخْرٌ
بِأَلِ الْهَاشِمِيِّ لَهُ اقْتِدَاءٌ
بَنُو تَيْمِيَّةَ كَانُوا فَبَانُوا
وَلَكِنْ يَا نَدَامَةً حَابِسِيهِ
وَيَا فَرَحَ الْيَهُودِ بِمَا فَعَلْتُمْ
أَلَمْ يَكُ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
إِمَامٌ لَا وِلَايَةَ كَانَ يَرْجُو
وَلَا جَارَاكُمْ فِي كَسْبِ مَالٍ
فَفِيمَ سَجَنْتُمُوهُ وَغَضَمْتُمُوهُ
وَسَجَنَ الشَّيْخَ لَا يَرْضَاهُ مِثْلِي
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا كَتَمَ سِرِّي
وَكُنْتُ أَقُولُ مَا عِنْدِي وَلَكِنْ
فَمَا أَحَدٌ إِلَى الْإِنْصَافِ يَدْعُو
سَيُظْهِرُ قَضْدَكُمْ يَا حَابِسِيهِ
فَهَاوِ مَاتَ عَنْكُمْ وَاسْتَرَحْتُمْ
وَحَلُّوا وَاعْقِدُوا مِنْ غَيْرِ رَدٍّ
وَعِنْدَ الشَّيْخِ بِالسَّجَنِ اغْتِبَاطُ
فَقَدْ ذَاقُوا الْمُنُونَ وَلَمْ يُوَاطُوا
نَجُومَ الْعِلْمِ أَدْرَكَهَا انْهِبَاطُ
فَشَكَ الشُّرَكَ كَانَ بِهِ يُمَاطُ
فَإِنْ الضَّدَّ يُعْجِبُهُ الْخِبَاطُ
يَرَى سَجَنَ الْإِمَامِ فَيُسْتَشَاطُ
وَلَا وَقَفَ عَلَيْهِ وَلَا رِبَاطُ
وَلَمْ يُعْهَدْ لَهُ بِكُمْ اخْتِلَاطُ
أَمَّا لَجَزَا أَذْيَتِهِ اشْتِرَاطُ
فَفِيهِ لِقَدْرٌ مِثْلَكُمْ انْحِطَاطُ
وَخَوْفُ الشَّرِّ لَانْحِلَّ الرِّبَاطُ
بِأَهْلِ الْعِلْمِ مَا حَسُنَ اشْتِطَاطُ
وَكُلٌّ فِي هَوَاهُ لَهُ انْخِرَاطُ
وَنَيْتُكُمْ إِذَا نُصِبَ الصُّرَاطُ
فَعَاطُوا مَا أَرَدْتُمْ أَنْ تُعَاطُوا
عَلَيْكُمْ وَانْطَوَى ذَاكَ الْبِسَاطُ

وَكُنْتُ اجْتَمَعْتُ بِهِ بِدَمَشْقَ سَنَةِ (٧١٥) بِمَسْجِدِهِ بِالْقَصَاعِينَ، وَبَحِثْتُ

بين يديه في فقه وتفسير ونحو، فأعجبه كلامي وقبّل وجهي وإني لأرجو بركة ذلك، وحكى لي عن واقعة المشهورة في جبل كسروان، وسهرت عنده ليلة، فرأيت من فتوّته ومروءته ومحبّته لأهل العلم ولا سيما الغرباء منهم أمراً كثيراً، وصليت خلفه التراويح في رمضان فرأيت على قراءته خشوعاً، ورأيت على صلاته رقة حاشية تأخذ بمجامع القلوب. انتهى كلام الإمام زين الدّين عمر بن الوردي المتوفى بحلب سنة (٧٤٩) رحمه الله تعالى بعبارة.

وقد ذكرت لابن تيمية - رحمه الله - ترجمة حافلة بالفارسية في كتابي «إتحاف النبلاء المتقين».

وله قدّس سره تراجم كثيرة حسنة اعتنى بجمعها جمع جم من العلماء الفضلاء.

منها كتاب «القول الجلي» في ترجمة شيخ الإسلام تقي الدّين بن تيمية الحنبلي للسيد صفى الدّين أحمد الحنفي البخاري نزيل نابلس - رحمه الله -، وهو جزء لطيف، وعليه تقرّيز للشيخ العلامة محمّد التافلاني مفتي الحنفية بالقدس الشريف، وتقرّيز للشيخ عبدالرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري.

ومنها كتاب «الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» للشيخ الإمام العلامة مرعي.

ومنها كتاب «الرد الوافر على من زعم أنّ من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر» للشيخ الإمام الحافظ أبي عبدالله محمّد بن شمس الدّين أبي بكر بن ناصر الدّين الشافعي الدمشقي، وعليه تقرّيز للحافظ ابن

حجر العسقلاني صاحب «فتح الباري»، وتقريظ لقاضي القضاة صالح بن عمر البلقيني - رحمه الله -، وتقريظ للشيخ الإمام عبدالرحمن التفهني الحنفي وتقريظ للشيخ العلامة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي، وتقريظ للقاضي الفهامة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي وهذا أطول التقاريف وهي التي كتبوها في سنة (٨٣٥)، وأيضاً عليه تقريظ للإمام العلامة قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية أبي العباس أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادى ثمّ المصري كتبه في سنة (٨٣٦) بصالحية دمشق بدار الحديث الأشرفية، وتقريظ لمحدث حلب الحافظ الإمام أبي الوفا إبراهيم بن محمد النعيم رضوان بن محمد بن يوسف العقبي المصري الشافعي، ثمّ قرظ عليه غيرهم من سائر البلدان كالقاضي سراج الدين الحمصي الشافعي وخلق كثير.

وكان قد نبغ شخص في المائة التاسعة يُسمّى علاء الدين محمد البخاريّ بدمشق تعصب على الشيخ وأفتى بكفره وكفر من سمّاه شيخ الإسلام، فردّ عليه في هذا الكتاب وعدّد من سمّاه شيخ الإسلام من أئمة جميع المذاهب منهم خصومه كالسبكي وغيره، وبعد إتمامه أرسله إلى مصر فقرظ عليه من تقدم ذكرهم.

وممن مدح شيخ الإسلام بقصائد حسنة طويلة الشيخ العلامة إسحاق ابن أبي بكر التركي المصري الفقيه المحدث نجم الدين أبو الفضل أولها:

يُعَنِّفني في بُغيتي رُبّة العُلَى جهولٌ أراه راكبًا غيرَ مَرَكَبِي
إلى آخرها وهي نفيسة جدًا.

وهذه التقاريف المشار إليها كلها بمنزلة (تراجم مفيدة) وهي تُفصح

عن علو مكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في العلوم والمعلومات .

وقد أقرّ بفضلله وبلوغه رتبة الاجتهاد من لا يحصى كثرة منهم الحافظ الذّهبيّ، والسيوطي، والسخاوي، والمزي، والحافظ ابن كثير، وابن دقيق العيد، والحافظ فتح الدّين اليعمري المعروف بابن سيّد النّاس، والحافظ علّم الدّين البرزالي وغير هؤلاء وقد ترجم له الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» والعلامة شهاب الدّين بن فضل الله العمري في «مسالك الأبصار»، والإمام العلامة ابن رجب الحنبلي في «طبقاته»، والعلامة ابن شاکر في «تاريخه» والإمام العالم الحافظ شمس الدّين ابن عبد الهادي في «تذكرة الحفاظ» ترجمة حافلة جدًّا، وذكر الشّیخ الفاضل صلاح الدّین الکتبی في «فوات الوفيات» من تصانيفه كتبًا جمة لا يسع لها هذا الموضع .

وأثنى عليه شيخنا^(١) العلامة القاضي محمّد بن عليّ الشّوکاني في آخر «شرح الصدور في تحریم رفع القبور» وشهد أيضًا بفضلله وعلمه وسعة اطلاعه وكمال ورعه مخالفوه . منهم الشّیخ کمال الدّین الزّملکاني، والشّیخ صدر الدّین بن الوکیل، والشّیخ أبو الحسن تقي الدّین السبكي الرّاد عليه في مسألة الزيارة .

وقد ردّ هذا الرّد صاحب کتاب «الصّارم المنکي علی نحر ابن السبكي» . وأجمعُ له إن شاء الله تعالى ترجمة حافلة مستقلة في کتاب مفرز^(٢) لذلك، فلنقتصر علی هذا المقدار ههنا .

* * *

(١) بالإجازة، وإلا فهو لم يلقه .

(٢) كذا .

التَّاجُ الْمُكَلَّلُ مِنْ جَوَاهِرِ مَائِرِ الطَّرَازِ الْآخِرِ وَالْأَوَّلِ^(١)

شيخ الإسلام ابن تيمية

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي
الحنبلي، تقي الدين أبو العباس.

قال الشوكاني في كتاب «شرح الصدور في تحريم رفع القبور»: هو
الإمام المحيط بمذاهب سلف هذه الأمة وخلفها، انتهى.

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: هو العلامة الحافظ
المجتهد الحجة المفسر شيخ الإسلام نادرة العصر علم الزهاد.

وقال ابن رجب: هو الإمام الفقيه المجتهد المحدث المفسر الأصولي.

وقال الحافظ شمس الدين بن عبد الهادي في «تذكرة الحفاظ»: هو
شيخنا الإمام الرباني، إمام الأئمة ومفتي الأمة بحر العلوم سيد الحفاظ،
فارس المعاني والألفاظ، فريد العصر قريع الدهر شيخ الإسلام قدوة
الأنام، علامة الزمان، ترجمان القرآن، علم الزهاد أوجد العباد، قانع
المبتدعين علامة المجتهدين.

وقال في «البدر الطالع»: شيخ الإسلام، إمام الأئمة المجتهد المطلق،
ولد سنة (٦٦١).

(١) (ص / ٤٢٩-٤٣٩) مكتبة دار السلام، الرياض (ط، ١) ١٤١٦.

قال ابن حجر في «الدرر»: نظر في الرجال والعلل، وتفقه، وتمهر وتقدم وصنف، ودرس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف، انتهى.

وأقول أنا: لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظن سمح الزمان ما بين عصري الرجلين بمن يشابههما أو يقاربهما. قال الذهبي ما ملخصه: كَانَ يُقْضَى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه، وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات - الدالة على المسألة التي يوردها - منه، ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه. كانت السنة نصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه، قال: ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاث مائة مجلد بل أكثر، وكان قوالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحاً، سريع القراءة تعتريه حدة؛ لكن يقهرها بالحلم. قال: ولم أر مثله في ابتهاله واستعانتته بالله وكثرة توجهه إليه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كَانَ بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث؛ وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفوس، ولولا ذلك لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلمه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكثر ليس له نظير، ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

قال الذهبي: ولا كَانَ متلاعبًا بالدين ولا يتفرد بمسائل بالتشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن وينظر أسوة مَنْ تقدمه من الأئمة، فله أجر على خطئه، وأجران على إصابته. انتهى.

قال الشوكاني: ومع هذا، فقد وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل، وامتحان مرة بعد أخرى، وحبس حبسًا بعد حبس، وجرت فتن عديدة. والناس قسمان في شأنه: فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه. وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة [بعد محنة]. ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولي، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين. ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره، وهكذا كان حال هذا الامام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته، انتهى.

وقد ترجم له جماعة منهم: شهاب [الدين] بن فضل الله العمري في «مسالك الأبصار» وكتب ترجمة حسنة طويلة عريضة كاملة، ومنهم العلامة ابن رجب الحنبلي في «طبقاته» وأثنى عليه ثناء كثيرًا، ومنهم ابن شاكر صاحب «فوات الوفيات»، ومنهم الشيخ مرعي وسمها «الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»، ومنهم الحافظ ابن عبد الهادي ترجم له في مجلد مفرد، ومنهم أبو حفص عمر بن عليّ البزار البغدادي كتب كرايس في ترجمته، ومنهم العلامة صفى الدين أحمد البخاري نزيل نابلس وسمها «القول الجلي»، وقرظ عليه العلامة مفتي القدس

محمّد التافلاني، ومحدّث الشّام محمّد الكزبري الشافعي، ومنهم العلّامة نجم الدّين أبو الفضل أنشد قصيدة حسنة طويلة في مدحه وثنائه^(١).

قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - في حقه: شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره، عني بالحديث. وسمع «المسند» مرات، والكتب السّنة، و«معجم الطّبراني الكبير»، ومالا يحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، وبرع في ذلك وقرأ في العربية، وأقبل على تفسير القرآن الكريم، فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل العشرين أيضًا، وأمدّ بكثرة الكتّوب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبُطء النسيان، حتّى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئًا فينساه.

وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين، والشيخ تاج الدين الفزاري، وزين الدين بن المرحل. وابن المنجّي، وجماعة، وذكر درسًا عظيمًا في البسملة - وهو مشهور بين الناس - وعظمه الجماعة الحاضرون، وأثنوا عليه ثناءً كثيرًا.

قال الذهبي: وكان الفزاري يبالغ في تعظيمه، وذكر على الكرسي يوم جمعة شيئًا من الصفات، فقام بعض المخالفين، وسعوا في منعه من الجلوس، فلم يمكنهم ذلك، وقال قاضي القضاة شهاب الدين الخوي: أنا

(١) كذا في الأصل.

على اعتقاد الشيخ تقي الدين، فعوتب في ذلك، فقال: لأن ذهنه صحيح، ومواده كثيرة. فهو لا يقول إلا الصحيح. وقال الشيخ شرف الدين المقدسي: أنا أرجو بركته ودعائه، وهو صاحبي وأخي. ذكر ذلك البرزالي في «تاريخه»، ولم يزل في علو وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره.

وقال الذهبي: شيخنا وشيخ الإسلام، فريد الزمان علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويراً إلهياً، وكرماً ونصحاً للأمة، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب، ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصله غيره. وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها. وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ [ما يحفظه] من الحديث معزواً إلى أصوله، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، وتعليلاً واختلافاً، ونظر في العقلیات، وعرف أقوال المتكلمين، ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحذر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين. وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتى أعلی الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه، وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته، وأحيا به الشام، بل الإسلام بعد أن كاد ينلثم بثبيت [أولي] الأمر لما أقبل حزب «التر» والبغي في خيلائهم، وطنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشرباً النفاق وأبدى صفحته. ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو

حلفت بين الركن والمقام [وبالطلاق ألف طلاقة]^(١) أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه ما حثت.

وقد قرأت بخط الشيخ العلامة شيخنا كمال الدين بن الزمّلكاني ما كتبه سنة بضع وتسعين تحت اسم «ابن تيمية»: كَانَ إِذَا سَثَلَ عَنْ فَنٍ مِنَ الْعِلْمِ ظَنَ الرَّائِي وَالسَّامِعِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَحَكَمَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْرِفُهُ مِثْلُهُ. وَكَانَ الْفُقَهَاءُ مِنْ سَائِرِ الطَّوَائِفِ إِذَا جَالَسُوهُ اسْتَفَادُوا فِي مَذَاهِبِهِمْ مِنْهُ أَشْيَاءَ، وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ نَازِرٌ أَحَدًا فَانْقَطَعَ مَعَهُ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ - سِوَاءِ كَوْنِهِ مِنْ عُلُومِ الشَّرْعِ أَوْ غَيْرِهَا - إِلَّا فَاقَ فِيهِ أَهْلَهُ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْجَاهِدِ عَلَى وَجْهِهَا.

قال ابن رجب: قلت: وقد عرض عليه قضاء القضاة ومشخة الشيوخ فلم يقبل شيئاً من ذلك.

أثنى عليه ابن سيد الناس ثناءً بالغاً حسناً، وكتب الذهبي في «تاريخه الكبير» ترجمة مطولة له، قال فيها: لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ فِي الْعَصْرِ رَتْبَهُ، وَلَا يَقَارِبُهُ، وَهُوَ عَجَبٌ فِي اسْتِحْضَارِهِ^(٢) واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال: «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث».

قال: فلقد كَانَ عَجَبًا فِي مَعْرِفَةِ عُلُومِ الْحَدِيثِ وَلَقَدْ كَتَبَ «الحموية» فِي قَعْدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ أَزِيدُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ. وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ صَحِيحِ ذَلِكَ وَسَقِيمِهِ، وَمَعُوجِهِ وَقَوِيمِهِ.

(١) ما بين القوسين ليس من كلام الذهبي، وهو هكذا في المطبوعة.

(٢) اختصر المؤلف هنا عبارة الذهبي، والمقصود استحضار الحديث.

وقد ترجم له ابن الزمّلكاني ترجمة عظيمة وأثنى عليه ثناء عظيمًا. ومدحه أبو حيان الأندلسي نظمًا حسنًا. وقال له ابن دقيق العيد عند اجتماعه به وسماعه لكلامه: ما كنت أظن أنّ الله فيما بقي يخلق مثلك.

قال ابن رجب: ومما وجد في كتاب كتبه العلامة أبو الحسن السبكي إلى الحافظ الذهبي في أمره: أما قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائمًا، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجلّ، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق، والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأولى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان، انتهى.

قلت: وأبو الحسن السبكي - هو السبكي الكبير - كما صرح بذلك ابن مفلح في طبقاته، وقد قال بعض السفهاء: إنّ علمه كان زائدًا على عقله - يشير بذلك إلى قلة فهمه، كأنّ القائل بهذا القول لم يقف على ما أثنى به عليه جمع جم من الأئمة الكبار بالذكاء وقوة الدرك وبلوغه في المعقولات مبلغًا عظيمًا والزهد، فأين هذا يقع من ذاك، ولكن من أعمى الله بصر بصيرته فهو يرى الشمس مظلمة، هذا السبكي عدوه، والراد عليه قد أقر له في كتابه هذا بما أقر، ولنعم ما قيل:

وإذا أتت مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وكان الحافظ المزي يبالغ في تعظيم الشيخ والثناء عليه، حتّى كان يقول: لم يُر مثله منذ أربع مئة سنة، وقال ابن رجب: بلغني من طريق صحيح عن ابن الزمّلكاني: أنّه سئل عن الشيخ؟ فقال: «لم نر من خمس

مئة سنة أو أربع مئة سنة - الشك من الناقل، وغالب ظنه: أنه قال: من خمس مئة سنة - أحفظ منه». وكذلك المشايخ العارفون كالقدوة محمد بن قوام، ويحكى أنه كَانَ يقول: ما أَسَلَمَت معارفنا إِلَّا على يد «ابن تَيْمِيَّة»، والشيخ عماد الدين الواسطي كَانَ يعظمه جدًا، وتلمذ له، مع أنه كَانَ أَسَن منه. وكان يقول: قد شارف مقام الأئمة الكبار، ويناسب قيامه في بعض الأمور مقام الصديقين.

وكتب رسالة إلى خواص أصحاب الشيخ ويوصيهم بتعظيمه واحترامه؛ ويعرفهم حقوقه؛ ويذكر فيها: أنه طاف أعيان بلاد الإسلام ولم ير فيها مثل الشيخ عملاً وعلماً، وحالاً وخلقاً واتباعاً، وكرماً وحلمًا في حق نفسه، وقيامًا في حق الله عند انتهاك حرماته، وأقسم على ذلك بالله ثلاث مرات، ثم قال: أصدق الناس عقلاً، وأصحهم علماً وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه؛ وأسأخاهم كفاً، وأكملهم اتباعاً لنبه محمد ﷺ، ما رأينا في عصرنا هذا من تُسْتَجَلَى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إِلَّا هذا الرَّجُل، بحيث يشهد القلب الصحيح أَنَّ هذا هو الاتباع حقيقة.

وطوائف من أئمة الحديث حفاظهم وفقهائهم: كانوا يحبون الشيخ ويعظمونه، ولم يكونوا يحبون له التوغل مع أهل الكلام ولا الفلاسفة، كما هو طريقة أئمة الحديث المتقدمين مثل الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم، وكذلك كثير من الفقهاء وغيرهم كرهوا له التفرد ببعض شذوذ المسائل التي أنكرها السلف على من شذ بها.

أقول: وهذا الإنكار منهم عليه إنكار جاهل على عالم، والمرء عدو لما جهل، والذي تفرد به شيخ الإسلام من بعض المسائل قد أثبتته جماعة

من أهل العلم بالأدلة الصحيحة المحكمة الثابتة، وذوّوا جنباه الرفيع عن تلك الإيرادات، ولهذا قال الذّهبيّ: غالب حطه على الفضلاء والمتزهدة حق، وفي بعضه هو مجتهد، ولا يكفر أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، قال: ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية؛ واحتج ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها حتّى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبدّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يدهن بحال ولا يحابي، بل يقول الحق المرّ الذي أدّاه إليه اجتهاده وحده ذهنه وقوة عقله وفهمه وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع وكمال الفكرة وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله، فإنه دائم الابتهاال، كثير الاستعانة، قوي التوكل، ثابت الجأش، وله من الشطر الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، لأنّه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته: فيها تضرب الأمثال، وبيعضها يتشبه الأكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع وخرج، واجتمع بالملك مرتين، وكان «قبجق» يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول، وله حدة قوية تعتريه في البحث، حتّى كأنه ليث حرب، وهو أكبر من أن ينه على نعوته.

وله نظم قليل وسط. ولم يتزوج، ولا تسرى، ولا له من المعلوم إلا شيء قليل. وأخوه يقوم بمصالحه، ولا يطلب منهم غداء ولا عشاء في غالب الوقت، وما رأيت في العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار

والدرهم، لا يذكره ولا أظنه يدور في ذهنه، وفيه مروءة، وقيام مع أصحابه، وسعي في مصالحهم. وهو فقير لا مال له. وملبوسه كأحد الفقهاء، ولم يَنْحَنِ لأحد قط، وإنما يسلم ويصافح ويتبسم.

وأما محنه فكثيرة، وشرحها يطول جدًا، منها: أنه امتحن في سنة ٧٠٥ بالسؤال عن معتقده - بأمر السلطان - فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرأوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه وبحثوا معه؛ ووقع الاتفاق بعد ذلك على أَنَّ هذه عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعًا ومنهم من قاله كرهًا، وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: إِنَّمَا قصدنا براءة ساحة الشَّيْخ، وتبين لنا أَنَّهُ على عقيدة السلف.

وفي آخر الأمر: دبروا عليه الحيلة في مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، وألزموه من ذلك بالتقص بالأنبياء وذلك كفر، وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء - وهم ثمانية عشر نفسًا - رأسهم القاضي الأخنائي المالكي، وحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهرًا وبها مات - رحمه الله تعالى -. ووافقه جماعة من علماء بغداد، وكذلك ابنا أبي الوليد - شيخ المالكية بدمشق - أفتيا: أَنَّهُ لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلًا، وَأَنَّهُ نقل خلاف العلماء في المسألة، ورجح أحد القولين.

قال الحافظ ابن القيم: سمعت «ابن تَيْمِيَّة» - قدس الله روحه، ونور ضريحه - يقول في الحبس: «إِنَّ في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»، قال وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جتتي في قلبي، وبستاني في صدري، أين رحمت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان في حبسه يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة - أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي من الخير - أو نحو هذا.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة، وصار داخل سورها، نظر إليه، وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا لِّمُؤَبِّأٍ بَاطِنُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ انتهى حاصله.

قال ابن رجب: وأما تصانيفه فهي أشهر من أن تذكر وأعرف من أن تنكر، سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتألت بها البلاد والأمصار. قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحدًا حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعدد المعروف منها، ولا ذكرها، ثم ذكر نبذة من أسماء أعيان مصنفاته الكبار، ثم ذكر طرفًا من مفرداته وغرائبها، منها: أنه اختار ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كالورد ونحوه.

واختار جواز المسح على النعلين والقدمين، وكل ما يحتاج في نزعه من الرجل إلى معالجته باليد أو بالرجل الأخرى، فإنه يجوز عنده المسح عليه مع القدمين.

واختار أن المسح على الخفين لا يتوقت مع الحاجة كالمسافر على البريد ونحوه، وفعل ذلك في ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد، ويتوقت مع إمكان النزع وتيسره.

واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها، واختار جواز التيمم لخشية فوات الوقت في حق غير المعذور، كمن أخر الصلاة عمدًا حتى تضايق وقتها، وكمن خشي فوات الجمعة والعيدين وهو محدث، فأما

من استيقظ أو ذكر في آخر وقت الصلاة، فإنه يتطهر بالماء ويصلي لأن الوقت متسع في حقه.

واختار أنَّ المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال في البيت وشق عليها النزول إلى الحمام وتكرره فإنها تتييم وتصلي.

واختار أن لا حد لأقل الحيض ولا لأكثره، ولا لأقل الطهر بين الحيضتين ولا لسن الإياس من الحيض، وأن ذلك يرجع إلى ما تعرفه كل امرأة من نفسها.

واختار أنَّ تارك الصلاة عمدًا لا يجب عليه القضاء، ولا يشرع له، بل يكثر من النوافل، وأن القصر يجوز في قصير السفر وطويله وأن سجود التلاوة لا يشترط له الطهارة.

قلت: وهذه المسائل غالبها مبرهنة في مواضعها بالأدلة الصحيحة الدالة عليها، وقد ذهب إليها ذاهبون من أهل العلم قديمًا وحديثًا.

ثم ذكر ابن رجب وفاته - رحمه الله - وقال: مرض الشيخ في القلعة بضعة وعشرين يومًا، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته، وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشري ذي القعدة، سنة (٧٢٨)، ذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرس على الأبرجة، فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أعلم به في منامه، وأصبح الناس واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئًا، ولا فتحوا كثيرًا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أول النهار. وفتح باب القلعة، واجتمع خلق كثير من أصحابه، يكون ويشنون، وأخبر أخوه: أنه منذ دخل القلعة ختم ثمانين ختمة، وانتهى إلى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٥﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٦﴾﴾ .

صلى عليه الزاهد القدوة محمد بن تمام، وأُخْرِجَ إلى جامع دمشق، وكان الجمع أعظم من جمع الجمع، ثمَّ ساروا به، والناس في بكاء وثناء وتهليل وتأسف، والنساء فوق الأسطحة، وكان يومًا مشهودًا، لم يعهد بدمشق مثله، ولم يتخلف من أهل البلد وحواضره إلا الضعفاء والمخدرات، وصرخ صارخ: هكذا تكون جنائز أهل السنة. فبكى الناس بكاء كثيرًا عند ذلك. واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم، وصار النعش على الرؤوس، يتقدم تارة ويتأخر أخرى، وخرج الناس من أبواب المدينة كلها، ودفن وقت العصر، وحُزِرَ الرجال بستين ألفًا إلى مائة ألف وأكثر، والنساء بخمسة عشر ألفًا. وظهر بذلك قول الإمام أحمد: «بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز»، وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردد الناس إلى زيارة قبره أيامًا كثيرة، ليلاً ونهارًا، ورؤيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه خلق من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى، وأقطار متباعدة، وتأسف المسلمون لفقده، وصلى عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة، حتَّى في اليمن والصين. وأخبر المسافرون: أنَّه نودى بأقصى الصين للصلاة عليه يوم الجمعة «الصلاة على ترجمان القرآن».

قال ابن رجب: وقد أفرد الحافظ محمد بن عبد الهادي له ترجمة في مجلدة، وكذلك أبو حفص عمر بن علي البغدادى البزار في كرايس. وإنما ذكرناها هنا على وجه الاختصار، وقد حدث الشيخ كثيرًا، وسمع منه خلق من الحفاظ والأئمة من الحديث، وخرج له ابن الوانى أربعين حديثًا حدث بها، انتهى.

قلت: وقد اختصرت هذه الترجمة من الترجمة المختصرة التي ذكرها ابن رجب مع زيادة بعض ألفاظ عليها، فإن شئت أن تطلع على جملتها فعليك بالمجلدات الكبار، والتراجم الحوافل التي كتبها الأئمة الكبار مستقلة مفردة، والله يختص برحمته من يشاء، ويدخل من يشاء في رحمته.

قال في «الروضة الغناء»: ولد سنة (٦٦١)، وأفتى ودرس، وصنف التصانيف البديعة الكثيرة، وجرت له محن كثيرة إلى أن توفي ودفن بمقبرة الصوفية، انتهى.

وقال المعلم بطرس البستاني، في «دائرة المعارف»: وكان - رحمه الله - سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشجى في حلق أهل الأهواء والمبتدعين، طنت بذكره الأمصار، وضنت بمثله الأعصار، وله تصانيف ومؤلفات وقواعد وفتاوى وأجوبة ورسائل وتعاليق كثيرة، انتهى. وذكر منها نبذة، ثم قال: فلما رأى أهل بلاده ما كان له من الشهرة ورفعة الشأن دبّ في قلوبهم الحسد، وأكب أهل النظر منهم بما ينتقد عليه من أمور المعتقد، فحفظوا عليه في ذلك كلاماً، قد أوسعوا لثلبه ملاماً، وفوقوا لتبديعه سهاماً، وزعموا أنه خالف طريقهم، وفرّق فريقهم، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه، ثم نازعه طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة، ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق، وذكر لها - على ما زعم - بوائق، فأضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه، واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعيه، فوصلوا إلى الأمراء أمره، وأعمل كل منهم في كُفْره فكره، فرتّبوا محاضر، وألبوا الرؤيضة للسعي بها بين الأكابر، قال: فرّد الله كيد كل في نحره، ونجاه، والله غالب على أمره، انتهى حاصله.

جلاء العينين في محاكمة الأحمدين^(١)

للشيخ نعمان خير الدين بن محمود الآلوسي (١٣١٧)

هو شيخ الإسلام، وحافظ الأنام، المجتهد في الأحكام: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي. وفي «تاريخ إربل»: أن جده سئل عن اسم تيمية، فأجاب: أن جده حج وكانت امرأته حاملاً، فلما كان بتيماء - بلدة قرب تبوك - رأى جارية حسنة الوجه قد خرجت من خباء، فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية، فلما رفعوها إليه قال: يا تيمية يا تيمية، يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء، فسُميَ بها. انتهى.

وقد ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة. وقدم به والده وبأخويه عند استيلاء التتار على البلاد إلى دمشق سنة سبع وستين وست مئة.

فأخذ الفقه والأصول عن والده، وسمع عن خلق كثيرين، منهم الشيخ شمس الدين، والشيخ زين الدين بن المنجى، والمجد بن عساكر.

وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه.

(١) (ص / ١٧ - ٣١) (القاهرة ١٤٠١هـ).

وعُني بالحديث، وسمع الكتب الستة والمسند مرات.

وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من سائر العلوم.

ونظر في الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل. وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، وتضلع في علم الحديث وحفظه حتى قالوا: إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث.

وأمدّه الله تعالى بكثرة الكتب، وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم وبطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه.

وألف في أغلب العلوم التأليفات العديدة، وصنف التصانيف المفيدة في التفسير والفقه، والأصول والحديث، والكلام والردود على الفرق الضالة والمبتدعة، وله الفتاوى المفصلة، وحل المسائل المعضلة.

ومن تصنيفاته التي تبلغ ثلاث مئة تصنيف: «تعارض العقل والنقل» أربع مجلدات، «الجواب الصحيح» - ردًا على النصارى - أربع مجلدات، و«شرح عقيدة الأصفهاني» مجلد، و«الرد على الفلاسفة» أربع مجلدات، وكتاب «إثبات المعاد» والرد على ابن سينا، وكتاب «ثبوت النبوات عقلاً ونقلًا والمعجزات والكرامات»، وكتاب «إثبات الصفات» مجلد، وكتاب «العرش»، وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وكتاب «الرد على الإمامية» - ردًا على ابن المطهر الحلي - مجلدين كبيرين، وكتاب «الرد على القدريّة»، وكتاب «الرد على الاتحادية والحلولية»، وكتاب «في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما»،

وكتاب «تفضيل الأئمة الأربعة»، وكتاب «شرح العمدة» في الفقه أربع مجلدات، وكتاب «الدرة المضية في فتاوى ابن تيمية»، وكتاب «المناسك الكبرى والصغرى»، و«الصارم المسلول على من سب الرسول»، وكتاب في «الطلاق»، وكتاب في «خلق الأفعال»، و«الرسالة البغدادية»، وكتاب «التحفة العراقية»، وكتاب «إصلاح الراعي والرعية»، وكتاب في «الرد على تأسيس التقديس» للرازي - في سبع مجلدات، وكتاب «في الرد على المنطق»، وكتاب «الفرقان»، وكتاب «منهاج السنة النبوية»، وكتاب «الاستقامة» مجلدين، وغير ذلك.

قال الذهبي: وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمس مئة مجلد، وترجمه في «معجم شيوخه» بترجمة طويلة، منها قوله: شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر علمًا ومعرفة وشجاعة، وذكاءً وتنويرًا إلهيًا وكرمًا ونصحًا للأمة، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر. سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته، وخرَّج ونظر في الرجال والطبقات، وحصل مالم يحصل غيره. وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال، وخاطر وقَّاد إلى مواضع الإشكال مَيَّال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها. وبرع في الحديث وحفظه، فقلَّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث، مع شدة استحضاره له وقت الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين. وأتقن العربية أصولًا وفروعًا، ونظر في العقلية، وعرف أفعال المتكلمين، ورد عليهم ونبه على خطئهم، وحذر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين. وأوذى في ذات الله تعالى من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله تعالى مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه، وهدى به رجالاً كثيرة

من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالبًا وعلى طاعته، وأحيا به الشام؛ بل الإسلام بعد أن كاد ينثلم، خصوصًا في كائنة التتار. وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام: أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه لما حنثت. انتهى.

وقال الحافظ ابن كثير: وفي رجب سنة سبع مئة وأربع راح الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى مسجد النارنج، وأمر أصحابه وتلامذته بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيمًا، وبهذا وأمثاله أبرزوا له العداوة. وكذلك بكلامه في ابن عربي وأتباعه، فحُسدَ وعودي، ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم. ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا إليه بمكروه. وأكثر ما نالوا منه الحبس، مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين. وإنما أخذوه وحبسوه بالجاء كما سيأتي. انتهى.

قيل: من جملة أسباب حبسه خوفهم أنه ربما يدعي ويطلب الإمارة، فلقي أعداؤه عليه طريقًا من ذلك، فحسّنوا للأمراء حبسه؛ لسد تلك المسالك.

وكتب الشيخ كمال الدين الزمّلكاني: كان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه أشياء، ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علم الشرع أو غيره إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

قلت: ورأيت في كتاب (النثر الذائب، في الأفراد والغرائب)، من

فنون كتاب «الأشباه والنظائر النحوية» للإمام السيوطي عليه الرحمة ما نصه: جواب سؤال سائل عن حرف «لو» لسيدنا وشيخنا الإمام العالم الأوحّد، الحافظ المجتهد الزاهد، العابد القدوة، إمام الأئمة، قدوة الأمة، علامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحّد علماء الدين، بركة الإسلام، حجة الأعلام، برهان المتكلمين، قانع المبتدعين، ذي العلوم الرفيعة، والفنون البديعة، محيي السنة، ومن عظمت به لله تعالى علينا المنّة، ودامت به على أعدائه الحجة، واستبانت ببركته وهديه المحجة: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، أعلى الله تعالى مناره، وشيّد من الدين أركانه.

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر

هو حجة الله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة أنواره أرّبت على الفجر

نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره ووحيد عصره: الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني: بسم الله الرحمن الرحيم. نقلت من خط الحافظ علم الدين البرزالي. قال سيدنا وشيخنا الإمام العلامة، القدوة الحافظ الزاهد العابد الورع إمام الأئمة، خير الأمة مفتي الفرق، علامة الهدى، ترجمان القرآن، حسنة الزمان، عمدة الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، ركن الشريعة ذو الفنون البديعة، ناصر السنة، قانع البدعة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، أدام الله تعالى بركته، ورفع درجته.

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان؛ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الباهر البرهان. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المبعوث إلى الإنس والجان، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا يرضى به الرحمن.

سألت وفقك الله تعالى عن معنى حرف «لو» وكيف يتخرج قول عمر رضي الله تعالى عنه: «نعم العبد ضُهِيب، لو لم يَخَفِ الله لم يعصه» على معناها المعروف.

وذكرت أن الناس يضطربون في ذلك، واقتضيت الجواب اقتضاء أوجب أن أكتب في ذلك ما حضرني الساعة، مع بعد عهدي بما بلغني ما قاله الناس في ذلك، وأنه لا يحضرني الساعة ما أراجعه في ذلك فأقول... اهـ بحروفه.

ثم ساق الإمام السيوطي آخر الجواب إلى نهايته، وأقر المترجم على ترجمته فإن أردته فارجع إلى «الأشباه والنظائر»، فإن فيه جلاء الأبصار والبصائر^(١).

وكتب الحافظ ابن سيد الناس: ألفيته ممن أدرك [من] العلوم حفظًا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته، برز في كل علم على أبناء جنسه، ولا رأت عينه مثل نفسه.

(١) وكذا المدقق ابن هشام في شرح الشذور، نقل عنه بعض الأقوال النحوية معبرًا عنه بالإمام العلامة، وكذا غيرهما ممن سُلِّمَتْ له الإمامة.

وقال ابن الوردي في تاريخه - وقد عاصره ورآه -: وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: (كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث)، ولكن الإحاطة لله تعالى. غير أنه يغترف فيه من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي. وأما التفسير فسلم إليه، وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصول أو من الرد على الفلاسفة نحوًا من أربعة كراريس.

وله التأليف العظيمة في كثير من العلوم، وما يبعد أن تصانيفه تبلغ خمس مئة مجلد. وله الباع الطويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين. قلَّ أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة. وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنّة. وبقي سنين يفتي بما قام الدليل عنده.

ولقد نصر السنّة المحضة والطريقة السلفيّة. وكان دائم الابتغال، كثير الاستعانة، قوي التوكل، ثابت الجأش. له أوراد وأذكار يديمها، لا يداهن ولا يحابي، محبوبًا عند العلماء والصلحاء، والأمراء والتجار والكبراء، وصار بينه وبين بعض معاصريه وقعات مصرية وشامية لبعض مسائل أفتى فيها بما قامت عنده الأدلة الشرعية. واجتمع بالسلطان محمود غازان السفاك المغتال، وتكلم معه بكلام خشن ولم يهبه. وطلب منه الدعاء فرفع يديه ودعا دعاء منصف أكثره عليه، وغازان يؤمّن على دعائه. انتهى ملخصًا، وأطال في ترجمته.

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي في حقه بعد ثناء طويل جميل ما لفظه: فوالله، ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلمًا، وقيامًا في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته أصدق الناس عقدًا، وأصحهم علماً وعزمًا، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة، وأسخاهم كفاً وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. ما رأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة اهـ.

ونقل في «الشدرات» عن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وقد سئل عن الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته؟ قال: رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه، يأخذ ماشاء منها ويترك ماشاء. فقليل له: فلم لا تتناظران؟ قال: لأنه يحب الكلام وأحب السكوت.

وقال ابن مفلح في «طبقاته»: كتب العلامة تقي الدين السبكي إلى الحافظ الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين ابن تيمية مانصه: فالمملوك يتحقق قدره وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وأنه بلغ في ذلك كل المبلغ الذي يتجاوزه الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً. وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل، مع ما جمعه الله تعالى له من الزهادة والورع، والديانة ونصرة الحق والقيام فيه، لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته المطبوعة: إن الفتنة لما ثارت على الشيخ ابن تيمية من جهة بعض كلماته، تعصب له

القاضي الحنفي ونصره. وسكت القاضي الشافعي ولم يكن له ولا عليه. وكان من أعظم القائمين عليه الشيخ نصر بن المنبجي، لأنه كان بلغ ابن تيمية أنه يتعصب لابن عربي، فكتب يعاتبه على ذلك. فما أعجبه، لكونه بالغ في الحط من^(١) ابن عربي وتكفيره؛ فصار هو يحط من ابن تيمية؛ ويغري بيبرس الجاشنكير. وكان بيبرس يفرط في محبته ويعظمه. واتفق أن قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري انتصر للشيخ ابن تيمية وكتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم، وكتب به في خطه ثلاثة عشر سطراً من جملتها: أنه منذ ثلاث مئة سنة ما رأى الناس مثله اهـ.

قلت: وسيأتي إن شاء الله تعالى في كتابنا هذا ما حرره الشيخ ابن تيمية للشيخ نصر بن المنبجي، وما يتعلق بالقاضي السبكي عليهم الرحمة.

ونقل الإمام العسقلاني أيضاً عن الحافظ الذهبي أنه قال: حضر عند شيخنا أبو حيان المفسر فقال: مارأت عيناى مثل هذا الرجل! ثم مدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة، وأنشده إياها وهي:

لما أتانا تقيُّ الدين لاح لنا	داع إلى الله فرَّد ماله وزرَّ
على محياه من سيما الألى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حَبْرٌ تسربل منه دهره حَبْرًا	بحر تقاذف من أمواجه الدُر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم إذ عصت مُضَرُّ
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست	وأحمد الشر إذ طارت له شر

(١) (ص) على.

يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ هذا الإمام الذي قد كان ينتظر

يشير بهذا إلى أنه المجدد - وقد صرح بذلك أيضًا العماد الواسطي - ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيويه فأغلظ الشيخ ابن تيمية القول في سيويه، فنافره أبو حيان بسببه، ثم عاد ذامًا له، وصير ذلك ذنبًا لا يغفر.

ويقال: إن ابن تيمية قال له: ما كان سيويه نبي النحو ولا معصومًا، بل أخطأ في «الكتاب» في ثمانين موضعًا ماتفهمها أنت. فكان ذلك سبب مقاطعته إياه. وذكره في تفسيره «البحر» بكل سوء، وكذا في مختصره «النهر» اهـ.

وقد ترجمته علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة، وأثنوا عليه بالثناء الحسن، وذكروا له كرامات عديدة، ومواظبة على الطاعات والعبادات، وتجنبًا عن البدع، وشدة اتباع للسنن وطريقة السلف الصالح. وأنه لم يتزوج حتى مات.

وكان أبيض اللون، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمتي أذنيه، عيناه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين جَهْوَرِيّ الصوت.

وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمس وتسعين في «طبقاته». وفصل أيضًا سيرته وأحواله والثناء عليه. وقد توفي سنة سبع مئة وثمان وعشرين، سَحَر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة الحرام في السجن، فأخرج إلى جامع دمشق فصلوا عليه، فكان يومًا مشهودًا، لم يعهد بدمشق مثله. وبكى الناس بكاء شديدًا، وتبركوا بماء غسله، واشتد الزحام على نعشه، ودفن بمقابر الصوفية بعد أن

صلوا عليه مراراً. وحُزِرَ من حضر جنازته بمائتي ألف، ومن النساء بخمسة عشر ألفاً. وختمت له ختمات كثيرة. ورثي بقصائد بليغة. منها قصيدة الشيخ عمر بن الوردی وهي:

عَنَّا فِي عَرْضِهِ قَوْمٌ سِلَاطُ	لَهُمْ مِنْ نَثْرِ جَوْهَرِهِ التَّقَاطُ
تَقِي الدِّينَ أَحْمَدَ خَيْرِ حَبْرٍ	خُرُوقَ الْمَعْضَلَاتِ بِهِ تُخَاطُ
تَوْفِي وَهُوَ مَحْبُوسٌ فَرِيدٌ	وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الدُّنْيَا انْبِسَاطُ
وَلَوْ حَضَرُوهُ حِينَ قَضَى لَأَلْفَوْا	مَلَائِكَةَ النِّعَمِ بِهِ أَحَاطُوا
قَضَى نَحْبًا وَلَيْسَ لَهُ قَرِينٌ	وَلَا لِنَظِيرِهِ لُفَّ الْقِمَاطُ
فَتَى فِي عِلْمِهِ أَضْحَى فَرِيدًا	وَحَلَّ الْمَشْكَلاتِ بِهِ يُنَاطُ
وَكَانَ إِلَى التَّقَى يَدْعُو الْبَرَايَا	وَيَنْهَى فِرْقَةً فَسَقُوا وَلَا طَوَا
وَكَانَ الْجَنُّ تَفَرَّقَ مِنْ سَطَاهُ	بِوَعْظٍ لِلْقُلُوبِ هُوَ السِّيَاطُ
فِي اللَّهِ مَا قَدْ ضَمَّ لَخَدٍ	وَيَا اللَّهَ مَا غَطَّى الْبِلَاطُ
هُمْ حَسَدَوْهُ لَمَّا لَمْ يَنَالُوا	مَنَاقِبَهُ فَقَدْ مَكُرُوا وَشَاطُوا
وَكَانُوا عَنْ طَرَائِقِهِ كَسَالَى	وَلَكِنْ فِي أَذَاهُ لَهُمْ نَشَاطُ
وَحَبَسَ الدُّرَّ فِي الْأَصْدَافِ فَخَرَّ	وَعِنْدَ الشَّيْخِ فِي السَّجَنِ اغْتِبَاطُ
بِآلِ الْهَاشِمِيِّ لَهُ اقْتِدَاءٌ	فَقَدْ ذَاقُوا الْمَنُونَ وَلَمْ يَوَاطُوا
بَنُو تَيْمِيَّةٍ كَانُوا فَبَانُوا	نَجُومَ الْعِلْمِ أَدْرَكَهَا انْهَبَاطُ

ولكن يا ندامة حابسيه فشك الشرك كان به يماط
ويا فرح اليهود بما فعلتم فإن الضد يعجبه الخُباط
ألم يك فيكمو رجل رشيد يرى سجن الإمام فيستشاط
إمام لا ولاية كان يرجو ولا وَقَفْ عليه ولا رِبَاطُ
ولا جاراكمو في كسب مال ولم يُعهد له بكم اختلاط
فقيم سجنتموه وغظتموه أما لِحَزَا أذَيَّته اشتراط
وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي ففيه لقدر مثلكم انحطاط
أما والله لولا كَتَم سرِّي وخوف الشر لانحل الرباط
وكنت أقول ما عندي ولكن بأهل العلم ما حسن اشتطاط
فما أحد إلى الإنصاف يدعو وكل في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم يا حابسيه وننبئكم إذا نصب الصراط
فهاهو مات عندكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا
وحُلُّوا واعقدوا من غير رد عليكم وانطوى ذاك البساط

مطلب

فيمن ابتلي وأوذى من العلماء

قلت: وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يُبتلون في الله تعالى ويصبرون. وقد كانت الأنبياء عليهم السلام يقتلون، وأهل الخير في الأمم السالفة يقتلون ويحرقون، وينشر أحدهم بالمنشار وهو ثابت على

دينه . ولولا كراهية التطويل لذكرت من ذلك ما يطول .

وقد سُمَّ أبو بكر وقتل عمر وعثمان وعليّ، وسُمَّ الحسن، وقتل الحسين وابن الزبير، وصُلب حبيب بن عدي، وقتل الحجاجُ عبد الرحمن ابن أبي ليلَى وسعيد بن جبير وغيرهما . وقتل زيد بن علي .

وأما من ضُرب من كبار العلماء فكثيرون، منهم : عبد الرحمن بن أبي ليلَى - ضربه الحجاج أربع مئة سوط ثم قتله .

وسعيد بن المسيب - ضربه عبد الملك بن مروان مئة سوط، وصبَّ عليه جرة ماء في يوم شاتٍ، وألبس جبة صوف .

وخبيب بن عبد الله بن الزبير، ضربه عمر بن عبدالعزيز بأمر الوليد مئة سوط، وذلك أنه حدث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : إذا بلغ بنوا أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دُولاً . فكان عمر إذا قيل له : أبشر . قال : كيف بخبيب على الطريق؟! .

وأبو عمرو بن العلاء، ضربه بنو أمية خمس مئة سوط .

والإمام موسى الكاظم - سجنه هُرون حتى مات .

والإمام أبو حنيفة - توفي في السجن بعد أن ضُرب . وقيل : أوجر سماً .

والإمام مالك بن أنس، ضربه المنصور^(١) أيضاً سبعين سوطاً في

(١) كذا بالأصل، وهو غير صحيح . والذي في كتب التاريخ : أن الذي ضرب الإمام مالكا هو جعفر بن سليمان والي المدينة من قبل المنصور وابن عمه . ولما علم المنصور بضرب الإمام وما نزل به أعظم ذلك إعظاماً شديداً، وأنكره على ابن عمه وكتب بعزله، واعتذر للإمام مالك (م) .

يمين المكره، وكان مالك يقول: لا يلزمه اليمين.

والإمام أحمد، امتحن وسجن وضرب في أيام بني العباس.

وللشيخ ابن تيمية في هؤلاء الأئمة أسوة. لو أردنا استقصاء ما ذكره معاصروه من الثناء عليه، وبيان سيرته ومفصل أحواله لأفضى بنا إلى الطول، والقلم - لا مِلَّتْ - مَلُول، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد.

فصل

في تبرئة الشيخ مما نسب إليه، وثناء المحققين المتأخرين عليه (منهم): الفهامة ذو العلوم اللدنية، صوفي الفقهاء، وفقه الصوفية: الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني المدني الشافعي، المتوفى سنة ألف ومئة وواحدة؛ فقد قال في كتابه «إفاضة العلام في تحقيق مسألة الكلام» مالفظه: وفيما نقلناه من نصوصه - يعني ابن تيمية - وقررناه على وجه موافق للكتاب والسنة وعقيدة السلف؛ كفاية لبيان حاله في اعتقاده، وبراءة ساحته من القول بالتجسيم، والقول بالجهة على الوجه المحذور عند كل لبيب منصف.

ثم قال: ثم إن ابن القيم وإن كان على عقيدة شيخه كما عند المشنعين عليهما، فتبرئة شيخه عما نسب إليه تبرئة له أيضاً، وتصحيح اعتقاده وتطبيقه على الكتاب والسنة وعقيدة السلف، تصحيح لاعتقاده وتطبيق.

ولكننا ننقل من كلامه ما يؤكد ذلك إلى آخر ما قال، مما أطنب فيه وأطاب بما يزيل الإشكال.

(ومنهم) - أمير المؤمنين في الحديث، علامة العراق الشيخ علي أفندي السويدي البغدادي الشافعي؛ فإنه قد كتب على عبارة السبكي في

التشنيع على الشيخ ابن تيمية مانصه :

هذه الدعوى من السبكي تحتاج إلى بيّنة، مع أن نصوص المتقدمين وأحوالهم تخالفه؛ وعلى تقدير الجواز فكيف يقال بحقه: إنه عدل عن الصراط المستقيم؛ فكيف يعدل عن الصراط المستقيم من يقصر التوجه على الرب المتعال؟ فلا وجه لرد السبكي عليه بمثل هذا الكلام. مع اقتفاء ابن تيمية طريق خاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام. انتهى ملخصاً.

وقد نقله عنه ولده العلامة الشيخ محمد الأمين في شرح كتابه «العقد الثمين» وأقرّه.

(ومنهم) - شيخنا ومولانا الوالد عليه الرحمة والرضوان، فإنه قال في رسالته الاعتقادية مانصه: ولقد اطلعت على رسالة للشيخ ابن تيمية، وهي معتبرة عند الحنابلة، وطالعتها كلها فلم أر فيها شيئاً مما يُنبز ويرمى به في العقائد، سوى ما ذكرنا من تشديده في رد التأويل، وتمسكه بالظواهر؛ مع التفويض والمبالغة في التنزيه، مبالغة يُقطع معها بأنه لا يعتقد تجسّماً ولا تشبيهاً؛ بل يصرح بذلك تصريحاً لا خفاء فيه. والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم، ويأخذ بلازم قوله الذي لا يقول به، ولا يسلم لزومه. وعلى كل حال فهو كما قال كثير من المشايخ في الشيخ محيي الدين. اهـ.

وقال: أيضاً في رحلته «نزهة الألباب» عندما سأله في القسطنطينية المحمية شيخ الإسلام عن أمر المتشابه مانصه: ثم انجر الكلام إلى ابن تيمية فقال: إنه قائل بالجسمية؛ فقلت: حاشاه! ومذهبه في المجسم أنه مطلقاً غير مسلم. فقال: إنه يقول العرش قديم نوعاً؛ فقلت: لم نجد

لنسبته إليه من غير الدواني نقلا يليق أن يمنح سمعًا فقال: له مخالفة للأئمة الأربعة في بعض المسائل الفقهية؛ فقلت: شبهته في تلك المخالفة بحسب الظاهر قوية، وله في بعض ذلك سلف، كما يعرفه من تتبع المذاهب ووقف، وقد مدحه غير واحد من العلماء الأعلام. وقد سمعت من شيعي أنه رأى كتابًا في ترجمة من لقبه بشيخ الإسلام فقال: قد ذمه العلامة السبكي؛ فقلت: كم من جليل غداً من ذم عصره^(١) يبكي! فآه من أكثر المعاصرين. فهم بأيدي ظلمهم لحبات القلوب عاصرين. اهـ.

ثم ذكر ما قاله العلماء في المتشابه، فإن أردته فارجع إليه.

(ومنهم) عالم بلد الله الحرام، والمشاعر العظام، المنلا علي الهروي القاري؛ فإنه أثنى عليه، وبرأه مما نسب إليه في «شرحه الشمائل» وغيره من تأليفاته.

(ومنهم) أبو عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليافعي اليمني.

(ومنهم) شيخنا السيد العلامة أبو الطيب الحسيني البخاري القنوجي، فسح الله تعالى في مدته؛ فإنه ترجم له ترجمة حافلة في كتابه «إتحاف النبلاء المتقين» و«أبجد العلوم» وأثنى عليه ثناءً كريماً، وذكر كلام أهل الفتيا من أصحاب المذاهب الأربعة في الثناء عليه؛ منهم: العيني الحنفي، وأطال فيه إلى أوراق.

(ومنهم) - كثيرون يطول الكتاب بذكرهم؛ فمن أراد أن يستوعب طيب نشرهم، فليرجع إلى كتب التواريخ والطبقات، فإن فيها المطالب المفصلات.

(١) كذا بالأصل، ولعلها «معاصريه» (م).

الفهارس

- ٦٣٧ ١ - الفهرس التفصيلي لترجمة شيخ الإسلام
- ٦٦٤ ٢ - فهرس مصنفات شيخ الإسلام
- ٦٩٥ ٣ - فهرس الموضوعات

الفهرس التفصيلي لترجمة شيخ الإسلام

● ما تحتمله ترجمته من الأوراق الكثيرة، بل المجلدات: ١٩٤، ١٩٨، ٣٨١-٣٨٢، ٤٢٧.

● المؤلفات المفردة في ترجمته: ٣٨٥، ٤٢٣، ٥٢٧، ٥٤٩، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦١٦، ٦٢٧.

* اسمه ونسبه وكنيته ونسبته:

- ٥٧، ٥٨، ٧٨، ١٣٢، ١٣٦، ١٨٥، ١٨٧، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٥٠، ٢٧٦، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٦٣، ٤٦٧، ٥٠٩، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٣١، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٨٠، ٥٩٣، ٦٠٤، ٦١٨.

- سبب لقب «ابن تيمية»: ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٥، ٤٢٦، ٦١٨.

- «تيمية» لقب لجده الأعلى أو أم جده: ٢٠٥، ٢٨٥، ٣٠٥، ٤٢٦.

- تلقيبه بشيخ الإسلام: ٤٨٥، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٥، ٥٢١، ٥٢٢.

- ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٦٢، ٥٨٠، ٥٩٣، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٨.

* ولادته:

- مكانها: ١٣٣، ١٨٦، ١٨٨، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٨٠، ٣٩٩، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٩٠، ٥٠٩، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٣١، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٧٢، ٥٩٣، ٦١٨.

- زمانها: ١٣٣، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٣، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤.

- ٢١٧، ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤١.

٣٤٢ ، ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٩٠ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ،
٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٥ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٧٢ ،
٥٨٠ ، ٥٩٣ ، ٦١٨ .

* أسرته :

● إخوته :

- شرف الدين عبدالله بن تيمية : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٧٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٤٤٢ ،
٤٤٤ .

- زين الدين عبدالرحمن : ١٣٣ ، ١٩٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ،
٣٧٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

● أبوه :

عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية : ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٥٦ ،
٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٧٨ ، ٤٠٠ ، ٤٣٢ ، ٥١٦ .

● أمه :

ست النعم بنت عبدالرحمن بن علي الحرّانية : ٣٧٣ ، ٤٤٤ ، ٤٧٢ ، ٥٨٦ .

● أجداده :

عبدالسلام مجد الدين أبو البركات : ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧ ،
٣٧٨ .

محمد بن الخضر الملقّب تيمية : ١٨٧ ، ١٨٨ .

- أخوه لأمه : بدر الدين قاسم بن محمد بن خالد : ٣٧٣ .

* الثناء على أهل بيته : ٢٥٠ ، ٢٨٨ .

* انتقاله مع أسرته من حرّان إلى دمشق :

- سبب الانتقال : ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢٦٩ ، ٣٤٢ ، ٣٩٩ ، ٥١٥ ، ٥٣١ ،
٥٥٢ ، ٥٥٥ ، ٥٦٢ ، ٥٩٣ ، ٦١٨ .

- تاريخه : ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ .

٣٠٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٢ ، ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤٣١ ، ٤٦٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٥ ، ٥٦٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٣ ، ٦١٨ .

- ما واجهوه من مصاعب : ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٥٣١ .
- عمره آنذاك : ٣٤٢ .

* نشأته وطلبه للعلم :

- أول شيخ سمع منه ابن عبدالدائم سنة (٦٦٧) : ١٨٨ ، ٢٥٦ ، ٤٢٦ .
- مقروءاته من كتب الحديث وعنايته بها : ١٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ٣٨٠ ، ٤٠٠ ، ٤٢٤ ، ٤٦٧ ، ٤٨١ ، ٥١٥ ، ٥٣١ ، ٥٦٢ ، ٦٠٧ ، ٦١٩ .

- تعلمه للخط والحساب : ١٨٨ ، ٢٧٠ .
- قرأ في العربية أيامًا حتى حَذَقَهَا : ١٨٩ ، ٢٧٠ ، ٣٣٧ ، ٤٠٠ .
- براعته في جميع الفنون وهو ابن بضع عشرة سنة : ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٤٢٦ ، ٥٩٣ .

- تأمل كتاب سيبويه أيامًا ففهمه : ١٨٩ ، ٢٧٠ ، ٤٠٠ ، ٥٩٣ ، ٦١٨ .
- نشأته في صلاح وعفاف ، وديانة وزهد ، وعبادة وتقوى : ١٨٩ ، ٣٣٧ ، ٥٩٣ .

- شغفه بالعلم والمطالعة والبحث : ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٨٧ ، ٤٠٠ ، ٦٠٧ .

- كتابته الطباقي والأثبات : ٤٣١ .
- ما يُفْتَحُ عليه من العلوم ، وما يستدركه على أهلها : ١٨٩ ، ٢٧٠ .
- تمذهبه بمذهب الإمام أحمد : ٢٨٥ .
- شدة محافظته على وقته : ٢٨٧ - ٢٨٨ .
- تفننه حتى في علوم الحساب ، وتفوقه على أهله : ٣١٠ .
- كان يحضر المحافل في صغره فيتعجب الفضلاء من فرط ذكائه وإفحامه الخصوم : ١٨٩ ، ٢٧٠ .

- حجّ في سنة إحدى وتسعين^(١) وله ثلاثون سنة: ١٩٠، ٣٤٤، ٤٣٣.
- صار من أكابر العلماء في حياة شيوخه: ١٩٣.
- كان أبو العباس شرف الدين المقدسي ممن أذن للشيخ في الإفتاء، وكان يفتخر بذلك: ٣٤٥.

* شيوخه:

- عدد شيوخه أزيد من مئتين: ١٨٨، ١٩٣، ٤٣١.
- كثرة شيوخه: ١٨٨، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٢، ٢٧٦، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٨٠.
- أكثر عن أصحاب حنبل وابن طبرزد: ٢١٧، ٥٠٩.
- أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي زين الدين: ١٣٦، ١٨٨، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٧٦، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٨٠، ٣٩٩، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٦٧، ٥٠٩، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٥٥، ٥٦٢، ٥٧٢، ٥٨٠.
- ابن أبي اليُسْر: ١٨٨، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٧٦، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٨٠، ٣٩٩، ٤٢٤، ٤٢٦، ٥٠٩، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٥٥، ٥٦٢، ٥٧٢.
- الكمال بن عبد: ١٨٨، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٨٠، ٣٩٩.
- شمس الدين ابن أبي عمر الحنبلي: ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٦، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٨٠، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٦٧، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٢، ٥٨٠، ٦١٨.
- شمس الدين بن عطاء الحنفي: ١٨٨، ٢٧٦، ٣٨٠، ٥٧٢.
- جمال الدين يحيى ابن الصيرفي: ١٨٨، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٨٠، ٣٩٩، ٤٢٦، ٥٥٥، ٥٦٢.
- مجد الدين ابن عساكر: ١٨٨، ٢١٧، ٢٧٦، ٣٨٠، ٣٩٩، ٥٠٩.

(١) قاله ابن عبد الهادي، وفي «البداية والنهاية»، و«المقفي» سنة اثنتين وتسعين.

٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٥٥ ، ٥٦٢ ، ٥٧٢ ، ٦١٨ .

- النجیب المقداد : ١٨٨ ، ٣٨٠ .

- أحمد ابن أبي الخیر الحدّاد : ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٥٢٦ ، ٥٥٥ ، ٥٧٢ .

- المسلم بن علان : ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧ ، ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤٢٦ ، ٤٦٧ ، ٥٢٦ ، ٥٥٥ ، ٥٨٠ .

- أبو بكر الهروي : ١٨٨ ، ٣٨٠ .

- الكمال عبدالرحیم : ١٨٨ ، ٣٨٠ .

- فخر الدین ابن البخاري : ١٨٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٣٨٠ ، ٤٦٧ ، ٥٧٢ ، ٥٨٠ .

- ابن شیبان : ١٨٨ ، ٣٨٠ .

- الشرف بن القوّاس : ١٨٨ ، ٣٨٠ .

- زینب بنت مكي : ١٨٨ ، ٣٨٠ .

- سليمان بن عبدالقوي الطوفي (في العربية) : ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٤٠٠ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٢ ، ٥٩٣ ، ٦١٨ .

- تاج الدین الفزاري : ١٩٢ ، ٤٠١ ، ٤٢٤ .

- زين الدین ابن المنجّي : ١٩٢ ، ٤٠٠ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٢ ، ٦١٨ .

- القاضي الخوئي : ١٩٢ .

- ابن دقيق العيد : ١٩٢ .

- ابن النّحاس : ١٩٢ .

- القاسم الإربلي : ٢٠٦ ، ٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧ ، ٣٩٩ ، ٤٢٤ ، ٤٦٧ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٥٥ ، ٥٦٢ ، ٦١٨ .

- عبدالحليم بن عبدالسلام ، أبوه : ٣٣٧ ، ٤٠٠ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٢ ، ٦١٨ .

- شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد المقدسي: ٣٤٥.
- جمال الدين البغدادي: ٣٨٠.
- إبراهيم بن الدرجي: ٣٩٩، ٥٢٦، ٥٥٥.
- علي بن بلبان: ٤٢٤.
- يوسف بن أبي نصر الشقاري: ٤٢٤.

* تلاميذه:

- كثرة تلاميذه: ٤٢٣.
- حال تلاميذ الشيخ، وتفردهم بصفاء العقيدة: ٦٢.
- يزعم الناس أنهم يردون على المبتدعة والكفار؛ لكنهم لا يقومون بما يقوم به طلاب الشيخ: ٦٦.
- وصاية تلاميذه بماله عليهم من حق: ٦٨، ٦٩، ٧٠.
- أنهم هم الطائفة المنصورة: ٦٨.
- ما وقع لهم من الحبس والأذى والإهانة: ٩١، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠.
- اجتماع الصفدي به وسؤالاته له: ٢٩٠، ٣١٠، ٣١٢.
- حث الصفدي على ملازمته: ٣١٢.
- وصيته لمغلطاي: ٢٨١.
- سجن الإمام المزي وإخراج ابن تيمية له بنفسه: ١٢٠، ٣٥٨، ٤٣٨، ٥٨٣، ٤٦٨.
- ما تعرض له ابن القيم من الأذى: ١٢٩ - ١٣٠.
- ما تعرض له ابن كثير من الأذى: ١٣٠ - ١٣١.
- ما تعرض له عبدالله الإسكندري والصلاح الكتبي من الأذى: ١٣١.
- محبتهم له: ٣٥٩.
- تعداد من ذكر منهم في هذا الجامع:
- عمر بن عبدالله بن عبدالأحد بن شقير: ٥٦.

- محمد بن عبدالأحد شمس الدين الآمدي : ٥٦ .
- محمد بن المنجّي شرف الدين : ٥٦ .
- تقي الدين بن سُنقر : ١٢١ .
- زين الدين بن منجّي : ١٢١ .
- شمس الدين التدمري : ١٢١ .
- علاء الدين بن شرف الدين الصائغ : ١٢١ .
- فخر الدين بن شرف الدين الصائغ : ١٢١ .
- ابن كثير (صاحب التفسير) : ١٣٠ .
- عبدالله الإسكندري : ١٣١ .
- صلاح الدين الكتبي : ١٣١ .
- عبدالرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي : ٥٧ .
- محمد بن محمد بن محمد بن الصائغ نور الدين : ٥٧ .
- فخر الدين محمد : ٥٧ .
- شرف الدين محمد بن سعد الدين سعدالله بن بُخَيْخ : ٥٧ ، ٩٣ ، ١٢١ .
- أحمد بن إبراهيم الواسطي : ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٩٢ ، ٤٠٧ .
- شمس الدين الدّباهي محمد بن أحمد : ٩٠ .
- إبراهيم بن أحمد الغياني (خادم الشيخ) : ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ .
- شمس الدين بن سعد الدين الحراني : ٩٤ .
- أحمد بن محمد بن مُرّي الحنبلي : ٩٧ ، ٣٧٥ .
- أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن رُشَيْق المالكي : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢٢٠ .
- الطوسي : ٩٩ .
- يوسف جمال الدين أبو الحجاج المزي : ١٠٠ ، ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٩٠ .
- شرف الدين بن عبدالله بن حسن (٧٣١) : ١٠٠ .
- محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن القيم : ١٠٠ ، ١٢٩ ، ٢٧٨ .

- أبو الفتح محمد بن سيّد الناس اليعمري: ١٣٤، ١٣٦، ١٩٨، ٤٢٦،

٥٦٧.

- محمد بن أحمد بن عبد الهادي: ١٨٠، ١٨٧.

- كمال الدين ابن الزمكاني: ١٩٠.

- علم الدين البرزالي: ١٩٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٥٦٧.

- ابن الشهرزوري الموصلي: ١٩٣.

- شمس الدين الذهبي: ١٩٣، ٢١٣، ٢١٨، ٤٢٤، ٤٢٦، ٥٦٧.

- أحمد بن يحيى بن فضل الله: ٢٥٠.

- عمر بن علي البزار: ٢٦١.

- عبد الله بن أحمد المقرئ: ٢٦١.

- أبو حفص عمر بن الوردي: ٢٦٩، ٦٠٠.

- ابن جابر الوادي آشي: ٢٧٦.

- مغلطي بن قليج المصري: ٢٨١.

- صلاح الدين الصفدي: ٢٩٠، ٣١٠، ٣١٢.

- أحمد بن محمد ابن الأبرادي الحنبلي: ٢٩٧.

- شمس الدين ابن الصايغ: ٢٩٧.

- سعد الدين سعد الله أبو محمد الحراني: ٢٩٧.

- أخواه: زين الدين عبدالرحمن: ٣٦٢.

وشرف الدين عبدالله: ١٢١، ٣٦٢.

- فاطمة بنت عباس بن أبي الفضل: ٣٧٢.

- بهاء الدين عبدالسيد الطيب: ٣٧٢.

- عمر بن الحسن بن حبيب: ٣٩٦.

* تدريسه وإفتاؤه ونشره للعلم:

- تأهله للفتوى والتدريس وسنّه دون العشرين: ١٨٩، ١٩٣، ٢٧٠،

٤٠٠، ٤٨١، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٥٦، ٥٦٢، ٥٩٣، ٦٠٧، ٦١٩.

- عدم قبوله لقضاء القضاة ومشيغة الشيوخ: ٤٠٣، ٥١٧، ٥٢٦، ٥٣٣، ٦٠٩.
- تولي وظائف أبيه بعد موته وسنه إحدى وعشرون^(١) سنة: ١٨٩، ٢٥٦، ٢٧٠، ٣٤٤، ٤٠٠، ٤٣٢، ٥١٦، ٥٣٢، ٥٥٦، ٥٦٣.
- أخذ في تفسير القرآن أيام الجُمع من حفظه: ١٩٠، ١٩٣، ٢٧٠، ٣٤٤، ٤٠١، ٤٣٢، ٤٤٧، ٥١٦، ٥٢٥، ٥٣٢، ٥٥٦، ٥٦٣، ٥٩٣.
- تدريسه بدار الحديث السكرية سنة ٦٨٣ وحضور العلماء لأول درس له في البسمة وثناؤهم عليه: ٢٥٧، ٣٤٣، ٤٠٠، ٤٣٢، ٥١٦، ٥٢٥، ٥٣٢، ٥٥٦، ٦٠٧.
- كان يورد الدرس بلا توقف ولا تلثم بصوت جهوري فصيح: ١٩٠، ١٩٣، ٢٧٠، ٥٢٦، ٥٥٦، ٥٩٣.
- لم يكن يتكلم في فنٍّ من الفنون إلا فاق فيه أهله: ١٩١، ٣٨١، ٥١٧، ٥٣٢، ٥٥٨، ٥٦٤، ٦٢١.
- اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها: ١٩١، ١٩٣، ٢٠٦، ٢٧٠، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٤، ٤٠٣، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٧٣، ٤٨٥، ٥١٠، ٥١٧، ٥٣٣، ٥٥٨، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٨٠، ٦٠٥، ٦٠٩، ٦١٨، ٦٢١.
- إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم عليه الدليل: ٤٠٢، ٤٨١، ٥٣٢، ٥٥٧، ٥٦٤، ٥٩٥، ٦٠٨، ٦٢٤.
- بقي عدة سنين لا يفتي بمذهب معين: ٢٧٢، ٥٩٥.
- نبذة من اختياراته الفقهية: ٤١٩، ٤٢٠، ٤٨١، ٥١٩، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٨٩، ٥٩٥، ٦١٤، ٦٢٤، ٦٢٧.
- تدريسه بالحنبلية سنة (٦٩٥) عوضاً عن ابن المنجّي: ٣٤٥، ٤٣٣.
- تدريسه بالسكرية والحنبلية بعد قدومه دمشق سنة (٧١٢): ٤١٥، ٥٤١.

(١) وقيل: اثنان وعشرون.

- قيامه بالتحديث وكثرة من سمع منه: ٤٢٣، ٤٢٤، ٥٢٧، ٥٤٩، ٦١٦.
- اهتمدى على يده الجم الغفير: ١٩٣، ٤٠٢.
- كان يبقى في تفسير الآية الواحدة المجلس والمجلسين: ٢٠٦، ٣٠٦.
- نشره العلم في الآفاق: ٢١٢، ٣٥٩، ٣٦٤.
- نشره العلم وهو في الحبس: ١٢٨، ١٩٩، ٣٦٤، ٤٠٤، ٤١٦، ٤٤٢.
- نشره للعلم بمصر: ١٩٩، ٣٦٤، ٣٦٩.
- نشره للعلم بدمشق: ٢٠٠، ٣٧١.
- نشره للعلم بالإسكندرية: ٣٦٥.

* علومه:

- الفقه ودقائقه: ١٨٩، ٢٠٦، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٢٧، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٣١، ٥٠٩، ٥١٥، ٥٣٢، ٥٥٧، ٥٦٣، ٦٠٨، ٦٢٠.
- الحديث رواية ودراية: ١٩٣، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٧، ٢٥٦، ٢٧١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٣١، ٥٠٩، ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٣٣، ٥٥٧، ٥٦٣، ٥٦٥.
- ٥٨١، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٠٥، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٢٤.
- التفسير والتوسع فيه: ١٨٩، ١٩٣، ٢٠٦، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٦، ٣٠٦، ٣٨٠، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٣١، ٤٧٣، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٨١، ٥٩٣، ٥٩٤.
- ٦٠٥، ٦٠٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٢٤.
- أصول الدين ومعرفة الفرق: ٢٠٦، ٢٥٦، ٢٨٦، ٣٠٦، ٣٢٧، ٤٣١، ٤٧٣، ٥٨١، ٦٢٣.
- أصول الفقه: ٤٠٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٥٣٢، ٥٥٦، ٥٦٢، ٥٩٣، ٦١٩.
- من أعرف الناس بالتاريخ: ٢٠٦، ٢٥٦، ٤٣١.
- الفرائض والحساب والجبر والمقابلة: ٤٠٠، ٤٣١، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٣٢، ٥٥٦، ٥٦٢، ٥٩٣، ٦٠٧، ٦١٩.
- علم الكلام والفلسفة: ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٣١، ٥١٥، ٥٢٤، ٥٢٦.

٥٣٢ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ .

- العربية: ٤٠٢ ، ٤٣١ ، ٥١٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٤ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٢٠ .

- الكلام على المعارف والأحوال: ٤٠٥ ، ٥٣٣ ، ٦٠٩ .

* صفاته:

- كمال العلم، وصفاء البصيرة: ٦٨ - ٦٩ ، ١٩٣ ، ٤٠٣ .

- سعة الاطلاع: ٢٢١ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١٢ .

- بعث على رأس السبع مئة مجددًا: ٦٧ ، ٥٦٥ .

- مزيد طمأنينته وهو في السجن، وقوله: إن قُتلت كانت لي شهادة... :

٩٤ .

قوله: إن به من الفرح والسرور مالمو قُسم على أهل الشام ومصر لفضل

عنهم: ٩٥ .

- زهده: ١٨٥ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ،

٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٤٠٩ ، ٤٥٤ .

- الكرم: ١٨٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٨٨ ،

٣٢٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٤٠٩ ، ٤٥٥ ، ٤٧٣ ، ٥٣٨ ، ٥٨١ ، ٦١٢ .

- انتهت إليه صفات الكمال، والإمامة في العلم والعمل وهو في الثلاثين:

١٩٠ .

- علو الهمة: ٣١٢ .

- الشجاعة المفرطة: ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ ، ٣٢٧ ،

٣٠٧ ، ٣٢٨ ، ٤٠٨ ، ٤٥٤ ، ٤٧٣ ، ٥٣٨ ، ٥٨١ ، ٥٩٦ ، ٦١٢ .

- تعتربه حدة في البحث، وعدم مداراة للخصم (يقهرها بحلم وصفح):

٢٠٧ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ٤٠٩ ، ٤٧٤ ، ٥٨١ ، ٥٩٧ ، ٦٠٥ .

- فارغ عن شهوات المأكّل والملبس والجماع: ٢١٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ،

٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ، ٤٧٣ ، ٥٢٦ ، ٥٣٣ ، ٥٨١ .

- تضرّعه وابتهاله: ٢٢١ ، ٢٧٢ ، ٤٠٨ ، ٤١٧ .

- استجابة دعائه في أعدائه : ٩٦ .
- يقينه بالله : ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ .
- حفظه : ٢٥٦ ، ٢٨٨ ، ٤٠٠ ، ٤٣١ ، ٤٧٦ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٣ ، ٦٠٧ ، ٦١٩ .
- سرعة استحضاره للآيات والأحاديث : ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٥٧ ، ٥٩٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٤ .
- سرعة بديهته من صغره : ٣٠٧ ، ٣٣٧ .
- كثرة الكتب : ٤٠٠ ، ٥١٦ ، ٥٢٦ ، ٥٣٢ ، ٥٥٦ ، ٦٠٧ ، ٦١٩ .
- قوة الإدراك والفهم : ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٧٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٦ ، ٥٣٢ ، ٥٥٦ .
- مايقوم به من حقوق الله وعباده : ٢٦١ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٥٥ ، ٥٣٨ ، ٦١٣ .
- وصف قراءته للقرآن : ٢٦٩ ، ٦٠١ .
- إكرامه لأهل العلم وطلابه خاصة الغرباء : ٢٦٩ ، ٤٠٩ ، ٦٠١ .
- تعظيمه لحرمة العلماء وإن أساءوا إليه : ٣٦٨ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤١٥ .
- معاملته مع جلسائه : ٤٠٩ .
- صلاته : ٢٦٩ ، ٤٠٩ ، ٥٣٩ ، ٦٠١ .
- لباسه : ٤٠٩ ، ٥٣٨ ، ٦١٣ .
- خطه في غاية التعليق والإغلاق : ٢٧٠ ، ٥٩٤ .
- إعانة الله له وتخليصه من مضايق : ٢٧٤ .
- حبُّ العامة له : ٢٧٢ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ .
- سُمعته في البلاد البعيدة : ٣٠٩ .
- عدم انتصاره لنفسه : ٣٦٨ .
- ابتهاجه بالسجن وفرحه : ٣٧٦ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤٤٥ ، ٦١٣ ، ٦١٤ .
- تشبيهه بابن حزم : ١٨٦ ، ٣٠٨ ، ٦٠٥ .

* صفاته الخلقية:

- أبيض، أسود الرأس واللحية قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه،
ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين: ٢٠٩، ٢٧٥، ٣٠٨، ٣٢٨، ٤٠٩،
٤٧٤، ٥٣٨، ٥٨١، ٥٩٨، ٦٢٥، ٦٢٧.

- كأن عينيه لسانان ناطقان: ٢٠٩، ٣٠٨، ٣٢٨، ٤٧٤، ٥٣٩، ٥٨١،
٦٠٥، ٦٢٧.

- سريع القراءة، جهوري الصوت، فصيح: ٢٠٩، ٢٧٠، ٢٧٥، ٣٠٨،
٣٢٨، ٤٧٤، ٥٨١، ٦٠٥، ٦٢٧.

* مناظراته:

- دفاعه عن السنة وطريقة السلف: ٤٠٨، ٥٩٥، ٦٠٨، ٦٢٠، ٦٢٤.
- مناظراته في صغره وتفوقه على الكبار: ١٨٩، ٥٩٣.
- مناظرته للحموية: ١٩٨، ٢٦٠، ٢٨٨، ٣١٢، ٣١٣، ٤١٠.
- المناظرات في مصر مع (ابن مخلوف) بحضرة الأفرم سنة (٧٠٥):
١٩٩، ٢٦٠، ٣٦٠، ٤١١.

- مناظراته سنة (٧٠٧) مع الاتحادية: ١٩٩، ٤١٣، ٤٣٧، ٤٣٨.
- ما تفرّد به من مسائل يحتج لها بالكتاب والسنة ولا يقولها بالتشهي:
٢٠٨، ٢١٧، ٢٧١، ٣٠٧، ٣٧١، ٤٧٤، ٤٨٥، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٢،
٦٠٦، ٦١١، ٦١٥.

- كانت مناظراته كثيرة لا تنقضي: ٢٥٣، ٥١٩، ٥٣٨، ٥٩٥.
- لا يُعلم أن أحداً قطعه في المناظرة: ٢٧٠، ٢٨٦، ٣٨١، ٥١٧،
٥٣٣، ٥٦٤، ٥٩٤، ٦٠٩، ٦٢١.
- مناظرته مع جلال الدين القزويني في مسألة الزيارة سنة (٧٢٦):
٢٨٩، ٣١٣.

- مناظرته حول فتيا الطلاق سنة (٧١٩): ٢٨٩.

- إفحامه لمناظريه: ٣١٠، ٥١٩.

- مناظرته سنة (٧٠٥) مع الأحمدية: ١٠٦-١٠٧، ٣٥٦-٣٥٧، ٤٣٧.
- مناظرته حول «العقيدة الواسطية»: ١١٩، ٣٥٧، ٣٥٩.
- مناظرات مع بعض الفقهاء: ٣٦٢، ٤٠٨، ٤٤٣، ٤٧٠.
- * جهوده في محاربة أهل البدع ونحوهم:
- جملة أهل البدع: ٦٨، ١٣٤، ١٩٠، ٢٧٧، ٣٥٥.
- الجهمية: ٦٢، ٢٧٧.
- الصوفية بأنواعها^(١): ٦٢، ٦٣، ١٠٦-١٠٧، ١٢٨، ١٣٥، ١٩٧، ٢٥٩، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٤٣٧، ٤٦١، ٥٣٨، ٦١٢.
- مقلدة الفقهاء: ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٢٦٠.
- الزنادقة: ٦٤، ٣٠٨، ٣٥٥، ٣٧٦.
- مشايخ السلطة: ٦٣، ٦٥، ٩٣، ١٣٥، ٢٥٩.
- الأمراء والأجناد ونحوهم: ٦٥، ٢٥٧، ٣٥٠، ٣٦٧.
- العامة: ٦٥.
- اليهود والنصارى: ٦٥، ٨٩، ٩٠، ٢٧٧، ٣٠٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦٧، ٣٥١.
- المعتزلة: ٦٦، ٢٧٧.
- القدرية: ٦٦.
- التتر (المغول): ٦٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٥٤، ٥٤١، ٥٥٨.
- القبورية ونحوهم: ٧٨، ٧٩.
- تفنيد حُجَجهم الباطلة: ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٨٧، ٨٨.
- كسره للعمود المخلَّق: ٨٠، ٨١، ٨٤.

(١) ورد تسمية أنواع منهم، كالأحمدية، واليونسية، والعربية، والصدريّة، والسبعينية، والتلمسانية، والحريرية، والاتحادية.

- كسره للبلاطة السوداء بمسجد الكفّ: ٨١.
- كسره لصخرة عظيمة بمسجد النارج: ٨٢، ٣٥٥، ٤٣٧، ٦٢١.
- كسره للصنم الذي تحت الطاحون: ٨٤.
- كسره للحجر المزعوم أن فيه أثر قدم النبي ﷺ: ٨٤ - ٨٥.
- تحذيره مما يُفعل من البدع عند مشهد الحسين المبتدع المزعوم: ٨٥ - ٨٦، ٨٧.
- تحذيره من قبر السيدة نفيسة: ٣١٠.
- الرافضة (الكسروانيون) سنة (٧٠٤): ٨٢، ١٠٥ - ١٠٦، ١٩٩، ٢٦٠، ٢٦٩، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٦، ٤٣٧، ٤٥٤، ٤٦١.
- الفلاسفة والمتكلمون: ٩٩، ١٨١، ١٨٥، ٢٧٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٣٢، ٥٦٢، ٥٦٣، ٦١٩، ٦٢٠.
- الأشاعرة: ٢٧٩، ٣٠٨، ٤٦١، ٤٧٧.
- إنكاره على السلطان ما يتعلق بأهل الذمة: ٣٦٧ - ٣٦٨.
- * جهوده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد (إجمالاً): ٢٠٧، ٣٠٧، ٣٤٩، ٣٨٩، ٣٩٣، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٣، ٥٤١، ٦٠٨.
- قوته في الحق وهو في السجن: ٩١ - ٩٢، ٩٣، ٣٦٤.
- عدم ترحضه عن عقيدته: ٩٣، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٥٢، ٣٤٧.
- دعاؤه على أعدائه وهو في السجن: ٩٣، ٣٦٥، ٤٥٢.
- شجاعته وجهاده أمر يتجاوز الوصف: ١٩٤.
- قيامه في نوبة غازان وإغلاظه له ودعاؤه عليه: ١٩٨، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٨٨، ٣٤٦، ٤٠٩، ٤٣٤، ٤٥٢، ٤٧٧، ٥٣٨، ٥٩٦، ٦١٢، ٦٢٤.
- اجتماعه بالملك (غازان) ونائبه خطلوشاه وبيولاي: ١٩٨ - ١٩٩، ٢٥٨، ٣٤٨، ٤٠٩، ٥٣٨، ٥٩٦، ٦١٢.
- إقدامه وجراته على المغول: ١٩٨ - ١٩٩، ٣٤٦، ٤٣٥، ٥٩٦.

- وقعة شقحب (٧٠٢): ١٩٩، ٢٦٠، ٢٧٣، ٣٥٢، ٣٥٤، ٤٥٤.
- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر في الحبس: ١٩٩.
- توجهه مع الجيش المصري غازيًا: ٢٠٠، ٤١٥، ٤٤٤، ٤٧٢، ٥٨٦.
- لا تنظلي عليه ألاعيب الكبراء: ٣٠٧، ٣٦٨.
- ثباته وقوته: ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٦١.
- عدم قبوله ما رُتب له وقت إقامته بمصر: ٢٥٧، ٣٦١.
- عدم أكله من مائدة غازان؛ لأنه مما نُهّب من الناس: ٢٥٩.
- تمكّن الشيخ بالشام حتى صار يُقيم الحدود من قطع وقتل: ٢٥٩، ٣٤٨، ٣٥١.
- قيامه على نصر المنبجي: ٢٥٩.
- ركوبه إلى مهتابن عيسى (أمير العرب) وإحضاره للجهاد: ٢٦٠، ٤٣٥.
- حثه السلطان والخليفة على الثبات والجهاد: ٢٦٠ - ٢٦١، ٢٧٣، ٣٤٩، ٣٥٠، ٤٠٢، ٤١٠، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٧٤، ٥٣٩، ٥٨٦.
- إنكاره على السلطان الألفاظ البدعية: ٢٦٠، ٤٣٥.
- إنكاره على قطلوبك الكبير (وكان جبارًا): ٣٠٦ - ٣٠٧، ٣٢٨.
- كتابته إلى صاحب قبرس يأمره بالرفق بأسارى المسلمين: ٣٠٩.
- واقعة عساف النصراني واحتساب الشيخ عليها، وتأليفه على أثرها «الصارم المسلول»: ٣٤٤ - ٣٤٥، ٤١٠، ٤٣٣، ٥٣٩.
- * الشناء على الشيخ نثرًا:
- جماعة من الذين أثنوا عليه: ٤٢٧، ٥٦٧، ٦٠٣.
- عماد الدين الواسطي المعروف بابن شيخ الحزامين (٧١١): ٥٧، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ١٩٢، ٤٠٧، ٥٣٧، ٥٦٦، ٦١١، ٦٢٥.
- إبراهيم الغياني (خادم الشيخ): ٧٨.
- محمد بن أحمد بن مَرِّي (بعد ٧٣٠): ٩٧، ١٠١، ١٠٢.
- ابن سيّد الناس اليعمري (٧٣٤): ١٣٤، ١٩٦، ٢١٧، ٤٠٣، ٤٧٩.

٥٦٤ ، ٥٨٨ ، ٦٢٩ ، ٦٢٣ .

- عبدالله بن حامد : ١٨١ ، ١٨٢ .

- عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (٧٤٣) : ١٨٥ .

- محمد بن أحمد بن عبد الهادي (٧٤٤) : ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٦٠٤ .

- الحافظ جمال الدين المزي (٧٤٢) : ١٩٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٧ ، ٥٦٧ ، ٦١٠ .

- كمال الدين ابن الزملكاني (٧٢٧) : ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٥٧ ، ٢٧٠ ،

٢٧٥ ، ٣٨١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٤٧ ، ٤٨٥ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥٣٦ ،

٥٥٨ ، ٥٦٤ ، ٥٩٤ ، ٥٩٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ .

- علم الدين البرزالي (٧٣٩) : ١٩٢ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٦٢٢ .

- شمس الدين الذهبي (٧٤٨) : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٣٠٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ،

٤٢٧ ، ٤٧٣ ، ٤٨١ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٨٠ ، ٥٨٨ ، ٦٠٥ ، ٦٠٨ ، ٦٢٠ .

- ابن دقيق العيد (٧٠٢) : ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ ، ٣٥٤ ، ٣٨١ ، ٤٠٦ ،

٤١٠ ، ٤٤٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٥١٨ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٦٦ ، ٥٩٦ ، ٦١٠ ، ٦٢٥ .

- محمد بن عبدالله ابن رُشَيْق : ٢٢٠ .

- أحمد بن يحيى بن فضل الله (٧٤٩) : ٢٥٠ ، ٢٧١ ، ٤٤٩ ، ٥٣٤ ، ٦٠٤ .

- القاضي أبو عبدالله الحريري : ٢٥٩ .

- عمر بن الوردي (٧٤٩) : ٢٦٧ ، ٥٩٧ ، ٦٢٤ .

- أبو حيان النحوي (٧٤٥) : ٢٥٨ ، ٢٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥٩٦ .

- ابن جابر الوادي أشي (٧٤٩) : ٢٧٦ .

- مغلطاي المصري (٧٦٢) : ٢٨١ .

- صلاح الدين الصفدي (٧٦٤) : ٢٨٥ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٢ .

- ابن شاکر الکتبی (٧٦٤) : ٣٢٧ ، ٣٣٦ .

- أبو محمد اليافعي (٧٦٧) : ٣٣٨ .

- الفيثومي (٧٧٠) : ٣٤٠ .

- ركن الدين ابن القويح : ٣٤١ .
- ابن كثير الدمشقي (٧٧٤) : ٣٤٣ .
- ابن مخلوف المالكي : ٣٦٩ ، ٤١٤ .
- صدر الدين ابن الوكيل (ابن المرحّل) : ٣٧٢ ، ٤٨٦ .
- شمس الدين ابن الحريري : ٣٨١ ، ٤٧٠ ، ٥٨٥ ، ٦٢٦ .
- القاضي شهاب الدين الخوي : ٣٨١ ، ٤٠١ ، ٤٣٢ ، ٥١٠ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٧ ، ٥٥٧ ، ٦٠٧ .
- الحسن بن عمر بن حبيب : ٣٨٩ ، ٣٩٣ .
- ابن رجب : ٣٩٩ ، ٥٦٧ ، ٦٠٤ ، ٦٠٧ .
- تاج الدين الفزاري : ٤٠١ ، ٥١٦ ، ٥٥٦ ، ٥٦٣ .
- شرف الدين المقدسي : ٤٠١ ، ٤٣٢ ، ٥٥٧ ، ٦٠٨ .
- تقي الدين السبكي : ٤٠٦ ، ٤٨٢ ، ٥١٨ ، ٥٦٦ ، ٦١٠ ، ٦٢٥ .
- أخوه : شرف الدين : ٤٠٦ ، ٥١٧ .
- أبو عبدالله محمد بن قوام : ٤٠٦ ، ٥٦٧ ، ٦١١ .
- ابن القيم : ٤١٧ .
- تقي الدين الفاسي : ٤٢٤ .
- ابن ناصر الدين الدمشقي : ٤٢٦ ، ٥٦٦ .
- المقريزي : ٤٣١ .
- إبراهيم الرقي : ٤٤٧ .
- جمال الدين السرمري : ٤٧٦ ، ٥٨٧ .
- الآقشهري : ٤٧٦ .
- الطوفي : ٤٧٦ .
- صلاح الدين العلائي : ٤٨٢ .
- شهاب الدين الأذرعي : ٤٨٣ .
- ابن حجر العسقلاني : ٤٨٤ ، ٥٨٠ ، ٦٠٥ .

- العيني : ٤٨٩ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ .
- صالح بن عمر البلقيني : ٥٠٢ .
- ابن تغري بردي : ٤٩١ ، ٥١٣ .
- شهاب الدين ابن النحاس : ٥١٠ ، ٥١٣ .
- ابن عزم التونسي : ٥٢١ .
- السيوطي : ٥٢٢ .
- ابن سباط : ٥٢٣ .
- العلمي : ٥٣١ ، ٥٥٢ .
- الداودي : ٥٥٥ .
- الملا علي القاري : ٦٣٣ .
- محمود العدوي : ٥٦٠ .
- ابن القاضي المكناسي : ٥٧٢ .
- شمس الدين الغزي : ٥٧٣ .
- إبراهيم الكوراني : ٦٣١ .
- ولي الله الدهلوي : ٥٧٥ .
- الشوكاني : ٥٨٠ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ .
- صديق حسن خان : ٥٩٣ ، ٦٠٤ ، ٦٣٣ .
- بطرس البستاني : ٦١٧ .
- محمود الألوسي : ٦٣٢ ، ٦٣٣ .
- نعمان محمود الألوسي : ٦٣١ .
- محمد بن جمال الدين اليافعي : ٦٣٣ .
- علي أفندي السويدي : ٦٣١ .

* الشاء عليه شُغراً :

- كمال الدين ابن الزملكاني : ١٩١ ، ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٤٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤ ، ٥١١ ، ٥١٧ ، ٥٣٦ ، ٥٦٥ .

.٦٢٢ ، ٥٩٦

- ابن فضل الله العمري : ٢٥٠ .

- أبو حيّان النحوي : ٢٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٥ ،

.٦٢٦ ، ٥٩٦ ، ٥٨٧ ، ٥٦٥ ، ٥٣٦ ، ٥١٨ ، ٤٩٠ ، ٤٧٥ ، ٤٤٨

- ابن قيم الجوزية : ٢٧٨ .

- أحمد بن محمد البغدادي : ٢٩٧ ، ٣٢٠ .

- شمس الدين ابن الصايغ : ٢٩٧ ، ٣٢٠ .

- سعد الدين سعد الله الحراني : ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢٠ ، ٣٩١ - ٣٩٢ ، ٣٩٥ .

- الصفدي : ٣٠٤ .

- نجم الدين إسحاق التركي : ٦٠٢ .

* أعداء الشيخ :

- نصر المنبجي : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٢٦٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ،

.٦٢٦ ، ٥٨٤ ، ٤٣٨ ، ٤٧٧ ، ٤٦٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٠ ، ٤٣٩ ، ٤٣٧ ، ٤١٤ ، ٤١٠

- القاضي ابن مخلوف المالكي : ٩١ ، ٩٤ ، ٢٦٠ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ،

.٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٥٤٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٠ ، ٤٦٩ ، ٤٤٦ ، ٤١١ ، ٣٦٠ ، ٣٥٨

- عبدالكريم ابن أخت نصر المنبجي : ٩٥ .

- كمال الدين ابن الزملكاني : ١١٩ ، ٢٥٧ ، ٣٥٧ ، ٣٧٨ ، ٤٣٨ ، ٤٤٨ ،

.٤٦٨

- أبو حيان النحوي (في آخر الأمر) وسبب معاداته : ٢٥٨ ، ٢٩٨ ،

.٦٢٧ ، ٥٨٧ ، ٤٧٥ ، ٤٤٨

- صفي الدين الهندي : ١١٩ ، ٣٥٧ ، ٤٣٨ ، ٤٦٨ .

- القاضي نجم الدين ابن صصري : ٣٥٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٦٨ .

- القاضي الإخنائي المالكي : ٤١٦ ، ٦١٣ .

- شمس الدين ابن عدلان : ١١٨ ، ١٢٢ ، ٣٦٠ .

- نجم الدين ابن الرفعة : ٣٦٣ .

- ابن عطاء الله: ١٢٨، ٣٦٣، ٤١٣، ٤٤١، ٤٧١.
- بدر الدين ابن جماعة: ١٢٨، ١٣٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٤١٣، ٤٤١، ٤٧١.
- ببيرس الجاشنكير: ١٢١، ٣٦٥، ٤١١، ٤٤٠، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٧، ٥٤٠، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٦٢٦.
- صدر الدين ابن الوكيل (ابن المرحّل): ٣٧٢، ٤٣٢.
- جمال الدين بن جملة: ٣٧٧، ٣٨٥.
- الصدر: ٣٨٥.
- القحفازي: ٣٨٥.
- كمال الدين القزويني: ١٢٠، ١٣٠.
- نور الدين الزواوي (نائب ابن مخلوف): ١٢٨.
- علاء الدين القونوي: ١٢٨.
- نور الدين البكري، الفقيه: ٤١٥، ٤٣٢، ٤٧٨.
- بعضهم ألف كراسة عدّ فيها مثالبه، وذكر بعض فضائله، وذكر إساءته في هذا الصنيع وأنه إما مختلط، أو حاسد حاقد: ٧٢-٧٣، ٧٧، ٢٠٩.
- الاعتذار للشيخ عما انتقده عليه بعضهم: ٧٦، ٢٠٨، ٢١٣، ٤٠٧، ٤٠٨، ٥٧٥.
- افتراء ابن بطوطة عليه في مسألة النزول: ٣٩٨.
- تبرّته مما نسب إليه من القول بالتجسيم: ٦٣١.
- من يطعن في الشيخ فهو مُفْتَقِد في عقله أو فهمه أو صدقه أو سيّئه: ٧٣-٧٤.
- سبب مخالفة أعدائه له: ٤٠٨، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٥، ٦٢١.
- حسد أعدائه له، وبحثهم عما ينتقد عليه: ١٣٤-١٣٥، ١٩٧، ٢٥٣، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٨٢، ٤٨٠، ٦٢١.
- ما آل إليه أمر أعدائه: ١٣٥، ١٩٧، ٢٥٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٦٣.

٤١٤ ، ٣٦٥ .

- عفوه عنهم بعد قدرته عليهم : ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٤٤ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ .

- لو لطفهم ورفق بهم ؛ لكان كلمة إجماع : ٢٠٧ ، ٤٧٤ ، ٥٨١ ، ٦٠٥ .

- هم معترفون بإمامته وذكائه ونُدُور خطئه : ٢٠٧ ، ٣٦٣ ، ٤٧٤ .

- بعض أعدائه لم ينظروا في تصانيفه ، ولا فهموا كلامه ، ولا لهم حظ تام من العلم : ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ .

- خصوم الشيخ ومحبه أقسام : ٢٠٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٥٨٢ ، ٦٠٦ .

- مناقشة أعدائه : ٢٠٨ .

- لا اعتبار بطعن أعداء العالم : ٢٠٩ .

- أذيتهم لمن أنصف في حق الشيخ : ٢٠٩ .

- خداعهم : ٩٠ - ٩١ .

- ما انتقده اعداؤه - زعموا - : ١٢٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ،

٢٨٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٥ ، ٥٠٣ ،

٥٨٢ .

- المسائل التي بحثها الشيخ لا تحملها عقول أبناء زمانه !! : ٢٧٤ ، ٥٩٧ .

* أنواع الأذى الذي تعرّض له الشيخ :

- محنه : ١٠٧ ، ٤١٠ ، ٥١٠ ، ٥١٣ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٣٩ ، ٥٥٤ ،

٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٤ ، ٥٨٢ ، ٥٩٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٧ ،

٦٢٠ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

- محنته سنة (٦٩٨) بسبب تأليفه «الحموية» : ٤١٠ .

- محنته سنة (٧٠٥) والسؤال عن معتقده والمناظرة حول «الواسطية» :

١٠٧ ، ١١٩ ، ٤١٠ ، ٤٣٨ ، ٤٦٧ ، ٥٣٩ ، ٥٨٢ ، ٦١٣ .

- ذكر النويري سبب المحنة (٧٠٥) عن اطلاع ودراية : ١٠٧ - ١٠٨ .

- سياق الفتوى التي نُقِمَ عليه من أجلها كما في «نهاية الأرب» : ١٠٨ - ١١٧ .

- محنته سنة (٧٠٧) بسبب كلامه في ابن عربي: ٤١٣، ٤٤١، ٤٧١، ٥٤٠، ٥٨٥.
- محنته سنة (٧١٨، ٧١٩) بسبب قوله في مسألة الحلف بالطلاق: ٤١٥، ٤٤٤، ٤٧٢، ٥٤٢، ٥٨٦.
- محنته سنة (٧٢٦) بسبب منعه من السفر لزيارة القبور: ٤١٦، ٤٧٢، ٥٤٢، ٥٨٦، ٥٩٧، ٦١٣.
- حبسه: ١٠٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٨٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٢، ٢١٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٧٥، ٣٠٩، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٦، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٦، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٠، ٦١٣، ٥١٤، ٥١٩، ٥٢٦، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٥٤، ٥٨٢، ٥٨٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٢١.
- كبس بيته: ٩١.
- تأليب الرويضة: ١٣٥، ١٩٧، ٤٨٠، ٦١٧.
- المخادعة له: ١٣٥، ١٩٧.
- تكفيره: ١٣٠، ١٣٥، ١٩٧، ٢٠٧، ٢٠٨، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٩٨، ٦٠٢، ٦١٧.
- منعه من مقابلة الناس: ١٨٦.
- محاولة منعه من إلقاء الدروس: ١٢٨، ٤٠١.
- منعه من الافتاء بما يراه من الحق: ٢٠٠، ٢٥٣، ٣٧٤، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٥، ٤٧٢.
- منعه من ابداء حجته في المناظرة: ١٢٢.
- منعه من الكتب، والأقلام والورق وإخراجها من عنده، وأن هذا من أعظم الرزايا: ١٣١، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٥٢، ٢٧٥، ٣٣٨، ٤١٧، ٤٤٥، ٤٥١، ٥١٠، ٥١٤، ٥٤٢، ٥٩٨.
- سبب إخراج الكتب في آخر عمره: ١٣٢.

- الازدراء بفضله والمقت له: ٢٠٧، ٣٤١.
- النيل من عرضه: ٢١٧، ٢٥٥، ٣٤١، ٤٠٢، ٤٤٣.
- تهديده بالقتل: ٤١٣، ٤١٤.
- ترصد ملوك جنكز خان، وبعثها في طلبه: ٢٥٥.
- اتهامه بالابتداع: ٢٦٠، ٢٧٢، ٣٣٨، ٤٠٨، ٤٦١، ٤٨٠، ٤٨١.
- ٥٠١، ٥٣٨، ٥٧٨، ٥٩٥، ٦١٢.
- اتهامه بمحاولة أخذ الملك مثل ابن تومرت: ٢٦٠، ٤٣٩، ٤٧٨.
- ٥٨٧، ٦٢١.
- مكابرتة: ٢٧٢، ٤٠٨، ٥٩٥.
- اتهامه بأنه يُفتي بالشواذ، وأنه مجتهد مصيب: ٢٧٦، ٢٨٦، ٣٣٨.
- ٤٠٨، ٥٧٢.
- التزوير عليه: ٣٥٢، ٣٧٧، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥١٠، ٥٨٥.
- حسده: ٣٥١، ٦١٧.
- أذية أصحابه وسجنهم: ٩١، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٩، ٣٥٨، ٣٦٠.
- ٤١٢، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٥، ٥٨٣، ٥٨٥.
- نص المرسوم في الحطّ على الشيخ وأصحابه: ١٢٢ - ١٢٥.
- * الذين آزرُوا الشيخ:
- الأفرم: ٢٨٨، ٣١٣، ٣٥٩، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤١.
- جاغان المشدّ: ٢٨٨، ٣١٣، ٣٤٦، ٣٥٩.
- القاضي إمام الدين القزويني: ٢٨٨، ٣١٣، ٣٤٦، ٣٥٩، ٤٦٧.
- جلال الدين القزويني أخوه: ٢٨٨، ٣١٣، ٣٤٦، ٤٦٧.
- الأمير سيف الدين سلّار: ١١٨، ٢٨٩، ٣١٣، ٤١٢، ٤٤٣، ٤٦٧.
- ٤٧٠، ٥٨٢، ٥٨٥.
- الأمير مهنا بن عيسى: ١٢٦، ٤١٢، ٤٤٢، ٤٧٠، ٥٨٥.
- السلطان الناصر: ٢٨٩، ٤١٤، ٤٤٣، ٤٦٨، ٤٧٢، ٥١٠، ٥١٤.

٥٨٦ ، ٥٨٢ ، ٥٤١ .

- الباجي : ٣٦١ .

- الجزري : ٣٦١ .

- النمرائي : ٣٦١ .

- شمس الدين ابن الحريري : ١٢٦ ، ٤٧٠ ، ٥٨٥ ، ٦٢٦ .

* شعره :

- تقويمه : ٢٧٤ ، ٤٠٩ ، ٥٣٨ ، ٥٩٧ ، ٦١٢ .

- أبيات كان ينشدها كثيرًا : ٢٩٠ ، ٣١٢ ، ٤٧٢ ، ٥٨٩ .

- من نظمه : ٢٩٧ ، ٣٢٠ ، ٣٣٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٧٩ ، ٥٤٥ - ٥٤٦ .

- له قصائد مطوّلة عن مسائل يُسأل عنها : ٢٩٧ ، ٣٢٠ ، ٣٣٥ ، ٥٨٨ .

* لم يتزوج ولا تسرى :

٢٧٤ ، ٤٠٩ ، ٥٣٨ ، ٥٩٧ ، ٦١٢ .

* كان أخوه يقوم بخدمته :

٢٧٤ ، ٤٠٩ ، ٥٣٨ ، ٥٩٧ ، ٦١٢ .

* وفاته :

- زمانها : ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٥ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ،

٣٤٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٣ ، ٤٧٢ ،

٤٧٤ ، ٤٩٧ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ ، ٥٤٦ ،

٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧٣ ، ٥٨٦ ، ٥٩٨ ، ٦١٥ ، ٦٢٧ .

- مكانها : ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ،

٣٤٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٤٦ ، ٤٦٣ ، ٤٧٢ ، ٤٩٧ ،

٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٣ ، ٥١٩ ، ٥٢٧ ، ٥٤٦ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٧٣ ،

٥٨٦ ، ٥٩٨ ، ٦٢٧ .

● ما اتفق فيها ودلالته:

- كثرة الجَمْع: ١٣٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٧٥، ٣٠٨، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٤٦، ٤٥٢، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥١١، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦١٥، ٦٢٧.

- الحزن الشديد أكثر مما يجده الوالد على ولده: ١٨٢، ٢٥٣، ٢٦٧، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٤٦، ٥١٩، ٥٤٧، ٥٧٠، ٦١٥.
- كيف عرفت وفاته: ٣٨٢، ٤٢١، ٥١٩، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٧٠، ٥٩٨، ٦١٥.

- إقفال الدكاكين بعد وفاته: ٣٨٣.

- مرضه عشرين يومًا: ١٣٢، ٢٠١، ٢١٠، ٢٧٥، ٤٢٠، ٤٧٤، ٤٩٧، ٥١٩، ٥٤٦، ٥٥٤، ٥٧٠، ٦١٥.
- غسله ومن تولاه: ١٣٢، ٢٠١، ٢٦١، ٢٦٧، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٧٨، ٣٨٣، ٤٢١، ٤٤٦، ٥١٩، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٧٠.

- من صلى عليه: ١٣٢، ٢٠١، ٢٦١، ٢٦٧، ٣٠٨، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٧٩، ٣٨٤، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٧٠، ٥٩٨، ٦١٦، ٦٤٨.
- كيفية السير بالجنائز: ١٣٢، ٢٠١، ٢١٤، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٧٥، ٣٣٦، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٦، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٧٠، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦١٦.

- مكان الدفن ووقته: ١٣٢، ٢٠١، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٨، ٢٦١، ٢٦٧، ٣٠٨، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٨٤، ٤٢٢، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥١١، ٥١٩، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٤٨، ٥٦١، ٥٧١، ٦٢٧.

- من تخلف عنها: ٢٠١، ٣٠٨، ٣٨٠، ٣٨٤، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٨٥.

- صلاة الغائب عليه في بلاد الإسلام: ٤٢٣، ٥٤٨، ٥٥٤، ٦١٦.
- لم يخلف بعده مثله: ٢١١، ٢١٥، ٣٠٣، ٣٤١، ٤٢٧، ٥٦٧.
- عمره: ٢١٥، ٢٧٥، ٣٣٧، ٣٨٩، ٣٩٦، ٥٩٨.
- قرأ في الحبس قبل وفاته ثمانين خُتْمَةً: ١٣٢، ٣٤٠، ٤٢١، ٥١٩، ٥٤٧، ٥٧٠، ٦١٥.
- مدة اعتقاله الأخير: ٣٤١، ٤٢٠، ٥١٩، ٥٤٦، ٥٥٤، ٥٧٠.

* مراثيه:

- كثرتها، من الشام ومصر والعراق والحجاز والعرب من آل فضل:
- ٢٦٦٢، ٢٦٦٧، ٢٩٩، ٣٨٥، ٣٩٠، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٥٥، ٥٤٨، ٦١٦.
- عدَّ منها الصفدي (١٥) قال: وغيرها: ٣٢١، ٤٧٣.
- مرثية ابن فضل الله العمري (٨٠ بيتًا): ٢٦٢-٢٦٦، ٤٥٥-٤٦٠.
- مرثية ابن الوردي (٢٧ بيتًا)^(١): ٢٦٧-٢٦٩، ٣٠٠-٣٠١، ٣٢٢-٣٢٣.
- ٣٢٣، ٣٩٠، ٣٩٥-٣٩٦، ٤٦٠، ٤٩٠، ٤٩٨، ٥٥٠، ٥٩٩، ٦٢٨.
- مرثية الشيخ علاء الدين بن غانم (٢٠ بيتًا): ٢٩٩-٣٠٠، ٣٢١-٣٢٢.
- مرثية صلاح الدين الصفدي (٣٣ بيتًا): ٣٠١-٣٠٣.
- مرثية الذهبي (١١ بيتًا): ٤٢٨، ٥٤٩.

* * *

(١) هي عند الصفدي في «الأعيان» و«الوافي»: (١٧).

فهرس مصنفات شيخ الإسلام

* ما يتعلق بمؤلفاته ومنهجه في التأليف:

- شروعه في التصنيف وسنه دون العشرين: ١٨٩، ١٩٣، ٢٧٠، ٤٠١، ٤٨١، ٥٣٢، ٥٥٧.

- عددها: ١٨٦، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٥٦، ٢٧١، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٨، ٣٨١، ٤٢٧، ٤٤٧، ٤٨١، ٥١١، ٥٢٢، ٥٥٨، ٥٦٧، ٥٧٣، ٥٨٨، ٥٩٤، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٤.

- كثرة مؤلفاته: ٤٤٦، ٥١٩، ٥٥٨.

- قلة ما وصل إلينا منها بسبب إحراق كثير منها: ٤٤٧.

- تصنيفه في المسألة الواحدة المجلد الكبير دون الخروج عن المسألة: ١٩١، ٢٧١، ٢٧٩.

- مقدار ما يكتب في اليوم من التصانيف في أيّ فنّ أربعة كراريس: ١٩٥، ٢٧١، ٢٨٧، ٤٠٤، ٥٣٣، ٥٩٤، ٦٢٤.

- لا يُعلم أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين صنف مثل ما صنف الشيخ: ١٩٦.

- فتاويه تبلغ ثلاث مئة مجلد أو أكثر: ٤٧٣، ٥٨١، ٦٠٥.

- فتاويه لا تدخل تحت الحصر: ٤٨٦.

- كان يكتب من حفظه، وليس عنده ما يراجعه من الكتب: ١٩٦، ٢٨٧، ٤٠٤.

- طريقته في الكتابة وبحث المسائل وتقريرها: ١٠٢، ١٠٣.

- حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب: ٣٨١، ٤٤٧.

- سرعة تأليفه؛ فكتب الحموية في قعدة: ١٩٨، ٢٧٩، ٢٨٧، ٤٠٤، ٥٣٣، ٦٠٩.

- كان يكتب أحياناً في اليوم ما يبيض منه مجلد: ٤٠٥، ٥٣٣.
- شهرة مؤلفاته وانتشارها: ٢٠٦، ٢١٢، ٢٧٩، ٤١٨، ٥١٩، ٥٢٧، ٥٥٨، ٦٠٦، ٦١٤.
- بيعها بغالي الأثمان: ٢٧٩.
- الثناء عليها وأنها عُدَّةٌ لأهل الإسلام: ١٠١، ١٨٢.
- الاهتمام بها والحرص عليها: ٩٩.
- كثير من مصنفاته لازالت مسودات: ٢٥٦، ٤٤٧.
- أنواع تصانيفه ما كمل وما يَبْقُض منها: ٣٨١.
- صعوبة حصرها وإحصائها: ٢٢٠، ٤١٨، ٤١٩، ٦١٤.
- ما صُنِّف منها في مصر في السجن: ٤١٨، ٥٤٣، ٥٥٢.
- ربما كتب الشيخ للتذكُّر: ٢٢١.
- ما فُتِحَ عليه في آخر حياته من أصول العلم التي مات كثير من العلماء يتمنونها: ١٢٢، ٤١٦، ٥٤٢.
- الإكثار من التصنيف في آخر حياته في القلعة: ١٨٦، ٢٠٠، ٢٢٢، ٤١٦.
- بقي شيء كثير من كتب الشيخ نحو (١٤) رِزْمَة وأكثر من ستين مجلداً في سلة الحكم وما آلت إليه: ١٣١، ٢٢٢، ٤٤٦.
- تضيق المخالفين على كتب الشيخ: ١٨٣.
- الذين لم يستفيدوا من كتب الشيخ؛ كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ: ١٨٣.
- * خطة ابن مَرِّي لخدمة كتب الشيخ: ٩٨ - ١٠١
- (الهدف) أنه خشي من دروس كثير من علومه المتفرقة الفائقة، وأنه يرجو أن تكون إذا جُمِعت ذخيرةً صالحة للإسلام وأهله، وخزانة عظيمة لمن يؤلف وينصر الطريقة السلفية إلى آخر الدهر.
- (الطريقة)
- جمعها من غير تصرفٍ فيها ولا اختصار ولو وُجد فيها شيءٌ من التكرار.

- جمع الأشباه والنظائر في مكانٍ واحدٍ .
- اغتنام حياة من بقي من تلاميذ الشيخ الكبار لكمال خبرتهم .
- الإسراع في هذا ما أمكن، وترك التعليق والتسويق .
- رائد هذا العمل ودليله وخبيره هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن رُشَيْق، فيجب مساعدته وتفريغه لهذا العمل، وعليه هو الاحتساب .
- مقابلة المنسوخ مع أفضل الجماعة، أو على نسخة الأصل .
- مراجعة أكابر تلاميذ الشيخ، كالحافظ المزي لدرايته وثقته وشفقته وتحرقه .

- مراجعة الشيخين: شرف الدين، وشمس الدين ابن القيم؛ لأنهما أخبر الجماعة بالمناهج العقلية خوفاً من وقوع تصحيف، أو تغيير معنى .
- بذل الأموال العظيمة لتحصيل هذا الأمر الذي لا نصير له .
- * مسرد مصنفاته على الفنون:

- التفسير: ٢٢٢، ٢٩١، ٣١٤، ٣٢٨ .
- أصول الدين: ٢٣٢، ٢٩١، ٣١٤، ٣٢٩ .
- القواعد والفتاوي: ٢٣٤ .
- كتب الفقه: ٢٤٤، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢ .
- كتب أصول الفقه: ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣١ .
- الوصايا: ٢٥٥ .
- الإجازات: ٢٤٨ .
- رسائل متنوعة: ٢٤٨، ٢٩٧، ٣١٩، ٣٣٤ .

* مسرد مصنفاته على الحروف:

- إبطال التحليل = بيان الدليل على إبطال التحليل
- إبطال الحيل = بيان الدليل على إبطال التحليل
- إبطال قول الفلاسفة بإثبات الجواهر العقلية ٢٣٥
- إبطال الكلام النفساني = التسعينية

- إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت ٢٩٧، ٣٢٠، ٣٣٤
 إثبات الصفات ٦١٩
 إثبات المعاد والرد على ابن سينا^(١) ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠، ٦١٩
 إجازة لأهل أصبهان ٢٤٨
 إجازة لأهل سبتة ٢٤٨، ٤٠٤
 إجازة لأهل غرناطة ٢٤٨
 إجازة لبعض أهل تبريز ٢٤٨
 أجوبة الشكل والنقط = مسائل في الشكل والنقط
 أجوبة في مباينة الله تعالى لخلقه ٢٩٢، ٣١٥
 أجوبة كون العرش والسموات كُريّه وسبب قصد القلوب جهة العلو ٢٩٣،
 ٣٣٠، ٣١٦
 أجوبة مسائل أصفهان ٢٤٥، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢
 أجوبة مسائل الأندلس ٢٤٥، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢
 أجوبة مسائل الصلط ٢٤٥، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢
 الأجوبة المصرية = الفتاوى المصرية
 أربعون حديثاً (خرّجها ابن الواني) ٤٢٣، ٥٢٧، ٦١٦
 الإربلية (في الاستواء والنزول) ٢٣٨
 الأزهرية ٢٣٥
 الاستقامة ١٩٥، ٢٣٢، ٢٧٨، ٤١٨، ٥٤٣، ٥٥٢، ٦٢٠
 إصلاح الراعي والرعية = السياسة الشرعية
 الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية = جواب الاعتراضات
 اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ١٩٦، ٢٤٣،
 ٢٥٦، ٤١٩، ٥٤٤، ٥٥٣، ٥٥٨

(١) وانظر: «قواعد في إثبات المعاد...».

- أن قل هو الله تعدل ثلث القرآن ٢٣٢
 أهل البدع هل يصلي خلفهم؟ ٣٣٣، ٣١٨، ٢٩٦
 الإيمان ١٩٦، ٢٣٢، ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١، ٤١٨، ٥٤٣، ٥٥٢
 بطلان ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي ٢٩٧، ٣١٩، ٣٣٤
 البعلبكية = الرسالة البعلبكية
 البغدادية = الرسالة البغدادية
 بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ١٩٥، ٢٣٣، ٢٥٦،
 ٢٧١، ٢٧٨، ٢٩٢، ٣١٤، ٣٢٨، ٤١٨، ٤٤٧، ٥٤٣، ٥٥٢، ٥٥٨
 ٥٩٥، ٦٢٠
 بيان حل إشكالات ابن حزم الواردة على الحديث ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣٠
 بيان الدليل على بطلان التحليل ١٩٦، ٢٥٦، ٢٧١، ٤٠٥، ٤١٩،
 ٤٤٧، ٤٧٦، ٥١٧، ٥٣٦، ٥٤٤، ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٨٧، ٥٩٤
 بيان الطلاق المباح والحرام ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣
 تأسيس التقديس = بيان تلبيس الجهمية
 تبطيل التحليل = بيان الدليل على إبطال التحليل
 التحرير في مسألة حفير ١٩٦، ٢٤٤، ٤١٩، ٥٤٤، ٥٥٣
 تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة
 الخواتم ٢٩٧، ٣٢٠، ٣٣٤
 تحريم الحشيشة ووجوب الحد فيها ونجاستها ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣
 تحريم السماع ٢٣٦، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣
 تحريم الشبابة ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣
 تحريم الشطرنج = قاعدة في لعب الشطرنج
 التحفة العراقية في الأعمال القلبية ١٩٦، ٢٣٦، ٦٢٠
 تحقيق الإثبات في الأسماء والصفات = التدمرية ٢٣٤
 تحقيق الفرقان بين التطلق والأيمان = التحقيق في الفرق بين الأيمان والتطلق

التحقيق في الفرق بين الأيمان والتطبيق ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٣ ، ٤١٩ ، ٥٥٣ ، ٥٤٤

تحقيق كلام الله لموسى ٢٩٢ ، ٣١٥
التسعينية (أو المحنة المصرية) ١٩٥ ، ٢٣٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢

تعارض العقل والنقل = درء تعارض العقل والنقل

تعليقة على فتوح الغيب للكيلاني ٢٣٦

تعليقة على «المحرر» = شرح «المحرر»

تفسير القرآن ١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٩ ، ٣٩٧

في الاستعاذة والبسملة ٢٢٢ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

سورة الفاتحة

آية [٥] ٢٢٢ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

وكامل السورة ٢٢٢ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

سورة البقرة

تفسير أولها ٢٢٢ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

آية [٨] ٢٢٣ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

آية [٢١] ٢٢٣ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

آية [١٧] ٢٢٢ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

آية [١٣٠] ٢٢٢

آية [١٤٩] ٢٢٣

آية [١٧٣] ٢٢٣

آية [١٩٦] ٢٢٣

آية [٢٣٣] ٢٢٣

آية [٢٥٥] ٢٢٣ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩

آيات الربا [٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨] ٢٢٣

سورة آل عمران

٢٢٣	آية [٧]
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٢٣	آية [١٨]
٢٢٣	آية [١٤٦]

سورة النساء

٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٢٣	آية [٧٩]
٢٢٤	آية [٨٦]
٢٢٤	آية [٩٣]

سورة المائدة

٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٢٤	آية [٦]
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٢٤	مجلد في تفسير السورة

سورة الأنعام

٢٢٤	آية [٧٦]
٢٢٤	آية [٨١]
٢٢٤	آية [١٠٣]

سورة الأعراف

٢٢٤	آية [٨٨]
٢٢٤	آية [١٥٥]
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٢٤	آية [١٧٢]

سورة الأنفال

٢٢٥	آية [٦٤]
-----	----------

سورة براءة

٢٢٥	آية [٤]
٢٢٥	آية [٦]
٢٢٥	آية [٦٠]

٢٢٥	آية [١٢٢]
سورة يونس	
٢٢٥	آية [٦٦]
٢٢٥	آية [٩٨]
سورة هود	
٢٢٥	آية [١]
٢٢٥	آية [١٧]
٢٢٥	آية [١٠٨]
٢٢٥	آية [١١٩]
سورة يوسف	
٢٢٦ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩	فسر أكثرها
٢٢٦	آية [٢٤]
٢٢٦	آية [٥٣]
٢٢٦	آية [١٠٨]
٢٢٦	آية [١١٠]
سورة الرعد	
٢٢٦	آية [١٣]
٢٢٦	آية [١٩]
سورة الحجر	
٢٢٦	آية [٤١] ونظائرها
٢٢٦	آية [٨٧]
سورة النحل	
٢٢٦	الآيات من أولها [١١] ، [١٢]
٢٢٧	آية [٧٥]
٢٢٧	آية [١٠٣]

سورة الأنبياء

٢٢٧ آية [٨٧]

٢٢٧ آية [٩٨]

سورة الحج

٢٢٧ آية [٥٢]

٢٢٧ آية [٦٠]

سورة النور

٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٢٧ فسر أكثرها

٢٢٧ آية [٣]

٢٢٧ آية [٣٠]

سورة القصص

الآيات : [٢٢ - ٢٨] في حمو موسى هل هو

٢٢٨ شعيب؟

٢٢٨ آية [٢٨]

٢٢٨ آية [٧٨]

سورة العنكبوت

٢٢٨ الآيات [١ - ٢]

٢٢٨ آية [٤٥]

٢٢٨ آية [٤٦]

سورة لقمان

٢٢٨ آية [١٣]

سورة السجدة

٢٢٨ آية [٢٤]

سورة الأحزاب

٢٢٨ آية [٩]

سورة سبأ	آية [٢٥]
٢٢٨	
سورة فاطر	آية [٣٢]
٢٢٩	
٢٢٩	آية [٣٦]
سورة غافر	آية [١٥]
٢٢٩	
٢٢٩	آية [٨٢]
سورة الشورى	آية [١١]
٢٢٩	
سورة الزخرف	آية [٨١]
٢٢٩	
سورة الدخان	آية [٣٢]
٢٢٩	
سورة الجاثية	آية [٢٣]
٢٢٩	
سورة الحجرات	فسرها كاملة
٢٢٩	
سورة الذاريات	آية [٥٦]
٢٣٠	
سورة الواقعة	آية [٨٣]
٢٣٠	
سورة المجادلة	آية [٧]
٢٣٠	
سورة الممتحنة	

٢٣٠	آية [١٠]
سورة الأعلى	
٢٣٠	فسرها في مجلد
سورة الفجر	
٢٣٠	فسرها
٢٣٠	آية [٢ - ٧]
سورة البلد	
٢٣٠	فسرها
٢٣٠	آية [١٠]
سورة الشمس	
٢٣١	آية [٨]
سورة العلق	
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٣١	فسرها
سورة البينة	
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٣١	فسرها كاملة
سورة الكافرون	
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٣١	فسرها
سورة المسد	
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٣١	فسرها
المعوذتان	
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٣١	فسرها
سورة الإخلاص	
٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٢٩١ ، ٢٣١	فسرها في مجلد
٣١٧ ، ٢٩٥ ، ٢٤٤	تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم
	٦٢٠ ، ٣٣٢

تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة = قاعدة في تفضيل مذهب أهل المدينة

تلبيس الجهمية = بيان تلبيس الجهمية

تناهي^(١) الشدائد في اختلاف العقائد ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١

تنبيه الرجل الغافل^(٢) على تمويه المجادل (في الجدل بالباطل) ١٩٦، ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١

ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات ٢٧٨، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠، ٦١٩

جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال غُيِّب ولا أبدال ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٤

جزء في طريقة الأحمدية = كشف حال المشايخ الأحمدية

الجمع بين الصلاتين في السفر = قاعدة في الجمع

جميع أيمان المسلمين مكفرة ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٤

جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية ١٩٥، ٢٣٢، ٢٩١، ٣١٤، ٣٢٩، ٤١٨، ٥٤٣، ٥٥٢

جواب تقليد الحنفي الشافعي في الجمع للمطر والوتر ٢٩٥، ٣١٧، ٣٣٢

جواب الرسالة الصفدية ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠

جواب رؤية النساء ربهن في الجنة ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣٠

جواب سؤال الرحبة ٢٤٥

جواب سؤال عن حرف «لو» ٦٢٢

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٩٥، ٢٣٣، ٢٧٨، ٢٩٢

(١) الفوات: «تناسي».

(٢) عند ابن رشيق: «العافل».

٣١٥، ٣٢٩، ٤١٨، ٥٤٣، ٥٥٣، ٦١٩

جواب عن أيّ التفاسير أفضل؟ ٢٣٢

الجواب عما أورده كمال الدين ابن الشريشي على «درء تعارض العقل والنقل» ٢٣٣، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٢٩، ٤١٨، ٥٤٣، ٥٥٣

جواب في الإجماع وخبر التواتر ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣١

جواب في الاستواء وإبطال تأويله بالاستيلاء ٢٩٣، ٣١٥، ٣٣٠

جواب في ترك التقليد في من يقول مذهبي مذهب النبي عليه السلام وليس أنا محتاج إلى تقليد الأربعة ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢

جواب في تعليل مسألة الأفعال ٢٣٤

جواب في حسن إرادة الله لخلق الخلق وإنشاء الأنام لعله أم لغير علة ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١

جواب في العزم على المعصية هل يُعاقب العبد عليه؟ ٢٣٥

جواب في لقاء الله ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣٠

جواب في مسألة القرآن ٢٣٤

جواب في نقض قول الفلاسفة إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠، ٤١٨، ٥٤٤، ٥٥٣

جواب كون الشيء في جهة العلو مع أنه ليس بجوهر ولا عرضٍ معقول أو مستحيل ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣٠

جواب مسائل وردت من أصبهان = أجوبة مسائل أصفهان

جواب مسائل وردت من الأندلس = أجوبة مسائل الأندلس

جواب مسائل وردت من الصلت = أجوبة مسائل الصلطان

جواب مسائل من بغداد ٢٩٥، ٣٣٢

جواب مسألة في القرآن هل هو حرف وصوت أم لا؟ ٢٣٥

جواب من تفقه في مذهب ووجد حديثاً صحيحاً هل يعمل به أو لا؟ ٢٩٤، ٣٣٢، ٣١٧

جواب من حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت ٢٩٢ ،
٣٣٠ ، ٣١٥

جواب من حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة ٢٩٦ ، ٣١٩ ،
٣٣٣

جواب من قال: إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية = جواب في نقض
قول الفلاسفة...

جواب من قال: لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع
نفي التشبيه ٢٩٣ ، ٣١٥ ، ٣٣٠

جواب هل الاستواء والنزول حقيقة وهل لازم المذهب مذهب؟ ٢٩٣ ،
٣٣٠ ، ٣١٦

جواب هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبياً؟ ٢٣٨ ، ٢٩٥ ، ٣١٧ ، ٣٣٢
جواب هل كان النبي ﷺ متعبداً بشرع من قبله؟ ٢٣٨ ، ٢٩٥ ، ٣١٧ ،
٣٣٢

الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة ٢٩٦ ، ٣١٩
الحوفية ٢٣٩

درء تعارض العقل والنقل ١٠٣ ، ١٨٢ ، ١٩٥ ، ٢٣٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ،
٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٣ ، ٥٩٥ ، ٦١٩

الدر المنثور في زيارة القبور ٢٤٩

الدر المضية = الدرة المضية

الدرة المضية في فتاوى ابن تيمية (٤٠ مسألة) ٢٩٥ ، ٣٣٢ ، ٦٢٠

دفع الملام = رفع الملام

الرد على الاتحادية والحلولية ٦١٩

الرد على الإمامية = منهاج السنة النبوية

الرد على أهل كسروان الرافضة ١٩٦ ، ٢٣٣ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١ ،
٤١٨ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣

- الردّ على الأخنائي في مسألة الزيارة ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣
الردّ على البكري في مسألة الاستغاثة ١٩٦ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٣
الرد على تأسيس التقديس للرازي = بيان تلبيس الجهمية
رد على الروافض في الإمامة على ابن مطهر = منهاج السنة النبوية
الرد على طوائف الشيعة = منهاج السنة النبوية
الرد على الفلاسفة ٩٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٦١٩
الرد على القدريّة ٦١٩
الرد على المنطق (مجلد لطيف) ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
الرد على المنطق (مجلد) ١٩٦ ، ٢٣٣ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٣ ، ٥٩٥ ، ٦٢٠
الردّ الكبير على من اعترض عليه في مسألة الحلف بالطلاق ٤١٩ ، ٥٥٣ ، ٥٤٤
رسائله إلى البلدان ٢٧٩
الرسالة الأزهرية ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
رسالة إلى أهل البصرة ٢٤٨
رسالة إلى أهل بغداد ٢٤٨
رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور والأئمة المقتدى بهم ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
رسالة إلى البحرين وملوك العرب ٢٤٩
رسالة إلى بيت الشيخ جاكير ٢٤٨
رسالة إلى صاحب قبرص = الرسالة القبرصية
رسالة إلى القاضي السروجي الحنفي ٢٤٨
رسالة إلى ملك حماة ٢٤٩
رسالة إلى ملك مصر ٢٤٩
رسالة إلى نصر المنبجي ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٤٣٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٧ ، ٥٨٤ ، ٦٢٦

- الرسالة البعلبكية ٢٣٤ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
الرسالة البغدادية ٢٣٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٦٢٠
رسالة تكسير الأحجار ٢٤٩
الرسالة العدوية = رسالة في أصول الدين للعدوية
رسالة العرش ٢٤٩ ، ٦١٩
رسالة في إثبات وجود النفس بعد الموت ٢٤٩
رسالة في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة ٢٣٧
رسالة في أرض الموات إذا أحيها ثم عادت هل تملك مرة أخرى؟
٢٤٥
رسالة في الاستطاعة هل هي مع الفعل أو قبله؟ ٢٣٨
رسالة في الاستواء وإبطال قول من تأوَّله بالاستيلاء من نحو عشرين
وجهًا ٢٣٨
رسالة في الاشتغال بكلام الله وأسمائه وذكره، أي ذلك أفضل؟
٢٣٧
رسالة في الأصول لأهل جيلان ٢٤١
رسالة في أصول الدين للعدوية ٢٤١ ، ٢٤٨
رسالة في أمر يزيد هل يُسبُّ أم لا ٢٣٧
رسالة في أن إسماعيل هو الذبيح ٢٣٧
رسالة في أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لا بد أن يكون بكتاب الله
وسنة رسوله ٢٣٩
رسالة في أن مبدأ العلم الإلهي عند النبي ﷺ هو الوحي، وعند أتباعه
هو الإيمان ٢٣٩
رسالة في إهداء الثواب للنبي ﷺ ٢٤٤
رسالة في جواب محيي الدين الأصفهاني ٢٤٠
رسالة في حال الحلاج ودفع ما وقع به التحاج ٢٤١

- رسالة في حق الله وحق رسوله وحق عباده^(١) ٢٣٩
- رسالة في الخضر هل مات أو هو حي؟ ٢٣٧
- رسالة في الخلّة والإمكان العام^(٢) ٢٣٩
- رسالة في ذبائح أهل الكتاب ٢٤٤
- رسالة في الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية ٢٣٧
- رسالة في ذي الفقار هل كان سيفًا لعلي؟ ٢٣٨
- رسالة في العباس وبلال أيهما أفضل؟ ٢٤٣
- رسالة في العرش والعالم هل هو كروي الشكل أم لا؟ ٢٣٩
- رسالة في عرض الأديان عند الموت ٢٤٩
- رسالة في عصمة الأنبياء ٢٣٨
- رسالة في عقيدة الأشعرية وعقيدة الماتريدي ٢٣٩
- رسالة في العين والقلب وأحواله ٢٣٨
- رسالة في غض البصر وحفظ الفرج ماذا يعين عليه؟ ٢٣٧
- رسالة في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول من النصوص ٢٤٠
- رسالة في فضائل الأئمة الأربعة = تفضيل الأئمة الأربعة
- رسالة في فضل السلف على الخلف في العلم ٢٣٩
- رسالة في قرب الرب من عابديه وداعيه = قاعدة في قرب الرب ...
- رسالة في قوله تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ٢٤٤
- رسالة في قوله «أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم» هل هو من كلام النبي ﷺ؟ ٢٤١
- رسالة في قوله (كما صليت على إبراهيم) وفي أنّ المشبه به أعلى من المشبه ٢٤٤

(١) وانظر: قاعدة في حق الله وحق عباده.

(٢) وانظر: قاعدة في الخلّة ...

- رسالة في قوله ﷺ: «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» ٢٣٧
- رسالة في كفر فرعون ٢٣٨
- رسالة في اللقاء وما ورد في القرآن وغيره ٢٣٨
- رسالة في المبينة بين الله وبين خلقه ٢٤١
- رسالة في المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر ٢٤٩
- رسالة في المسألة الحرفية ٢٤٩
- رسالة في مسألة الزوال واختلاف وقته باختلاف البلدان ٢٣٨
- رسالة فيمن عزم على فعل محرم ثم مات ٢٣٧
- رسالة فيمن قال إن بعض المشايخ أحياء ميتاً ٢٤٣
- رسالة في النهي عن أعياد النصارى ٢٤٥
- الرسالة القادرية ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠
- الرسالة القبرصية ٢٤٩، ٢٩٢، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٣٠
- رسالة لأهل تدمر ٣٤٣
- رسالة لأهل العراق ٣٤٩
- رسالة لأهل قبرص ٢٤١
- الرسالة المدنية في الصفات النقلية ٢٤٨، ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١
- الرسالة المصرية ٢٤٨
- رسالة هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبياً، وهل يسمّى من صحبه إذ ذاك صحابياً؟ = جواب هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبياً
- رسالة هل كان النبي ﷺ قبل الوحي متعبداً بشرع من قبله من الأنبياء؟ = جواب هل كان النبي ﷺ متعبداً...
- رسالة وجوب العدل على كل أحد في كل حال ٢٣٩
- رفع الملام عن الأئمة الأعلام ١٩١، ١٩٦، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٧٢، ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢، ٤١٩، ٤٤٧، ٥١١، ٥٤٤، ٥٥٤، ٥٥٩، ٥٩٥

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ١٩٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٢ ، ٤١٩ ، ٤٤٧ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤ ، ٥٥٩ ، ٥٩٥ ، ٦٢٠
- شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين ٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
- شرح أول «المحصل» للرازي ٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣
- شرح حديث جبريل في الإسلام والإيمان ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١
- شرح حديث فحج آدم موسى ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١
- شرح حديث النزول ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٠
- شرح دعاء أبي بكر ٢٤٩
- شرح بضع عشرة مسألة من «الأربعين» لفخر الدين الرازي ٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٣
- شرح رسالة ابن عبدوس (في كلام الإمام أحمد) في أصول الدين ٢٣٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
- شرح عقيدة الأصبهاني ٢٣٣ ، ٢٤٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣ ، ٦١٩
- شرح العقيدة الأصفهانية = شرح عقيدة الأصبهاني
- شرح «العمدة» للموفق ٢٤٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣ ، ٦٢٠
- شرح «المحرر» في مذهب أحمد ٢٤٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣
- شمول النصوص في الفرائض ٢٤٧
- شمول النصوص للأحكام = قاعدة في شمول النصوص
- الصارم المسلول على شاتم الرسول ١٩٦ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ، ٣٤٥ ، ٤١٩ ، ٤٤٦ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣ ، ٥٥٨ ، ٦٢٠
- الصعيدية (قاعدة تتعلق بالتوبة) ٢٣٦

- صفات الكمال والضابط فيها ٢٣٤ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
 الصفدية ٤١٨ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣
 صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
 الصلوات المبتدعة ٢٩٦ ، ٢١٩ ، ٣٣٣
 الطرابلسية ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٢
 الطلاق البدعي لا يقع ٢٩٦ ، ٢١٩ ، ٣٣٣
 العبودية ٢٢٣
 العرش = رسالة العرش
 عصمة الأنبياء في ما يبلغونه ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١
 العقيدة الحموية = الفتيا الحموية
 العقيدة الواسطية = الواسطية
 الفتاوى ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٤٧٣ ، ٥٨١ ، ٥٩٥
 الفتاوى المصرية ٢٧٨ ، ٢٩٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٤ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢
 الفتح على الإمام في الصلاة ٢٩٥ ، ٣١٧ ، ٣٣٢
 فتوى في أن الطلاق الثلاث واحدة ٤٤٥
 فتيا تتضمن صفات الكمال = صفات الكمال والضابط فيها
 الفتيا الحموية ١٩٨ ، ٢٣٤ ، ٢٨٨ ، ٣١٣ ، ٣٤٦ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ،
 ٤٣٣ ، ٤٧٨ ، ٥٣٣ ، ٦٠٩
 فتيا في السفر لزيارة القبور ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٤٤٥
 فتيا في مسألة العلو ٢٣٤
 الفرق المبين بين الطلاق واليمين ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٣
 الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١٩٦ ، ٢٤٠ ، ٤١٩ ،
 ٥٤٤ ، ٥٥٣ ، ٦٢٠
 الفرقان بين الحق والباطلان ٢٤٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣
 الفرقان بين الطلاق والأيمان ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤

فصل في كيفية ما وقع في المجالس الثلاثة من المناظرات ٣٥٨،

٣٥٩

القادرية ٢٣٥

قاعدة تتعلق برحمة الله في إرسال محمد ﷺ ٢٤١

قاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم ٢٤١

قاعدة غالبها أقوال الفقهاء ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣١

قاعدة في إثبات كرامات الأولياء ٢٣٥

قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الأحكام ٢٤٦، ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢

قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام ٢٤٣، ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣١

قاعدة في الإخلاص والتوكل ٢٣٦

قاعدة في الاستجمار وتطهير الأرض بالشمس والريح ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٣

قاعدة في الاستحسان ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢

قاعدة في الاستغفار وشرحه ٢٣٧

قاعدة في الاستعاذة ٣١٨

قاعدة في اقتران الإيمان بالاحتساب ٢٤١

قاعدة في الاقتصاص من المظالم بالدعاء وغيره ٢٤٠

قاعدة في أقسام القرآن ٢٣٢

قاعدة في أمثال القرآن ٢٣٢

قاعدة في أمراض القلوب وشفائها ٢٤٠

قاعدة في الأنبياء والمسكرات ٢٤٧

قاعدة في أن الإيمان والتوحيد يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة ٢٣٥

قاعدة في أن جامع الحسنات العدل، والسيئات الظلم ٢٤٣

قاعدة في أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهي عنه ٢٤٥

قاعدة في أن خبر الواحد يفيد اليقين ٢٩٤، ٣١٧

قاعدة في أن خوارق العادات لاتدلّ على الولاية ٢٣٥

- قاعدة في أن الشريعة والحقيقة متلازمتان ٢٣٧
- قاعدة في أن كل آية يحتاج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله ٢٣٦
- قاعدة في أن كل عمل صالح أصله اتباع النبي ﷺ ٢٤٦
- قاعدة في أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته ٢٤٢
- قاعدة في أن مخالفة الرسول لا تكون إلا عن ظن واتباع هوى ٢٣٥
- قاعدة في أن المخطيء في الاجتهاد لا يأثم ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢
- قاعدة في أن المطلقة ثلاثاً لا تحل إلا بنكاح زوج ثان ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣
- قاعدة في الإيمان والتوحيد ٢٤٠
- قاعدة في البسملة هل هي من السورة؟ ٢٩٥، ٣١٨
- قاعدة في بقاء الجنة والنار وفنائهما = قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار
- قاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية ٢٤٢
- قاعدة في تحريم دخول الحمام بلا مئزر ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٣
- قاعدة في تحريم السماع ٢٣٦
- قاعدة في تركية النفوس ٢٤٠
- قاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل ٢٤٢
- قاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيره هل هو بلسان الحال أم لا؟ ٢٤٢
- قاعدة في التسمية على الوضوء ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٣
- قاعدة في تعذيب المرء بذنب غيره ٢٤٣
- قاعدة في تفضيل صالحى الناس على سائر الأجناس ١٩٦، ٢٣٦، ٢٩٤، ٣١٦، ٣٣١
- قاعدة في تفضيل [مذهب] الإمام أحمد ٢٤٥، ٢٩٥، ٣١٧، ٣٣٢
- قاعدة في تفضيل مذهب أهل المدينة ٢٤٦، ٢٩٥، ٣١٧، ٣٣٢

- قاعدة في تقرير القياس ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢
- قاعدة في تقليد مذهب معين هل يجب على العامي أم لا ؟ = قاعدة هل العامي يجب عليه تقليد مذهب معين ؟
- قاعدة في توحيد الشهادة ٢٤٢
- قاعدة في التوكل والإخلاص ٢٤٢
- قاعدة في تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعدر ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في الجدّ هل يُجبر البكر على النكاح ٢٤٧
- قاعدة في الجمع بين الصلاتين [في السفر] ٢٤٦ ، ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في الجهر بالبسملة ٢٤٧
- قاعدة في جواز الاستجمار مع وجود الماء ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في الجهاد والترغيب فيه ٢٤٦
- قاعدة في [جواز] طواف الحائض ٢٤٦ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في جواز قتال الرافضة ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٣١
- قاعدة في جواز المسح على الخفين المنخرقين والجوربين واللفائف ٢٩٥ ، ٣٣٣ ، ٣١٨
- قاعدة في حجة النبي عليه السلام ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٤
- قاعدة في حديث القلتين وعدم رفعه ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في الحسبة ٢٤٧
- قاعدة في حق الله وحق عباده ٢٤٠
- قاعدة في الحلف بالطلاق وتنجزه ثلاثاً ٢٩٦ ، ٣١٩
- قاعدة في حلق الرأس هل يجوز في غير النسك ٢٤٧
- قاعدة في حلّ الدور ومسائل الجبر والمقابلة ٢٤٧
- قاعدة في الحمام والاعتسال ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في الحيض ٣١٩

- قاعدة في خطأ القول بجواز مسح الرجلين^(١) ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في خلة إبراهيم وأنه الإمام المطلق ٢٤٠
- قاعدة في الخلة والمحبة وأيهما أفضل ٢٣٧
- قاعدة في الخلوات والفرق بين الخلوة الشرعية والبدعية ٢٣٦
- قاعدة في دم الشهيد ومداد العلماء ٢٤٦
- قاعدة في ذم الوسواس ٢٤٧ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في رجوع البدع إلى شعبة من شعب الكفر ٢٤٣
- قاعدة في الرد على أهل الاتحاد، وهي جواب الطوفي ٢٤١
- قاعدة في الرد على من قال إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢
- قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار ٢٢٥ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٣١
- قاعدة في رسالة النبي ﷺ إلى الإنس والجن ٢٤٣
- قاعدة في الرضا ٢٣٦
- قاعدة في الركعتين اللتين تصليان قبل الجمعة ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
- قاعدة في الزهد والورع ٢٤٠
- قاعدة في زيارة القدس مطلقاً ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٤
- قاعدة في السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر ٢٤٦
- قاعدة في السياحة والعزلة، وفي الفقر والتصوف ٢٤٣
- قاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة ٢٤٠
- قاعدة في شرح أسماء الله الحسنى ٢٣٧
- قاعدة في الشكر لله ٢٤١
- قاعدة في شمول النصوص للأحكام ٢٤٦ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣١
- قاعدة في شهر السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة وأكل التمر بالروضة

(١) «الفوات»: «الخفين».

- وما يلبس المُحَرَّم وزيارة الخليل عقب الحج ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٤
 قاعدة في الشيوخ الأحمديّة = كشف حال المشايخ الأحمديّة
 قاعدة في الصبر والشكر ٢٣٦
 قاعدة في الصفح الجميل والهجر الجميل والصبر الجميل ٢٤١
 قاعدة في الصلاة بعد أذان الجمعة ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
 قاعدة في طهارة بول ما يؤكل لحمه ٢٤٥ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
 قاعدة في العبيدين ٢٩٥ ، ٣٢٠
 قاعدة في عدم نقض الوضوء بلمس النساء ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
 قاعدة في العلم المحكم ٢٣٧
 قاعدة في العلم والحلم ٢٤٠
 قاعدة في العمرة المكيّة ٢٤٢ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٤
 قاعدة في فضائل القرآن ٢٣٢
 قاعدة في فضل عشر ذي الحجة ٢٤٣
 قاعدة في فضل معاوية وفي ابنه يزيد أنه لا يُسَبّ ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٣١
 قاعدة في الفقراء والصوفية أيهم أفضل؟ ٢٣٦
 قاعدة في الفناء والاصطلام ٢٤٠
 قاعدة في القدرية وأنهم ثلاثة أقسام ٢٤٢
 قاعدة في القراءة خلف الإمام ٢٤٧
 قاعدة^(١) في قرب الرب من عابديه وداعيه ٢٣٨ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٠
 قاعدة في القضايا الوهميّة ٢٣٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
 قاعدة في قوله ﷺ: «استحللتم فروجهن بكلمة الله» ٢٤٧
 قاعدة في قوله ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» ٢٣٧
 قاعدة في كراهية بسط سجادة المصلي قبل مجيئه ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣

(١) «الوافي»: «قاعدتان».

- قاعدة في كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
 قاعدة في كفر النصيرية ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٣١
 قاعدة في كلام ابن الشريف في التصوف ٢٤٠
 قاعدة في كلام الجنيد لما سُئل عن التوحيد فقال: «إفراد الحدوث عن
 القدم» ٢٤٢
 قاعدة في الكلام على «المرشدة» ٢٤٢ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٠
 قاعدة في الكليات ٢٣٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
 قاعدة في الكنائس وما يجوز هدمه منها ٢٤٧
 قاعدة في كيفية الاستدلال والاستدراك على الأحكام بالنص
 والإجماع ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣١
 قاعدة في لباس الخرقه والأقطاب ونحوهم ٢٣٦
 قاعدة في لعب الشطرنج ٢٤٦ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٣
 قاعدة في لفظ الحقيقة والمجاز والبحث مع الآمدي ٢٤٤
 قاعدة فيما شرعه الله بلفظ العموم هل يكون مشروعًا بلفظ
 الخصوص ٢٤٦
 قاعدة فيما لكل أمة من الخصائص وخصائص هذه الأمة ٢٣٩
 قاعدة فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي ﷺ . . . وبيان خصائصه ٢٤١
 قاعدة فيما ينتهى وما لا ينتهى ٢٣٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠
 قاعدة فيما يحلّ ويحرم بالنسب والصهر والرضاع ٢٤٧
 قاعدة فيما يحلّ ويحرم من الأطعمة ٢٤٦
 قاعدة فيما يختلف حكمه في السفر والحضر ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣
 قاعدة فيما يُشترط له الطهارة ٢٤٧
 قاعدة فيما يُظن من تعارض النص والإجماع ٢٤٤ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢
 قاعدة فيما يعرض من الوسواس في الصلاة ٢٩٦ ، ٣١٨
 قاعدة في المائعات وملاقاتها النجاسة ٢٩٥ ، ٣١٨

- قاعدة في محبة العبد لله ومحبة الله للعبد ٢٣٦
- قاعدة في المخطيء في الاجتهاد هل ياثم، وهل المصيب واحد ٢٤٦
- قاعدة في المسألة السريجية ٢٤٧
- قاعدة في مشايخ العلم ومشايخ الفقراء أيهم أفضل ٢٤٣
- قاعدة في معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة ٢٤٥
- قاعدة في مفطرات الصائم ٢٤٦
- قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين ٢٤٤، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣
- قاعدة فيمن امتحن في الله وصبر ٢٤١
- قاعدة فيمن بكر وابتكر وغسل واغتسل ٢٤٧
- قاعدة فيمن لا يعطي أجره الحمام ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٣
- قاعدة في مواقيت الصلاة ٢٤٧
- قاعدة^(١) في المياه والمائعات وأحكامها ٢٤٥، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢
- قاعدة في نواقض الوضوء ٢٤٦، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٣
- قاعدة في وجوب التسمية على الذبائح والصيد ٢٤٦
- قاعدة في وصية لقمان لابنه ٢٤٢
- قاعدة كبيرة في المفسرين ومصنفاتهم ٢٣٢
- قاعدة كل حمد وذم في المقالات لا يكون إلا من الكتاب والسنة ٢٩٤، ٣٣١، ٣١٧
- قاعدة هل العامي يجب عليه تقليد مذهب معين ٢٤٧، ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢
- قتل تارك أحد المباني وكفره ٢٩٦، ٣١٨، ٣٣٣
- القنوت في الصبح والوتر ٢٩٦، ٣١٨، ٣٣٣
- قواعد أن النهي يقتضي الفساد ٢٩٥، ٣١٧، ٣٣٢

(١) عند ابن رشتيق: «قواعد...».

القواعد الخمس ٢٤٢

قواعد في إثبات القدر والرد على القدرية والجبرية ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١

قواعد في تطهر الأرض بالشمس والريح ٢٤٥

قواعد في إثبات المعاد والرد على ابن سينا في رسالته الأضحوية ٢٣٤

قواعد في التفسير والكلام على المصنفات والمفسرين ٢٣٢

قواعد في خلافة الصديق ٢٣٧

قواعد في رجوع المغرور على مَنْ غَرَّه ٢٤٤

قواعد في السنة والبدعة وفي أن كل بدعة ضلالة ٢٤٤

قواعد في مسائل من النذور والضمان ٢٤٥

قواعد في الوقف وشروط الوقف وفي إيداله بأجود منه وفي بيعه عند

تعذر الانتفاع ٢٤٥

قواعده (الكبار والمتوسطة والصغار) ٢٧٩ ، ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣

كتاب التصوف ٢٥٦ ، ٤٤٧ ، ٥٥٩

كشف حال المرازقة ٢٩٧ ، ٣٢٠

كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية ٢٣٦ ، ٢٩٧ ،

٣١٩ ، ٣٣٤ ، ٣٥٧ ، ٤٣٧

الكلام على إرادة الرب وقدرته ٢٣٤

الكلام على بطلان الفتوة المصطلح عليها بين العوام وليس لها أصل

يتصل بعلي عليه السلام ٢٩٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٤

الكلام على نقض المرشدة = قاعدة في الكلام على المرشدة

الكلم الطيب في الأذكار ٢٥٦ ، ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣ ، ٤٤٧ ، ٥٥٩

الكيلانية ٢٣٤

كتاب إلى أهله ٣٦٩

كتاب في الاستغاثة = الرد على البكري في مسألة الاستغاثة

كتاب في الإيمان هل يزيد وينقص؟ ٢٣٩

- كتاب في توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا ٢٤٠
 كتاب في خلق الأفعال ٦٢٠
 كتاب في الرد على تأسيس التقديس = بيان تلبيس الجهمية
 كتاب في الشهادات وما يتبع ذلك ٢٣٨
 كتاب في الطلاق ٦٢٠
 كتاب في فضائل أبي بكر وعمر على غيرهما = مسألة في فضل أبي بكر
 كتاب في محنته في مصر = التسعينية
 كتاب في الموافقة بين المعقول والمنقول = درء تعارض العقل والنقل
 كتاب في الوسيلة ١٩٦، ٢٣٣
 كتاب من الحبس ٣٦١
 لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣
 ماتضمنه «فصوص الحكم» من الكفر والإلحاد والاتحاد والحلول ٢٩٣،
 ٣١٦، ٣٣٠
 الماردانية ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢
 المحنة المصرية = التسعينية
 مختصر في كفر النصيرية = قاعدة في كفر النصيرية
 المراكشية ٢٣٤، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠
 المسائل الإسكندرانية في الرد على الاتحادية والحلولية ١٩٦، ٢٣٣،
 ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣٠، ٤١٨، ٥٤٣، ٥٥٢
 مسائل في الشكل والنقط ٢٣٥، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠
 مسائل الفرق بين الحلف بالطلاق وإيقاعه والطلاق البدعي والخلع ونحو
 ذلك ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣
 مسائل من بغداد = جواب مسائل ...
 مسائل وردت من الرحبة ٣١٨، ٣٣٢
 مسائل وردت من زُرْع ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢

- مسألة في العقل والروح ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١
- مسألة في فضل أبي بكر وعمر على غيرهما ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١، ٦١٩
- مسألة في المقربين: هل يسألهم منكر ونكير ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١
- مسألة ما بين اللوحين كلام الله ٢٩٢، ٣١٥
- مسألة النزول واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣٠
- مسألة هل تُعذب الروح مع الجسد في القبر وهل تفارق البدن بالموت أو لا ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١
- مناسك الحج ٢٥٦، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٤، ٤٤٧، ٥٥٩
- المناسك الكبرى ٦٢٠
- المناسك الصغرى ٦٢٠
- منظومة في الجواب عن اللغز ٢٩٧
- منظومة في القدر ردًا على سؤال أهل الذمة ٢٩٧، ٤٧٩، ٤٨٦
- منهاج الاستقامة = منهاج السنة النبوية
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ١٩٥، ٢٣٣، ٢٥٦، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٩، ٣٣١، ٤٤٧، ٤٤١، ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٨٧، ٥٩٥، ٦١٩، ٦٢٠
- المنهاج في الرد على الروافض = منهاج السنة النبوية
- مؤاخذه لابن حزم في الإجماع ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢
- الموافقة بين المعقول والمنقول = درء تعارض العقل والنقل
- النبوات = ثبوت النبوات عقلاً ونقلًا
- النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة، والخسوف والكسوف هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة ٢٩٧، ٣١٩، ٣٣٤
- نقض الاعتراض لبعض المشاركة ٢٩٢، ٣١٥
- النهي عن المشاركة في أعياد اليهود والنصارى وإيقاد نصف شعبان

والحبوب في عاشوراء ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٣

الهلاكونية ٢٣٣ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١ ، ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣

الهلاوونية = الهلاكونية

هل سمع جبريل كلام الله أو نقله من اللوح المحفوظ ٢٩٢ ، ٣١٥

الواسطية ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٣٥٧ ، ٤١٠ ، ٤٣٨ ، ٤٧٨ ، ٥٣٩ ، ٥٨٣

٦١٣

وصف العموم والإطلاق ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢

وصية لابن المهاجري ٢٤٨

وصية لأبي القاسم يوسف السبتي ٢٤٨

وصية للتجبي ٢٤٨

* * *

فهرس الموضوعات

- * مقدمة فضيلة الشيخ/ بكر بن عبدالله أبو زيد أ-أ
- * مقدمة الجامع لترجمة شيخ الإسلام ١
- طريقة جمع الترجمة، وما سلف من دراسات مماثلة لأعلام
- آخرين ٣-٢
- نقد كتاب المنجد «شيخ الإسلام: سيرته وأخباره عند
- المؤرخين» ٦-٤
- أهمية هذا الكتاب ٨-٦
- تصويب خطأ قديم في نسبة «مؤلفات ابن تيمية» لابن القيم،
- وبيان أنها لأبي عبدالله بن رُشَيْق ١٥-٨
- مصادر ترجمة شيخ الإسلام بأنواعها: ١٥
- التراجم المفردة ٢١-١٧
- التقاريط والرسائل عن بعض أحواله ومؤلفاته ٢٤-٢١
- سيرته في كتب التواريخ والسير ونحوها ٣٣-٢٤
- كتب فيها شذرات من ترجمته ٣٣
- منهج العمل ٣٧-٣٣
- * نماذج من النسخ الخطية ٥٤-٣٩
- * الجامع لترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية
- ١ - التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار
- لابن شيخ الحزامين (٧١١) ٧٧-٥٥
- ٢ - فصل: فيما قام به ابن تيمية وتفرّد به وذلك في تكسير الأحجار
- لخادم شيخ الإسلام إبراهيم بن أحمد الغياني ٩٦-٧٨
- ٣ - رسالة من الشيخ أحمد بن مُرِّي الحنبلي (بعد ٧٣٠) ١٠٤-٩٧

- ٤ - نهاية الأرب في فنون الأدب
 لشهاب الدين النويري (٧٣٣) ١٠٥ - ١٣٣
- ٥ - أجوبة ابن سيّد الناس اليعمري (٧٣٤) على سؤالات ابن أبيك
 الدميّاطي ١٣٤ - ١٣٦
- ٦ - تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه
 لشمس الدين محمد الجزري (٧٣٩) ١٣٧ - ١٤٨
- ٧ - المُفتي لتاريخ أبي شامة
 لعلم الدين البرزالي (٧٣٩) ١٤٩ - ١٦٢
- ٨ - كنز الدرر وجامع الغرر
 لأبي بكر بن عبدالله الدواداري بعد (٧٣٠) ١٦٣ - ١٧٩
- ٩ - رسالة من عبدالله بن حامد إلى ابن عبدالهادي ١٨٠ - ١٨٤
- ١٠ - لُقطة العجلان في مختصر وفيات الأعيان (مخطوط)
 لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني (٧٤٣) ١٨٥ - ١٨٦
- ١١ - مختصر طبقات علماء الحديث
 لمحمد بن أحمد بن عبدالهادي (٧٤٤) ١٨٧ - ٢٠٢
- ١٢ - ذيل تاريخ الإسلام (مخطوط)
 لمحمد بن أحمد شمس الدين الذهبي (٧٤٨) ٢٠٥ - ٢١٠
- ١٣ - معجم الشيوخ، له ٢١١
- ١٤ - تذكرة الحفاظ، له ٢١٢ - ٢١٣
- ١٥ - ذيل العبر، له ٢١٤
- ١٦ - دول الإسلام، له ٢١٥
- ١٧ - الإعلام بوفيات الأعلام ٢١٥
- ١٨ - المعين في طبقات المحدثين، له ٢١٦
- ١٩ - ذكر من يُعتمد قوله في الجرح والتعديل، له ٢١٦
- ٢٠ - المعجم المختص، له ٢١٧ - ٢١٩

- ٢١ - أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية
لأبي عبدالله محمد بن رُشَيْق (٧٤٩) ٢٢٠ - ٢٤٩
- ٢٢ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (مخطوط)
لأحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (٧٤٩) ٢٥٠ - ٢٦٦
- ٢٣ - تنمة المختصر في أخبار البشر
لعمر بن الوردى (٧٤٩) ٢٦٧ - ٢٧٥
- ٢٤ - برنامج ابن جابر الوادي آشي (٧٤٩) ٢٧٦
- ٢٥ - الكافية الشافية
لابن قيم الجوزية (٧٥١) ٢٧٧ - ٢٨٠
- ٢٦ - الإيصال لكتاب ابن سليم وابن نقطة والإكمال (مخطوط)
لعلاء الدين مُغلطاي (٧٦٢) ٢٨١ - ٢٨٢
- ٢٧ - أعيان العصر وأعوان النصر (مخطوط)
لخليل بن أيك الصفدي (٧٦٤) ٢٨٣ - ٣٠٤
- ٢٨ - الوافي بالوفيات، له ٣٠٥ - ٣٢٣
- ٢٩ - فوات الوفيات
لابن شاعر الكتبي (٧٦٤) ٣٢٧ - ٣٣٥
- ٣٠ - عيون التواريخ، له (مخطوط) ٣٣٦ - ٣٣٧
- ٣١ - مرآة الجنان
لأبي محمد اليافعي اليماني (٧٦٧) ٣٣٨ - ٣٣٩
- ٣٢ - نثر الجمان في تراجم الأعيان (مخطوط)
لأحمد بن محمد الفيومي (٧٧٠) ٣٤٠ - ٣٤١
- ٣٣ - البداية والنهاية
لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير (٧٧٤) ٣٤٢ - ٣٨٥
- ٣٤ - تذكرة النبيه في دولة المنصور وبنيه
لابن حبيب (٧٧٩) ٣٨٩ - ٣٩٢

- ٣٥ - درة الأسلاك في دولة الأتراك، له (مخطوط) ٣٩٦ - ٣٩٣
- ٣٦ - رحلة ابن بطوطة (٧٧٩) ٣٩٨ - ٣٩٧
- ٣٧ - الذيل على طبقات الحنابلة
- لزين الدين ابن رجب الحنبلي (٧٩٥) ٤٢٣ - ٣٩٩
- ٣٨ - ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد
- لتقي الدين الفاسي (٨٣٢) ٤٢٤
- ٣٩ - التبيان لبديعة البيان (مخطوط)
- لابن ناصر الدين الدمشقي (٨٤٢) ٤٢٨ - ٤٢٥
- ٤٠ - المققى الكبير
- لتقي الدين المقرئزي (٨٤٥) ٤٦٠ - ٤٣١
- ٤١ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، له ٤٦٢ - ٤٦١
- ٤٢ - السلوك لمعرفة دول الملوك، له ٤٦٣
- ٤٣ - مختصر طبقات الحنابلة
- لأحمد بن نصر الله البغدادي (٨٤٦) ٤٦٤
- ٤٤ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة
- لالحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢) ٤٨٣ - ٤٦٧
- ٤٥ - تقرظه للرد الوافر
- ٤٨٦ - ٤٨٤
- ٤٦ - عقد الجمان (مخطوط)
- لبدر الدين محمود العيني (٨٥٥) ٤٩١ - ٤٨٩
- ٤٧ - تقرظه للرد الوافر
- ٥٠١ - ٤٩٢
- ٤٨ - تقرظه البلقيني (٨٦٨) للرد الوافر
- ٥٠٥ - ٥٠٢
- ٤٩ - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي
- لأبي المحاسن ابن تغري بردي (٨٧٤) ٥١١ - ٥٠٩
- ٥٠ - الدليل الشافي من المنهل الصافي، له ٥١٢
- ٥١ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، له ٥١٤ - ٥١٣

- ٥٢ - المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد
لبرهان الدين ابن مفلح (٨٨٤) ٥١٥ - ٥٢٠
- ٥٣ - دستور الأعلام بمعارف الإسلام (مخطوط)
لمحمد بن عزّم المكي (٨٩١) ٥٢١
- ٥٤ - طبقات الحفاظ
لجلال الدين السيوطي (٩١١) ٥٢٢
- ٥٥ - تاريخ ابن سبط (٩٢٦) ٥٢٣ - ٥٢٤
- ٥٦ - الدارس في تاريخ المدارس
للنعيمي (٩٢٧) ٥٢٥ - ٥٢٧
- ٥٧ - المنهج الأحمد في ذكر أصحاب الإمام أحمد
لمجير الدين العليمي (٩٢٨) ٥٣١ - ٥٥١
- ٥٨ - الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، له
..... ٥٥٢ - ٥٥٤
- ٥٩ - طبقات المفسرين
للداوودي (٩٤٥) ٥٥٥ - ٥٥٩
- ٦٠ - الزيارات
للقاضي الزوكاوي العدوي (١٠٣٢) ٥٦٠ - ٥٦١
- ٦١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب
لأبي الفلاح ابن العمد الحنبلي (١٠٨٩) ٥٦٢ - ٥٧١
- ٦٢ - درة الحجال في غرة أسماء الرجال
للمكناسي (١١٢٥) ٥٧٢
- ٦٣ - ديوان الإسلام
للغزي (١١٦٧) ٥٧٣
- ٦٤ - رسالة في مناقب ابن تيمية والدفاع عنه
لولي الله الدهلوي (١١٧٦) ٥٧٤ - ٥٧٩
- ٦٥ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

- لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠) ٥٨٩ - ٥٨٠
- ٦٦ - أبجد العلوم
- لصديق حسن خان القنوجي (١٣٠٧) ٥٩٣ - ٦٠٣
- ٦٧ - التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، له ٦٠٤ - ٦١٧
- ٦٨ - جلاء العينين في محاكمة الأحمدين
- لنعمان خير الدين الآلوسي (١٣١٧) ٦١٨ - ٦٣٣
- * الفهارس ٦٣٥
- ١ - الفهرس التفصيلي لترجمة شيخ الإسلام ٦٣٧
- ٢ - فهرس مصنفات شيخ الإسلام ٦٦٤
- ٣ - فهرس الموضوعات ٦٩٥

* * *